

الفَلْسَفة الإصلاحِيّة

في رؤية الإمام موسى الصّدر وأعماله

ربـاب الصّـــدر



منشورات مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات

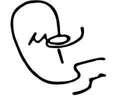
أجمل الهدايا كتاب..
فكيف إذا كان قصّة عمر

مع تحيّاتي

الفلسفة الإصلاحيّة

في رؤية الإمام موسى الصّدر وأعماله

رباب الصّدر



منشورات مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات

باسمه تعالى

إليكما

أبي

تركتَ عالمنا وأنا طفلةٌ بلغتُ الحُلُم أو أكاد، ولم أكن لأستوعب منك وعنك شيئًا كما هم أشقائي وشقيقاتي..
وأسلمتني إلى أمي.

أمي

يا من توليتِني فمنحتِني الحبّ كلّه، والخُلُق كلّه، وما وسعكِ من العلم، ثم وضعتِني بين يدي شقيقي السيد موسى، فمنحني القدرة على أن أفرد جناحيّ في فضاء الكون الواسع، وقضيتِ عمرك وأنتِ تتابعين الخطى.

ها أنا، يا أبي، ويا أمي، أقدّم إليكما هذا الكتاب وهو مما استفدته من شقيقي وعنه.. أقدّمه طلبًّا لرضاكما.

رباب

محتوى الكتاب



في المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى



تقديم

الرّئيس السّيّد محمّد خاتمي

بسم الله الرحمن الرحيم

السّيدة الكريمة الفاضلة شقيقة الإمام الصّدر ورفيقة دربه ومَكْمَن أسراره ارتأت تسليط الضّوء على أبعاد شخصية الإمام الصّدر، وعلى اهتمامات سماحته الفكريّة والثّقافيّة والسّياسيّة والدّينيّة والأخلاقيّة والنّضاليّة، وذلك في إطار أطروحة جامعية لنيل شهادة الدّكتوراه.

إنّه عمل يستدعي الثّناء والتّقدير، وخدمة قيّمة تُسدى لكلّ الّذين ينشدون الحقّ، ويحترمون كرامة الإنسان، ويتطلّعون للتّعايش الإنساني، وينشدون الحياة العادلة الكريمة للنّاس كافة.

وفي عالم يعجّ بالقلق والاضطرابات، صارت حياة الإنسان عرضة لمزيد من الآلام والمعاناة. إن الإنجازات الضّخمة الّتي حقّقها الإنسان المعاصر في ميدان العلم والتّكنولوجيا، ونظم العلاقات الاجتماعية لصالحه، والوعي المعرفي الهائل، ذلك كلّه ليس بالأمر السّهل والهيِّن، ولكن لا بدّ من القول بأنّ هيمنة النّزعة الدّنيوية على الإنسان المعاصر واستفحال المطامع والرّغبة بالاستحواذ على المزيد، أدّى الى تفاقم الأزمات والمشكلات الّتي تواجه البشرية جمعاء، وعلى الرّغم من هذا التقدم كله والتطور إلا أنّ مستوى الرّضا عن الحياة قد تدنّى مع الأسف الشّديد.

لو كان للعولمة معنى ومفهوم سليم، لا شكّ لكان أكثر معالمها بروزًا انعدام الأمن الّذي يعمّ العالم بأسره، إذ لم يعد أيّ انسان وأيّ أمة في الشّرق والغرب، وفي الشّمال والجنوب يشعر بالأمن، بخاصة وأنّ الاحتلال والقمع والتّشريد من جهة، واشتداد وتيرة الإرهاب الوحشي المدمّر من جهة أخرى، جعل عالمنا يشكو انعدام الأمن أكثر من أيّ وقت آخر.

كما أنّ الأزمات النّاتجة عن طبع ومرحلة الحداثة وماهيتها ليست بالقليلة، وضاعفت من معاناة الشّرق الأوسط وتحدياته، فهناك الاضطراب الفكري، والأنظمة المستبدّة والتّابعة للأجنبي الّتي تحرص على صيانة مصالح الآخرين بدلًا من تأمين منافع شعوبها وطموحاتها. وهناك الاحتلال والقمع وظهور هويات متعدّدة للكراهية والعنف..، إضافة إلى نهب الثّروات الطّبيعية (أو تصديرها)، وفي المقابل توريد الأزمات (أو خَلْقها) ما عرّض المنطقة إلى المزيد من الأزمات. هذا في وقت يعدّ الشّرق الأوسط موطن الأديان السّماوية الكبرى، ومبعث الأنبياء الّذين دعوا بصوت واحد إلى سمو الإنسان وتكامله، فغمرت حياتهم بالعدالة والجمال.. ألم يعدّ القرآن الكريم هدف بعثة الأنبياء وإرسال الكتاب

والميـزان قيـام النّـاس بـ(القسـط)؛ أي أنّ الإنسـان هـو الّـذي يتـولى بسـط القسـط، وأنّ مهمـة الأنبيـاء توعيـة الإنسـان وتقويـة إرادتـه كـي يتمكّـن مـن إرسـاء أسـس حيـاة عادلـة ليتمتع الجميع بالعزة والكرامة ويحظوا بحيـاة طيبـة بغض النّظـر عـن عقائدهـم وانتماءاتهـم، وصيانـة النّظـم والنّظـام.

تكمـن المصيبـة الكبـرى فـي ظهـور أفـكار وعقائـد وتيـارات دينيـة قائمـة عـلى الكراهيـة والعنـف والتّحجّـر، تحـاول مـن خـلال تحريـف ديـن اللّه الإضفـاء على العنف والقتـل ونظيـر ذلـك طابـع القداسـة، وبالتّالـي إيقـاع العالـم ومنطقتنـا فـي دوّامـة مـن الحـروب المدمـرة والقمـع والاحتـلال مـن جهـة، والاغتيـالات والاقتتـال والدّمـار مـن جهـة أخـرى.

وفـي ظـلّ هـذه المأسـاة المؤلمـة، فإنّ دراسـة سـيرة حيـاة رجـل فـذّ كالإمـام الصّـدر وتسـليط الضّـوء عـلى جماليـة فكـره وإقداماتـه، لتبيّـن السّـيرة العطـرة المفعمـة بحـبّ الإنسـان، والدّعـوة للسّـلام، والأخـلاق السّـمحة والمـداراة، وبطبيعـة الحـال النّضال بقـوة وصلابـة ضـد الاحتـلال والقمـع والإذلال ومصـادرة كرامـة الإنسـان.. إنّ هكـذا دراسـة تُعـدّ نوعًـا مـن الوفـاء لهـذه الشّـخصيّة الدّينيّـة السّياسـيّة والعلميّـة، ومصـدر خيـر وبركـة، بخاصـة للبنـان العزيـز، بمـا يحتضنـه مـن تنـوّع قومـيٍّ ودينـيٍّ وثقافـيٍّ، فضـلًا عـن أنّهـا تمثّـل أسـوة وقـدوة لـكلّ الّذيـن ينشـدون حيـاة ربّانيـة رائعـة وعادلـة وأخلاقيّـة للجميـع، وينفـرون مـن الظّلـم والاسـتبداد والعنصريـة ومصـادرة كرامـة الإنسـان.

أسـأل اللّـه تعـالى للسّـيّدة الجليلـة وافـر الصّحـة ودوام التّوفيـق فـي خدمـة الإسـلام والإنسـان، لا سـيما فـي لبنـان العزيـز.

محمّد خاتمي[1]

---

1 **السّـيّد محمـد خاتمـي:** (1943 - أطـال اللّـه عمـره) هـو الرّئيـس الخامـس للجمهوريـة الإسـلامية فـي إيـران لولايتيـن (1997-2005). إصلاحـي، فقيـه ومثقـف إيرانـي. وبنـاءً عـلى اقتراحـه، أعلنـت منظمـة الأمـم المتحـدة عـام 2001 كعـام الأمـم المتحـدة للحـوار بيـن الحضـارات. وهـو متأهـل مـن ابنـة شـقيقة الإمـام موسـى الصّـدر.

مقدّمة الكتاب

لـم يكـن الإمـام الصّـدر صوتًـا نسـمعه، أو حكايـة عابـرة نحكيهـا، أو كلمـاتٍ قالهـا أو كتبهـا نقرأهـا ونطويهـا، أو غيابًـا نسـتذكره.. فلـكلٍّ منهـا أو لجميعهـا مجـالات ومناسـبات لسـنا هنـا بصـدد تناولهـا. إنّمـا نحـن أمـام قـراءة متجـدّدة للحظـةِ حيـاةٍ جسَّـدها وكأنّها لا تخبـو فـي زمـن مَرّ، أو مشـهد عَبَر، لحظـة حياة مشـحونة بطاقـة وعـي اسـتثنائيّة، حوَّلتهـا طبيعتـه كرجـل قيـادي إلى أفعـال وممارسـات عمليـة متنوعـة وشـاملة لأوجـه الحيـاة الإنسـانيّة فـي مراتبهـا الفرديّـة والاجتماعيّـة والوطنيّـة والكونيّـة.

والباحـث عـن الفلسـفة الإصلاحيـة للإمـام الصّـدر لـن يجدهـا وحسـب، برأينـا فـي مجمـل مـا قـال علـى غزارة مـا حاضـر ووعـظ وصرّح، أو فـي مـا كتـب علـى شـموليته وعمقـه.. ليـس فـي ذلـك وحسـب، بـل فـي كلّ مـا كان عليـه حالـه، صبيًّـا ثـمّ شـابًّا، دارسًـا، عالمًـا، إمامًـا، باحثًـا، مصلحًـا، قائـدًا، مناضلًا، ومؤسسًـا للعديـد مـن الهيئـات والتّنظيمـات والمؤسسـات الدّينيّـة والاجتماعيّـة والتّربويّـة والصّحيّـة والثّقافيّـة والسّياسـيّة.

نقـرأ فـي الإمـام الصّـدر الرّغبـة الدّائمـة فـي خدمـة المجتمـع ونفـع النّـاس، والإسـهام بأوفـى جهـد مسـتطاع فـي توفيـر شـروط اسـتثمار إمكانـات الحيـاة المتاحـة للإنسـان، تحقيقًـا لسـعادته وسـعادة الجميـع.

نقـرأ فـي الإمـام الصّـدر النّزعـة المسـتمرة للتّغييـر، لـذا كان فـي حالـة كفـاح موصـول ضـدّ الجهـل والفقـر والمـرض والمحتـل الغاصـب. وكان لا يتـرك فرصـة إلّا ويوجّـه وينبّـه وينشّـط ويشـجّع ويعلّـم بالقـدوة وضـرب المثـل. وكمـا قـال عنـه الشّـيخ محمّـد مهـدي شـمس الدّيـن: «جعـل نفسـه قـوة كبـرى فـي مجـال التّنميـة، لـم يقبـع فـي صومعتـه يعيـد إنتـاج مـا كتبـه الآخـرون فـي مسـتوى النّظريـة، وإنّمـا نـزل إلى الشّـارع ليفعّـل مـا حمله فـي سـبيل التّنفيـذ... إنّ النّـاس الّذيـن كانـوا خـارج وعـي حقوقهـم، أو خـارج القـدرة علـى المطالبـة بحقوقهـم، المحروميـن بالمعنـى الاقتصـاديّ أو السّياسـيّ أو بالمعنـى الإنسـانيّ العـام، جعلهـم يتكلمـون. لـم يتكلـم عنهـم، بـدلاً منهـم، ولـم يختزلهـم، بـل أعطاهـم أصواتًـا ينطقـون ويتكلمـون بهـا. قاعدتـه: إنّـه ليـس المهـمّ أن نعـي حاجـات الآخريـن، ولكـن الأكثـر أهمّيـة أن نهـب

النّـاس مـا يجعلهـم يتحركـون». [1]
صحيـح أنّ الإسـلام كان مرجعيـة الإمـام موسـى الصّـدر في رؤيتـه وممارسـاته، لكـن الصّحيـح أيضًـا أنّ للإمـام رأيًـا وتجربـةً وفهمًـا خاصًّـا للنّـصّ الإسـلامي، وللمسـؤولية الإيمانيّـة والاجتماعيّـة والإنسانيّـة، بـل للإنسـان بعامـة، ولرجـل الدّيـن بخاصـة، إضافـة إلى تجربتـه فـي ميادـين الحيـاة عامـة الّتـي يؤكـد فيهـا هـذا الـرّأي. لـذا، نـرى عنـده ذاك الرّابـط الدّائـم بيـن البعـد النّظـري العقائـدي وبيـن الواقـع والممارسـة العمليـة، وهـذه ميـزة الإمـام الصّـدر.

يمكن إيجاز بواعث كتابة هذا الكتاب بما يلي:

- كان مسـار الإمـام الصّـدر عمليًّـا تطبيقيًّـا، ولـذا لـم يتّجـه لتأليـف الكتـب لضيـق وقتـه نتيجـة كثـرة التزاماتـه وتنـوّع مهامّـه، عـلى الرّغـم مـن زاده العلمـي الوافـر. لهـذا، نـرى الآثـار المدوّنـة الّتـي خلّفهـا متواضعـة جـدًّا، قياسًـا إلى إنجازاتـه، فلـم نعثـر بيـن أوراقـه عـلى أجنـدة ملاحظـات، أو عـلى دفتـر مذكـرات. لهـذا، عـلى الباحثيـن اليـوم أن يسـارعوا إلى لملمـة القصـص والحكايـات الّتـي يرويهـا مـن رافقـوا وعملـوا إلى جانـب الإمـام الصّـدر، قبـل أن تضيـع إلى الأبـد. وننـوّه هنـا بالـدور المهـم الّـذي يقـوم بـه مركـز الإمـام موسـى الصّـدر للأبحـاث والدّراسـات فـي حفـظ إرثـه الفكـري الضّخـم.
- صحيـح أنّ الإمـام الصّـدر كان رجـل ديـن، لكـن نظريتـه عـن رجـل الدّيـن ومهمّتـه تختلـف عـن الرّؤيـة التّقليديـة التـي يتبنّاهـا عديـد مـن الآخريـن. لقـد كان إنسـانًا مجـدّدًا، ولـه إسـهاماته القويّـة وإضافاتـه القيّمـة فـي الفقـه والدّيـن والاقتصـاد والتنّميـة، وغيرهـا مـن حقـول المعرفـة. إنّ الذّهنيـة المنفتحـة عـلى التّجديـد تكـون في حالـة تفاعـل دائـم مع التّجـارب والخبـرات، إذ ينتـج عـن كلّ احتـكاك جديـد قيمـةٌ مضافـة أو درسٌ مسـتفادٌ، يجـب رصـده وتوثيقـه وإدراجـه عـلى الميـدان المعرفـي.
- يعدّ لبنـان أنموذجًـا بتعـدّد طوائفـه، ويصلـح كنمـوذج إذا نجـح فـي صيغـة العيـش المشـترك ليصيـر قـدوةً للعالـم. ولهـذا، يحفـل سـجلّ الإمـام الصّـدر بالتّجـوال الكثيـف فـي القـرى والمناطـق اللّبنانيـة، كمـا بالأسـفار والزّيـارات الخارجيّـة.
- إنّ الإمـام الصّـدر، كرجـل ديـن يحمـل رؤيـة تقدّميـة، هـو أنمـوذج جليـل يسـتحقّ

---

1 **محمّـد مهـدي شـمس الدّيـن**، مشـاركة بعنـوان: "أعطـى المحروميـن صوتًـا"، ضمـن أعمـال مؤتمـر كلمـة سـواء الثّالـث، عنوانـه: بحثًـا عـن حـقّ الإنسـان، منشـورات مركـز الإمـام موسـى الصّـدر للأبحـاث والدّراسـات، بيـروت، 1998، ص 35.

الدّراسـة والتّقصّـي. وممّـا نذكـره جيّـدًا مـن أقوالـه بهـذا الخصوص:«جئـتُ لأنفـض غبـار السـنين عـن رجـال الدّيـن» و«يمكـن سـحب سـجادة صلاتكم وأنتم سـاهون!». هـو، بتعبيـر موجـز، رجـل الدّيـن الّـذي ذهـب إلى النّـاس ولـم ينتظـر مجيئهـم إليـه، وهـو الّـذي رأى أنّ خدمـة الإنسـان هـي أفضـل العبـادات. وهـذه السِّـمات المسـتجدّة تتحـدّى الصّـورة النّمطيـة لرجـل الدّيـن الواعـظ والقاعـد، وتسـتحقّ الدّراسـة المعمّقة.

اتّضـح مـن خـلال مـا تقـدّم، أنّ هـذا الكتـاب سـيبيّن أوجـه الممارسـة العمليـة لفلسـفة الإمـام الصّـدر الإصلاحيـة، والمشـروع الّـذي عمـل عليـه فـي مسـيرته الاجتماعيّـة، والمنهجيّـة الّتـي اعتمدهـا فـي ممارسـاته العمليـة وفـي البرامـج التنفيذيـة لمشـروعه الإنسـاني.

سـنعتمد فـي اسـتقصائنا لأوجـه الممارسـة العمليـة المجسِّـدة لفلسـفة الإمـام الصّـدر، منهـج دراسـة الحالـة فـي العـودة إلى نشـأته والبيئـة الّتـي رعتـه فـي مراحـل طفولتـه وشـبابه؛ ومسـيرته العلميـة والعلمائيـة لرسـم خلفيّتـه العائليّـة والعقائديّـة والتّربوية، وتبيـان فلسـفته فـي أبعادهـا الدّينيّـة والاجتماعيّـة والوطنيّـة والإنسـانيّة الكونيّـة.. هـذا مـن جهـة أولى. ومـن جهـة ثانيـة، سـنركن إلى تقنيـة تحليـل المضمـون، لمـا أنتجـه علـى المسـتوى الفكـري والمعرفـي، مـن خـلال الوثائـق المدوَّنـة والمحفوظـة بالصّوت أو الكلمـة المكتوبـة لخطبـه ومواعظـه ومحاضراتـه العامّـة ودروسـه الدّينيّـة، إضافـة إلى الأبحـاث والدّراسـات الّتـي أنتجهـا فـي الحقـول المعرفيّـة المختلفـة. ومـن جهـة ثالثـة، سـنركّز بشـكل خـاص عـلى تبيـان المصاديـق العمليـة والتّجليـات الواقعيـة لفلسـفة الإمـام الصّـدر، مـن خـلال الممارسـات العمليّـة الّتـي أدّاهـا عـلى صعيـده الفـردي أو مـن خـلال الهيئـات والتّنظيمـات والمؤسسـات الّتـي أنشـأها ورعاهـا، وأشـرف عليهـا... ومـن جهـة رابعـة، نستشـعر أنّ القـارئ المتأنّـي لا محالـة سـيلحظ أنّ كلّ مبحـث – تقريبًـا – مـن مباحـث هـذا الكتـاب، وعـلى الرّغـم مـن قلـة عـدد صفحاتـه يتألّـف مـن فقـرات قصيـرة عديـدة، تحمـل كلّ فقـرة عنوانًـا جانبيًّـا خاصًـا (مثـلاً، المبحـث الرّابـع مـن الفصـل الخامـس يمتـدّ عـلى أربـع صفحـات فقـط ويتألّـف مـن سـتّ فقـرات بعناوينهـا). وهـذا أمرٌ يبـدو غيـر مألـوف فـي إنشـاء الكتـب، ولكـن مـا دفعنـا إلى ذلـك تقديرنـا بأنّنـا نقـوم بعمـلٍ تأسيسـيٍّ، ويتعيّـن علينـا أن نرصـد أفـكار الإمـام الصّـدر كلّهـا، قـدر المسـتطاع. ولـذا، فقـد جـاءت الفقـرات قصيـرة ومتلاحقـة ومسـتقلّة عـن بعضهـا بعضًـا، وكلّ واحـدة منهـا حاملـة لعنوانهـا الخـاص،

لأنّنا توخّينا من كلّ فقرة إثبات وجود فكرة.. وربما يُتاح لنا – أو لغيرنا – في المستقبل توسعتها وتدعيمها بالرّؤى والممارسات الموافقة.

المؤلّفة*

* الجدير بالذّكر أن الكتاب بالأصل هو أطروحة دكتوراه مقدَّمة من المؤلفة لقسم الفلسفة في الجامعة اللّبنانية، وقد نالت درجة جيّد جدًّا، وأوصى بعض الأساتذة بضرورة طبعها لأهمّية الموضوع، فعمدنا إلى تعديلها بما ينسجم مع كونها كتابًا.



الفصل الأوّل

السّيرة الذّاتية
للإمام موسى الصّدر وأخلاقياته

المبحث الأول
سيرة الإمام الصّدر الشّخصيّة وأعماله

المبحث الثّاني
الأخلاقيات في فكر الإمام الصّدر وسيرته



الإمام في احتفال رحاب الزهراء
3 تموز 1978



المبحث الأول
سيرة الإمام الصّدرالشّخصيّة وأعماله

تَمثُل تحدّيات جمّة أمام الباحث عند محاولته مقاربة السّيرة الشّخصيّة للإمام موسى الصّدر، خصوصًا إن أراد مراعاة المعايير البحثية والأكاديمية، كالموضوعية والحيادية والمعلومات القابلة للتّثبت. أكثر تلك التّحدّيات بروزًا:

أولاً: الغياب القسري والمفاجئ لصاحب السّيرة عن مسرح النّشاط وانقطاع الاتصال به. وقد حفلت سنوات التّغييب الممتدّة على 44 عامًا [من العام 1978] بكمٍّ هائلٍ من المعلومات والتّكهُّنات المتضاربة والّتي لا يمكن الرّكون إليها لإتمام السّيرة.

ثانيًا: استمرار تأثير الإمام موسى الصّدر على الرغم من تغييبه، واتّخاذ هذا التّأثير أشكالًا مختلفة اختلط فيها العاطفي بالمنطقي. فكلّ مقالة أو تعليق أو خبر يتناول الإمام الصّدر، يكون مشوبًا بشحنةٍ من الوجدانيات والتّأثر.

ثالثاً: لا تزال قضية التّغييب موضع متابعة واستقصاء من قِبَل الفعاليات والمريدين وعائلة الإمام؛ أيضًا في المحافل القضائية والدّبلوماسية. وهي قضية على درجة عالية من الحساسية والخطورة، ويبدو أنّها تمسُّ الكثير من المقامات السّياسيّة والأمنيّة. عليه، فإنّ معضلة الإفصاح عن المعطيات تؤثّر سلبًا أو إيجابًا ليس فقط في المغيّبين والمسار القضائي لقضيتهم، بل في الحاضرين الأحياء، وفي المتوفّين ممن كان لهم ضلع معيّن في حياكة اللّغز الكبير.

يضاف إلى ما ذكر، أنّ مؤلّفة هذا الكتاب هي شقيقة السيد موسى الصدر الصّغرى، أي أنّ له حضوره القوي في ذاكرتها، إذ هو الأخ والموجّه والمربّي، ذلك كله وأكثر.
مع الأخذ بالحسبان للتّحديات السّابقة، سيتمّ تقسيم السّيرة إلى ثلاث مراحل، تحدّدها محطّات زمنيّة أو مكانية واضحة؛ وهي:

- مرحلة النّشأة والتّهيؤ: إيران والعراق (1928-1959)
- مرحلة الفعل والتّأسيس: لبنان (1959-1978)
- مرحلة التّفاعل والتّأثير: ليبيا (1978 - ؟)

يستقي هذا المبحث معلوماته من مصادر أوليّة مباشرة، لا سيّما في ما يخصّ المرحلة الأولى (ذاكرة الباحثة، وما يرويه الأقرباء المباشرون للإمام الصّدر). بينما تشكّل الصّحف اللّبنانية ومنشورات صاحب السّيرة مصدرًا رئيسًا للمرحلة الثّانية. أمّا المرحلة الثّالثة، ونظرًا إلى التّحدّيات المبيّنة أعلاه، فسنكتفي بإيراد موجز مكثف عن ملابسات الإخفاء ومسار التّحقيقات. يلي ذلك استكمال السّيرة بتتبّع تأثير صاحبها على الشّأن العام والحياة السّياسيّة، حسبما استمرّت على ألسنة العامة وفي ساحاتهم وبيوتهم، وذلك عبر انتقاء مقتطفات من شهادات بعض الرّموز الّذين عايشوا الإمام الصّدر وعملوا معه، أيضًا مقتطفات من مقالات الكتّاب والباحثين وتعليقاتهم.

أولًا: مرحلة النّشأة والتهيؤ: إيران والعراق (1928-1959)

1: أبرز المحطات[1]

1928

ولد الإمام موسى الصّدر في 4 حزيران 1928 في مدينة قم[2] - إيران، من عائلة تنتمي إلى كبار العلماء العامليين الّتي تعود جذورها إلى السّيّد صالح شرف الدّين من قرية شحور العاملية، في جنوب لبنان، قرب مدينة صور والّذي يعود نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر[3](ع)، وصولًا الى الرّسول الأكرم (ص).

---

1 انظر سيرة الإمام الصدر، على موقع :www.imamsadr.net

2 **مدينة قم:** من أهم الحواضر الدّينية الشّيعية، تقع على بعد 140 كلم جنوب طهران. إضافة إلى مؤسّساتها العلمية العديدة، تكتسي قم أهمّية دينية إذ دُفنت فيها فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى الكاظم، وهي أخت الإمام علي بن موسى الرّضا، الإمام الثّامن للشّيعة الإثني عشرية.

3 **الإمام موسى بن جعفر:** (745م - 799م) الملقّب بالكاظم، وهو سابع أئمّة الشّيعة الإثني عشرية. استمرّت إمامته 35 سنة بعد استشهاد أبيه الإمام الصّادق سنة 148هـ. عُرف بعلمه وعبادته وبجوده وحلمه، ولُقّب بالكاظم لشدّة كظمه للغيظ. اعتُقل على يد هارون الرّشيد مرّتين، حيثُ استشهد مسمومًا في سجن السّندي بن شاهك سنة 183هـ.

1934

التحق بمدارس قم، وأنهى دراسته الثّانوية في العام 1947.

1941

دخل الحوزة العلمية وتابع تحصيل العلوم الفقهية على كبار العلماء المدرِّسين، وصولًا إلى درجة الاجتهاد في مدينة قم المقدّسة.

1950

التحق بجامعة طهران، كلية الحقوق- قسم الاقتصاد، وتخرّج منها سنة 1953، وكان أول معمّم يتلقّى العلوم الحديثة في الجامعة، فيما استمرّ في الدّراسة والتّدريس في الحوزة. عمل مع آخرين من الشّباب الجامعيين على التّصدّي للدّعاوى الرّائجة آنذاك، المعادية للإسلام كالماركسية وغيرها. كان من المتابعين لحركة تأميم النّفط[1]، متواصلًا مع آية اللّه كاشاني[2] ورئيس حركة "فدائيان إسلام" السّيد نواب صفوي[3] والّذي كان يعقد اجتماعاته السّرية آنذاك في منزل آية اللّه العظمى السّيّد صدر الدّين الصّدر (والد الإمام الصّدر).

1954

سافر إلى النّجف الأشرف[4] لمتابعة تحصيل العلوم الفقهية العليا على كبار

---

1 **حركة تأميم النّفط:** هي حركة برلمانية وشعبية ودينية هدفت إلى إخراج صناعة النّفط الوطنية من سيطرة شركة النّفط الإنجلو-إيرانية الّتي كانت تحتكر نفط إيران بشكل كامل، منذ العام 1913، نتيجة لعقود الامتيازات الممنوحة من قبل شاه إيران. تزعّم الحركة د. محمد مصدّق البرلماني البارز، والّذي كان قد شغل عدّة مناصب وزارية، وصولًا إلى رئاسة الوزراء. صادق البرلمان على تأميم صناعة النّفط يوم 15 آذار/ مارس 1951.

2 **آية اللّه كاشاني:** السّيّد أبوالقاسم الكاشاني (1877 - 1962) هو مرجع شيعي وزعيم سياسي سابق. قارع أبوالقاسم الكاشاني الاستعمار البريطاني منذ شبابه في العراق، ولكن بعد انتكاسة الثّورة طارده الإنجليز؛ فغادر العراق واتّجه إلى إيران. له مشاركات سياسية بارزة في إيران مع الدّكتور محمد مصدّق في تحريك الشّارع وتحشيد الطّبقة السّياسيّة والدّينيّة واستصدار قانون تأميم نفط إيران.

3 **السّيّد نوّاب صفوي المعروف بالسّيّد مجتبى نوّاب صفوي** (1924 – 1956): رجل دين شيعي وزعيم منظمة فدائيو الإسلام الأصولية الإيرانية، كان يدعو إلى نبذ التّفرقة الطّائفية بين المسلمين. ولد في "خان آباد" في ضواحي طهران في العام 1924، وأُعدم رميًا بالرّصاص في 18 يناير 1956 بسبب معارضته لشاه إيران رضا بهلوي.

4 **النّجف الأشرف:** مدينة النّجف أو النّجف الأشرف، هي إحدى أبرز مدن العراق ومركز محافظة النّجف، تقع إلى الجنوب الغربي للعاصمة بغداد. تُعدّ المدينة الخامسة في العراق من حيث عدد السّكّان، وهي إحدى المدن المهمّة في العراق لوجود مرقد الإمام علي بن أبي طالب، أوّل الأئمة عند الشّيعة ورابع الخلفاء الرّاشدين عند السّنّة، وهي مركز للحوزة العلمية الشّيعية في العراق أيضًا. يوجد في المدينة عدّة معالم تاريخية وأغلبها معالم إسلامية، اختيرت النّجف لتكون عاصمة الثّقافة الإسلامية في العام 2012.

المراجع في الحوزة العلمية، كما شارك في "جمعية منتدى النّشر" [1] في النّجف الأشرف والتي كان من اهتماماتها عقد النّدوات الثّقافية ونشرها، كما كان عضوًا في هيئتها الإدارية.

1958

عاد إلى حوزة قم العلمية وشارك في تأسيس مجلة "مكتب إسلام" [2]، كما تولّى رئاسة تحريرها، وله فيها مقالات عدّة. وكان لهذه المجلة، وهي أول مجلة ثقافية إسلامية صدرت في الحوزة العلمية في مدينة قم، أثر مميَّز في تشكيل الوعي النّهضوي في إيران.

1959

شارك مع آخرين (منهم آيات اللّه بهشتي[3]، آذري قمي[4]، مكارم شيرازي[5]) في تدوين مشروع إصلاح المناهج العلمية في الحوزة. قَدِمَ إلى مدينة صور - لبنان في أواخر1959، وبدأ العمل فيها كعالم دين، خلفًا للإمام السّيّد عبد الحسين

---

1 **جمعية منتدى النّشر:** هي جمعية إصلاحية تأسست في العام 1933، وضمّت في أعضائها ثلاثة من مراجع التّقليد وافقوا على مساعدتها بعد اطّلاعهم على منهجها الجديد، وهم الشّيخ محمد رضا آل ياسين، والسّيّد محسن الطّباطبائي الحكيم، والشّيخ محمد حسن المظفّر. طرحت الجمعية مشروعها الإصلاحي، والّذي عُرف بـ (حركة الكليّة)، وتمثّل بالدّعوة إلى تحوّل الحوزة إلى كليّة للعلوم الإسلامية.

2 **مجلة مكتب إسلام** (مدرسة الإسلام): تأسّست مجلة مدرسة الإسلام في العام 1958، تحت إشراف آية اللّه شريعتمداري وبالتّعاون مع مجلسين علميين وماليين، يتألفان من عشرة علماء ومفكّرين شباب في المعهد وعشرة من رجال الأعمال في طهران. في السّنة الأولى من النّشر، كان السّيّد موسى الصّدر رئيس تحرير المجلة وكان امتيازها يحمل اسمه. وقد نشرت في شكل مجلات شهرية. في السّنوات الّتي سبقت الثّورة الإسلامية في إيران، كانت مجلة مدرسة الإسلام واحدة من المنشورات اللّاهوتية القليلة الّتي حاولت أن تقدّم للمتحمسين الأفكار الدّينية الجديدة الّتي ظهرت في قم. وقد نشطت هذه المجلة في المجالات الدّينيّة والعلميّة والاجتماعيّة. وكان أكثر ما يميّز المجلة أهميّة هو تعليم الشّباب الإسلاميين وتدريبهم الّذين كانوا مؤثّرين في عملية تشكيل الثورة.

3 **آية اللّه بهشتي:** السيد محمد حسيني بهشتي (1928 – 1981) هو عالم دين شيعي وسياسي إيراني. يحمل شهادة الدّكتوراه في الفلسفة من جامعة طهران. كان من مؤسّسي حزب الجمهورية الإسلامية، وكان رئيس السّلطة القضائية، ورئيس مجلس الثّورة الإسلامية ومجلس خبراء الدسّتور، وكان يعدّ ثاني أقوى الشّخصيات في الثّورة بعد آية اللّه الخميني آنذاك. اغتيل في الانفجار الّذي أطاح بمقر الحزب الجمهوري في 28 حزيران/ يونيو1981، ومعه اثنان وسبعون من أعضاء الثورة وقاداتها. أعلن الإمام الخميني الحداد العام في إيران، وأصدر بيانًا ووصفه بأنه كان "أمّة في رجل".

4 **آية اللّه أحمد آذري قمّي** (1923 – 1999): أحد مؤسّسي جمعية مدرّسي حوزة قم العلمية في العام 1961. تركّزت أنشطة الجمعية على مناهضة النّظام الملكي لمحمّد رضا شاه بهلوي، شاه إيران. وبعد الثّورة الإسلامية، شارك في تأسيس دعائم الدولة الإسلامية في إيران وتثبيتها. له العشرات من المؤلّفات الدّينيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة.

5 **آية اللّه مكارم شيرازي** (1924 – أطال اللّه عمره): الشّيخ ناصر بن محمّد كريم بن محمّد باقر مكارم الشّيرازي، هو مرجع شيعي إيراني معاصر. مارس دورًا فعّالًا في الثّورة الإسلاميّة الإيرانيّة، فتعرّض للنّفي إلى عدد من المدن النّائية، كما كانت له مشاركة مؤثّرة مع الخبراء الأوائل في تدوين القانون الأساسي. يُعدّ اليوم من أكثر القيادات الدّينية بروزًا في إيران.

شـرف الدّيـن[1] بعـد زيارتيـن سـابقتين فـي العـام 1955 والعـام 1957، وذلـك بتشـجيع مـن المرجـع الأكبـر السّـيّد البروجـردي[2] ومباركـة منـه.

2: النَّسَب واحتراف الهجرة

استـمرت الهجـرات الشّـيعية طـوال عهـود الأمـويـين والعباسـيين والعثمانيـين. ولا توجـد معلومـات دقيقـة تبيّـن البلـدان الّتـي هاجـر إليهـا آبـاء الإمـام الصّـدر، إذ كـانـوا يلاحَقـون ويُقتَلـون عـلى الظّـن والشّـبهة.
تعـدّدت هجـرات هـذه العائلـة، فهجـرة آبـاء الإمـام الصّـدر تعـود فـي لبنـان إلى العـام 1292 ميلاديـة، ففـي هـذه السَّـنة بـدأت الحملـة الأولى ضـد شـيعة كسـروان، وبلغـت ذروتهـا بعـد صـدور فتـوى ابـن تيميـة[3] والّتـي ألحقـت بالشّـيعة ضـررًا كبيـرًا، مـا أدّى إلى تشـرّد البعـض وذوبـان البعـض الآخـر فـي المناطـق الأخـرى، وكان السّـيّد تـاج الديـن أبـو الحسـن[4] مـن الّذيـن هاجـروا مـن كسـروان إلى مناطـق لبنانيـة بعيـدة.

---

1 **السّـيّد عبـد الحسـين شـرف الدّيـن** (1873 -1957)فقيـه، مصلـح، ومجـدّد. كان مـن علمـاء عصـره البارزيـن. امتـاز بحكمتـه ورؤيتـه الثّاقبـة، فقـد كان سبّاقًا فـي إنشـاء العديـد مـن المؤسّسـات الثّقافيّـة والتّربويّـة والاجتماعيّـة والدّينيّـة منـذ العقـد الأوّل مـن القرن الماضي. عمل على تخفيـف آثـار المجاعـة الّتـي عمّـت المنطقـة إبّان الحـرب العالميـة الأولى، وسـعى جاهدًا إلى رفـع آثـار ظلـم الـولاة العثمانييـن. ناهـض الحكـم الفرنسـي، وناصـر القضيـة الفلسـطينية، ووقـف ضـدّ حلـف بغـداد وضـد العـدوان الثّلاثـي عـلى مصـر، وكان مـن روّاد التّقريـب بيـن المذاهـب الاسـلامية. قـاد مؤتمـر وادي الحجيـر التّاريخـي فـي 24 نيسـان 1920 بحضـور لفيـف مـن العلمـاء، وأعيـان جبـل عامـل، وزعمـاء قبائـل الجـوار، وعـدد كبيـر مـن أبنـاء جبـل عامـل للدّعـوة لمقاومـة الاحتـلال الفرنسـي، ولترسـيخ الوحـدة العربيـة بمبايعـة الملـك فيصـل ملـكًا عليهـا، وللحفـاظ عـلى المسـيحيين فـي جبـل عامـل. لـه 33 مؤلّفـا يعـدّ غالبيتهـا مـن أمّهـات الكتـب.

2 **السيد البروجـردي** (1875 - 1961): هـو السّـيّد حسـين بـن السّـيّد علـي الطّباطبائـي البروجـردي، الشّـهير بالإمـام البروجـردي. عالـم ديـن، وفقيـه، ومرجـع شـيعي إيرانـي. كان للسّـيّد اطّـلاع واسـع فـي تاريـخ الفقـه، ونهـج الفقهـاء القدمـاء والمتأخريـن وآرائهـم، بالإضافـة إلى تخصّصـه فـي علمـي الحديـث والرّجـال مـن أهـل الفريقيـن الخاصـة والعامّـة. أمّـا عـن القـرآن الكريـم، فقـد كان شـغوفًا بـه، وبحفظـه وتلاوتـه، عالمًـا بتفاسـيره وعلومـه، مضافًـا إلى ذلـك إحاطتـه بدقائـق التّاريـخ الإسـلامي. تسـنّم السّـيّد البروجـردي موقـع الزّعامـة للحـوزة العلميـة فـي قـم والمرجعيـة الدّينيّـة العليـا للشّـيعة فـي العالـم، لمـا يقـارب 17 سـنة، إذ ازدهـرت بحضـوره بشـكل لافـت، مـا أدّى إلى ظهـور جيـل مـن الفضـلاء والمجتهديـن البارزيـن فـي تلـك الآونـة، منهـم الإمـام الخمينـي والسّـيّد الكلبايكانـي.

3 **ابـن تيميـة الحرانـي الدّمشـقي الحنبلـي**(1263 - 1328): هـو فقيـه، ومحـدّث، ومفسـر، وعالـم مـن علمـاء أهـل السّـنّة والجماعـة، مـن علمـاء الحنبلييـن المشـهورين، ولقّبـه موالـوه بشـيخ الإسـلام.

4 **السّـيّد تـاج الدّيـن أبـو الحسـن**: عُـرف بعلمـه وفضلـه وزهـده. والسّـيّد إبراهيـم (شـرف الدّيـن) هـو مـن الجيـل العاشـر المتحـدّر عـن السّـيّد تـاج الدّيـن أبـو الحسـن. والمتيقّـن منـه تاريخيًـا، أنّ تـاج الدّيـن هـو المنتقـل مـن كربـلاء إلى كسـروان فالجنـوب، واسـمه السّـيّد عبّـاس ولقبـه تـاج الدّيـن الأكثـر شـيوعًا للتّعريـف بـه. وقـد عُرفـت ذرّيتـه بـآل أبـي الحسـن، ولا تـزال هنـاك عائلـة فـي معركـة والغازيـة (جبـل عامـل) تكنّـى بـه.

وسمّيت هذه الحملة آنذاك بحملة فتوح كسروان[1].
استقرّ السّيّد تاج الدّين أبو الحسن في جباع قضاء النبطية (أقليم التفاح) الجنوب، وصارت له ذرية، ومنها السّيّد علي نور الدّين الّذي برز في علمه وآرائه الشّجاعة، وقد امتدّت علاقاته إلى مناطق عدّة؛ فذاع صيته، وكان من المحترمين عند الأمير فخر الدّين[2]، فظهر من كاد له المكائد، ما حمله على الهجرة إلى مكّة المكرمة في العام 1630م (1040هـ).
في هذه المرحلة، توزّعت العائلة وبعض الأبناء والأحفاد ما بين إيران والهند، ومنهم من انتقل من جباع (في قضاء النّبطية) إلى شحور (في قضاء صور) إذ استقر السّيّد إبراهيم الملقّب بشرف الديّن[3]، كما استقرّ حفيده السّيّد صالح[4] الّذي تنتسب إليه عائلة الصّدر في العراق، ومن ثمّ إيران. ويعود تسلسل عائلات صدر، عاملي، خادمي، مستجابي، صدر زاده، وجمال زاده في إيران إلى السّيّد صالح شرف الدّين.
ولد السّيّد صالح في شحور 1122هـ (1710م)، أمّه ابنة الحر العاملي[5]، صاحب أمل الآمل وموسوعة **وسائل الشّيعة**. يُعرف عنه بأنّه رجل البر والتّقوى يتصدّق سرًّا وعلانية، يهتمّ باليتامى وشديد الإنفاق على المعوزين، فإن لم يكن مالًا يعطيه تصدّق بخاتمه أو ملابسه أو بعض من أثاث بيته.

---

1 **حملة فتوح كسروان:** على أثر إصدار فتوى ابن تيمية "بهدر دماء الشّيعة الكسروانيين وهدم بيوتهم وحرق أشجارهم" جهّز آقوش المملوكي سنة 1305 جيشًا كبيّرًا، بلغ خمسين ألفَ محاربٍ، وبدأ بغزو المناطق الكسروانية من الشّمال، فعرفت بالفتوح (فتوح كسروان). وسقطت كسروان بعد أحد عشر يومًا من القتال، فخرّب آقوش ضيعتهم وقطّع كرومهم ومزّقهم، وملك الجبل عنوة، ووضع فيه السّيف، وأسر ستمئة رجل، وغنمت العساكر منهم مالًا كثيرًا، والسّالم منهم تفرّق في جزّين وقراها والبقاع وقراها.

2 **الأمير فخر الدّين المعني الكبير** (1572 - 1635): هو أحد أمراء لبنان الّذين حكموا إمارة الشوف، ووحّد إمارات السّاحل الشّامي جميعها بين يافا وطرابلس.

3 **السّيّد إبراهيم الملقب بشرف الدّين** (1621 - 1669): ولد في قرية جبتع، وكانت يومئذ موطن أسرته. ولمّا بلغ أشدّه قرأ على أبيه وبعض أعمامه وجماعة من أعلام معاصريه حتّى صار، وهو في ريعان شبابه، من الأعيان. عرج إلى أوج الفقه والأصول، وبلغ الغاية في المنطق والحكمة والكلام والحديث والدّراية والرّجال والأدب العربي وأخبار الماضين. إليه تنسب عائلة شرف الدّين – أو اتّخذت ذريته لقب شرف الدّين بعد ذلك.

4 **السّيّد صالح بن محمد بن شرف الدّين** (شحور 1710 - 1802): كان من جهابذة العلوم الإسلامية والمعارف الإلهية وآداب اللّغة العربيّة. اعتقله جيش أحمد باشا الجزّار، بعد أن قتل ابنه أبو البركات هبة اللّه أمام عينيه، وساقوه إلى سجن عكّا إذ تمكّن من الفرار بعد تسعة أشهر سنة 1785، واتّجه إلى العراق. هو الجدّ الأول للامام موسى الصّدر. اتّخذت ذريته من بعده في العراق لقب الصّدر، ولاحقًا في إيران ألقاب متعدّدة منها: صدر عاملي، وصدر زادة، وخادمي، ومستجابي.

5 **الحر العاملي**: محمّد بن الحسن بن علي المعروف بالشّيخ الحر العاملي (1033 ـ 1104 هـ)، محدّث وفقيه إمامي عاش في القرن الحادي عشر الهجري. صاحب مؤلّفات مهمّة، وأكثرها أهمّية كتاب "وسائل الشّيعة"، ويُعرف المؤلّف بصاحب الوسائل.

وكان السّيّد صالح عالمًا كبيرًا، ملمًّا بالفقه والعلوم الإسلامية عامة، وكذلك الفلسفة وآداب اللّغة وعلومها. حفظ السّنن النّبوية، كما درس الطّب والرّياضيات إذ تلقّى هذه العلوم في منطقة جبل عامل، ثمّ هاجر في سبيل تحصيل العلوم إلى مصر والحجاز والعراق، وعاد إلى شحور عالمًا كبيرًا. كما اشتهر بأخلاقه وسمعته الطّيبة، ومشاركته النّاس شؤونهم وشجونهم. إلى أن كانت حملة أحمد باشا الجزار[1] في جبل عامل بعد أن كان قد استولى على عكا، وقد احتدمت الصّدامات بين رجال الجزار والنّاس. ومنهم السّيّد صالح الّذي تعرّض إلى الكثير من الاضطهاد والتّنكيل إلى أنْ جاء نهار الثّلاثاء 3 رجب 1198هـ /1874م، إذ حصلت في بلدة شحور مجزرة كبيرة حملوا فيها رؤوس الشّهداء إلى الجزار. قتلوا يومها ابن السّيّد صالح، السّيّد هبة الدّين، وهو في الواحد والعشرين من عمره أمام أعين أبيه، ثمّ ألقوا القبض عليه وساقوه إلى سجن عكا. بعد تسعة أشهر، استطاع أن يهرب من السّجن إلى العراق، حيث استقرّ وأنجب.

وقد قدّر اللّه له ذريّة طيّبة، عرفنا منهم ولديه السّيّد محمد علي والسّيّد صدر الدّين والد الإمام موسى الصّدر. أمّا والدة السّيّد صدر الدّين (جدّة الإمام الصّدر) فيعود نسبها إلى الشهيد الثّاني، الشّيخ علي زين الدّين علي[2].

هذا وقد هاجر السّيّد صدر الدّين إلى أصفهان/إيران، إذ طلب منه العلماء الأفاضل هناك أن يستقرّ فيها ليستفيدوا من علومه ومنهجه في التّدريس. ونجد هنا أن الهجرات الدّينيّة والعلميّة أحيانًا تكون بطلب من النّاس وأحيانًا أخرى تكون هربًا من الظّلم والجور، فالوطن عند العلماء الرّوّاد هو أينما يفيدون ويعطون. وإذا تأمّلنا بتاريخ آل الصّدر، نراهم علماء سادة، خدموا الدّين والمجتمع على امتداد ألف عام، أُبعدوا وشرّدوا أو خُطفوا وقُتلوا، ونجد كذلك أنّ الهجرة كانت جزءًا من تقاليدهم ومسيرة حياتهم، وقد توزّعت هجراتهم ما بين الحجاز والشّام وإيران والعراق ولبنان.

نتابع فنقول؛ إن والد الإمام موسى الصّدر، وهو السّيّد صدر الدّين الصّدر، كان

---

1 **أحمد باشا الجزار** (1734-1804) والٍ عثماني حكم إيالة صيدا أكثر من 30 عامًا.

2 **الشّيخ علي زين الدّين** (1557 – 1624): هو الشّيخ زين الدّين بن علي الجباعي العاملي المعروف بالشّهيد الثّاني. ويذهب البعض إلى أنّ الشّهيد الثّاني كان أول من صنّف في الدّراية عند الشّيعة، وأول من كتب الشّرح المزجي في الفقه الشّيعي أيضًا. تمتاز مؤلّفات الشّهيد الثّاني بدقّة النّظر، وعمق المعنى، وجزالة التّعبير، وحسن الأسلوب. وقد وُفّق لكتابة جملة من الكتب الّتي ما زال بعضها معتمدًا في التدريس في الحواضر العلمية عند الشّيعة.

مـن كبـار المجتهديـن والعلمـاء فـي عصـره، وكان الشّـيخ الحائـري[1] (زعيـم الحـوزة الدّينيّة في مدينة قم) قد طلب منه، ومن السّيّد محمد الحجة[2] أن يتوليا إدارة الحـوزة وتنظيـم أمورهـا معـه، ثـم انضـمَّ إليهمـا فيمـا بعـد السّـيّد محمّـد تقـي خونسـاري[3]. وكان هـؤلاء الثّلاثـة هـم قـادة الحـوزة العلميـة الّتـي خدموهـا بـكلّ جِدٍّ وإخـلاص.

في ذلـك الوقـت، قرّرت الحكومة أن تقـوم بتغييـر نظـام الحـوزة العلميـة فـي قـم، وقامـت بتفريـق شـمل طـلاب العلـم، فأُلقيَ القبـض عـلى الكثيـر منهـم وفرضـت عليهـم نُظُـم التّجنيـد الإجبـاري. وقـد اسـتوعب السّـيّد صـدر الدّيـن الصّعـاب، وكان يطلـب مـن الجميـع الصّبـر ورباطـة الجـأش، وسـعى جاهـدًا إلى حـلّ المشـكلات العالقـة، إلى أن عـادت الأمـور إلى مـا كانـت عليـه.

عُـرف السّـيّد صـدر الدّيـن بشـخصيته العالميـة وأخلاقـه العاليـة وإخلاصـه لأعمالـه وعلاقاتـه، كمـا عُـرف بتواضعـه، يجالـس الفئـات كلهـا مـن الطّبقـات كافـة، وكان يسـبق الجميـع بالسّـلام. وقـد أنشـأ المـدارس والمسـاجد ورمّـم أماكـن العبـادة وبنـى صروحًـا علميّـة عديـدة، وكان يؤمّـن رواتـب الطّلبـة فـي الحـوزة العلميـة عـلى الرغـم مـن صعوبـة هـذه المهمّـة فـي تلـك الأوقـات. وكان دائـم التّرديـد لهـذه الآيـة الكريمـة: **(تِلْـكَ الـدَّارُ الْآخِـرَةُ نَجْعَلُهَـا لِلَّذِيـنَ لَا يُرِيـدُونَ عُلُـوًّا فِـي الْأَرْضِ وَلَا فَسَـادًا وَالْعَاقِبَـةُ لِلْمُتَّقِيـنَ)** [القصـص/83].

تـرك السّـيّد صـدر الدّيـن مؤلِّفـات عديـدة، بخاصـة فـي مـا يتعلّـق بجيـل الشّـباب والشّـابات، وكان معروفًـا بفكـره التّجديـدي، يقـرأ الصّحـف والمجـلات، ويقـول: «إنّ الجرائـد والمجـلات الحـرّة هـي مـن أقـوى عوامـل الرّقـي والعمـران الفكـري، وفيهـا أسـباب التّمـدن والحضـارة وخيـر دليـل إلى طريـق الإصـلاح». وكان السّـيّد صـدر

---

1 الشّيخ الحائري (1859 – 1936): هو الشّيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، المؤسّس الأوّل لحوزة قم العلمية، ومن مراجع التّقليد للإمامية. تتلمذ على يديه وحضر أبحاثه طائفة كبيرة من الأعلام، منهم: الإمام الخميني، والسّيّد محمّد رضا الكلبايكاني، والشّيخ محمّد علي الأراكي، والسّيّد كاظم شريعتمداري، والسّيّد شهاب الدّين المرعشي النّجفي، والسّيّد محمّد الدّاماد، والميرزا هاشم الآملي.

2 السّيّد محمّد الحجّة الكوهكمري (1892 - 1952): فقيه، وأصولي، ومحدّث، ومتمكّن من علم الرّجال ومرجع ديني شيعي بارز. قام بتأسيس المدرسة الحجّتية للعلوم الدّينيّة في مدينة قم، وتصدّى لنظام رضا شاه المناوئ للشّريعة الإسلامية.

3 السّيّد محمّد تقي الخونساري (1850 – 1952): هو عالم دين، إسلامي، شيعي وإيراني. حصل على درجة الاجتهاد من الحوزة العلمية في النّجف الأشرف، عمل مع الشّيخ عبد الكريم الحائري اليزدي على تأسيس الحوزة العلمية في مدينة قم، وفي أثناء تواجده في النّجف كان من ضمن المقاتلين ضد الاستعمار البريطاني، الّذي أسره وأبعده إلى الهند. وبعد إطلاق سراحه، عاد إلى إيران.

الدّيـن - أخيـرًا- مؤيّـدًا لثـورة الدّكتـور مصـدّق[1]، وقـد دافـع عـن تأميـم النّفـط فـي العـام 1952م.، كمـا كان مؤيّـدًا لحركـة فدائيـان إسـلام، ضـد نظـام الشّـاه.
وبقيـت الأمـور هكـذا إلى أن جـاء السّـيّد البروجـردي[2] الزّعيـم الأكبـر الّـذي سـرعان مـا تـولّى أمـور الحـوزة كلّهـا، بـل إنّ السّـيّد صـدر الدّيـن قـدّم مـكان صلاتـه للسّـيّد البروجـردي، وأبعـد نفسـه مـن أمـور كثيـرة، إلّا أنـه بقـي فـي خدمـة النّـاس ومتابعـة مشـاكلهم.
أمّا والـدة الإمـام السّيّد موسى الصّـدر، فهـي ابنـة آية اللّه العظمى السّيّد حسـين القمـي[3] والـذي كان مـن أكثـر الشّـخصيات الدّينيّـة بـروزًا والتـي قاومـت ظلـم رضـا شـاه[4] إيـران وجبروتـه.
عندمـا قـام رضـا شـاه بمشـروع نـزع الحجـاب، سـارع السّـيّد القمـي إلى تـرك خراسـان والمجـيء إلى طهـران، مقاومًـا لهـذا المشـروع، ومعارضًـا لسياسـة رضـا شـاه. واهتزّت إيـران كلّهـا نتيجـة لذلـك؛ مـا دفـع نظـام الحكـم إلى أن ينفـي السّـيّد القمّـي إلى العـراق. وعندمـا عـزل الإنكليـز رضـا شـاه واسـتلم ابنـه الحكـم مـن بعـده، عـاد السّـيّد القمّـي إلى إيـران وتابـع مقاومتـه، إلى أن ألغيـت قوانيـن كشـف الحجـاب للنّسـاء؛ فاطمـأنّ السّـيّد القمّـي ومعـه الحـوزة العلميـة.

---

1 انظر حركة تأميم النّفط (حاشية وردت سابقًا).

2 السّيّد البروجردي: سبق تعريفه.

3 السّـيّد حسـين القمّـي (1865 – 1946): هـو آيـة اللّـه حسـين الطّباطبائـي القمّـي، أو الآقـا حسـين القمّي،عالـم فقيـه، ومـن مجتهـدي الشّـيعة. تفرّد بـالمرجعية بعـد وفـاة السّـيّد أبـي الحسـن الأصفهاني. عـاش أيـام النّهضـة الدّسـتورية، وعندمـا تـولّى رضـا خـان البهلـوي مقاليـد الحكـم فـي إيـران، أبـدى عـن اسـتيائه تجاه قراراتـه المعارضـة للدّيـن والمذهـب. وعلـى إثـره احتجـز أولاً، ومـن ثـمّ نُفـي إلى العـراق، الأمـر الّـذي أدّى إلى تحشـيد الجماهيـر وواقعـة مسـجد جوهـر شـاد فـي العتبـة الرّضويـة بـمشهد. هـو جـدّ الإمـام موسـى الصّـدر لوالدتـه.

4 رضا شاه (1878 - 1944): رضـا شـاه بهلـوى، مؤسّـس الدّولـة البهلويـة، حكـم مـا بيـن أعـوام 1925 و1941. قـام بخلـع آخـر شـاه مـن الأسـرة القاجاريـة - الشّـاه أحمـد شـاه قاجـار- فـي 12 ديسـمبر 1925 وأنهـى حكـم القاجارييـن. خلفـه ابنـه محمّـد رضـا بعـد أن أجبـره غـزو بريطانـي - سـوفياتي مـزدوج فـي 25 أغسـطس 1941 علـى التّنحّـي فـي 16 سـبتمبر 1941.

ثانيًا - مرحلة الفعل والتأسيـــس: لبنان (1959 - 1978)

المزيد من المحطات[1]:

1961

أطلق الإمام الصّدر عمله الاجتماعي المؤسَّساتي في لبنان، إذ بدأ بإعادة تنظيم هيكلية جمعية "البر والإحسان" في صور، مرورًا بإنشاء مؤسسات عامة تعنى بالشّؤون التّربويّة، المهنيّة، الصّحيّة، الاجتماعيّة والحوزويّة. وقد أثمرت هذه النّشاطات إنجازات عديدة، كان أكثرها أهمية إعطاء المرأة دورًا أساسيًا في العمل الاجتماعي والتنموي، بدءًا باستحداث دورات محو الأمية، والقضاء على ظاهرة التّسول في مدينة صور وضواحيها، من خلال مشروع دعم يتضمّن برامج صحيّة واجتماعيّة، وإنشاء صندوق الصّدقة.

1963

بعد عودته من جولة قام بها في أوروبا واستمرّت شهرين، أعلن الإمام الصّدر أنّ هدف رحلته كان التّعرُّف إلى الحضارات الجديدة والوقوف على مجالات التّقدُّم فيها، لا سيّما لجهة تطوير مناهج العمل وأساليبه في المؤسسات الخيرية والاجتماعيّة والدّينيّة، وأيضًا تعريفهم إلى الفكر والثّقافة والحضارة الإسلامية. وقد شارك الإمام الصّدر في هذا العام بمراسم تتويج قداسة البابا بولس السادس، بناءً على دعوة رسمية، وكان رجل الدّين المسلم الوحيد الّذي دُعي إلى هذه المناسبة. وأسهمت لقاءاته في الفاتيكان، وعرضه لمعاناة الشّعب الإيراني وعلماء الدّين في ظل حكم الشّاه، في الحفاظ على حياة الإمام الخميني وتحريره من سجنه في إيران.

1964

باشر التّعاون والعمل المشترك مع أعضاء "النّدوة اللّبنانية" بعد أن استضافته لإلقاء محاضرة حول الوضع في لبنان ومواضيع أخرى. كانت "النّدوة" الّتي

---

1 انظر سيرة الإمام الصّدر، على موقع: www.imamsadr.net.

أشـرف عليهـا الأسـتاذ ميشـال أسـمر[1] تضـمُّ العديـد مـن الشّـخصيات الفكريّـة والثّقافيّـة والعلميّـة والاجتماعيّـة والسّياسـيّة مـن الطّوائـف اللّبنانيـة كافـة.

1966

عقـد مؤتمـرًا صحفيًّـا فـي مقرِّ نقابـة الصّحافـة، بيّـن فيـه الأسـباب الموجبـة لتنظيـم الطّائفـة الشّـيعية، وذلـك بعـد دراسـات واستشـارات وتحـرّكات مكثّفـة. أدّى ذلـك إلى إقـرار مجلـس النّـواب قانـون إنشـاء المجلـس الإسـلامي الشـيعي الأعـلى فـي العـام 1967، والّـذي تـمّ تأسيسـه فـي العـام 1968. وكانـت هـذه الخطـوة مقدِّمـة لحركـة مطلبيـة إنمائيـة لبنانيـة عامـة مـن أجـل رفـع الحرمـان، والدفّـاع عـن الجنـوب أرضًـا وشـعبًا.

1967

سـافر الإمـام الصّـدر إلى أفريقيـا الغربيـة للتّعـرّف إلى الجاليـة اللّبنانية وتفقُّد شـؤونها والعمـل عـلى ربـط اللّبنانييـن المهاجريـن بوطنهـم. كمـا التقـى بالرّئيـس العاجـي أُفـوي بوانييـه[2]، وبالرّئيـس السّـنغالي ليوبولـد سـنغور[3]، وقـدّم لهمـا مسـاعدات رمزيـة باسـم الجاليـة اللّبنانيـة للأيتـام فـي بلديهمـا. أثنـى سـنغور عـلى بـادرة الإمـام، مشـيرًا إلى أنّـه يتّتبـع بـكلّ اهتمـام نشـاطاته الّـتي كان لهـا التّأثيـر الكبيـر فـي بَـثِّ شـعور المحبّـة والإيمـان بيـن المواطنيـن. كمـا كان لهـذا المسـعى الأثـر الكبيـر في اسـتقبال سـاحل العـاج فـي السّـبعينيات للمهاجريـن اللّبنانييـن إبّان الاجتيـاح الإسـرائيلي.

1969

انتُخـب الإمـام السّـيّد موسـى الصّـدر رئيسًـا للمجلـس الإسـلامي الشّـيعي الأعـلى،

---

1 **ميشـال أسـمر:** مؤسّـس "النّـدوة اللّبنانيـة" فـي العـام 1946، ومطلـق أحـد أكثـر مظاهـر الحركـة الفكريّـة والثّقافيّـة أهمّيـة فـي لبنـان الّتـي جسّـدت "قـوة المفكريـن"، كمـا كان يعبّـر عنهـا آنـذاك، فـي لبنـان. لـم تلتـزم النّـدوة تيـارًا سياسـيًّا محـدّدًا، يمينيًّـا كان أو يسـاريًّا، إذ أعلنـت أنّ التزامهـا الوحيـد والأعـلى هـو لبنـان: " لبنـان الكيـان، والميثـاق، والشّـهابية، والحـوار الإسـلامي - المسـيحي، والفكـرة المتوسـطية".

2 **أفـوي بوانييـه** (1905 – 1993): هـو فيليكـس أوفـوي بوانييـه، الرّئيـس الأول لجمهوريـة الكـوت ديفـوار مـن 1960 حتـى وفاتـه فـي العـام 1993. شـغل عـدّة مناصـب وزارية فـي الحكومـة الفرنسـية، قبـل أن يقـود بلـده بعـد الاسـتقلال فـي العـام 1960. أدى طـوال حياتـه، دورًا مهمًّـا فـي السّياسـة، وفـي عمليـة إنهـاء الاسـتعمار فـي أفريقيـا.

3 **ليوبولد سنغور** (1906 - 2001): هو ليوبولد سيدار سنغور، الشّاعر الرّئيس. كان أول رئيس للسّنغال (1960-1980)، ثمّ تنازل بمحض إرادته عن الرّئاسة مرشّحًا (عبدو ضيوف) خلفًا له. هو أديب عالمي وشاعر مشهور. يعدّ الكثيرون ليوبولد سنغور أحد أكثر المفكرين الأفارقة أهمّية في القرن العشرين.

وأعلـن برنامـج العمـل لهـذا المجلـس. ووجّـه دعـوة لتوحيـد الشّـعائر الدّينيّـة بيـن المذاهـب الإسـلامية، كمـا حـذّر مـن الخطـر الصّهيونـي المتزايـد، وأكّـد دعمـه للمقاومـة الفلسـطينية لتحريـر الأرض المغتصبـة. مـن جهـة أخـرى أعلـن أنّ الطّوائـف المتعـددة فـي لبنـان نوافـذ حضاريـة علـى العالـم.

1970

أثـار حملـة تعبويـة إعلاميـة للدّفـاع عـن الجنـوب فـي وجـه الاعتـداءات الإسـرائيلية علـى منطقـة الحـدود الجنوبيـة، مطالبًـا بتسـليح المواطنيـن وتدريبهـم للدفـاع عـن أرضهـم. وطالـب بتنفيـذ مشـاريع إنمائيـة مـع دعـوة النّـاس للصّمـود فـي قراهـم وعـدم النّـزوح، وأعقـب ذلـك وضـع قانـون خدمـة العلـم.
أسَّـس الإمـام الصّدر"هيئـة نصـرة الجنـوب" بمشـاركة رؤسـاء الطّوائـف اللّبنانيـة، ودعـا إلى إضـراب سـلمي وطنـي عـامٍّ فـي 26 أيـار، تجمّـع علـى إثـره نحـو 50 ألـف شـخص أمـام مبنـى المجلـس الإسـلامي الشّـيعي الأعلـى فـي الحازميـة – محافظـة جبـل لبنـان، فأنشـأت الدّولـة اللّبنانيـة "مجلـس الجنـوب" تحـت ضغـط الإضـراب. وتحـدّد هدفـه بتنميـة الجنـوب ورفـع الحرمـان عـن لبنـان، فـي حيـن تحـدّدت آليـة عملـه بتنسـيق عمـل الـوزارات المختلفـة والمعنيّـة وتحفيزهـا بإنمـاء المناطـق.

1971

غـادر الإمـام الصّـدر لبنـان فـي جولـة شـملت المغـرب، إذ ألقـى محاضـرة فـي كليـة الشّـريعة فـي جامعـة القروييـن فـي مدينـة فـاس (بدعـوة مـن الملـك الحسـن الثّانـي)، ثـمّ زار موريتانيـا ونيجيريـا ومصـر، إذ شـارك فـي القاهـرة فـي المؤتمـر السّـادس لاجتماعـات "مجمـع البحـوث الإسـلامية" والّـذي كان عضـوًا مشـاركًا فيـه منـذ سـنة 1968. وتقـدّم الإمـام الصّـدر بمقترحـات لمعالجـة الأوضـاع الوطنيـة والإسـلامية فـي هـذا المؤتمـر.
قـام الإمـام الصّـدر بزيـارة جبهـة السّـويس وأمضـى عـدة أسـابيع فيهـا، إذ اجتمـع إلى العسـكريين، وأمَّ الصـلاة فـي مسـاجدها، ودعـا إلى وجـوب التّمسُّـك بالدّيـن وإعـلان الجهـاد المقـدّس فـي سـبيل تحريـر فلسـطين، كمـا اقتـرح مشـروع "سـندات الجهـاد" لتفعيـل المشـاركة علـى المسـتويات الشّـعبية كافـة فـي الجهـاد ضـد إسـرائيل. كمـا وجّـه الإمـام رسـالة إلى القـس البريطانـي هيربـرت و. أدامـز حـول حقيقـة وضـع الإنسـان فـي منطقـة الشّـرق الأوسـط.

1972

أصدر الإمام الصّدر تصريحًا في بلدة جويّا - جنوب لبنان، حول الأخطار المترتبة على تزايد الاعتداءات الإسرائيلية على الجنوب، ودعمًا لصمود الجنوبيين. كثّف الإمام الصّدر تحركاته السّياسيّة والإعلامية عبر إصدار بيانات للرّأي العام الوطني والعالمي، إلقاء المحاضرات والخطب في المساجد والكنائس والجامعات، محذّرًا من النّتائج المترتبة على إهمال الدّولة لتحمّل مسؤولياتها تجاه الدّفاع عن الجنوب وتنمية المناطق المحرومة. كما دعا إلى اعتماد "النّظام المتديّن" كبديل عن النّظامين الطّائفي والعلماني.

1973

أعلن في خطبة الجمعة أنّ السّعي إلى تحرير فلسطين سعي إلى إنقاذ المقدَّسات الإسلامية والمسيحية وسعي إلى تحرير الإنسان، كما أنّه نادى بعدم تشويه اسم اللّه في الأرض، لأنّ الصّهيونية بتصرفاتها تشوّه اسم اللّه. كما دعا عبر نداء وجّهه عندما اندلعت حرب رمضان إلى الجهاد وقاد حملة تبرعات لنصرة المجاهدين.

1974

دعا إلى مهرجان بعلبك في آذار (حضره مئة ألف شخص)، ومهرجان صور في أيار (حضره مئة وخمسون ألف شخص)، إذ أقسم الجميع مع الإمام الصّدر على عدم القعود حتّى لا يبقى محروم أو منطقة محرومة في لبنان. كان ذلك إيذانًا بولادة "حركة المحرومين"، وإصدار "وثيقة المثقفين" المؤيدين لحركة الإمام الصّدر المطلبية الّتي وقّعها أكثر من 190 شخصية من قادة الرّأي والفكر في لبنان، يمثّلون الفئات والطّوائف اللّبنانية كافة.

1975

بادر الإمام إلى بذل المساعي والجهود لدى مختلف الفرقاء لوأد الفتنة وتهدئة الوضع في لبنان، فوجّه النّداء تلو النّداء، محذّرًا من مؤامرات العدو ومخططات الفتنة. ودعا اللّبنانيين إلى حفظ وطنهم، وفي قلبه مكان للثّورة الفلسطينية، وناشد الفلسطينيين حفظ قضيتهم الّتي جعلت من قلب لبنان عرشًا لها. وبدعوة منه وإشرافه عمل على تشكيل "لجنة التهدئة الوطنية"، محدّدًا خطوط تحركها العريضة بالمحافظة على التّعايش واعتماد الحوار والوسائل الدّيمقراطية،

لتحقيق الإصلاحات ووجوب المحافظة على الثّورة الفلسطينية.
احتجاجًا على استمرار الحرب الأهلية، بدأ الإمام في 27 حزيران اعتصامًا في مسجد الصّفا (الكليّة العاملية - بيروت) متعبّدًا، وصائمًا وأنهاه بعد خمسة أيّام إثر تشكيل حكومة مصالحة وطنية تبنَّت مطالب الإمام الصّدر الشّعبية.
وتوجّه بعدها إلى قرى القاع ودير الأحمر في البقاع لفكّ الحصار عنها ووأد الفتنة الطّائفية.
أعلن عن ولادة "أفواج المقاومة اللّبنانية" (أمل) في مؤتمر صحفي عقده لتبيان دورها في تحرير الأرض والإنسان، بعد أن كانت قد خاضت معارك عدّة ضد العدو الصّهيوني. وبمبادرة منه تمّ عقد القمة الرّوحية لّرؤساء الطوائف اللّبنانية جميعهم.
حذَّر الإمام من أخطار ثلاثة، ودعا إلى التّصدّي لها مهما كلَّف الأمر: خطر التّقسيم، وخطر الاعتداءات الإسرائيلية الّتي يجب علينا وجوبًا شرعيًا وتاريخيًّا ووطنيًّا أن نقف للتّصدّي لها؛ وخطر تصفية المقاومة الفلسطينية.

1976

شارك الإمام الصّدر في اجتماعات القمّة الإسلاميّة اللّبنانيّة في بلدة عرمون الّتي خرجت بـ"الوثيقة الدّستورية".وعدّها مدخلًا للسّلام والوفاق الوطني في لبنان. عمل جاهدًا على تقريب وجهات النّظر بين القيادة السّورية وقيادة المقاومة الفلسطينيّة، مؤكّدًا أنّ ذلك قدرهما، وأنّ الصّدام بينهما سيؤدّي إلى سقوط لبنان وتحجيم المقاومة وإلى إلحاق الضّرر بسوريا والقضية العربيّة، وأنّ المستفيد الوحيد من هذا كله هو إسرائيل.كما بذل الإمام جهودًا مكثَّفة مع الزّعماء العرب في محاولة لإنهاء الحرب الأهلية اللّبنانية، كان نتيجتها انعقاد مؤتمر الريّاض في 16 تشرين الأول وقمّة القاهرة في 25 تشرين الأول ودخول قوات الرّدع العربيّة إلى لبنان.
عارض بشدّة مشاريع العلمنة والإدارات المحليّة، معتبرًا أنّها نتاج ذهنية انفصالية تمهّد لتقسيم الوطن.

1977

أكّد الإمام أنّ لبنان ضرورة حضارية للعالم، وأنّ التّعايش اللّبناني هو ميزة لبنان الخاصّة، وأنّ السّلام لقاء تاريخي محتوم بين الإسلام والمسيحية. تقدّم بورقة

عمل إلى الرّئيس إلياس سركيس[1] تحمل مقترحات حول الإصلاحات السّياسيّة والاجتماعيّة تدعو إلى إعادة بناء الوطن ومؤسساته، متمسّكًا بصيغة العيش المشترك ومواجهة الخطر الصّهيوني، وأكّد فيها أنّ «لبنان وطن نهائي لجميع أبنائه».

ومن جهة أخرى، توّج الإمام الصّدر حملاته ضد نظام الشّاه في إيران ودعمه العملي والفكري للحركة الإسلاميّة في إيران، بقيادة الإمام الخميني، وذلك في مهرجان أُقيم لمناسبة مرور أربعين يومًا على استشهاد الدّكتور علي شريعتي[2]، أحد أكثر المفكرين الإسلاميين بروزًا وتأثيرًا في إيران.

1978

قام بجولة عربية على عدد من الرّؤساء العرب إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان، إذ وصل وأخويه فضيلة الشّيخ محمد يعقوب[2] والأستاذ السّيّد عبّاس بدر الدّين[3] إلى طرابلس - ليبيا في 25 آب، وذلك تلبية لدعوة رسمية من سلطاتها العليا، وانقطع الاتصال بهم هناك، بدءًا من ظهر 31 آب وحتّى اليوم. ادَّعت ليبيا أنّ ضيوفها تركوا الأراضي اللّيبية متّجهين إلى إيطاليا. كذَّب كِلا القضاءين الإيطالي واللّبناني هذا الادِّعاء بعد تحقيقات مطوَّلة، ونَفَيا دخول أيٍّ من الثّلاثة موانئ إيطاليا البحريّة أو البريّة أو الجويّة.

ثالثًا: مرحلة التّفاعل والتّأثير: ليبيا (1978 - ؟)

بالنّسبة إلى بعض النّاس، تبعث المرحلة الثّالثة من سيرة الإمام الصّدر الكثير من الإثارة والتّشويق، فهي ما تزال موسومة بعلامة استفهام كبيرة. يتمنّى النّاس كلهم تقريبًا لو أنّ الإمام الصّدر يظهر فجأةً الآن، أو غدًا، أو حتّى بعد

---

1 **إلياس سركيس** (1924 - 1985): محامٍ، ثم حاكم مصرف لبنان، ثم رئيس الجمهورية اللّبنانية من 1976 إلى 1982.

2 **الشّيخ محمّد يعقوب** (1945 –أعاده اللّه بخير): رجل دين، حواري بارز. حائز على شهادة الدّكتوراه من جامعة السّوربون. أسهم في تأسيس حركة المحرومين وأفواج المقاومة اللّبنانية. كانت له مواقف توفيقية مهمّة خلال الحرب الأهلية في لبنان. شارك الإمام الصّدر في العديد من رحلاته العربية والغربية، كان آخرها زيارة ليبيا في آب 1978.

3 **السّيّد عبّاس بدر الدّين** (1938 –أعاده اللّه بخير): صحافي لامع، أسّس وكالة أخبار لبنان في العام 1959. شارك في تأسيس المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى في العام 1967، كما أسهم في تأسيس حركة المحرومين في العام 1974. كان مستشارًا معتمدًا للإمام الصّدر وصندوق أسراره. رافقه في العديد من أسفاره العربية، من ضمنها رحلة الأقدار إلى ليبيا في آب 1978

حين ليقصّ علينا فصول الرّواية، ولتكتمل السّيرة الشّخصيّة. ريثما ينجلي هذا الانتظار الثّقيل، يجثم لغز القضية ثقيلًا على صدور النّاس كلهم تقريبًا. وهذا الانقطاع التّعسفي لمسيرة الرّجل ما كان ليحدث لولا حيثيات تلك المسيرة ومآلاتها. هناك رؤية طموحة وخطاب متماسك وبرنامج ممنهج للتّغيير الاجتماعيّ والاقتصاديّ. لم يرق هذا التّغيير للبعض؛ فقرّروا اختصار الطّريق خطفًا.

يُعدّ الإمام الصّدر واحد من ثلّة الهامات الّذين يُملأُ بِغِيابِهم المكان كلّه. بل الّذين يشغل غيابهم النّاس كحضورهم. لهذا، لن تكتمل سيرة الإمام الصّدر عشية الـ 31 من آب 1978، بل تكاد تبدأ في هذا التاريخ.

تتشعبّ المرحلة الثّالثة باتجاهَين متوازيين:

- سردٌ لمسار قضية التّغييب الّتي تتولاّها عائلة الإمام الصّدر وتوصيف لها.
- رصدٌ لأثر الإمام الصّدر في النّاس والمجتمع ومصير الوطن وتوثيق له.

رابعًا: مؤلَّفـــاته

لم يصدر الإمام الصّدر مؤلّفًا في زمان حضوره، ولكن بعد غيابه بدأ مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات منذ تأسيسه في العام 1996 في بيروت، بجمع محاضراته وندواته ومقالاته وكتاباته في مؤلفات بدأ ينشرها تباعًا، وهي:

1. الأديان في خدمة الإنسان، 2019
2. الإسلام والمجتمع، 2019
3. كلمة هو قائلها، 2019
4. حركية الإيمان، 2016
5. قولوا لا إله إلا اللّه، 2016
6. أبحاث في الاقتصاد، 2007، 2016 (الطّبعة الأولى 2007)
7. عاشوراء، 2011
8. الطّائفية والشّباب في لبنان، 2011
9. الإمام علي(ع) إنسانية السّماء، 2011

10. روح الشّريعة الإسلامية وواقع التّشريع الإسلامي، 2011
11. التّغيير ضرورة حضارية، 2011
12. دراسات للحياة، 2011 (الطّبعة الأولى 1999)
13. أحاديث السّحر، 2011 (الطّبعة الأولى 1999)
14. سائرون في موكب الحسين، 2009
15. موسى الصّدر والخطاب الإنساني، 2009
16. حوار تصادمي، 2009
17. الإسلام وكرامة الإنسان، 2009
18. الدّين وحركات التّحرر في العالم العربي، 2009
19. الإسلام: الأصالة، الرّوحية، التّطور، 2009
20. القضية الفلسطينية وأطماع إسرائيل في لبنان، 2009
21. تقرير إلى المحرومين، 2009
22. الجانب الاجتماعي في الإسلام، 2009
23. رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية، 2009
24. أخلاق الصّوم، 2009
25. أبجدية الحوار 2007 (الطّبعة الأولى 1997)
26. حوارات صحفية -1 تأسيسًا لمجتمع مقاوم، 2007
27. حوارات صحفية -2 الوحدة والتّحرير، 2007
28. الإسلام والتّفاوت الطّبقي ومحاضرات في الاقتصاد، 2000
29. الإسلام وثقافة القرن العشرين، 2000

بالإضافة إلى القائمة المبيَّنة أعلاه، هناك العشرات من المقابلات الصّحفية والأحاديث والأوراق الّتي لم تجمع بعد في كتاب أو مجلّد. ويمكن الاطّلاع عليها في موقع مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات على الشّبكة (www.imamsadr.net).

نختم هذا المبحث الأول بعبارات للإمام الصّدر يحكي لنا فيها عن بداياته، وعن سبب توجّهه إلى العلوم الدّينيّة:

«أقول، إنّي ما التحقتُ بطبقة رجال الّدين لأنّي كنت من العائلة الدّينيّة، بل السّبب كان نوعًا من التّضحية الّتي قررها والدي... [وكان والدي يعدّ أنّ] رسالة رجل الدّين في إيران في خطر الانقراض فاختارني، وأنا كنت في ذلك الوقت قد تخرّجتُ من المدرسة المتوسطة، يعني أخذت شهادة بريفيه. فقال لي: إنّ الواجب الديّني يتطلّب منك أن تلتحق في هذا السّلك. وبالفعل أنا التحقت، وكنت حزينًا على ترك الدّراسات الحديثة الأكاديمية، والتحقتُ بهذا السّلك قناعة مني بتوجيه والدي. بعد بضع سنوات أيضًا، كلّفني بأنّ أتابع دروسي الحديثة مع الدّراسة الديّنية. ولذلك، قمتُ بالمشاركة في امتحانات البكالوريا قسم أول وقسم ثانٍ، ثمّ دخلتُ كلية الحقوق وتخرّجتُ من كلية الحقوق في طهران، وأنا طالب في السلك الديّني.

إذًا، في البداية كان السبب هو أمر والدي وقناعتي بتوجيهه، ثم عندما ارتفعت المضايقات وتخرّجتُ من كلية الحقوق، وبلغتُ مبلغًا لا بأس به في الدّراسات الدّينيّة، عُرِض عليَّ أن أختار. فعُرض عليَّ مراكز عالية في القضاء، ولكنّي اخترتُ أن أبقى في هذا الخطّ، لشعوري بأنّ رجل الدّين الشّيعي إمكانيته للقيام بالدّور القيادي لخدمة مجتمعه أكثر وأفضل. وهكذا اخترتُ أن أبقى، فأكملتُ دراستي ثمّ انتقلتُ إلى لبنان في مهمّتي الّتي لا أزال أتابعها»[1].

---

1 **موسى الصّدر**، كلمة هو قائلها، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 2019.

المبحث الثاني
الأخلاقيات في فكر الإمام الصدر وسيـــرته

بعد السّرد الموجز لمراحل حياة الإمام ومحطاته نتوقّف عند عنوان الأخلاقيات قليلًا لأهمّيتها ودورها في فكره وفي مسيرته. فلا تخفى أهمّية الأخلاق والتّربية على أحد، ولا تحتاج إلى استدلال. وهذا ما جعل الإمام الصّدر يوليها الاهتمام الأول في بناء الإنسان والمجتمع. وهو كان خبيرًا بأسسها وقواعدها ومناهجها وأساليب تطبيقها.

أولًا: الأخلاقيات في بيان الإمـــام الصّدر

يبيّن الإمام الصّدر بعض مسائل الأخلاقيات ودورها وتأثيرها الاجتماعي في كتاباته وخطاباته، وهي الّتي يطبّقها في سيرته العملية الشّخصيّة والعائليّة والاجتماعيّة والسّياسيّة. وفيما يأتي نتطرّق لبعض ما أفاد به هنا، ثمّ نستعرض أنموذجات من تطبيقاتها في سيرته:

1 - موقع الأخلاق من الدّين

يعتقد الإمام الصّدر، بأنّ الدّين يتكوّن من ثلاثة حقول: الإيمان، الأخلاق، والتّعاليم؛ أي الأحكام. ويفسّر الإيمان بالإيمان باللّه وملائكته وكتبه ورسله. كما يفسّر الأخلاق بما يكلّف الدّين به ويأمر به من حُسْن الخُلق وطراوة اللّسان وصفاء القلب ومحبّة الآخرين والتّواضع وحُسْن الظّن بالنّاس وأمثال ذلك[1]. أمّا الأحكام فهي ما يقرّره من الحلال والحرام والواجب والمستحب، وما يجوز، وما لا يجوز، والصّحيح والفاسد وأمثال ذلك. ويؤكّد الإمام الصّدر على الأخلاق، ويعدّها مقياس سموّ الإنسان وكماله وجمال نفسه. وهي غاية الرّسالة، لهذا قال نبي الإسلام(ص): «إنما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»[2].

---

1 **موسى الصّدر**، محاضرة بعنوان "المجتمع الصّالح– الأخلاق"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 2009، ص 382.

2 **موسى الصّدر**، محاضرة بعنوان "المجتمع الصّالح– الأخلاق"...، ص 372. أمّا الحديث النّبوي فقد ورد في: علاء الدّين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، اعتنى به إسحاق الطّيبي، بيت الأفكار الدّولية، عمان، 2005، ج1، ص 297.

هذه الأركان الثلاثة (العقائد، الأخلاق، الأحكام) في فكر الإمام الصّدر، هي الّتي تعمل على صنع شخصية المسلم، لأنها تهيّئ لكلّ مسلم قاعدة فكرية تُعدّ الأساس والرّكيزة لإيمانه وعباداته وحقوقه وواجباته ومُثُله الأخلاقيّة.[1]
يرى الشّيخ محمّد مهدي شمس الدّين(رحمه اللّه)[2] أنّ الإمام الصّدر كان ينطلق في حديثه عن الثّقافة الإسلامية من نقطتين أساسيتين هما: المفاهيم والتّعاليم.
النّقطة الأولى في فكر الإمام الصّدر في إيجاد شخصية المسلم، حسب الشّيخ شمس الديّن، هي المفاهيم، لأنّ الإسلام في أركانه الثّلاثة: العقائد، الأعمال، الأخلاق، يجعل للمسلم قاعدة فكرية ترتكز على مفاهيم معيّنة تُعدّ أساسًا لإيمانه وعباداته وحقوقه وواجباته ومُثُله الأخلاقيّة. بالإضافة إلى ما يقدمه الإسلام أيضًا من مفاهيم عن العمل الّذي هو عبادة إذا اقترن بالإخلاص، ومفهومات عن الدّنيا والآخرة، وعن الجسم والرّوح، وعن الخير والشّر، وعن الطّيبات والخبائث.[3]
هذه المفاهيم بنظر الإمام الصّدر، وفقهاء المسلمين جميعهم هي النّقطة الأولى في الثّقافة الإسلامية، وهي حجر الزّاوية في بناء عقائد المسلم وأفعاله وأخلاقه.
أما النّقطة الثّانية فهي في جانب التّعاليم الإسلامية، فإنّ القرآن والسُّنة النّبوية كانا يزوّدان المسلمين بالثّقافة دائمًا وفي مختلف أبوابها، فالعقائد والتّشريع، والتّربية الخلقية، والأدب والفن والأمثال والقصص الموجّهة ملأت أفكار المسلمين وطوّرت عقولهم وهذَّبت نفوسهم. لهذا، لا تُعدُّ الثقافة الإسلامية أمرًا مجردًا، بل هي ذات أبعاد شاملة في حياة الإنسان، ولا يمكن أن تنفصل عن الاقتصاد والاجتماع والسّياسة والتّنمية، فضلًا عن القيم المعيشة في المجتمع، وذلك من منطلق أنّ المضمون الثّقافي لكلّ شعبٍ من الشعوب، ولكلّ أمّةٍ من الأمم لا بدّ أن تكون له تعبيراته في جوانب الحياة المختلفة. وبمقدار ما

---

1 **حسين صالح حمادة،** مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 113.

2 **الشّيخ محمّد مهدي شمس الدّين** (2001-1936) أحد أعلام الفكر الاسلامي، وكان رئيس المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى في لبنان، أنشأ العديد من المؤسسات الثّقافية والعلمية، وله مؤلفات قيّمة.

3 **محمّد مهدي شمس الدّين،** مشاركة بعنوان: "خطاب الإمام موسى الصّدر الثّقافي"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الرّابع، عنوانه: قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 2000، ص 45.

تكـون القيـم المعيشـة، حيّـة ومتحرّكـة، يكـون التّحقـق سياسـيًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا واقتصاديًّـا ممكنًـا.[1]

2 - دور الأخلاق في تكوين المجتمعات

يـرى الإمـام الصّـدر بـأنّ المجتمعـات تتكـوّن مـن التّعـاون، مـن الأخـذ والعطـاء، مـن الفعـل والانفعـال، مـن التّأثيـر والتّأثـر. والأخـلاق تسـهّل هـذا التّبـادل الّـذي يكـوّن المجتمعـات، ومـن دونـه تصعـب هـذه العمليـة. ويستشـهد بالآيـة الكريمـة: يقـول اللّـه سـبحانه وتعـالى: **(وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ)** [آل عمران/ 159]؛ أي لـو كان الرّسـول (ص) فظًّا، غليـظ القلب، لَمَـا نجـح فـي رسـالته. وهكـذا، كلّ مُتَصَـدٍّ مـع أبنـاء بلـده، إذا كان فظًّـا، غليـظ القلـب لانفضـوا مـن حولـه. إذًا؛ الأخـلاق هـي الّتـي تسـهّل مهمّـة التّعـاون، ولهـذا تجـد أنّ النّـاس يتنكّـرون للإنسـان المتكبّر. قـد يتصـوّر أحـد أنّـه إذا كان متكبّرًا لا يضـرّ النّـاس، بينما النّـاس لا يريـدون رؤيـة المتكبّـر، ولا التّعـاون معـه، وأثـر ذلـك: المجتمـع يخسـر طاقاتـه. بينمـا لـو كان الإنسـان متواضعًـا خلوقًـا، يرغـب النّـاس فـي التّعـاون معـه، الّـذي يـؤدّي إلى تكاتـف عناصـر المجتمـع وطاقاتـه.[2]

وفـي المقابـل، تفشّـي الأخـلاق السّـيئة فـي المجتمـع مـن قبيـل الشّـرّ والكـذب والافتـراء والغيبـة وبـذاءة اللّسـان، يُبعّـد الصلـة بيـن أبنـاء المجتمـع، ويفسّـخ كيانـه ويبـدّد طاقاتـه. فكمـا قيـل: «الأمـم الأخـلاق».[3]

يعتقـد الإمـام الصّـدر بـأنّ مـدى تأثيـر الأخـلاق لا ينتهـي عنـد هـذا الحـدّ، حَسَـنُها رباطٌ مـن نـور يربـط طاقـات المجتمـع وقدراتـه مـع بعضهـا بعضًـا، وسـيئها يحطّـم المجتمعـات، ويقضـي عليهـا، لأنّ قـدرة الإنسـان وطاقاتـه ليسـت الجسـديّة فقـط، بـل بمقـدار عطائـه، للمجتمـع وليـس بمقـدار قوّتـه الماديّـة. لـو كان كذلـك لكانـت الـدّواب تعطـي وتقـدّم للمجتمـع أكثـر مـن الإنسـان، بـل الإنسـان فـي مجتمعاتـه بكرامتـه لا بطاقتـه الماديّـة، تاجـرًا كان أم رجـل ديـن أم طبيبًـا أم موظّفًـا كبيـرًا إلـخ... وهـؤلاء لا يخدمـون المجتمـع بطاقاتهـم فقـط، بـل بكرامتهـم، وبثقـة النَّـاس بهـم. فـإذا فَقَـدَ النّـاس ثقتهـم بـأيّ واحـد مـن هـذه الأصنـاف فلـن يسـتفيدوا منـه.

---

1 **محمّد مهدي شمس الدّين**، مشاركة بعنوان: "خطاب الإمام موسى الصّدر الثّقافي"، ص 46.

2 **موسى الصّدر**، محاضرة بعنوان "المجتمع الصّالح– الأخلاق"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، ص 372.

3 م. ن.، ص 373.

إذًا، ثقـة النّـاس بأبنـاء المجتمـع هـي سـبب تعـاون أفـراد المجتمـع بعضهـم مـع بعـض. فـإذا شـاعت الغيبـة، أو الافتـراء أو التّهمـة بيـن أبنـاء مجتمـع واحـد، سـوف يخسـر ذلـك المجتمـع طاقاتـه ويتحطّـم.[1]

بسبب الغيبة يُقتل الإنسان اجتماعيًّا، ولهذا يقول اللّه سبحانه وتعالى في كتابه الكريـم: **(أَيُحِـبُّ أَحَدُكُـمْ أَن يَـأْكُلَ لَحْـمَ أَخِيـهِ مَيْتًـا فَكَرِهْتُمُـوهُ)** [الحجـرات/ 12]. يبيّـن هـذا التّعبيـر القرآنـي أنّ الاغتيـاب قتـلٌ اجتماعـيٌّ، والافتـراء والبهتـان تحطيـمٌ لحيـاة المجتمـع. لهـذا، يجـب أن نراقـب جيّـدًا مـا نقـول، فالكلمـة التـي تصـدر مـن لسـاننا وراءهـا مـا وراءهـا مـن المسـؤوليات، يقـول تعـالى: **(مَـا يَلْفِـظُ مِـن قَـوْلٍ إِلَّا لَدَيْـهِ رَقِيـبٌ عَتِيـدٌ)** [ق/ 18]. المغتـاب والمفتـري والكـذّاب يقتـل طاقـات المجتمـع، والخاسـر هـو المجتمـع كلّـه، لأنّـه يُبنـى بطاقـات ألـف شـخص، وهـو أحسـن حـالًا مـن المجتمـع الّـذي يُبنـى بطاقـات تسـعمائة وتسـع وتسـعين شـخصًا. ولهـذا، لا تنتهـي آثـار الأخـلاق السّـيئة عنـد عـزل الأفـراد عـن مجتمعهـم، بـل تصـل لدرجـة تحطيـم المجتمـع.

وبعـد هـذا البيـان، يسـتنتج الإمـام الصّـدر، بـأنّ الأخـلاق الّتـي يأمـر بهـا الدّيـن، وهـي حقـل مهـمّ مـن حقـول الدّيـن، لهـا تأثيـر عميـق فـي تأسـيس المجتمعـات وتكوينهـا.[2]

3 - الجوانب الأخلاقية جزء من المسؤولية الاجتماعيّة

يشـير الإمـام الصّـدر اسـتنادًا إلى القـرآن الكريـم، أنّ مسـؤولية الإنسـان الاجتماعيّـة تنطبـق علـى الجوانـب الأخلاقيّـة، إضافـة الى الجوانـب الماديّـة. فتجنّـب الغيبة،علـى سـبيل المثـال، هـي أيضًـا مسـؤولية تجـاه الآخـر، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ)** [البقـرة/ 188]، و **(وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا)** [الحجرات/ 12]. فهـو يعـدّ أنّ الأمريـن مسـؤولية اجتماعيّـة، فكمـا لا يمكـن أخـذ مـال الآخـر، كذلـك لا يمكـن استغابته. وهـذا أيضًـا مفهـوم إسـلامي يربـط بيـن سـعي الإنسـان إلى توفيـر فـرص الحيـاة أو المسـاعدة للآخريـن، وبيـن عـودة هـذا الخيـر إلى نفسـه. وهـذه خاصيـة إسـلامية. وهـذا الرّبـط مـن أكثـر مـا قيـل عـن نتائـج المسـؤولية

---

1 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "المجتمع الصّالح– الأخلاق"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م. ص 373 – 374.

2 م. ن.، ص 374 – 375.

الاجتماعيّة المشتركة أهمّية بين الفرد والمجتمع.[1]

المسألة الأخرى الّتي ربّما من الإضافات الّتي أكّدها الإمام الصّدر من خلال مرجعيته الدّينيّة، إشارته إلى «أنّ العلاقات البشريّة تعتمد أساسًا على الكمال البشري»؛ أي عندما يقدّم الإنسان خدمةً فإنّما يفعل ذلك في طريق الكمال وليس مقابل الأجر، لأنّ العطاء في المجتمع المادي تجارة، يعطي كي يأخذ. هذا معناه، كما يقول الإمام الصّدر، تجميد الإنسان، تنزيل نفسيته وروحيته، بينما في المجتمع الإسلامي الّذي يتحدّث عنه، الإنسان يعطي لأنّه يعبد اللّه، وخلال ذلك هو يحقّق الكمال.[2]

وفي مقابل المسؤولية الفردية عن سلامة المجتمع، تأتي المسؤولية الجماعية أو مسؤولية الجماعة عن الفرد، وهي تأمين ما يحتاج إليه، فلا يتضوّر جوعًا في حين يشبع آخرون أو يُتخم بعضهم... كما هو حاصلٌ الآن.[3]

4 - التّربية وأساليبها

إنّ اللّه تعالى لا يخلق فقط ثمّ يدع خَلْقه من دون رعاية وتدبير، وإنّما هو خَلْق مستمر، وربوبية دائبة وتربية مستمرة للإنسان وغيره من المخلوقات في كلّ آن. وهذه التّربية الدّائمة، وهذا الخَلْق المستمر يبلغان أعلى مستوى بالعلم الّذي يحقّق للإنسان أعظم أدواره، ويمكّنه من فتوحات كبرى في عالم الشّهادة ينبغي أن تجعله أكثر صلة بعالم الغيب وإيمانًا به، وبذلك يعدّه لممارسة الخلافة في الأرض، ويحقّق فيه إرادة اللّه تعالى الّذي علّم آدم الأسماء كلّها.[4]

لم يُغفل الإمام الصّدر أمر التّربية في خطاباته، بل كان ينبّه مستمعيه على أساليبها. على سبيل المثال لغرض تربية شخص سواء أكان ابنًا أم تلميذًا أم شخصًا آخر، لتحفيزه على عمل أو نهيه عنه، ينبّه الإمام الصّدر أنّه توجد طرائق عدّة لهذا الغرض، منها:

---

1 طلال عتريسي، مشاركة بعنوان: "الإنسان في رؤية الإمام موسى الصّدر"،ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، عنوانه:اجتمعنا من أجل الإنسان – الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 2009 م، ص 141 - 142.

2 م. ن.، ص 142.

3 م. ن.، ص143.

4 محمّد مهدي شمس الدّين، مشاركة بعنوان: "خطاب الإمام موسى الصّدر الثّقافي"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الرّابع، عنوانه: قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 46.

- أنّ تنهاه عن فعل أمر أو القيام بسلوك محدّد، ولكنه قد يطيع أو لا يطيع.

- أنّ المرحلة الأكثر عمقًا هي ألّا تطلب منه الفعل أو الكفّ عن الفعل، بل تقنعه بأصل الفكرة الّتي بموجبها يجب أن يفعل أو لا يفعل.[1]
خَلْق بيئة لهذا المتعلّم والمتربّي ومجتمع خاص به سواء أكان فردًا أم جماعةً، يسهّل عليه صدور تلك الأعمال أو الكفّ عنها. وهذه هي المرحلة الأكثر عمقًا في التّربية والتّوجيه. يذكر الإمام الصّيامَ كمثالٍ على هذا الأمر، كيف يكون سهلًا حينما يكون الجميع صيامًا؟ بينما إذا كان الآخرون غير صائمين يصير الصّيام صعبًا على الفرد، لأنّه يعيش في جوّ غير صائم. [2]

- يعطي المربِّي للمتربّي فكرة عامة عن الخُلُق كلّه، كما يقوم الدّين بهذه العملية. فالدّين قبل أن يأمر وينهى، وقبل أن يبدأ بإقناع الأفراد نفسيًّا، وقبل أن يبدأ بتكوين المجتمع الصّالح، يعطي فكرة عن الكون كلّه. ولهذا تجد أنّ الدّين يعطي فكرة عن الخلق، عن الكون، يقول اللّه سبحانه وتعالى: **(شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُو الْعِلْمِ قائمًا بِالْقِسْطِ)** [آل عمران/18]. يقول الدّين: إنّ اللّه يقوم بالقسط؛ أي خلق العالم على أساس من العدالة، يقول تعالى: **(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ*مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ)** [الدّخان/39-38]. هذا الكون الّذي ترونه أيّها البشر، هذا الكون كلّه ما لعبنا في خلقه، بل وضعناه على أساس من الحقّ والعدل. يقول تعالى في سورة الرّحمن: **(الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ*الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ*وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ)** [الرّحمن/6-1]. حينما رفعنا السّماء وخلقنا الكون، وضعنا الميزان. يعني جعلنا مبادئَ للحقّ والعدل والتّنظيم والصّحة والكمال. ويكمل تعالى في كتابه الكريم: **(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ)** [الرّحمن/7]، وبعدها مباشرةً يقول تعالى: **(أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ)** [الرّحمن/8]. وهذا النّوع هو النّوع الأكثر عمقًا في التّربية والتّوجيه.
ما دام الإنسان يعيش في عالمٍ مبنيٍّ على أساس الحقّ والخير والعدالة والنّظم،

---

1 محمّد مهدي شمس الدّين، مشاركة بعنوان: "خطاب الإمام موسى الصّدر الثّقافي"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الرّابع، عنوانه: قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السيد موسى الصّدر، م. م.، ص 380.

2 م. ن.، ص 381.

ليس في الكون فوضى ولا ظلم ولا فيه انحياز ولا انحراف ولا شذوذ، بل لكلّ شيء قدر كما أخبر تعالى في كتابه العزيز: (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) [الطّلاق/ 3]. هذا العالم الّذي ما فرّطنا فيه من شيء، بل كلّ شيء على أدقّ ما يكون... هكذا خلقنا الكون. إذًا، أنت يجب أن تكون كذلك، وتعمل على النّسق نفسه لأنّك خليفة اللّه.[1]

ويخلص الإمام الصّدر بعد هذه المقدّمات، لبيان فكرته عن التّربية الدّينيّة؛ فيقول: «خَلَق لنا اللّه كونًا منظّمًا قائمًا على أساس الحقّ والعدل، ثمّ طلب منّا أن نكوّن مجتمعًا ونقتنع كفكرة وألّا نطغى في الميزان. هذا النّوع من التّربية الّتي تبدأ بالثّورة على الكون كلّه، ثمّ بالثّورة في المجتمعات، ثمّ بالثّورة في التّربية للنّفس الإنسانية، ثمّ في طلب عمل أو ترك من الإنسان هي أكثر أنواع التّربية عمقاً. هذه هي التّربية الدّينيّة الّتي تبدأ من إعطاء فكرة عن الخَلْق كلّه، ليصير عميقًا مقترنًا بأعماق النّفس، وهذا هو السّبب في التّفاوت بين الإيمان والعلم».[2]

ثانيًا - الأخلاقيات في نهج الإمام موسى الصّدر

دعونا نستعرض أولًا البيئة المحيطة الّتي تشكّلت شخصية الإمام في حضنها، ونستهل ذلك برسالة خطّها في العام 1941، وهو بعدُ في الثّالثة عشر من عمره. سنلاحظ أنّ رسالته فيها توصيف لتلك البيئة من منظور الإمام اليافع نفسه، ثمّ نتبعها بقراءتنا نحن لبعض ملامح المرحلة.

1 - الملامح الأولى

منذ اليوم الأوّل الّذي هبَّ فيه نسيم الحرية على هذه الأرض وتخلّصت إيران من نير المستبدِّين الّذي لا يطاق، والنّاس تترقب تحسُّن الأوضاع، فهل نالوا مرادهم وتحقّق ما كان يأملون به؟ وهل تمَّ تلافي الأخطاء والمشكلات حقًّا؟ وهل انتهت معاناة البؤساء والمحرومين وسكتت صرخاتهم؟

---

1 **موسى الصّدر**، محاضرة بعنوان "المجتمع الصّالح– الأخلاق"، في أواخر ستينات القرن العشرين، منشورة ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص ص 381 – 382.

2 م. ن.، ص 382.

إنَّ ما هو واضح للعيان ليس بحاجة إلى بيان، لنرى ما هو سبب هذا التّجاهل والإهمال، ولماذا لا يصغون إلى صرخات الجرائد الّتي تعبّر عن مشاعر النّاس وأحاسيسهم؟ ففي كلّ يوم توزّع مئات الآلاف من صفحات الجرائد في هذا البلد تحت عناوين مختلفة، وتخصّص كلّ جريدة على الأقل إحدى صفحاتها لتسليط الضّوء على هذه المشكلات، وعلى التّصرُّفات الفردية، وتلفت الأنظار إلى ضرورة معالجة تلك النّواقص وتلافيها، ولكن هل كان ذلك كلّه أدنى تأثير في أوضاع البلد المحزنة؟

هل يتمّ تجاهل هذه الأوضاع عن قصد، أم أنّ كثرة المشاغل لم تسمح لهم بمتابعتها؟ فإذا كان الأمر كذلك، كان اللّه بعون الفقراء والمحرومين في هذا البلد.

ما أصمَّ آذانَ وقسوة قلوب مسؤولينا اليوم وكأنَّ في آذانهم وقرًا، ليس من الواضح مَنِ الجهة الّتي تدلّ على المظلوم أن يلجأ إليها، ومن الّذي ينبغي له أن يرفع الظّلم والحيف عن النّاس؟ وإلى متى يستمرّ هذا الإهمال والتّهرُّب من المسؤولية؟ وفي ضوء ذلك ينبغي القول: «إنّ كلّ ما يأتي به العام الجديد يدعو للحسرة على العام الفائت».[1]

في تلك السّن المبكرة، تتفجّر الحرب العالمية الثّانية، وتشتدّ اليد البريطانيّة في إيران، ويحاول رضا شاه الذّهاب باتجاه آخر، فيُخلع ليولّى ابنه. وتتوالى الأيام، ويتقلّب الإمام الصّدر بمراحل العمر صبيًا وغلامًا وفتًى، ويبدأ وعيه السّياسيّ، وهو بعدُ في مقتبل العمر.

في أوائل شبابه، تتلاحق الأحداث من تنظيمات شعبية، وتأميم نفط، وقيام حزب مسلّح، وفي فترة الغليان الشّعبي المليء بالأمل في إدارة الأمة لشؤونها واستثمار ثرواتها، يهرب الشّاه من البلاد، وإذ بانقلاب عسكري يخطف الأنفاس، وتختفي إمكانات استقدام الغد. فيعود الشّاه إلى عرشٍ يرتكز على المخابرات والعسكر. في هذه الأثناء، كان الشّاب الإمام موسى الصّدر قد تخرّج من الحوزة العلمية في قم، وتمكّن من المنهجية النّجفية في العراق؛ فجمع منهجيَ قم والنّجف، كما تخرّج من جامعة طهران كلية الحقوق - اختصاص اقتصاد. وفي المجالات كلّها الّتي أخذ منها، أعطاها من نفسه تحرّكًا وتنظيمًا على ما تقتضي المرحلة. فتوجّهت إليه الأنظار، ترسم الكثير من الخطوط لمستقبل مختلف

---

1 موسى الصّدر، مقال بعنوان "إلى متى العذاب؟"، جريدة استوار، قم، سنة 1320ش، 1941م.

لخرّيـج تحتشـد حولـه الاحتمـالات الّتـي كان عارفـوه كلّهـم يتخيّلـون صـورًا عنهـا لليـوم الآتـي.
ومـا كادت الأوضـاع العامـة تسـتقّر عـلى حـال حتّـى انفتحـت معركـة ضـدّ الحـوزة الدّينيّـة، يثيرهـا اليسـار الإيرانـي، بعـد أن فشـل بمشـاركاته فـي الحمـلات الّتـي كانـت عـلى النّظـام الشّـاهاني، فاختلـق لنفسـه عـدوًّا، وأصـدر كتابًـا فـي قـم بعنـوان "حـراس السّـحر والشّـعوذة"؛ يعنـي علمـاء الدّيـن، وهـذا تحديـث لشـعار (الرّجعيـة السّـوداء) الـذي أطلقـه رضـا شـاه. وفـي هـذا المنـاخ، انبـرى الإمـام الصّـدر مـع ثلّـة مـن زملائـه المميزيـن، فأصـدر مجلـة "مكتـب إسـلام" لتكـون لسـان حـال الحـوزة. ولـم تُمنـح ترخيصًـا فـي البـدء، فـي الوقـت الـذي كان الحـزب الشّـيوعي - مثـلًا - يمـارس فيـه حرية إعلاميـة كاملـة. كمـا افتتـح السّـيّد موسـى الصّـدر مدرسـةً حسـب المنهـج الحكومـي إلى جانـب التّربيـة الدّينيّـة الّتـي لا تلحظهـا مناهـج الدّولـة.

2 - الأخلاقيات في سيرة الإمام الصّدر

مـن خـلال مطالعـة سـيرته نـدرك كيـف كان يـرى تأثيـر الأعمـال الظّاهريـة فـي الفكـر والنّيّـة، فمـن خـلال تغييـر الظّاهـر يمكـن التّأثيـر في الباطـن، أو دور التّلقيـن للنّفـس قـولًا وفعلًا، وتأثيـر القناعـات والرّغبـات فـي الإنسـان، وتأثيـر ظاهـر الإنسـان وباطنـه فـي بعضهـا بعضًـا، والتّغييـر التّدريجـي للإنسـان، بتأثيـر الظّـروف والعوامـل المحيطـة الزّمانيـة والمكانيـة فـي الإنسـان، بحسـب تفـاوت النّـاس فـي قدراتهـم الجسـميّة والمعرفيّـة والعاطفيّـة، وطبيعـة الإنسـان المركّبـة وميولاتـه الفطريّـة والغريزيّـة وميزاتـه.
اسـتخدم الإمـام الصّـدر السّـبل كلهـا والأدوات المتاحـة لديـه الّتـي اسـتطاع أن يخلقها هـو، بمـا كان متوفّـرًا فـي محيطـه، مـن التّأليـف والنّشـر، وإلقـاء المحاضـرات، والسّـفر، واللّقـاءات، والحـوارات، والزّيـارات، والتّفـاوض مـع قـادة العـرب، وتأسـيس المؤسسـات، والاعتصـام إلـخ... لإصـلاح الدّولـة فـي لبنـان وبنـاء الإنسـان، فـي أواخـر سـتينيات القـرن العشـرين، وإعـادة حقـوق المحرومـين.
وفيما يلي نذكر بإيجاز بعض مواقفه العملية وخطواته في هذا الاتجاه:
دخـل الإمـام الصّـدر فـي تجربتـه الدّينيّـة وطابـق بيـن الكلمـة والفعـل حتّـى بلـغ أعـلى مراتـب الفعـل الإيمانـي. ويـرى أنَّ مصـدر الأخـلاق هـو الإيمـان الدّينـي، وأنَّ المقتضـى الأخلاقـي هـو أمـر ربّانـي مطلـق، والهـدف منـه هـو تنميـة الجانـب الروحـي فـي حيـاة

الإنسان والمجتمع.[1] لقد استقى الإمام الصّدر التّأسيس الدّينيّ للأخلاقيات من القرآن الكريم والسّيرة النّبوية الشّريفة، ونهج الإمام علي واستشهاد الإمام الحسين، ومن مفهومي الجهادين الأكبر والأصغر.
تعود أصول الفكر الأخلاقي عند الإمام الصّدر إلى إرادة اللّه في خلقه، وذلك لارتباط الأخلاق بالحقيقة اليقينية، بمفاهيم الخير والشّر، والجهل والمعرفة والفضيلة والرذّيلة، وبفهم مكانة الدّين في التّاريخ. «إنّ القرآن الكريم... هو كتاب اللّه وكلماته، فهو حقيقة كونية بصورته الموجودة، ويختلف بذلك تمام الاختلاف عن الكلمات البشرية، والحقيقةُ الكونية تتجلّى وتبرز للإنسان من جديد في أيّ خطوة تقدّم وعيه فيها وارتفع مستوى ثقافته بها».[2]
يرى الإمام الصّدر أنّ الإيمان، ببعده السّماوي، يعطي الإنسان اللّانهائية في الإحساس واللّانهائية في الطّموح، إذِ الإيمان ببعده السّماوي يحفظ للإنسان الأمل الدّائم عندما تسقط الأسباب، ويزيل عنه القلق، وينسّق العلاقة بينه وبين بني نوعه من جهة، وبينه وبين الموجودات كلّها من جهة أخرى. لذلك نجد بأنّ السّرقة قد حرّمت على سبيل المثال، كما أنّ الدّين قد حارب الكذب والنّفاق، وحارب أيضًا الغرور والكبرياء، فالكذب مثلًا يزيّف الحقائق والطّاقات المعدّة للمبادلة بين الإنسان وأخيه، أمّا الغرور والكبرياء فإنّهما يجمدان الإنسان، لأنّه يشعر معهما بأنّه وصل إلى درجة الاكتفاء فيمتنع بالغرور عن الأخذ، وبالتّالي عن التّكامل، ويمتنع النّاس من جهة أخرى عن الأخذ منه والتّكامل بوساطته.[3] فلا أخذ ولا عطاء، إنّه موت للطاقات، طاقات الإنسان. فالحرية مثلًا في نظر الإمام الصّدر، هي المناخ الملائم لنموّ طاقات الإنسان وبروز مواهبه عند توفير الفرص، هذه الحرية الّتي كانت ولا زالت تتعرّض دائمًا للاعتداء، وكانت تغتصب من قبل الآخرين بحججٍ متنوعةٍ. ومفهوم الحرية عند الإمام الصّدر هو الانعتاق من كلّ سلطة، السّلطة الخارجية القامعة للإبداع الإنساني، والسّلطة الدّاخليّة، داخل النّفس البشريّة، فالإنسان في الفضاء الإسلامي يعيش بالقيم العليا

---

1 **انظر: ساسين عساف،** مشاركة بعنوان:" التّنمية الاخلاقية في فكر الإمام الصّدر، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء العاشر، عنوانه "التنمية الإنسانية: أبعادها الدينية والاجتماعية والمعرفية"، منشورات مركز الامام موسى الصّدر للأبحاث والدراسات، بيروت، الطّبعة الأولى،2005، ص 216.

2 **موسى الصّدر،** مقدمة بعنوان "مع المستشرق هنري كوربان"، لكتاب هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية والمقدمة منشورة منفردة في مجلة العرفان، مج 54، سنة 1966، ص 30.

3 **انظر: موسى الصّدر،** "الإنسان في حاجاته وكفاءاته، حفاظًا على الانسان"، ضمن كتاب موسى الصدر والخطاب الإنساني، م،م ص 14.

للدّيـن. كمـا يـرى الإمـام الصّـدر أن غيـاب الحرية يجعـل الفـرد يخضـع للحجـم الّـذي يقدّمـه الغاصـب للحرية، يقدّمـه للإنسـان فيتقـزّم الفـرد، ثـمّ تتقـزم معـه الجماعـة. كمـا يحـذّر الإمـام الصّـدر مـن الإفـراط والتّعصـب فـي الانتمـاء، فالوطنيّـة مثـلًا، علـى الرغـم مـن كونهـا أكثـر الأحاسـيس أهمّيـة، عندمـا تتحـوّل إلى الوطنيّـة العنصريّـة يـكاد يحـسّ المـرء بأنّـه يعبـد وطنـه مـن دون اللّـه، عنـد ذلـك يسـمح لنفسـه بـأن يبنـي مجـد وطنـه علـى أنقـاض أوطـان الآخريـن، وأن يصنـع حضارتـه بتدميـر حضـارة الآخريـن، ويرفـع مسـتوى شـعبه علـى حسـاب إفقـار الشّـعوب الأخـرى، كمـا حصـل مـع الـدّول الاسـتعماريّة والقوميـة النّازيـة.[1]

يؤمـن الإمـام الصّـدر فـي أنّ اللّـه هـو مصـدر الأخـلاق، وفـي أنّ فعاليـة الإنسـان هـي فـي إرادتـه الحـرّة، وفـي أن المؤمـن الحـقّ أو المتديّـن يسـتأصل مـن نفسـه الأهـواء الآثمـة، فالمتطلبـات الأخلاقيّـة جـاءت فـي النّـصّ الدّينـي بمنزلـة الفـروض والإرشـادات نهوضًـا بمسـؤولية الواجـب، وإتمامًـا لعمـل الخيـر والفضيلـة، وتلافيًـا للشّـر والمنكـر، وهـي تتّخـذ صـورة القواعـد والوصايـا.[2]

فـي يومياتـه وفـي مسـلكياته وممارسـاته، جسّـد الإمـام الصّـدر تلـك المفاهيـم والأخلاقيـات، كمـا تؤكّـد شـهادات مَـنْ عرفـوه وعاصـروه.

3 - سماته وشخصيته

كان الإمـام موسـى الصّـدر فـي طفولتـه محبًّـا للمطالعـة، يقـرأ الكتـب كلّهـا. وقـد أتقـن العربيّـة والفارسـيّة، وألـمّ باللّغتيـن الفرنسـيّة والإنجليزيّة. وكان فـي دراسـته مميـزًا ومحبوبًـا عنـد مديـره وأسـاتذته، يحترمـه الـكل ويقـدّره، وكان دائمًـا الأول فـي صفّـه فـي مراحلـه الدّراسـيّة كافـة، وقـد وصـل إلى الصّفـوف العليـا فـي وقـت قصيـر نسـبيًا. مـن هواياتـه لعـب كـرة القـدم مـع بعـض الحـذر، هـذا لأنّ أبنـاء العلمـاء لا يمارسـون هواياتهـم بحريّـةٍ.

لا يـزال حـيّ "عشـق علـي" [3] محافظًـا علـى بعـض ملامحـه القديمـة إذ ترعرعـت

---

[1] **انظـر: موسـى الصّـدر**، "الانسـان فـي حاجاتـه وكفاءاتـه، حفاظًـا علـى الانسـان"، ضمـن كتـاب: موسـى الصّـدر والخطـاب الانسـاني، م.م، ص 19.

[2] **انظـر: ساسـين عسـاف**، مشـاركة بعنـوان:" التّنميـة الأخلاقيّـة فـي فكـر الإمـام الصّـدر"، ضمـن أعمـال مؤتمـر كلمـة سـواء العاشـر، م.م.، ص 217.

[3] **حي عشق علي:** من مناطـق مدينـة قـم القديمـة، تقـع قـرب حـرم السـيّدة المعصومـة (ع). سـمّيت المنطقـة باسـم عشـق علـي لوجـود مسـجد (عشـق علـي) فيهـا. أمـا سـبب التّسـمية فليـس معروفًـا، وفيـه احتمـالات ثلاثـة: إمّـا أن يكـون اسـم مؤسّـس المسـجد، وإمّـا حبًّـا لعلـي (ع)، وإمّـا بسـبب أنّ بعـض المتصوّفـة كانـوا يتـردّدون علـى المسـجد.

عائلة الإمام ضمن الطّبقة العاديّة المتوسطة من النّاس. هناك، ما يزال بإمكان الأحياء ممّن رافقوا طفولته قبل تسعين عامًا أن يستذكروا تلك الأماكن بما دار فيها من أحداث الطّفولة.

لطالما اهتمّ بمظهره الخارجي ومظهر مَن حوله، كما اعتنى بالكثير من التّفاصيل كطريقة الأكل والجلوس. كانت أمسياته الشّخصيّة لها متممات كالشّاي والنارجيلة والفحم والكتاب والقلم، وأفراد العائلة. يكتفي بفترات نوم قصيرة لا تتجاوز السّاعات الخمس، ولعلّ الإجهاد كان يؤثّر سلبًا في هبوط الضّغط. ذات مرّة، كنّا في صور، استدعيتُ له الدّكتور علي قدادو لمعاينة حالته، وفوجئت في اليوم التّالي عندما رأيته مرتديًّا ملابسه للخروج. وعندما حاولتُ الاعتراض، أجابني«أنا بخير، سيأتي يوم أنام فيه كثيرًا؛ لكن الآن، دعيني أعملْ!».

تقول الباحثة: من هواياتي الّتي نشأت في سني الطّفولة، تعلّم الرّسم والخياطة وصناعة اللّوحات. لم يأذن لي الأخ البكر بالانتساب إلى معهد، فانتظرتُ عودة السّيّد موسى من سفر، وطلبتُ تدخّله ووساطته. وأذِن لي بعد برهة، قائلًا: «أنت ستذهبين إلى المعهد، وبسلوكك ونتيجتك إمّا أن تفتحي الباب لبقيّة بنات العائلة، وإمّا تقفليه».

كان حسّه الفطري بالعدالة وشغفه بالفرح مع حضور النّكتة، جعلاه محطّ ترقّب ولهفة من أفراد الأسرة كلّهم. وأن يكون حاضرًا في المنزل هو نبأ سار للجميع سرعان ما نتداوله همسًا وعلانية ريثما يكتمل العقد. كانت علاقته بوالدي مميزة فهو كان يعاني صحيًّا، وتناوب على سهر الليّل بجانبه والدتي. يهتم به، ويعطيه الدّواء، لا بل يرافقه إلى مصيف فوردو[1] في أثناء الصيف. وهناك، كان أولاد القرية على موعد مع السّيّد لمداواتهم من رمد العيون.

يتميّز الإمام الصّدر بذكائه الحاد ودماثة أخلاقه، يتعامل مع الجميع برحابةِ صدرٍ وطيبِ خلقٍ، وهو متسامح مع النّاس، وربطته صداقة وثيقة بمجموعة شبّان "مجموعة قمّة العلم". سيكون لكلّ منهم لاحقًا باع طويلٌ في أمور الفكر

1 مصيف فوردو: منطقة جبلية زراعية تبعد 26 كلم جنوب مدينة قم. تشتهر بزراعة الفواكه والحبوب وتربية الماشية ونسيج السجّاد.

والمجتمع. أذكر منهم الشّهيد بهشتي[1]، السّيّد جزائري[2]، السّيّد زنجاني[3]، السّيّد مجد الدّين محلاتي[4]، السّيّد شبيري[5]، والسّيّد مفتّح[6].

بقي الإمام الصّدر شغوفًا بطاقات الشّباب، واستمرّ شديد الاهتمام بجيلهم. نمَت معه هذه الميزة عبر شباب العائلة، وأخذ يهيّئ لهم أجواء العلم، ويرشدهم إلى الأفضل. ثمّ توسّعت لاحقًا وأخذت منحى الحلقات الأوسع، وإذ به يهيّئ وسائل السّفر إلى الخارج لغير شاب لمتابعة الدّراسة والتّحصيل العلمي العالي. يقول الدّكتور صادق طباطبائي (رحمه اللّه)، ابن أخته: كان يتحدّث معي قبل سفري إلى ألمانيا لمتابعة دراستي: «إنّ الإنسان من لحظة مولده حتّى وفاته يعيش عمرًا مديدًا، ولا تتكرّر هذه التّجربة إذ لا إعادة لها. فالأجدر بالإنسان أن يعيش وكأنّه عاش عدّة مرات، إذ تكون الحياة بعده، وكأنّه لا زال على قيد الحياة، أي ما زال أثره موجودًا، ولا يكون هذا إلا إذا أمضى الإنسان حياته في أبعاد متعددة، لا يكفي أن تستيقظ في الصّباح، وتأكل وتذهب إلى العمل وتعود إلى المنزل ثمّ تتكرّر هذه العملية كلّ يوم. للحياة هدف ومعنى، ومدى الحياة يتحرّك وأمامه هدف يحقّقه، فكلما سعيت أكثر تستطيع أن تحقّق أكثر».

يروي صهر الإمام موسى الصّدر، آية اللّه سلطاني، أنّه كان يريد أن يدرس القانون، وعيّن له أستاذًا، وبعدما ذهب ثلاث مرات، قال الأستاذ: أنا لا أستطيع تدريس هذا الطّالب لأنّ عنده أسئلة كثيرة وذات مستوًى عالٍ، وهذا يتطلّب مني أن أفتّش وأبحث له عن أجوبة لأنّه لا يكتفي بالأجوبة العادية. وكان يدرس

---

1 سبق تعريفه.

2 **السّيّد نعمة اللّه بن محمد الموسوي الجزائري** (1640 - 1701)، المعروف بالمحدّث الجزائري. وهو رجل دين، وفقيه، ومُحدّث، ومُفسّر شيعي في القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين. له أكثر من خمسين كتابًا ورسالة.

3 **السّيّد محمد عز الدّين الحسيني الزنّجاني** (1921 – 2013): رجل دين، شيعي، إيراني. مؤلّف ومدرّس في مجالات الفقه والأصول والتفّسير والفلسفة والأخلاق والعرفان. كان من تلامذة السّيّد صدر الدّين الصّدر، ومن مناهضي نظام محمد رضا شاه.

4 **السّيّد مجد الدّين بهاء الدين محلاتي** (1925 - 2000): درس العلوم الجديدة، وكذلك الدّروس الحوزوية في قم، فحاز على درجة الاجتهاد، وكذلك حصل على اللّيسانس في الحقوق من جامعة طهران. شارك في نشر مجلة مكتب إسلام. وقام بالتّدريس والتّبليغ والتّأليف في شيراز. شارك في النّضال ضدّ شاه إيران والنّظام البهلوي وتعرّض للملاحقة والسّجن عدّة مرّات. هو من أكثر أصدقاء الإمام موسى الصّدر قربًا، وكان يكرّر أنّ الإمام الصّدر هو الّذي شجّعه على الدّراسة الجامعية.

5 **السّيّد موسى الشبيري "حسيني" الزنجاني** (1928 –أطال اللّه عمره)، هو أحد المقلّدين الشّيعة الإيرانيين. يقيم حاليًا ويُدرّس في حوزة قم. وهو خبير رائد في علم الرّجال الّذي يسعى إلى إصدار حكم أصيل وفعّال على مصداقية رواة الحديث. يقود الصّلاة في ضريح فاطمة المعصومة.

6 **آية اللّه الشّيخ محمد مفتح** (1928 - 1979): دكتور في الفلسفة، وعالم دين شيعي، وسياسي إيراني. من الشّخصيات المناهضة لنظام البهلوي والبارزة في الثّورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني، وهو ممّن سعى إلى إيجاد الوحدة بين الجامعة والحوزة، وقد قُتل في السّنة الأولى من انتصار الثّورة الإسلامية أمام جامعة طهران من قبل جماعة الفرقان.

المنهجَيْن- الحديث والقديم - على حدٍّ سواء، وكان مصرًّا على ذلك.
يقول صهره الدّكتور صادقي: «كنّا زملاء في المدرسة وكان متفوّقًا، حادَّ الذّكاء، وقد تمكّن في وقت قصير من إبراز اسمه كطالب مميّز في العلوم الدّينيّة، كما كان طالبًا ممتازًا ومعلّمًا ممتازًا، فكان الطّلبة يرغبون بالحضور إلى درسه، لأنّ حصّته مشوّقة، وقد عدّ أستاذًا وهو لايزال في الحوزة العلمية. صنع من نفسه شخصية علمية بأسرع وقت ممكن وأكثر من المتوقّع».
كان يرافق والده في زياراته، وقد بنى علاقات واسعة بأكثر من مكان، جلّهم من أبناء العلماء، حتى قيل عنه: إنّه إذا دخل بلدة أو قرية في إيران لزيارة أحدهم واستجاب لاستضافة يوم عند كلّ صديق، لانتهت السَّنة من دون أن يلبّي الطلبات كلّها. وله قدرة مميّزة في أن يجعل لكلّ فرد موقعه وطريقته في توجيه الخطاب له؛ وهذا يعني علمه الواسع من جهة وقدرته على تمييز الأشخاص من جهة أخرى. هذا وقد تفاعل بشكل لافت مع قضايا الناس وهمومهم على امتداد السّاحة اللّبنانية، فكان يجوب البلاد طولًا وعرضًا، شرقًا وغربًا، وكان يقول: "إنّ من واجب رجل الدّين أن يذهب إلى النّاس حيث هم، لا أن ينتظر النّاس إلى أنّ يأتوا إليه."
تقول السّيّدة حوراء الصّدر، ابنة الإمام الصّدر: عندما كنّا صغارًا طلبَت والدتي منه أنْ يجلس معنا ليرشدنا، فقال لها: «إنّ سلوكي هو الأكثر تأثيرًا من أيّ وعظ. إنّ الأكثر أهمّية في تربية أولادي تكمن في ملاحظاتهم لتصرفاتي الّتي يكمن فيها مرضاة ربي. ومعاملتي للنّاس هي الأنجع لهم فيما يتعلمون ويطبّقون». وتنقل السّيّدة حوراء عن أخيها الكبير السّيّد صدر الدّين، أنّ أباه شاهده مرة وهو يدخن سيجارة، فغضّ النّظر عنه ولم يقل له شيئًا، ولكنّه فوجئ في اليوم التّالي بأبيه يقدّم له علبة دخان أنيقة ذات قداحة (ولاعة)، فكان هذا كافيًا بأن يصير السّيّد صدر الدّين من أشدّ أعداء التّدخين فيما بعد.
وتقول السّيّدة حوراء أيضًا: «كان أبي يساعد والدتي في عمل البيت، ويعمل على تحضيرنا للذّهاب إلى المدرسة... كما كان يحمّم الأولاد، وكان دائمًا يشكر والدتي على عمل البيت، لقد كان شديد الاهتمام بنا، وكان متعاونًا في خدمتنا، وبهذا يكون قد خالف العادة الشّائعة في قم. فذات يوم، حمل أخي صدر الدّين وخرج به إلى الشّارع، وهكذا أمر لم يكن مقبولًا في الحوزة العلمية، كما أنّه لم يعترض أبدًا على نشر صورته في الصّفحة الأولى في صحيفة لبنانية وهو يُلبّس شقيقتي حذاءها في مكان عام».

كما تتابع السّيّدة حوراء فتقول: إنّ أسلوبه في التّربية كان يرتكز بالدّرجة الأولى على الاحترام المتبادل وليس على التّوجيه والضّغط والتّسلُّط، لذا، عمل على تأمين الأجواء المناسبة والحميمية لنمو أسرته في جوٍّ من المسؤولية والحرية، وكان يحرص على قضاء أوقات سعيدة مثمرة معنا، يجالسنا، يحدّثنا ويلاحظنا، لم يتبع أسلوبًا تربويًّا مباشرًا في التّربية الدّينيّة، فكان يحيي ليالي القدر مع عائلته في المنزل، يقرأ القرآن والأدعية المناسبة بصوته العذب، فيجذبنا إلى متابعته بشكل مشوّقٍ.

تقول أيضًا: «عندما كان يجالسنا، كان يطلب من كلّ فرد فينا أن يروي رواية معينة، وعندما يجيء دوره، كان يستفيد من هذه الفرصة بسرد رواية يوجّهنا فيها دينيًّا بأسلوب رقيق وغير مباشر، ومرّة كان في يده زهرة، فأخذ يتحدّث عن الوردة ويعدّد أقسامها ومهامها في الطّبيعة، وأبرز من خلالها عملية صنع الخالق، فكانت لنا بالتّالي فائدتين: فائدة علمية وفائدة عقيدية، فكان دائمًا يعمل على تعميق مفهومي الخلق والإبداع من خلال تكوين الأشياء والمخلوقات».

وتتابع بأنّه قال لها مرة: «لا تفكري أنَّ اللّه عزّ وجل يفضّل صلاتك على صلاة الفتاة الّتي تساعد والدتك في عمل المنزل، لأنك ابنة السّيّد موسى، فانتبهي يا ابنتي، إذا أردتِ المحافظة على صلاتك، فلا تتباهي ولا تغترّي، ولا تتكبّري، انتبهي لتصرفاتك، فالإسلام ليس صلاة فقط، بل هو معاملة وتهذيب للنّفس قبل تهذيب الآخرين».

«كان والدي ليّن الطّباع، دمث الأخلاق، يُحسن الاستماع إلى الغير، كما يجيد استيعاب الآخرين، عنده رغبة كبيرة في المشاورة والمشاركة في الرّأي، وكان يحرص على العمل بذلك، وكان يجيد تقنيات التّعبير إلى حدٍّ كبيرٍ».

يروي السّيّد صدر الدّين الصّدر، الابن البكر للإمام الصّدر، أنّ والده اعتاد مناداته وإخوته للتّحلّق حوله والاستماع إلى خطبةٍ يعتزم إلقاءها في اليوم التّالي. يقول: إنَّ أعمارنا لم تكن تسمح لنا بفهم ما يقول، فكيف به يسألنا رأينا ويطلب مشورتنا؟ «اليوم، وبعد تلك السنوات كلّها، نحن ندرك بأنّ ما أراده كان غرس قيمة المشاركة والمشورة فينا منذ نعومة أظفارنا».

قال في إحدى جلساته العائليّة بأنّه متى وصل أبناؤه إلى عتبة التّعليم الجامعي، وإذا كانت موارده المالية لا تسمح له إلّا بتعليم ولدٍ واحدٍ، سيكون هذا الولد ابنته حوراء، وليس ابنه صدري أو حميد؛ ولم تكن قد وُلدت مليحة بعد. يتذكّر

أبناؤه وعارفوه هذا التّصريح لكلّ ما ينطوي عليه من دلالاتٍ، وهناك غيره بالطّبع بما يؤكّد نفاذ الإمام الصّدر إلى سرّ الخلل في بنية مجتمعاتنا، كما يؤكّد قناعته بكيفية المعالجة.[1]

الإمام موسى الصّدر هو رجل الدّين الّذي أبى أن ينتظر مجيء النّاس إليه، بل ذهب إليهم في حقولهم وقراهم ومعاملهم.

4 - صفاته الخلقية

أول ما يلفتنا في خُلُق الإمام موسى الصّدر، عزوفه عن اتّباع الطّريقة التّقليديّة في خيارات طلبة العلم بشكل عام، والمميّزين منهم بالذّات، وهي التّصدّي لمرجعية التّقليد. أمّا هو، فالأكثر بعدًا عن هذا، حتّى أنّه الأبعد من أن يكون حيث تزاحم الأقدام، «هدفي أن أذهب إلى بلد إسلامي أنكبُّ فيه للعمل هناك».[2]

واللّافت أكثر أنّه اختار مدينة صور، بلدة صغيرة لا تبلغ العشرين ألفًا حينها في بلد صغيرٍ، اسمه لبنان، ولم يكن يزيد عن مليون ونصف نسمة سنة 1960، ومساحة لبنان كلّه، بما اقتطع منه وألحق بفلسطين، لا يتعدى مساحة طهران، فكيف لنا أن نتقبّل أن يكون البلد الّذي لا يوفي نقطة في خريطة الشّرق الأوسط، فضلًا عن خريطة العالم، كيف يتأتّى لمثل هذا البلد أن تكون له قابلية لطموح؟ فمهما ضاقت آفاقه، هنا أيضًا، خطّ عليّ السّير فيه. من دون أن أهمل ما هنالك من حسبان للجذور في جبل عامل، ومن كون المؤسسات الّتي انطلق منها، مما خلفه نسيبه وسلفه، وكونها ذات جذور أيضًا، قد تجذرت تقوّى وتفرّعت ثقافة وجهادًا طوال خمسين عامًا، ولكنّ فاصلًا زمنيًا يمتّد مائة وخمسين سنة، وقد ساعد على الفصل تغيير الكنية. إنّه فاصل زمني ليس بالقليل، وينمّي جذورًا، ثمّ إنّ كبار علماء من العائلة في العراق وإيران، لهم آثار أحياءً كانوا أم أمواتًا، وخلّفوا ذكرًا، والجهاد بعضٌ من الذّكر، ولكن ما خلفه السّيّد عبد الحسين في صور مؤسسات، من يدرك ذاتها تنفتّح أمامه الرّؤى، فكلّ واحدة تلبّي حاجة آنية لمن يقف عند بابها، أمّا من يدخل إلى كنهها فتتفتح أمامه أبوابها، ففي باطنها تتحرّك الحياة، فهل تكون القاعدة الّتي أركزها

---

1 انظر الشهادات الواردة عن الأهل والأصدقاء في كتاب: حسين شرف الدّين، الإمام السّيّد موسى الصّدر: محطات تاريخية، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2002.

2 م. ن.، ص65.

الإمام شرف الدّين هي الدّافع لاختيار صور منطلقًا، لأنّ هذه المؤسسات، في داخلها إمكانات التفعيل كلّها؟ وهي: مسجدان، مدرسة من الرّوضة حتّى نهاية الثّانوية، نادي الإمام الصّادق، جمعية البر والإحسان[1]، خمسون عامًا عملًا، ولكلّ منها مهمّتها الخاصّة. وفي تنسيق المهام، كان الخير الكثير، فكيف به إذا ألحق بها حوزة وميتم، وما أراده السّيّد عبد الحسين شرف الدّين ولم يتحقّق؟ ففي هذا المجموع كامل البنية التّحتية للارتقاء بالأمّة بكاملها.

ما اطّلعنا عليه من مزايا الإمام الصّدر، هو هذا النّفاذ إلى عمق الشّيء وإدراكه. إذ يترك مساحات وميادين أرضية تتزاحم فيها الأقدام، ليختار ميدانًا يملأه حلمًا ورؤية، وما خلّفه عند تغييبه أكثر امتلاءً في ذاته، ويكون استثماره إذا تسنّى له صاحب حلم ورؤية.. وهيهات. وما علينا إلّا أن نتتبع صفاته، فهي جوانب وظواهر ذات قيمة مهمّة في العلاقات البشرية، فالبّر بالوالدين صفة أساسية في الخلق. وخصوصاً أنّ الإمام الصّدر كان يفعل البّر حتّى في أبسط المظاهر، كأن يلزم نفسه أن يقوم إلى حذاء أبيه، عندما يهمّ الوالد بالخروج، فيقدّمه له، أو أنّه في مرض الوالد، يرجو من الوالدة أن يبيت بدلًا منها إلى جانب أبيه، فيبرّ بالأبوين معًا. أو أن يخابر والدته، وهو رئيس المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى، يستأذنها بالسّفر، حتّى لو كان لأداء فريضة الحج.

ولم يكن اهتمامه بزوجته بأقل برًّا من برّه بوالديه، فيقضي واجباته بمختلف صفاته، زوجًا، وأبًا، وفردًا في عائلة، ويكتفي لنفسه من إشعار زوجته بوجودها الكامل فيما هي زوجة وأم وسيّدة بيت وسيّدة مجتمع، في إطار من المحبّة والتّعاون لأقصى الحدود، إذ يشارك بتحميم الأطفال أو يساعد في غسل البيت، ولا يدع أحدًا يقوم عنه بمشاركة زوجته بمتاعبها.

وحين يتوجّه إلى أولاده فيما بينهم من توادٍّ أو شجار، وفيما يحتاجون من مساعدة في درس أو متابعة لعملهم وحياتهم المدرسيّة، أو في اهتمامه بعلاقاتهم مع الزّملاء والرّفاق، أو في توجيههم التّربوي غير المباشر، فهو في هذا يملأ حياتهم العاطفيّة.

هذا في خصوص وصفه بشكل عام. نستعرض فيما يلي بعض الشّهادات فيه من أفراد عائلته ومن سواهم لنستكمل الإطار من جوانبه المتعدّدة.

---

1 **جمعية البرّ والإحسان– صور:** تأسّست سنة 1948 على يد السّيّد عبد الحسين شرف الدّين في مدينة صور، لمكافحة التّخلّف الاجتماعي ومساعدة المعوزين، واستمرّت تؤدّي وظيفتها تحت إشراف الإمام موسى الصّدر، ولا زالت فاعلة لتاريخه.

5 - بعض شهادات المقرَّبين من الإمام[1]

يصف الشّقيق السّيّد علي[2] الطّفولية ورفاق المدرسة، إذ تزدحم الصّفات، يقول: «كنت أرى في شقيقي الصّورة التي أحبّها لنفسي، ولم يكن عندي إمكانية لأكونها». ويقول: »صحيح، آقا موسى، لم يكن ليشاركنا في ألعابنا، ولكنّه لم يكن بعيدًا منها، ويختار ما يناسب هواه»، وحول لعبة (المحيبس) يقول: «إنّ آقا موسى لم يخطىء مرة من كشف حامل المحبس من نظرة سريعة يستعرض فيها وجوه الصّغار». وحكايات السّيّد علي لا تنتهي، وكلُّها تَعِدُ بيومٍ مختلف لآقا موسى. ففيها اندفاع لخدمة، وفيها زهد، وفيها ذوبان بقضايا النّاس، يؤكّدها رضا الوالد.

بعضٌ مما يقوله في خاله ابن شقيقته الكبرى، الدّكتور صادق طباطبائي[3] (رحمه اللّه): «أذكرُ، منذ الطّفولة، أنّ لخالي اهتمامًا خاصًّا بأولاد العائلة، ذكورًا وإناثًا، من دون تمييز، أو بالأحرى كان له اهتمام خاص بأمور البنات». ويسرد الدّكتور صادق الكثير من الرّوايات بما يستدلّ منها أنّ الإمام الصّدر كان يرغب بأن يُحدث في ذهن الصّغار أمورًا تستقرّ، وإن لم تفهم بالعمر الّذي هم فيه، وفي هذا يقول: «ترك في نفسي أثرًا عميقًا.. في الحقيقة دلّني على اتخاذ قاعدة للنّظر إلى الأشياء نظرةً فاحصة بعيدًا من مظاهرها، وإدراك جوانب التّعبير الإنساني فيها، وبالتّالي رفضها أو قبولها، أو استخلاص ما يرضي اللّه في النّهج والسّلوك». ويتابع: «وقد أثّرت الطّريقة الّتي يمرّر فيها تعاليمه في مجمل أنشطتي، كما تسري جرعات الدّواء في الشّرايين والعروق». ويستدرك الدّكتور طباطبائي: «لا أدّعي أنّه كان يخصّني وحدي بمثل هذه الرّعاية، فقد كان يولي أفراد العائلة جميعهم الاحتضان نفسه».

أمّا الدّكتور كاظم الصّدر[4] ابن شقيقه الأكبر (السّيّد رضا) فيقول: «.. وأبرز نقطة في حياتي الشّخصيّة أنّ آمالي ما كانت لتتحقّق إلّا على يد عمي». ويروي الدّكتور كاظم بإسهاب لما كان عليه جيله، وما كان عليه الآباء من خشية على

---

1 إنظر الشّهادات على امتداد الصّفحات التالية: حسين شرف الدين، الإمام السّيّد موسى الصّدر: محطات تاريخية، منشورات. مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، ط2،2002، من ص 34 إلى ص 50.

2 **السّيّد علي الصّدر**، (ولد في العام 1926 وتوفي في العام 2018) هو ثالث أولاد الأسرة، ويكبر الإمام موسى الصّدر بسنتين، اتّجه إلى الأعمال الحرّة.

3 **الدّكتور صادق طباطبائي**، (ولد في قم في العام 1943 وتوفي في ألمانيا في العام 2015) معاون رئيس مجلس الوزراء، ومعاون وزير الدّاخلية، وناطق باسم أول حكومة للثّورة: حكومة الدّكتور مهدي بازركان.

4 **الدّكتور كاظم الصّدر**، أستاذ الاقتصاد الإسلامي في جامعة طهران سابقًا.

الجيل من التّغرّب، وكيف كانت تمارس الخشية بأسلوبٍ متشدّد يؤدّي إلى نتائجَ عكسيّةٍ. وكيف أخذ عمّه الأمر بأسلوبٍ راعى مختلف التّوجّهات، ويتابع بما يميّز عمّه من مراعاته لجوانب العائلة وأمورها كلّها، ثمّ يتشعب بالحديث ليخبر عن أسلوبه الخطابي إذ يقول: «كان يستفيد من نظرات المستمعين، حتّى إذا أنس منهم تجاوبًا أسهب، وفصّل، وإذا لاحظ تساؤلًا، بسّط ووضّح».
يتحدّث السّيّد محمد باقر سلطاني[1] بإسهاب عن الحوزة ونوعيتها وظاهرة تمايز الطّلاب فيها. وما لَفَتَهُ من جيل الإمام الصّدر الّذي حقّق للحوزة نوعية غير معهودة بتاريخها، إذ يظهر من هذا الجيل عشرة من الطّلبة المميزين، بينما كانت الأجيال السّابقة تنتج شخصين على الأكثر أو واحدًا فقط. وكان الإمام الصّدر يهتمّ بالأخذ من المدارس الفكريّة ليغني نفسه بالتّنوّع، ولم يكن ينقطع عن الدّراسة صيفًا.
كان للدّكتور علي أكبر صادقي[2] الحديث الطّويل، نأخذ منه لمحات، لأنّ من حديثهما تكرّر أشباهه، ومن اللّمحات أنّ الإمام الصّدر«تمكّن في وقتٍ قصيرٍ من إبراز اسمه كمحصّل جيّد للعلوم الدّينيّة، وكما كان طالبًا جيّدًا، ومعلّمًا جيّدًا.. إنّه مشوّقٌ في تدريسه، ولافت في تساؤلاته عندما يحضر عند أساتذته، وهو بمجرد أن يتعلّم مطلبًا يمتلك القدرة على تدريسه فورًا... إنّه صنع من نفسه شخصيّة علمية بأسرع من المتوقّع». ويتابع الدّكتور صادقي: «كانت لحياته أبعاد مختلفة، وقد ساعدت أخلاقه الدّمثة على تطوّره ونموّه بشكل جيّد... يتمتع بدينامية قوية واندفاع للعمل، وانفتاح على حركة المجتمع.. كان سلوكه يعبّر عن ذاته، وبالوقت نفسه عن بيته الّذي أنشأه وعن التّراكم التّراثي عنده». وقد نوّه سماحته بالاهتمام المبكر للأمور السّياسيّة، في الوقت الذي كان يحرم في قم اقتناء الرّاديو.وبشعور من يخفّف عن نفسه آثار جريمة التّغييب، يطنب بذكر الصّفات، ومنها القدرة التّنظيمية العالية، إذ يقدر تغيير معالم مكان ما، بدقّة، وكذلك تنظيم الأفراد والأحوال العامة، ثمّ أخيرًا يحدّثنا عن مروحة الصّداقات، وتنظيم شكل العلاقة مع المجموعات، بأنّ هنالك مَنْ هم لترقية الذّوق الفّني والشّعري والأدبي، فهناك جماعة للتّباحث العلمي، وأخرى للشّؤون العامة، وأنّ هناك مجموعة خاصّة، وهي أقرب إلى العائليّة، تطرح

---

1 **آية اللّه السّيّد محمد باقر سلطاني طباطبائي**، أول صهر في الأسرة، وهو من أساتذة الحوزة المميَّزين.

2 **الدّكتور علي أكبر صادقي**، أستاذ جامعي، الصّهر الثالث، ورفيق طفولة وزميل دراسةٍ للإمام الصّدر.

فيها الخصوصيات، ومن سعة المروحة يعطينا صورة أنّه لو أراد، أن يزور بلدًا، ويرضي كلّ صديق بيوم ضيافة لانتهت السَّنة من دون أن يلبّي كامل الطّلبات.
تحدّث الشيخ علي حجتي كرماني[1] أيضًا حول فكر الإمام السّيّد موسى الصّدر وأثره في جيل إيران الشّاب، ويلمس هذا من الإقبال على الدّراسات والأبحاث الّتي يلقيها الإمام الصّدر في منتديات لبنان، ويترجمها هو إلى الفارسية، فتتكرّر طبعاتها، ومنها مثلًا "الإسلام وثقافة القرن العشرين"، وسواها من الأبحاث. وله أسرّ الإمام الصّدر بالقول: «هدفي أن أذهب إلى بلدٍ إسلاميٍّ أنكبّ فيه على العمل هناك». وقد حدّثنا رحمه اللّه كثيرًا عن استجابة الجيل الإيراني الجديد لآراء الإمام الصّدر وأفكاره.
آية اللّه السّيّد عبد الكريم أردبيلي[2]، وهو أحد زملاء الدّراسة منذ 1943، نأخذ من حديثه عن الإمام الصّدر، إذ يقول: «إنّه مصلح، فأينما وُجِدَ، وُجِدَ إصلاح الأمور ومَلءُ الثّغرات، ما كان مهمًّا لديه حجم العمل، بل ما يهمّه أن يوفرّ الإصلاح. كان رجلًا مسؤولًا، إن كان كلامه لله أو للنّاس أو للقانون، إنّه مسؤول ويدرك ما عليه فعله. كان أمّة، ولم يكن واحدًا، له في قلب الجميع احترام. نواة الثّورة شكّلها الإمام الخميني، ولم يكن يتجاوز مَنْ حوله العشرون شخصًا، هم أصل الأساس وحجره، وكان الإمام الصّدر في الصّفّ الأوّل، كان له اتصال بالقوى الوطنية، ولم يكن منهم، كان يسعى إلى الاستفادة الفكريّة منهم».
لقد أجمع عارفو الإمام الصّدر على صفاتٍ عامّةٍ له، ومع ذلك تخرُج من عند كلّ واحد بصفةٍ ليست عند سواه. فالشّيخ مكارم شيرازي[3] يقول: «إنّ مَن يتوجّه إلى الدّراسات الحديثة يبتعد ذهنيًّا عمّا في الدّراسة الحوزوية، ولكن الإمام الصّدر لم يفقد شيئًا من حيوية العلوم الحوزوية، حتّى إنّه كان يدخل في عمق الإشكالات النّظرية، وله من هذا نقاش مع آية اللّه الشّيخ محمّد كاظم شيرازي، وكنّا لا نزال في العشرين من عمرنا، يوم زرناه وأبدى ملاحظة على تعليقٍ للمرحوم الآخوند الخراساني حول الاستصحاب، فدار نقاش طويل، وافق

---

1 **الشيخ علي حجتي كرماني** هو من العلماء المجاهدين الّذين ذاقوا عذابات سجون الشّاه ومراراتها، متزوّج من ابنة السّيّد رضا (الأخ الأكبر للإمام).

2 **آية اللّه العظمى السّيّد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي** (1926 - 2016) استقلّ بالبحث والتّدريس والإفادة والتّحقيق ومازال يواصل جهاده العلمي. عمل بعد انتصار الثّورة الإسلامية، ولمُدَّة أحد عشر عامًا، على كتابة القوانين الجزائية والمدنية للمحاكم وفقًا للشّريعة الإسلامية والفقه الإسلامي. له مؤلفات نفيسة في الاقتصاد وفقه المعاملات.

3 **الشّيخ ناصر مكارم شيرازي** (ولد في شيراز في العام 1927 –أطال اللّه عمره-) كان له دور فعّال في قيام الثّورة الاسلامية في ايران، أوكلت إليه رئاسة القضاء الأعلى بعد السّيّد بهشتي.

فيه آية اللّه شيرازي أخيرًا على صوابية ملاحظة الإمام الصّدر».

أمّا الدّكتور إبراهيم اليزدي[1] فيتذكّر الأيام الأولى لالتحاق الإمام الصّدر في الجامعة، إذ خرج الإسلاميون فيها من عزلتهم القسرية لسيطرة الشّيوعيين، فكان تحرُّك الإمام الصّدر النّشط أكثر قوَّة من أن يواجهه الشّيوعيون.. ثمّ ينتقل في الحديث عن الإمام الصّدر في لبنان، لينهي كلامه: «الإمام الصّدر لم يكن شخصًا، بل كان عقيدة وفكرًا.. طريقه كان طريق سلام واضح».

وننهي الفترة الإيرانية عند السّيّد جمال الدّين رؤوف ملايري[2]، إذ يتحدّث عن رفقته مع الإمام الصّدر، في صيفِ إحدى السّنوات، إذ كانت عائلة السّيّد الصّدر تصطاف في مصيف قرب قم، وكيف كان الإمام الصّدر يداوم على الدّرس صيفًا وشتاءً، وعندما ينتهي، وتحين العودة إلى قم، كان يتجوّل على أصدقائه الأطباء، ليجمع الدّواء اللّازم لحالات نقص الماء في الجسم، ويعود إلى المصيف حيث ينتظره صغار القرية، فيعطيهم العلاج بنفسه. وينقل قصّة أخرى، حدثت في النّجف، يومَ تعرَّضَ أحدُ خطباء المنبر الحسيني لفتوى تكفيرٍ لاتجاهه الفلسفي، فما كان من الإمام الصّدر إلّا أن قام في الحوزة يحرّكها ضد هذه الفتوى، إلى أن دعا المرجع الأعلى هذا الخطيب ليعلو المنبر، وأعاد للخطيب كرامته، فهدأت الأمور.

ونفهم من السّيّد محمد باقر الحكيم[3] (شهيد المحراب) باعث الفتوى والرّد عليها، وهو أنّ منهجًا عقليًّا فلسفيًّا عرفانيًّا منطقيًّا قائمٌ في الوسط العلمي، وهناك اتجاه يهمّش هذا الجانب في الحركة العلميّة، ويعتمد النّصوص وحدها. وفي هذا المناخ يقول السّيّد محمد باقر الحكيم: «هنا كان دورُ الإمام الصّدر المهم في محاولة إصلاح هذا الأمر، إذ قام بحملة واسعة مع المراجع والعلماء، تحدّث إليهم بشأن هذا الخطيب، ما دعا الإمام الحكيم، رضوان اللّه عليه، لدعوة هذا الخطيب إلى منبرٍ عامٍّ فأصلح الأمر، وبالتّالي إصلاح النّظرة تجاه القضية الفلسفيّة والقضية العرفانيّة». وعن هجرة الإمام الصّدر إلى لبنان، فيراها

---

1 **الدّكتور إبراهيم اليزدي** (1931-2017): هو صيدلي، وسياسي، ودبلوماسي إيراني. شغل منصب الوزير الأول فمنصب وزير الخارجية في الحكومة المؤقتة في العام 1979، في حكومة الدّكتور مهدي بازركان. ترأس بين عامي 1995 و2017 حركة حريّة إيران، وتولّى رئاسة حزب "نهضت آزادي".

2 **السّيّد جمال الدّين رؤوف ملايري** (1930-2003) من علماء مشهد، هو صديق الإمام موسى الصّدر.

3 **السّيّد محمد باقر الحكيم**: (ولد في النّجف في العام 1939 واستشهد فيها في العام 2003) ابن آية اللّه العظمى السّيّد محسن الحكيم، تولّى رئاسة المجلس الأعلى للثّورة الإسلامية في العراق، وكان يقودها من إيران، عاد إلى العراق سنة 2003 بعد سقوط نظام صدام حسين ليدير العمل مع المجاهدين، استشهد بانفجار في مدخل حرم الإمام علي(ع)، أطلق عليه لقب (شهيد المحراب).

السّيّد الحكيم أنّها «كانت ضمن رؤية عامة وشاملة إلى إيجاد حركة إصلاحية واسعة في العالم الإسلامي».
يتحدّث الشّيخ محمد مهدي شمس الدّين، عن معرفته بالإمام الصّدر في النّجف: «كان قد أنهى دراسته الأصولية والفقهية، وما يتصل بها في قم، جاء إلى النّجف، لأنّ التّخُّرج من النّجف له نكهة خاصة، إنَّه لا بدَّ من النّجف للخروج إلى الحياة العامة، وكان في اعتقاده أنّه جاء إلى النّجف لهذا الأمر».
ويتحدّث السّيّد محمّد حسين فضل اللّه[1] عن العمل في مجلة "مكتب إسلام"، فيرى أنّه: «كان يمثّل نقلة نوعية تدلّ على لون من ألوان الانفتاح على العناوين الجديدة الفكرية الّتي تتجاوز الواقع التّقليدي الّذي كانت تعيش في كهوفٍ مغلقةٍ... بينما كان الإمام الصّدر يعيش عمق الحركة الإسلامية تفاعلًا وتجاوبًا وإيمانًا». وبالنّسبة إلى مجيئه إلى لبنان: «كنت أتصوّر أنّه كان يفكّر بمرجعية، بل كان يفكّر بحسبان أنّ المرجعية كانت تمثّل في إطارها، في ذلك الوقت إطارًا لا يتّسع إلى طموحاته، يتحّول إلى رجل يجلس في بيته، يفكّر ويفتي النّاس، ويرخّص لهم الحقوق الشّرعيّة، وليس أمامه إلّا أن ينفتح وينطلق. لبنان، كان البلد الوحيد الّذي كان ممكنًا أن يتحّرك فيه وأن ينطلق وينمو ويتوسّع».
شهادات تدفعنا إلى متابعتها، ونتبيّن مصداقيتها من خلال نشاطه العملي، وإذ هو أوسع مما قيل، وأحيانًا نقف على قصور في فهمه، إذ ننظر إليه بأنّه مجرد عالم ديني مصلح، متوسّلًا المنابر، بينما نجد أنّ هذا الأسلوب كان ليفرغ كلّ ما يريد قوله، وبالوقت نفسه، يأخذ النّاس إلى الأغراض الّتي طرحها، يستنهضهم، ثمّ يسير معهم، قائدًا رياديًّا، وليس مرشدًا واعظًا مبشّرًا، وإنّما يرمي إلى بناء إنسان جديد، بما هو غرض الرّسالات الإلهية، لإعمار الأرض، وكشف أسرار الكون، وبالتّالي التّطور في الحياة.
ولبلوغ أغراض التّطور، نرى أنّه يطرح مشروعًا من خلال التّوعية العامة، وليس تبشيرًا بالجنّة، وتزهيدًا بالحياة، بل دعوة لعيشها بشرطها وشروطها، على قاعدة الإيمان باللّه ورسله واليوم الآخر، عاملًا بمقتضيات هذا الإيمان من خلال علاقات صادقة مع اللّه سبحانه، وما جاءت بها الرّسالات، من خلال علاقة

---

1 **السّيّد محمد حسين فضل اللّه:** ولد في النجف في العام 1936 وتوفي في بيروت في العام 2010. كان مرجعَ تقليد بارز وكان مجدّدًا في لبنان وفي البلدان العربية وفي المهاجر. أنشطته متنوعة وفاعلة في مجالات واسعة، منها: التّأليف، والنّدوات والمحاضرات، وإقامة مؤسسات اجتماعية ذات وجوه ثقافيّة وتربويّة وعلميّة وخيريّة وصحيّة متعددة، له العشرات من المؤلّفات في موضوعات إسلامية معاصرة. كما كان شاعرًا وأديبًا.

الإنسان بأخيه الإنسان، وبعلاقة مع مختلف الموجودات الأرضيّة والكونيّة، وبناء مجتمعات متعاونة، متكافئة بلوغًا للتّكامل فيما بين البشر، بطبيعة وحدوية تجمع ما بين الأرض والسّماء.

أستطيع أن أضع عناوين أولية موجزة لمشروعه ورؤيته لبناء الإنسان، وهي: توعية الإنسان لوجوده، وقيمة هذا الوجود الّتي لا تكون خارج الإيمان بالغيب وبالخالق، الخالق للإنسان والكون، وهذا الإيمان والارتباط بالخالق، يحقّقان الطّمأنينة والاستقرار النّفسيين، وبالتّالي، التّوجّه بعقلٍ منفتحٍ للحياة الحرّة الكريمة ومتطلباتها. ومن الإيمان باللّه واتّباع أوامره، وحده، من دون سواه من آلهة الأرض (لا إلَه إلا اللّه). وبهذا يتمتع الإنسان بالقرار الحرّ الصّادر عن إرادةٍ حرّةٍ.

الوجود البشري، وبحركيّة قوى الطّبيعة المسخَّرات لأمره، يقتضي ارتباطًا أرضيًّا للفرد بجماعات بشرية، ذات كفاءات وقدرات تلتقي ضمن خطّ واحد، يتطلّع إلى الارتقاء بما هو صالح الجماعة، ما يفرض عليها صيانة الأفراد. كما يقتضي من الفرد والمجتمع السّير بما ينسجم مع حركة الكون انتظامًا ودقّة، وهو المعبَّر عنه بالعدل الّذي هو صورة العدل الإلهي. ولسلامة العلاقات المتشعبة بين الفرد والجماعات والكون، كان تبادل الآراء والخبرات والحوارات بين الجماعات البشرية المتعدّدةِ العقائدِ الدّينيّة والاجتماعيّة، ينتج عملًا موحّدًا لبناء مؤسسات ووضع قواعد تنظيم العلاقات الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، ومن خلال العمل المتكامل بلوغًا إلى الإنسان الكامل (الخليفة لله في الأرض)، تتمّ غايات الخلق والإيجاد.

سيرًا على هذا الدرب كان يتّجه فكر الإمام السّيّد موسى الصّدر.

هذا عرض عام، تستعصي تفاصيله على تذكّر الرّواة. وبقي طالما نحن في جدلية النّظرية والممارسة، أن ننوّه في الفقرة اللّاحقة بالمواقف الّتي تؤكّد تأصُّل قناعاته وثباتها.

ثالثاً: الأخلاقيات في ممارسة الإمام الصّدر لعمله الإصلاحي

1 - قوّة الموقف

للإمام الصّدر العديد من المواقف المشهودة والّتي هي مضرب مثل، أو مبعث

حنين وتحسّر بعد أن افتقدته السّاحة اللّبنانية. لقد تحوّل معه مسجد الصّفا في بيروت إلى ساحةِ جهادٍ وصرخةِ رفضٍ للتّقاتل الأهلي، وتحوّل مكان الاعتصام إلى قبلة استقطاب هرع إليها الآلاف من المسؤولين والرّوحانيين والمواطنين. ولم يفكّ اعتصامه إلا عند رَفْع الحصار عن قريتَي القاع ودير الأحمر في البقاع.
وفي مغالبة العادات القبلية، من المعروف أنّ الأخذ بالثّأر والخصومات الدّامية تسود لدى بعض العشائر في منطقتَي بعلبك - الهرمل في لبنان، ما يشوّه صورة المنطقة وينعكس قلقًا وتخلّفًا. كما ينشىء وضعًا صعبًا للدّولة، وتقع أجهزتها الأمنية أحيانًا طرفًا في الصّراع. كان سماحته يبادر إلى عملية الصّلح متوسّلًا التقاليد كلها والأنظمة القبلية في إيقاع الصّلح من جهة، وتوقيع تعهُّد من الزّعماء المحليين في منطقة التّقاتل. أمّا إذا صارت الدّولة طرفًا فيتدخّل أيضًا لحفظ هيبة الدّولة واحترام القانون العام، مع حَثِّ الدّولة على إنشاء بُنًى تحتية تحوّل الحياة القبلية إلى عيشٍ مدنيّ سليمٍ.

2 - أهداف الإمام الصّدر

كان الإمام الصّدر يحمل أهدافًا تغييرية عبر المنهج الإسلامي بمضمونه الأخلاقيّ والدّينيّ العميق، وقام بمقاربات دينية للمسائل السّياسيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة والتّنمويّة. وكان هذا المسعى التّجديدي فريدًا في منطقةٍ تحتدم بالمصالح والتّجاذبات المحليّة والإقليميّة والدّوليّة، وتزخر بالاعتبارات والرّهانات الجيوسياسية أو الجيودينية الّتي حكمت نوعية المواقف والتّحركات والتّحالفات في الفترة الّتي عايشها.[1]

3 - إحياء الثّقافة الدّينيّة

من بين عناصر رؤيته الّتي شكّلت أحد أكثر اهتماماته بروزًا، مسألة إحياء الثّقافة الدّينيّة بحسبانها منشأً للآثار التّربويّة والاجتماعيّة، وعاملًا مسبّبًا للحركة والتّغيير. وبمعزل عن إشكالية العلاقة بين الدّين والسّياسة فإنّ إمامة الصّدر الدّينيّة هزَّت سكون الواقع الدّينيّ وجمود المعتقدات والقيم والتّقاليد الدّينيّة في طابعها الغالب آنذاك.[2]

---

1 صادق النّابلسي، موسى الصّدر: مسار التّحديات والتّحولات، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي بالتّعاون مع جامعة المصطفى العالمية، بيروت، الطّبعة الأولى، 2013، ص 9.

2 م.ن.، ص 12.

حاول الإمام الصّدر تقديم خطابٍ جديدٍ على المستويات السّياسيّة والاجتماعيّة والوطنيّة والدّينيّة والإنسانيّة، وسعى إلى إيجاد الحلول المناسبة على أساسٍ من الدّين والفلسفة والأخلاق.[1]

وفي سياقٍ احتجاجيٍّ متّصل يلقي الصّدر باللّائمة على أولئك الّذين لا يرون في الإسلام فلسفة تنطلق من اهتمامات المجتمع، فيتّجهون باتّجاه فلسفاتٍ أخرى لا تقيم كبيرَ اعتبارٍ للمعنويات الإنسانيّة. إذ يشير في هذه المسألة إلى اهتمام الإسلام بالنّظام الاجتماعيّ (الإدارة المدنيّة)، والأخلاقي. بمعنى البحث في كيفية الحياة، وكيف ينبغي أن تكون، وكيف ينبغي أن يتصرّف الإنسان للوصول إلى حياةٍ سعيدةٍ هانئةٍ[2] فيقول: «فما رأيكم بالّذي يقول اليوم: إنّ سبب تراكضنا نحو الفلسفات والتّيارات المتعدّدة هو انعدام وجود فلسفة متطورة تكون نابعة من فلسفة المجتمع؟ فشبابنا وغير شبابنا، بل مجتمعنا اليوم، وجميعنا بالفعل، يفقد الفلسفة أو العقيدة أو المبدأ الّذي ينسّق له النشاطات الإسلامية في مختلف الجوانب. وبالتّالي، يشعر بالفراغ العقيدي فيركض ... نحو اتّباع الفلسفات من هنا وهناك ... فلكي لا نشعر بالفراغ علينا أن نرسم صورة واضحة عن فلسفة الإسلام».[3]

4 - مشاركة الطّائفة الشّيعية في بناء الدّولة

سعى الإمام الصّدر إلى أن تكون طائفته شريكًا سويًّا مع بقية الطّوائف في ظلّ دولة عادلة للبنانيين جميعهم، وعمل على استعادة الارتباط بالأمّة من خلال أكثر العلائق قوّةً الّتي تجمع أبناءها في وحدتهم وتاريخهم وهويّتهم الحضاريّة، وعلى تأسيس موقعٍ لشيعة لبنان، يتصل ويتفاعل مع المجالين العراقي والإيراني، لما لهذين المجالين من رمزية وخصوصية في وجدان الشّيعة عمومًا، وراح يضع مفاهيم جديدة في سياق مشروعٍ يستند إلى الفكر الإسلاميّ في تطوير مناهج الإصلاح السّياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ وآلياته، وفي حلّ النّزاعات الطّائفيّة الّتي شكّلت عاملًا من عوامل تفجّر الحرب الأهلية اللّبنانية.

---

1 م.ن.، ص 17.

2 م.ن.، ص 176.

3 م.ن.، ص 176-177.

ونختـم المبحـث الثّانـي الّـذي يُجلـي أهمّيـة الإيمـان باللّـه فـي بنـاء المجتمعـات الإنسـانيّة الحضاريّة، بعبارات للإمام موسى الصّدر يرصد فيها - في المقابل - أنّ التنكُّـر للـه، لا إنـكاره، أثمـر الحضـارة الماديـة، يقـول:

«إنّ الانفلات، ظاهرة هذا العصر وثمرة هذه الحضارة، ... بدأت الحضارة الغربية في أعقاب أيام اسكولاستيك، وبعد انتهاء القرون الوسطى. بدأت على أساس عدم الاعتراف بتأثير ما وراء الطّبيعة في الحياة الإنسانيّة، ووضعت أسس الحضارة مع التّنكّر لله لا مع إنكاره، ومع عزله عن التّأثير بعد الاعتراف بوجوده، وبالمصطلح القرآني قال: (يد اللّه مغلولة) [المائدة، 64].
بدأت الحضارة تنمو من دون أن تكون لها قاعدة وإطار أخلاقيّ معنوي، وهذه الصّفة جعلتها تتغذّى من التّنافس الحر ومن الطّموح البشري، جعلتها تتحرّك من دون لجام كالفرس الشّارد ولذلك، بدأت دواليب الحضارة تتحرّك في كلّ جهة بصورةٍ مرعبةٍ، وبتعبير أكثر دقة بصورةٍ غير منسجمة مع مختلف الجوانب الوجوديّة للإنسان.
فالمال كان هدفًا للإنسان، ولكنّه في إطار الحضارة المادية بدأ يطغى فوجدت الرّأسمالية، والرّغبة في تحصيله بأيّ سبب، وبأيّ صورة، وبأيّ حدّ من دون قيد أو شرط فجاء الاستثمار والاحتكار والطّغيان والاستعمار وكسب الأسواق والحروب وغيرها وحبّ الذّات كان يحرّك الإنسان دائمًا ولكنّه في ظلال الحضارة [الماديّة] تحوّل إلى الأنانيات الضّيقة والواسعة، فجاءت محنة التّمييز العنصري واحتقار الشّعوب والنّازية والكراهيات والصّراع بين الطّبقات والفئات، وجاءت الانفجارات الاجتماعيّة والثّورات وما نتجت عنه».[1]

1 **صادق النّابلسي**، موسى الصّدر: مسار التّحديات والتّحولات، م. م.، ص 14.1



الفصل الثاني

مدخل إلى فلســـفة
الإمام موسى الصّدر العمليّة

المبحث الأول
التكوين الفلسفي للإمام الصّدر

المبحث الثّاني
المنطلقات المعرفية والمرتكزات الفكريّة
لفلسفة الصّدر العمليّة



الإمام الصدر يرعى حفل تخريج 97 ممرضًا وممرضة
(25 تموز 1977)



الحاجة إلى المبـــادئ العميـــقة

يعتقد الإمام الصّدر أننا بحاجة إلى جذورٍ عميقة ومبادئ رصينة، وهي الّتي تسمّى بـ"العقائد" للانطلاق بمشروعٍ إسلاميٍّ، لأنّه إذا لم ننطلق في نظمنا الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة من مبدأ عقائدي تصير نظمنا غير منسجمة مع نفسها. وفي أيِّ موقف يتحكّم فيها الموقف، وليس المبدأ. حينما يكون هناك مبدأ عقائدي، تنطلق التّحركات في المواقف جميعها من مبدأ واحد، فعند ذلك تصير التّحركات جميعها منسجمة فيما بينها، وبالتّالي تساعد الإنسان على التّطور. أمّا إذا كان هناك أي حزب، أو تنظيم اجتماعيّ أو نظام رسميّ حكومي في العالم، فإذا لم يكن له مبدأ فهو يتخبّط، يتناقض، تتعارض تحركاته بعضها مع بعض، يتولّد في داخله تناقضات، وبالتّالي، ينهار. فكما أنّ الفلسفة انعكاس لتطوّر المجتمع، أيضًا هي سبب لتطوير المجتمع. أي أنّ هناك تفاعلًا بين الفلسفة وبين تطوير المجتمع.[1]

يرى الإمام الصّدر بأنّ فلسفة المسلمين لها مواقف ثابتة وواضحة في القضايا جميعها. ولا تعتمد على آراء اليونان، إلّا بمقدار ما يعتمد، كلّ شيء على أصله، ولو كان الأصل نقطة وقطرة أمام البحر. فمن الظّلم أن نقول: إنَّ المسلمين

---

1 **يعقوب ضاهر**، مسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، (موسوعة 12 مجلدًا)، المجلد الثّاني، (يوميات ووثائق من العام 1969 إلى العام 1970)، دار بلال، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2014 م، ص 507.

لم يكن لهم فلسفة. فحتّى وإن استفاد المسلمون من فلسفة اليونان، لكن حصل تحوّل كبير حتّى تكونّت فلسفة ابن رشد، وفلسفة ابن سينا وفلسفة صدر الدّين الشّيرازي.[1]

يعتقد الإمام الصّدر بأنّ فلسفة الإسلام لا تعني فلسفة المسلمين الفلاسفة فقط، بل الإسلام كدين يهتمّ بالتّنظيم الاجتماعيّ، والتّنظيم السّياسيّ، والتّنظيم الاقتصاديّ الخ.... وهي تختلف عن مفهوم الفلسفة عند الفلاسفة، لأنّها تعني عندهم معرفة الحقائق، وهي نتاج إنسانيّ. لكنّ الفلسفة في الإسلام ليست إنتاجًا إنسانيًّا، وإنّما هي عقائد أو تفسيرات أو مبادئ إلهية. يعني الإسلام يبدأ بالقول: إنّه عليك أن تؤمن باللّه الواحد الأحد، وأن تؤمن بالموت والحياة، وأن تؤمن بنبوّة الأنبياء. يعطي مبادئ يمكن تسميتها فلسفيّة؛ أي يبيّن ما هي رؤية الإسلام عن اللّه؟ ما رؤية الإسلام عن الكون؟ ما رؤية الإسلام عن الموت والحياة؟ ما رؤية الإسلام عن العمل؟ كيف يفهم الإسلام الفرد؟ وكيف تفهم الجماعة؟ هذه المبادئ جذورُ التّعاليم الإسلاميّة ومنابعها. للإسلام فلسفة خاصة بهذا المعنى. يعني هناك مبادئ عقائدية تعتمد عليها مفاهيم الإسلام في مختلف الحقول، معروضة للإنسان المسلم كمبادئ عقائدية حتّى في تحرُّكه العالمي، لا يكون متخبّطًا ومتناقضًا.

بناءً على هذا، يرى الإمام الصّدر لأجل أن لا نشعر بالفراغ، علينا أن نرسم صورة واضحة عن فلسفة الإسلام، وليس فلسفة المسلمين. لأنّ فلسفة المسلمين، وحتّى كلامهم الخاص بهم، لا يحلّ المشكلة، إنّما علينا أن نعتمد فلسفة الإسلام بالذّات؛ أي ما يقترحه الإسلام لكي يكون جذرًا عقائديًّا في حياة المسلم.[2]

وفاقًا لمنهج الإمام الصّدر، من يريد أن ينطلق بمشروع إسلاميّ ناجح يجب أن يتمتع بمبادئ معمَّقة، لأنّ أساس التّغيير للواقع هو الفكرة، وهذه الفكرة (الفلسفة) يجب أن تكون تابعة للإسلام.

نظرًا إلى كون بحثنا في هذا الفصل فلسفيًّا، ونريد أن نبيِّن فلسفة الإمام الصّدر العملية، لابدّ من أن نتطرق إلى التّكوين الفلسفي للإمام الصّدر، وإلى معالم المدرسة الفلسفيّة الّتي ينتمي إليها كي يتّضح موقع الفلسفة العمليّة للإمام الصّدر من المنظومة الفلسفيّة الإسلاميّة.

---

1 م. ن.، ص 508.

2 **يعقوب ضاهر،** مسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، المجلد الثّاني، ص 509.

المبحث الأول
التّكوين الفلسفي للإمام الصّدر

درس الإمام الصّدر الفلسفة عند العلَّامة السّيّد محمد حسين الطّباطبائي[1]، كما أشار هو لذلك[2]. ولهذا، ينتمي إلى الحلقة الفكرية الّتي أسّسها السّيّد الطّباطبائي صاحب تفسير الميزان، وداخل هذه الحلقة وفي إطارها اكتسب الصّدر تكويناته وتعاليمه الفلسفيّة التي تعود في أصولها وجذورها إلى مدرسة صدر المتألهين.[3]
وقد تأثّر الصّدر بشدَّة بالأفكار والطّروحات الّتي قدمّها أستاذه، وما صاغه من اتّجاه فلسفيّ جديد يميل نحو إيجاد التّوازن بين الجوانب العقليّة والرّوحانيّة، وتثبيت ما سار عليه مؤسّس الحكمة المتعالية الملّا صدرا من جمع بين فلسفة المشّائين وحكمة الإشراقيين والعرفاء.[4]
كان الصّدر إلى جانب بعض زملائه، والمنتمين إلى الفكر الإصلاحي المتواصل مع النّتاجات الفكرية العالمية، يتحرّق رغبة لتغيير البناءات الفلسفية تلك الّتي أوجدت حالة شرخ وتمزّق داخل الإنسان، وأقلقته حتّى أصابت حياته باليأس والألم.[5]
كان الصّدر من الّذين أدّوا دورًا مهمًا في بلورة الاتجاهات الحديثة والمعاصرة وصياغتها في الفكر الدّيني، وفي انبعاث النّهضة الدّينيّة داخل الجامعات

---

1 **السّيّد محمّد حسين الطّباطبائي** المعروف بالعلاّمة الطّباطبائي (1892 – 1981). من أكثر فلاسفة الشّيعة وعرفاءهم ومفكريهم بروزًا في القرن العشرين. اشتهر بتفسيره المعروف بالميزان في تفسير القرآن. له أيضًا مؤلّفات عديدة في الفلسفة. تخرّج من حلقة دروس الطّباطبائي الكثير من الأعلام البارزين. وقد أدّت مناظراته مع الفيلسوف والمستشرق المتخصّص بالشّأن الشّيعي الفرنسي هنري كوربان دورًا مهمًّا في إيصال صورة التّشيّع إلى المجتمع الأوروبي.

2 **موسى الصّدر،** أبجدية الحوار، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الثانية، 2007، ص 79.

3 **زكي الميلاد،** "السّيّد موسى الصّدر والمشروع الإصلاحي"، مجلة الكلمة، العدد 48، السّنة الثّانية عشرة، منتدى الكلمة للدّراسات والأبحاث، 2005، ص ص 15-14.. وصدر المتألهين: هو ملّا صدرا محمّد بن إبراهيم القوامي الشّيرازي (1572 – 1640). جمع بين فرعي المعرفة النّظري والعملي. يُنسب إليه نهج الجمع بين الفلسفة والعرفان والّذي يسمّى بالحكمة المتعالية. كان طرحه متطوّرًا جدًّا، وفاق حدود عصره، ما صعّب على معاصريه أن يقبلوه، فلاقى منهم صنوف المضايقات بسبب ذلك، فكُفِّر ورُمي بأبشع التّهم حتّى طُرد من بلدته، فما كان منه إلّا أن هجر القوم إلى القرى النّائية منقطعًا إلى الرّياضة الرّوحية حتّى تجلّت له العلوم الباطنية؛ فعاد على البشرية بحكمته المتعالية.

4 **صادق النّابلسي،** موسى الصّدر: مسار التّحديّات والتّحوّلات، م. م.، ص 172.

5 م. ن.، ص ص 172 - 173.

الإيرانية والتي عزّزت أيضًا من موقعه كمفكّر ديني. ذلك أنّ دراسته الجامعية أتاحت له فرصة الاطّلاع على الفلسفة الغربيّة والتّعرّف عليها.[1]

وقد شكّلت موضوعات الدّين واللّيبرالية وحقوق الإنسان والعلمانيّة والماركسية أكثر الإشكاليات الاجتماعيّة والاقتصاديّة أهمّية على ساحة الجدل الفكري والسّياسي الإيراني في منتصف القرن الماضي. فكان المشهد الإيراني آنذاك يصطخب بالتّطورات والتّفاعلات الفكريّة والسّياسيّة والخطابات الإيديولوجية. وقد تنافست حركات وتيارات وأحزاب ماركسية وإسلامية وقومية وليبرالية وتصارعت في سبيل الاستحواذ على ساحة النّفوذ الثّقافي والسّياسيّ.[2]

لهذا نهض الصّدر مع عدد من زملائه، أمثال السّيّد بهشتي وآذري قمي ومكارم شيرازي بمشروع إصلاح المناهج الحوزوية، وشارك في تأسيس مجلات إسلامية من قبيل مكتب إسلام ومكتب تشيّع.[3]

وبعد أنّ درس الفلسفة وسبر أغوارها واتجاهاتها المتعدّدة عند اليونانيين القدماء، وعند الإسلاميين، والغربيين المحدثين، سعى بعد طول تأمّل ودراسة إلى إنزال المفاهيم العقلية إلى مستوى التّناول، وجعلها تعيش داخل الحاجات الرّاهنة للإنسان المعاصر الّذي فقد السّكينة والطّمأنينة. وكانت غاية الصّدر في ذلك الاقتراب من الانشغالات الحقيقيّة والواقعيّة للإنسان، المادّية منها، والمعنوية، وإثارة اهتمامه من طريق إدخال تساؤلات تشتمل على شتّى أنواع الفضول العلميّ والاجتماعيّ والأخلاقيّ. فلم يعد مقبولًا حصر الفكر الإسلامي في أبعاده النّظرية، وكأنّ لا صلاحية ولا موضوعية له في الواقع الاجتماعيّ. مع أنّ الإنسان خُلِق اجتماعيًّا، وله نوعان من الأهداف في الحياة. الأول: الأعمال الّتي توصله إلى مصالحه وكمالاته الذّاتية، والثّاني: الأعمال الّتي تكون نتيجتها نفع الآخرين.[4]

ثمّ عاد الصّدر إلى موطن الآباء ليتّخذ من لبنان ساحةً لاختبار رؤاه وتصوّراته، وميدانًا لتحقيق ما كان يصبو إليه من طموحات.

---

1 زكي الميلاد، "السّيّد موسى الصّدر والمشروع الإصلاحي"، م. م.، ص 14.

2 صادق النّابلسي، موسى الصّدر: مسار التّحدّيات والتّحولات، م. م.، ص 173.

3 م.ن، ص 43.

4 حسين شرف الدين، الإمام السّيّد موسى الصّدر: محطات تاريخية، م. م.، ص 78-77

أولًا: معالم المدرسة الفلسفيّة الّتي ينتمي إليها الإمام الصّدر

لا ينبغي الشّك بأن البحث حول فلسفة الإمام الصّدر العملية يقودنا إلى الإحاطة المعرفيّة بمعطيات المدرسة الفلسفيّة الّتي ينتمي إليها. إذ إنّ الصّياغات والقراءات الّتي قدَّمها الصّدر في ميدان حركته الواسعة ـ معرفيًّا وعمليًّا ـ هي في جوهرها تمثّل البناءات العلوية الّتي استندت إلى أسس تلك المدرسة ومعطياتها. وهذا لا يعني بالضّرورة أنّ تلك المعطيات هي رأس المال الوحيد الّذي تحرّك من خلاله الإمام الصّدر في قراءته للإنسان والكون والتّاريخ والفعل الإلهي في الوجود، بل كان لإبداعاته واجتهاداته الخاصة وصياغاتها المبتكرة مساحة واسعة أعطت لتلك الأسس الفلسفيّة روحًا أخرى وصبغة جديدة، نقلتها من سياقاتها النّظرية المجرّدة إلى واقع حي متحّرك، رسم بخطواته صورة الحياة الّتي يؤكّد الإمام الصّدر أنّ الإنسان هو سيّدها.[1]

استنادًا إلى ذلك، فلا يمكن من النّاحية العلميّة والمنهجيّة أن نخوض في فلسفة الإمام الصّدر العمليّة، وما تركته من أثرٍ كبيرٍ في الفكر الدّينيّ، مضافًا إلى أنّها شكلت انعطافة كبرى في دور رجل الدّين والمؤسسة الدّينيّة في حياة الإنسان، ما لم نقف على موضوعات أربعة ترسم لنا طبيعة الأرض والفضاء المعرفي والوجودي الّذي نمت فيه شجرة الإمام الصّدر الطّيبة، وثبت فيه أصلها، وصارت تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربّها. وهذه الموضوعات تمتدّ على صفحات الفصل الثّاني وهي:

أولاً: الوقوف على المرتكزات الأساسية لمدرسة الحكمة المتعالية.

ثانيًا: الوقوف على معنى العرفان النّظري والعملي وبيان الفرق بينهما.

ثالثًا: بيان العلاقة بين الإنسان وبين اللّه من جهة، وبين الإنسان والعالم من جهةٍ أخرى عند العرفاء وتأثيرها في فلسفة الإمام الصّدر العمليّة.

رابعًا: بيان المنطلقات المعرفيّة والمرتكزات الفكرية لفلسفة الصّدر العمليّة.

---

1 **محمد بن إبراهيم صدر الدّين القوامي الشيرازي ملا صدرا**، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج 8، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1981، ص 303.

ثانيًا: مدرسة الحكمة المتعالية

مؤسِّسها الفيلسوف محمد إبراهيم القوامي الشيرازي المعروف بصدر الدين وصدر المتألّهين مُلاَّ صَدرا، المتوفى بالبصرة سنة 1050 هجرية في طريقه للحج.[1] إنّ فلسفة صدر المتألّهين، كما يقول الشّهيد مرتضى مطهري[2]، هي ملتقًى لأربع طرائق؛ أي أربع قنوات تغذّيها، وهي: الفلسفة المشَّائية، والإشراقية، والعرفان النّظري، وعلم الكلام.

ولم يقتصر دور ملّا صدرا على المزج المبسط لهذه المناهج، وإنّما عمل على دمج مكوّنات هذه المناهج وبناء معالم مدرسة جديدة، هي مدرسة الحكمة المتعالية الّتي تلتقي مع مدرسة المشّائين، بالاستناد إلى البرهان، مثلما تلتقي مع المدرسة الإشراقية لأنّها تقول: إنّ الكشف يمكن أن يوصل إلى الحقيقة، وهي تُستَلهم من منابع الوحي وتراث النّبوة وأهل البيت (عليهم السّلام).

وكان ابن سينا أول من ذكر مصطلح "الحكمة المتعالية" في كتابه الإشارات والتّنبيهات. كذلك، نجد إشارة إلى هذا المصطلح لدى داود القيصري في شرحه لنصوص الحكم للشّيخ محيي الدّين بن عربي، في رسائل القيصري.[3]

يرى مُلاَّ صَدرا أن طرائق المعرفة ثلاث، وهي: البرهان (البحث العقلي الصّرف)، والكشف (العرفان)، والوحي (النبوّة). والعقل عندما يتدخّل في معرفة المباحث العالية الإلهية (المسألة الميتافيزيقية)، يرى أنّ هناك طورًا آخر وراء طوره، هو طور الكشف المؤيّد بالوحي الّذي لا يخالف البرهان اليقيني.[4]

---

1 **إبراهيم حسين سرور**، المعجم الشّامل للمصطلحات العلمية والدّينيّة، ج 2، دار الهادي، بيروت، 1429 هـ، 2008 م، ص 663.

2 **الشّهيد مرتضى مطهّري** (1919 – 1979): مفكّر وفيلسوف شيعي. تتلمذ عند العلامة الطّباطبائي والإمام الخميني. يُعدّ من أبرز المتصدّين للفكر الماركسي وتياراتهم في إيران، ومن نقّاد مذهبهم. هو أحد المؤسّسين لحسينية الإرشاد الّتي كانت من أكثر مراكز نشر المعارف الإسلاميّة أهمّية قبل الثّورة الإسلامية في إيران. ومن أكثر مميزاته أهمّية بيان تعاليم الإسلام والتّشيّع بعبارات سهلة وواضحة للجيل الصاعد في ذلك الوقت. له مؤلفات كثيرة في فروع العلوم الإسلامية المختلفة، وقد تُرجمت إلى لغات عدّة. ويُعدّ مطهّري من أفراد الثّورة الإسلامية في إيران وقادتها المؤثّرين. جعلت الحكومة الإيرانية يوم شهادته يوم المعلم في إيران.

3 **إبراهيم حسين سرور**، المعجم الشّامل للمصطلحات العلمية والدّينيّة، م. م.، ص 664.

4 **سميح دغيم**، موسوعة مصطلحات صدر الدّين الشيرازي، مقدمة (سلسلة موسوعات مصطلحات أعلام الفكر العربي والإسلامي، 9)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ج 1، 2004، ص 24.

ثالثًا: الأركان الأساسية لمدرسة الحكمة المتعالية

لا شكّ أنّ الاتجاه الفلسفي الّذي أسَّسه ملّا صدرا في حكمته المتعالية يمثّل منظومة متكاملة في معرفة مسائل الوجود والإلهيات بمعناها الأكثر عمومًا وخصوصًا، وقد ارتكزت هذه المنظومة على مجموعة من المحاور الرّئيسة الّتي صارت الهيكل الأساسي الّذي قامت عليه تفاصيل المسائل الفلسفية جميعها وارتبطت به فروعها، وسنقف في هذه الفقرة على أكثر تلك المحاور أهمّية لنخلص بعد ذلك إلى معرفة الارتباط الوثيق بينها وبين فلسفة الإمام الصّدر العملية.

1 - أصالة الوجود واعتبارية الماهية

من الأركان الأساسية للمنظومة الفلسفية لصدر الدّين الشّيرازي القول بأصالة الوجود واعتبارية الماهية.

فلو قلنا بأصالة الوجود، فذلك يعني أنّ العالم كلّه وجود، لا أنّه وجودات متكثرة، بل كلّه وجود واحد؛ لأنّ الجهة الواحدة هي الأصلية المتحقّقة، لذا، ينفتح لدينا طريق أنّ اللّه سبحانه وتعالى واحد لم يصدر منه إلّا موجود واحد، هذا على المستوى العقائدي، وإذا تجاوزنا ذلك إلى المستوى الاجتماعيّ وانتقلنا إلى الواقع التّغييري، فإنّ القول بأصالة الوجود وأنّ هناك حركة جوهرية في هذا الوجود يؤدّي إلى حقيقة مفادها، أنّ الإنسان يستطيع في كلّ مرتبة وجودية أن يترقّى إلى مرتبة وجودية لاحقة.

أمّا لو فرضنا أنّ الوجودات متباينة، فلا يمكن تصوّر التّكامل حينئذ، لذا لابدّ أنّ نرى - في الحركة الإجتماعيّة ونظرية التّكامل - أنّ الإنسان عندما يوجد، هل يوجد ويموت بلا تكامل، أم يوجد ويتكامل؟

الاختيار الفلسفي لدى الفيلسوف أو المتكلّم أو الفقيه، يؤثّر في اختياراته في مساره الاجتماعيّ، ومن المؤكّد حينئذ أنّ الموقف المعرفي سوف يعكس نفسه على الموقف العملي لا محالة، ولأجل ذلك عدّ صدر المتألّهين: أنّ معرفة الوجود هي الأساس الّذي تقوم عليه العلوم كافة، إذ يقول: «لما كانت مسألة الوجود أُسّ القواعد الحكيمة، ومبنى المسائل الإلهية، والقطب الّذي يدور عليه رحى علم التّوحيد وعلم المعاد وحشر الأرواح والأجساد... فمن جهل بمعرفة الوجود يسري جهله إلى أمّهات المطالب ومعظّماتها بالذّهول عنها، فاتت عنه

خفيات المعارف وخبيئاتها، وعلم الرّبوبيات ونبواتها، ومعرفة النّفس واتصالاتها ورجوعها إلى مبادئها وغاياتها».[1]

في ضوء ذلك، سيتجلّى لنا مدى تأثير هذا الأصل الفلسفي في الحركة الاجتماعيّة للإمام الصّدر، وتركيزها المستمر على الدّور التّكاملي للإنسان في هذا الوجود الواسع الّذي تحكمه مجموعة النّظم الفلسفية والمبادئ العقلية المعمّقة.

2 - الوجود حقيقة واحدة

الرّكن الآخر الّذي بنى عليه صدر المتألهين الشّيرازي منظومته الفلسفية هو القول بأنّ هذه الوجودات المتحقّقة في الخارج هي حقيقة واحدة، ذات مراتب مختلفة متمايزة بالشِّدَّة والضّعف والتّقدّم والتّأخر، وليست هي حقائق متباينة.

3 - الحركة الجوهرية

الركن الثّالث، والأكثر أهمّية، في منظومة الحكمة المتعالية هو نظرية "الحركة الجوهرية"، وهو من الأصول الأساسية الّتي اقترن اسمها بمؤسِّس هذه المدرسة.

كانت المدارس الفلسفية ترى، وكان الحكماء جميعهم قبل ملّا صدرا يرون بأنّ الحركة تختصّ ببعض المقولات العرضية، ولا ترتبط بمقولة الجوهر، بل كانوا يعدّونها أمرًا مستحيلًا، وقد أثبت ملّا صدرا أنّ هذه الحركات الّتي تقع في العرض، لا بدَّ أن تكون مسبوقة بحركة الجوهر، لأنّ مبدأ المتغيّر لا بدَّ أنّ يكون متغيِّرا، وأثبت أنّ حل الكثير من مسائل الفلسفة والعقائد تقوم على تحقّق الحركة في الجوهر، ومن المؤكّد أنّ الحركة التّكاملية للإنسان والعالم الّتي أخذت مساحة واسعة ودوًرا محورًيا في فلسفة الإمام الصّدر العملية والّتي ستكون مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمبدأ الحركة الجوهرية الّذي طرحته الحكمة المتعالية. وقد ذكر ملّا صدرا في تعليقاته على حكمة الإشراق أنّه استفاد هذا المطلب بقوة من الملكوت الأعلى، وليس من طريق مطالعة الكتب الموروثة عن الحكماء، وهو أنّ الحركة واقعة في الجوهر، وأنّ طبائع الأجسام في حالة

---

1 **محمّد بن إبراهيم القوامي الشّيرازي ملّا صدرا**، المشاعر، منشورات مكتبة طهوري، طهران، الطّبعة الثّانية، 1363 هـ،1944 م، ص 4.

تجـدّد وتبـدّل فـي ذاتهـا باسـتمرار، كمـا أنّ الجمـع بيـن الحكمـة والشّـريعة فـي الاعتقـاد بحـدوث العالـم الّذي لا بداية لـه لا يمكـن إثباتـه إلّا بالاستناد إلى الحركـة الجوهريـة.

مـن أكثـر المسـائل أهمّيـة الّتـي عالجهـا ملّا صـدرا بنـاءً علـى مقولـة الحركـة الجوهرية، هي:

- حقيقة الزّمان وحدوث العالم
- القِدَم الزّماني للعالم الجسماني
- حاجة العالم إلى العلّة في الحدوث والبقاء
- التّوحيد والعلم الإلهي
- إثبات المعاد الجسماني لكلّ الوجود
- اتّحاد العقل والعاقل والمعقول (العلم والعالم والمعلوم)
- اتّحاد العمل والعامل والمعمول (الفعل والفاعل والمفعول)
- تجسّم الأعمال، وإبطال التّناسخ
- إنّ النفس جسمانية الحدوث، روحانية البقاء

وغيـر ذلـك مـن المسـائل الفلسـفية الكثيـرة والمتفرعـة عـن نظريـة الحركـة الجوهرية. ومـن المؤكَّـد أنّ الحديـث المفصل عـن المسـائل المذكـورة آنفًا موكـول إلى البحـث الفلسـفي، إلّا أننـا سـنتكلم عـلى بعـض نتائـج نظريـة الحركـة الجوهريـة والّتـي سـيكون لهـا ارتبـاط أساسـي بفلسـفة الإمـام الصّـدر العمليـة.

رابعًـا: نتائـج نظريـة الحركـة الجوهريـة وارتباطهـا بفلسـفة الإمـام الصّـدر العمليـة

1 - التّوحيد والعلم الإلهي

خلاصة نظرية ملّا صدرا في هذه المسألة هي أنّ ذاتـه المقدسـة عبارة عن العلم التّفصيلـي بتمـام الأشـياء بالنّحـو الّـذي لا تخـرج أيّـة ذرة عـن دائـرة علمـه. فحضـور ذات الحـق لذاتـه عبـارة عـن العلـم الإجمالـي فـي عيـن الكشـف التّفصيلـي. إذ إنَّ

علم اللّه التّفصيلي بالأشياء هو عين وجودها.[1] وهذه النّظرية هي المعبَّر عنها في مدرسة الحكمة المتعالية بأنّه: لا مؤثّر في الوجود إلّا اللّه تعالى.

في ضوء هذه النّظرية، وما تقرّره من قرب اللّه سبحانه وتعالى لنا، وأنّه هو المؤثِّر الحقيقي والمباشر في أفعالنا جميعها، يعتقد الإمام الصّدر أن الإنسان في أفعاله جميعها: العائليّة، والإنسانيّة، والفكريّة، والخيريّة، والاقتصاديّة، والسّياسيّة، يلتقي مع اللّه، حينما يتّصل بإنسان آخر، يلتقي مع اللّه، مجاهدًا في سبيل اللّه، قائلًا: «ما رأيت شيئًا إلّا رأيت اللّه قبله وبعده وفيهما معًا»، حسب الحديث الشّريف.[2]

الحضارة الدّينيّة هي الحضارة الّتي تعترف بوجود اللّه، وتعترف بعمق أثر اللّه في حياتنا؛ يعني "اللّه" في ذاتنا، في قلوبنا، أقرب إلينا من حبل الوريد، بين المرء وقلبه.[3]

وحسب تعبير الإمام الصّدر أنّ اللّه لا يكتفي أن يكون خالق الكون فقط، بل هو معي أينما كنت، وحولي في نشاطاتي وأفعالي جميعها، وفي كلّي أيضًا، وهذا هو التّفسير العام للكون الّذي هو أحد أركان حضارتنا الدّينيّة. وعليه، ففكرة "اللّه" في تفسيرنا، وفي حضارتنا، ليست فكرة تجريدية، بعيدة من التّأثير المباشر في حياتنا العادية، وإنّما هي فكرة متغلغلة في شؤون وجودنا كلّه شخصيًّا، وما حولنا، وما في كوننا الكبير.[4]

2 - نظرية اتّحاد العقل والعاقل والمعقول

يذهب صدر المتألهين في كتاب "الأسفار" إلى أنّ مسألة تعقّل النّفس للصّور المعقولة للأشياء، من أكثر المسائل الفلسفيّة تعقيدًا الّتي ينقّحها علماء الحكمة. إذ وقع الكلام بين المحقّقين من الحكماء والفلاسفة بأنّ الإنسان الّذي لا يعلم ثمّ علم ماذا يضاف إليه؟ وهل يضاف إليه شيء بنحو إضافة العَرَض إلى الجوهر؟

وحينما نقول: العلم والعالم والمعلوم، فمرادنا في الإضافة العلم، ومرادنا من

---

1 **انظر: محمد خواجوي،** صدر المتألهين فيلسوفًا وعارفًا، دار الهادي، بيروت، 1424 هـ، 2004 م، ص 77- 78؛ وملّا صدرا، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج1، م. م.، ص 283.

2 **موسى الصّدر،** محاضرة بعنوان "صور من حضارتنا"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 145.

3 م. ن.، ص 146.

4 م. ن.، ص ص 147-146.

العالـم مـن كان فيـه قابليـة العلـم، ومرادنـا مـن المعلـوم هـي تلـك الصـورة الّتـي جعلـت ذلـك الإنسـان متّصفًا بالعلـم.

يذهـب صـدر المتألّهيـن إلى أنّ النّفس العاقلة تتّحـد بمعقولها، فالعاقـل هـو الـذّات، والمعقـول هـو مـا تدركـه النّفـس فـي مرتبتهـا العاقلـة، إذ تـدرك بهـذه المرتبـة الكليات في قبال المرتبـة الّتي تكـون فيها النّفـس مدركـة للجزئيات الّتي هي إما حاسَّـة أو متخيَّلـة، وإنّمـا يتـردّد دائمًـا اتّحـاد العاقـل بالمعقـول عـلى سـبيل المثـال لا الحصـر. وإلّا فالـكلام في اتّحـاد الحـاسّ والمحسـوس واتّحـاد المتخيِّـل والمتخيَّـل، والاتّحـاد بينهمـا إنّمـا يكـون باتّسـاع الـذّات وتكاملها بالمـدرَكات؛ وذلـك مـن خـلال تشـكيلها معـه وجـودًا واحـدًا أشـدَّ درجـة ممـا كان عليـه قبـل ذلـك الاتّحـاد. وهـذا الاتّجـاه فـي موضـوع علـم النّفـس بالأشـياء عـلى خـلاف مـا ذهـب إليـه ابـن سـينا الّـذي رأى أنّ جوهـر النّفـس يبقـى ثابتًـا مـن الطّفولـة حتّـى الشّـيخوخة، وكلّ مـا يحـدث هـو إضافـات ونقـوش طارئـة، بينمـا يعـدّ صـدر المتألهيـن أنّ المسـألة أكثـر رقيًـا وعمقًـا مـن ذلـك، فالنّفـس حيـن العلـم تتحـوّل إلى مـا تعلـم، وكلّ شـيء تعلمـه فهـي ذلـك الشّـيء، فالنّفـس جوهـر دائـم الحركـة فـي مراتـب الكمـال كمراتـب النّـور فـي الشّـدّة والضّعـف.

وعـن كيفيـة هـذا الاتّحـاد الّـذي يتعقلـه صـدر المتألّهيـن، فإنّـه يـرى أنّ النّفـس حينمـا تتعقَّـل شـيئًا تصيـر عيـن الصّـورة العقليـة لذلـك الشّـيء، والتّعقُّـل عبـارة عـن اتّحـاد جوهـر العاقـل بالمعقـول، بـل إنّ الإدراك عبـارة عـن اتّحـاد جوهـر المـدرِك والمـدرَك، وهـذا يعنـي أنّ عقلنـا بالفعـل يـدرك المعقـولات بالـذّات بتلـك المعقـولات نفسـها إذا كانـت معقـولات بالفعـل. وهكـذا، يتّضـح أنّ كلّ عاقـل إنّمـا هـو عقـل ومعقـول، وكلّ معقـول إنّمـا هـو عقـل وعاقـل، نظـرًا إلى اتّحـاده مـع العاقـل، فـي حيـن أنّ الصّـورة المعقولـة للشّـيء والّتـي هـي مجّـردة عـن المـادة، معقولـة بالفعـل، سـواء تعقَّلهـا كان عاقـلًا مـن الخـارج أم لـم يتعقلهـا، ولـكلّ ناقـص بلـغ الكمـال مُخـرِج أخرجـه مـن القّـوة إلى الفعليـة، ولا بـدَّ لهـذا المخـرِج أن تكـون لديـه تلـك الفعليـة إذ لا يمكـن لمعطـي الشّـيء أن يكـون فاقـده.

ويعـدّ صـدر المتألّهيـن ذلـك المُخْـرِج هـو العقـل المفـارق والّـذي هـو نفـس العقـل الفعّـال فـي مقـام التّعقـل والإِدراك، فيفيـض العقـل الفّعـال الصّـور العلميـة عـلى

النّفـس.[1]

حينمـا نراجـع هـذا البحـث وفاقًـا لتقريـر صـدر المتألهيـن، نـرى بأنّـه ليـس المقصـود مـن اتّحـاد العاقـل والمعقـول هنـا هـو الاتحـاد بيـن المعانـي والمفاهيـم المختلفـة في الموجودية، إذ يكـون هنـاك شيئان أو عـدّة أشياء مختلفة مـن حيـث المعنـى، ولكنّها متّحدة مـن حيـث الوجـود والتّحقـق، ويكـون الاختـلاف الواقـع بينها هـو فـي التّصـوّر فقـط. وهـذا النّـوع مـن الاتّحـاد هـو الحاصـل مـن اتّحـاد الجنـس والفصـل فـي وجـود النّـوع ومـا شـابه ذلـك، وليـس المقصـود أيضًـا اتّحـاد شـيئين موجوديـن واقعيـن فـي عَرْض بعضهما الآخـر، كالاتّحـاد بيـن زيـد وعمـرو، أو اتّحـاد النّـار والمـاء، لأنّ هـذا النّـوع من الاتّحـاد محـال، بـل المقصـود هـو اتّحـاد أمريـن واقعيـن في طـول بعضهمـا؛ بمعنـى أنّ أحدهمـا ناقـص الوجـود والآخـر هـو الصّـورة الكماليـة للنّاقـص، إذ يسـتكمل مـن خلالـه، كالطّفـل يصيـر شـابًا، والجاهـل يصيـر عالمًـا.

فالنّسـبة القائمـة بيـن العالـم والعلـم هـي نسـبة وجـود واحـد لـه مرتبتـان، فالعالـم قبـل العلـم كان فـي مرتبـة مـن الوجـود، وبعـد العلـم يكـون فـي مرتبـة أكثـر علـوًّا وكمـالًا. فالـذات نفسـها تترقّـى وتتكامـل، وهـذا يسـتند إلى الحركـة الجوهرية الّتـي تجعـل هـذه النّفـس الّتـي كانـت فـي مرتبـة معيّنـة قبـل العلـم، وبعـد أن يحصـل العلـم تنقلهـا إلى مرتبـة جديـدة أشـدّ كمـالًا، وهـذا لا يعنـي بأنّـه قـد أضيـف إليهـا شـيء عرضـي بنحـو يمكـن إزالتـه منهـا، لأنّهـا اتّحـدت فصـارت النّفـس هـي العلـم. يقـرّر صـدر المتألّهيـن - بنـاءً علـى هـذه النّظريـة - فـي حـال حصـول العلـم للإنسـان، فإنّـه لا يأتـي العلـم إليـه، وإنّمـا يصعـد الإنسـان إلى العلـم، فبالحركـة الجوهريـة يصعـد الإنسـان إلى مرتبـة العلـم وجوديًّـا.

فـي ضـوء ذلـك، سـوف تـؤدي الإرادة الإنسـانية دورًا بـارزًا ومهمًّـا، إذ إن الحركـة الجوهريـة ليسـت ذاتيـة فـي العالـم، وإنّمـا هـي تابعـة لمـا تحصّلـه إرادة الإنسـان والسّـنن الطّبيعيّـة والعلـم والعمـل. فبمقـدار مـا يجاهـد الإنسـان ويترقّـى فـي مراتـب الكمـال، يحصـل علـى النّتيجـة والثّمـرة الّتـي خُلـق مـن أجلهـا، كمـا تشـير إلى ذلـك الرّوايـات الّتـي تفيـد بأنّ المؤمـن يقـال لـه يـوم القيامـة: اقـرأ وَارْقَ فـي مراتـب الجنّـة، ولا يعنـي ذلـك قـراءة آيـة قرآنيـة فحسـب، بـل إنّ تلـك الآيـة ذاتهـا الّتـي عملـت بهـا فـي الدّنيـا صـارت جـزءًا مـن وجـودك، بـل مـن مراتبـك الوجوديّـة فـي

---

1 **ملّا صدرا،** الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، م. م.، ج 3، ص 312.

الدّنيا، وبها تترقّى في مراتب الآخرة؛ ومن هنا تكون الدّنيا مزرعة الآخرة.[1]
لذا، يرى الإمام الصّدر أنّ المعرفة والعمل يتبادلان في توليد أحدهما الآخر، ويسيران بخطّ تصاعديٍّ تكامليٍّ نحو المطلق واللامتناهي، وإذ إنَّ الإنسان هو المخلوق الّذي يملك الإرادة والاختيار لأنّه خليفة اللّه، فيكون الإنسان بذلك سيّد هذه الحركة نحو التّكامل باتجاه المطلق، كما يعتقد الإمام الصّدر أنّ الكون محراب كبير يسجد فيه كلّ شيء لله، ويسبّح بحمده ويصلّي له، وكلّ شيء فيه منظَّم وبحسبانٍ، وأنّ هناك انسجامًا حقيقيًّا بين الكون والإنسان وبين كتاب اللّه، وهو انسجام فطري يكشفه مبدأ مراحل إدراك القرآن وصوره المتفاوتة عمقًا واتّجاهًا، وهو يبيّن لنا بوضوح إمكان تنظيم الكون أو الكتاب التّكويني بوساطة الكتاب التّشريعي الإلهي؛ أي القرآن الكريم.[2]
ويعتقد الإمام الصّدر أيضًا أنّ الإنسان في سَيره التّكاملي يشكّل نغمة خاصة منسجمة مع الأنغام البشرية الّتي تشكّل بمجموعها المصالح الاجتماعيّة العليا، وأنّ اجتماعيّته هي بحقّ وليدة الكون، والسّير في هذا الخط هو سير نحو الكمال المطلق؛ أي نحو اللّه غاية السّير ودافعه ومبدأه. فهو؛ أي اللّه الّذي خلق الكون في حركةٍ دائمةٍ هادفةٍ، خلق الإنسان الّذي هو جزء ممتاز من الكون في طموح وتطلع دائمين نحو الكمال.[3]

3 - اتّحاد العمل والعامل

من المسائل المهمّة المترتّبة على نظرية اتّحاد العقل والعاقل والمعقول (العلم والعالم والمعلوم) مسألة اتّحاد العمل والعامل. ولا يخفى الدّور الكبير لهذه المسألة في جوهر الحركة الاجتماعيّة للإنسان في هذا الكون، ومدى الأهمّية القصوى لحقيقة عمل الإنسان ومكانته في تفاصيل العالم الّذي يحيط بنا.

---

1 كمال الحيدري، فلسفة صدر المتألهين، دار الصّفوة، بيروت،2010، ص 281.

2 حسين رحّال، مشاركة بعنوان: "ملامح التّجديد عند السّيّد موسى الصّدر: إمام التّواصل"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء التّاسع، عنوانه: موقع الحرية في الإصلاح والتّجديد، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت 2004، الطّبعة الأولى، ص 213.

3 موسى الصّدر، مقدّمة بعنوان "الدّين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م. ص 178 – 179.

يقول الشّيخ حسن زاده آملي[1]: «اعلم أنّ الإنسان ليس إلّا علمه وعمله، وهما يتّحدان بالنّفس اتّحادًا وجوديًّا، بل الأمر أكثر رفعةً من التّعبير بالاتّحاد، فإن وزانهما مع النّفس وزان الجدار مثلًا مع أحجاره ولَبِنه وطينه، والجدار ليس إلّا هي. والنّفس تتسع بهما اتّساعًا وجوديًا، والعلم مشخص الرّوح الإنسانيّة، والعمل مشخص بدنه الأخروي».[2]

يستدلّ الشيخ حسن زاده آملي على وحدة الفعل والفاعل بالقرآن أيضًا. ويستشهد بتفسير صدر الدّين القونوي للآية الكريمة، يقول سبحانه وتعالى: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾** [فاطر/ 10]، إذ عدّ المراد من الكلم الطّيب هي أرواح العباد؛ أي الأرواح الطّاهرة؛ لأنّ الطّيب في الشّريعة، الطّاهر. وقد يرد بمعنى الحلال، وهو أيضًا راجع إلى الطّهارة. والعمل الصّالح يرفعه؛ لأنّ الأعمال هي المطهّرة للنّفوس الملوّثة، فترقى بأنوار الطّاعات والأوصاف المقدّسة الموهوبة والمكتسبة إلى الدّرجات العلى، كما تكرّر إخبار النّبي(ص) عن ذلك.[3] بهذا البيان، يعدّ الشّيخ حسن زاده آملي بأنّ الآية الكريمة دالة على اتّحاد العلم والعالم والمعلوم، وكذلك على اتّحاد العمل والعامل والمعمول، إذ تصير المعارف العقلية ولبوب الأعمال الصّالحة عين النّفس النّاطقة، فلو لم تكن عينها وكانت عَرَضًا، فإنّ العَرَض ذلك خارج عن صميم معروضه، فكيف يوجب صعوده وارتقاءه؟

كما يقرر الشّيخ حسن زاده آملي بأنّه وفاقًا لهذا التّفسير، مَنْ عَرَفَ نفسه - وهي ليست إلّا علومه نفسها وأعماله، فبحكم اتّحاد العلم والعالم والمعلوم، واتّحاد العمل والعامل والمعمول- فقد عرف ربّه، وبأنّه سبحانه يجزيه على وفق صور مَلَكاته الّتي هي كالبذور في مزرعة ذاته، وأنّ جزاءه ليس بخارج عنه؛ أي الجزاء من لوازم الأعمال، والمعاقب ليس بخارج.

استنادًا إلى ذلك، سيكون من المؤكّد أنّ مبدأ اتّحاد العمل والعامل الّذي تقرره مدرسة الحكمة المتعالية سيكون ركنًا أساسيًّا في فلسفة الإمام الصّدر

---

1 **حسن زاده آملي** (1927 – 2021): العلامة الشّيخ حسن حسن زاده آملي. هو من أكثر العلماء الإيرانيين بروزًا، وهو عالم ديني معاصر، وفيلسوف، وعارف، ومفسّر القرآن، ويعرف بـ"العلاّمة ذو الفنون" إذ ترك أثارًا في مجالات الفقه والفلسفة والأخلاق والعرفان والحكمة الدّينيّة واللّاهوت والرّياضيات وعلم النّجوم والأدب العربي والفارسي والعلوم الطّبيعيّة والطّبّ القديم والعلوم الغريبة والباطنية. كانت معظم أعماله وأفكاره على أساس القرآن، كما صحّح بعض أكثر الأعمال الفلسفية أهمّية كالإشارات والشفاء وشرح فصوص الحكم، وكتب عليها هوامش.

2 **حسن زاده آملي**، عيون مسائل النّفس وسرح العيون في شرح العيون، منشورات أمير كبير، طهران، 1992، ص 771

3 **صدر الدّين محمد بن إسحاق القونوي**، النّفحات الإلهية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطّبعة الأولى، 2007، ص 29.

العملية. فمن الواضح أنّ القول بالحركة الجوهرية واتّحاد العلم والعالم، والعمل يقتضي الفعل والإرادة، لأنّ القول الفلسفي ليس قولًا مجرّدًا ومفصولاً عن الواقع الاجتماعيّ والسّياسيّ. إذ الفلسفة ترتبط بواقع الإنسان وعمله، وهناك آثار كبرى تظهر لمبدأ الحركة الجوهرية، واتّحاد العلم والعالم في علم الأخلاق العملي بخاصة، وفي مجالات الحياة كلّها.

إلى هنا نكون قد وقفنا بالمقدار الّذي يلائم هذا البحث على المحاور الأساسية لمدرسة الحكمة المتعالية، ومدى تأثيرها في حركة الإمام الصّدر معرفيًّا وعمليًّا، بحسبانه أحد أكثر أبناء هذه المدرسة بروزًا.

4 - علاقة الإنسان باللّه والعالم، وتجلّياتها في فلسفة الإمام الصّدر العملية

يقوم النّظام الفلسفي ـ العرفاني عند العرفاء على أساس محور نظرية وحدة الوجود، والعالم كلّه مظهر وتجلّ للحق، ولا موجود إلّا وهو تجلّ من تجلّياته. وتقرِّر النّظرية العرفانية أنّ الإنسان وحده هو المظهر الجامع للحقّ، وهو المظهر الأتم والتّجلّي الأعظم. ويستخدم أهل المعرفة لبيان ذلك تعبيرًا آخر مبنيًا على الحديث المشهور: «إنّ اللّه خلق آدم على صورته». استنادًا إلى هذا المقام، فقد ذكر العرفاء أيضًا أنّ من النّسب الثابتة بين الإنسان وبين اللّه عز وجل كون الإنسان خليفة اللّه. والخلافة هنا هي منصب تكويني، وليست تشريعيًّا، وإن كان للمنصب التّكويني للخلافة نتائج تشريعية، والخلافة أمر له طرفان، ففيه نظرة إلى اللّه ونظرة إلى الخلق، بعبارة أخرى: الخلافة أمر تكويني من اللّه عز وجل على تمام الخلق وموجودات هذا العالم، ولا يمكن لهذه الخلافة أن تتحقّق إلّا إذا أمكن للإنسان أن يكون قابلًا لحمل صفات المستخلف عنه (الحقّ تعالى)، هذا من جهة علاقة الإنسان باللّه سبحانه وتعالى.

أمّا من جهة علاقة الإنسان بالعالم فيقرر العرفاء أنّ الإنسان الكامل هو قلب هذا العالم، يقول ابن عربي[1]: «اعلم أنَّ الأسماء الإلهية الحسنى تطلب بذاتها

---

1 **ابن عربي** (1165 - 1240م): محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي الشهير بـ محيي الدين بن عربي، أحد أكثر الصّوفيين شهرَة، لقّبه أتباعه وغيرهم "بالشّيخ الأكبر"، ولذا تُنسب إليه الطّريقة الأكبرية الصّوفية. ولد في مرسية في الأندلس في 1164، وتوفي في دمشق في العام 1240، ودفن في سفح جبل قاسيون بالقرب منها. وهو عالم إسلامي، وشاعر، وفيلسوف، وصاحب مدرسة في التّصوف، صارت أعماله ذات شأن كبيرٍ حتّى خارج العالم العربي. تزيد مؤلفاته عن 800، لكن لم يبقَ منها سوى 100. كما غدت تعاليمه في مجال علم الكون ذات أهميّة كبيرة في عدّة أجزاء من العالم الإسلامي. لقّبه أتباعه وتلامذته من الصّوفية بألقاب عديدة، منها: الشّيخ الأكبر، البحر الزّاخر، بحر الحقائق، إمام المحقّقين، محيي الدّين، سلطان العارفين.

وجـود العالـم، فأوجـد اللّـه العالـم جسـدًا مسـوّى وجعـل روحـه آدم، وأعنـي بـآدم وجـود العالـم الإنسـاني، وعلّمـه الأسـماء كلّهـا، فـإنّ الـرّوح هـو مدبّـر البـدن بمـا فيـه مـن القـوى، وكذلـك الأسـماء للإنسـان الكامـل بمنزلـة القـوى».[1]
فـي ضـوء ذلـك، يعـرّف الإمـام الصّـدر الإنسـان بأنّـه العطـاء الإلهـي، وهـو المخلـوق الّـذي خُلـق علـى صـورة خالقـه فـي الصّفـات، خليفـة اللّـه فـي الأرض، الإنسـان أسـاس الوجـود، وبدايـة المجتمـع، والغايـة منـه والمحـرّك للتّاريـخ، الإنسـان هـذا يعـادل ويسـاوي مجموعـة طاقاتـه، لا لمـا التقـت عليـه الفلسـفة والفيزيـاء فـي قرننـا هـذا مـن المبادلـة وإمكانيـة التّحـوّل بيـن المـادة، بـل مـا تؤكّـده الأديـان والتّجـارب الـعلمية، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)** [النّجم/39]، وأنّ الأعمـال تخلّـد. فـإذا كان الإيمـان بهـذا البعـد يعطـي الإنسـان هـذا الجـلال والجمـال، فببعـده الآخـر يسـعى إلى صيانـة الإنسـان وحفظـه ويفـرض المحافظـة عليـه، ولا وجـود للإيمـان مـن دون الالتـزام بخدمـة الإنسـان.[2]

ختـم المبحـث الأول بعبـارات للإمـام موسـى الصّـدر يضـع فيهـا "الحكمـة المتعاليـة" فـي مكانتهـا المرموقـة بيـن الفلسـفات العالميـة، القديمـة والحديثـة، يقـول:

«أقسـى مـا يمكـن مـن الظّلـم فـي العالـم أنّ نقـول: إنّ المسـلمين لـم يكـن لهـم فلسـفة. هـذا الشّـخص بـكلّ احتـرام هـو أكثـر النـاس بعـدًا عـن الفلسـفة. فلسـفة اليونـان القدامـى الّتـي بـدأ مـن عندهـا المسـلمون- موجـودة بيـن أيدينـا، فلسـفة أفلاطـون، فلسـفة أرسـطو، فلسـفة ديمقراطيـس، الفلسـفات الموجـودة موجـودة بيـن أيدينـا. كتبهـا مهيّـأة، محضّـرة، جاهـزة. ثـمّ تضـع هـذه الفلسـفة أمـام فلسـفة ابـن رشـد، الفلسـفة الّتـي عرفتهـا أوروبـا، تجـد أنّ هنـاك تحـولًا كبيـرًا فـي الفلسـفة، مـع العلـم أنّ ابـن رشـد قطـرة مـن فلسـفة المسـلمين؛ أي فلسـفة ابـن سـينا، ثـمّ "الحكمـة المتعاليـة" تعنـي فلسـفة صـدر الدّيـن الشّـيرازي، قمـة الفلسـفة ولا تقـاس إطلاقًـا بـأيّ فلسـفة يونانيـة، ولا شـبه بينهـا وبيـن الفلسـفة اليونانيـة إلّا الشّـبه الّـذي موجـود بينـي وبيـن يـوم وُلِـدت مـن أمـي. هـذا الشّـبه بهـذه الدّرجـة

---

1 **عبـد الرّحمـن الجامـي**، نقـد النّصـوص فـي شـرح نقـش الفصـوص لمحـي الدّيـن ابـن عربـي، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، ص 70 – 72.

2 **موسـى الصّـدر**، محاضـرة بعنـوان "الإنسـان فـي حاجاتـه وكفاءاتـه، حفاظًـا عـلى الإنسـان"، ضمـن كتـاب: موسـى الصّـدر والخطـاب الإنسـاني، م. م.، ص 14.

موجود بين فلسفة صدر الدّين الأخيرة يعني الحكمة المتعالية وبين الفلسفة اليونانية، هناك تهجّم على الفلسفة الإسلامية، وهو تهجّم ظالم، أمامك كتاب "الإشارات والتّنبيهات"، كتاب "الشّفاء"، كتاب "القانون"، كتاب "الأسفار"، كتاب المنظومة.. تفضّل هذه الفلسفة الإسلاميّة».[1]

1 **موسى الصّدر،** "لماذا تأخر المسلمون عن ركب التّقدّم العلمي والمادي"، ضمن كتاب: الإسلام والمجتمع، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 2019.

المبحث الثاني
المنطلقات المعرفية والمرتكزات الفكرية لفلسفة الصّدر العملية

تقدّم في مستهل هذا الفصل أنّ الإمام الصّدر هو أحد أركان الحلقة الفلسفيّة للسّيّد الطّباطبائي. ولا شكّ حينئذ بارتكاز الفلسفة العمليّة للإمام الصّدر، خصوصًا مع حركته الواسعة معرفيًّا وعمليًّا تجاه اللّه والكون والعالم والإنسان والتّاريخ، على ما استفاده من هذه الحلقة الفلسفيّة الّتي مثَّلتْ مرحلة جديدة في تاريخ البحث الفلسفي والعلوم العقلية. فقد كان العلَّامة الطّباطبائي يحمل لواء البحث الفلسفي، ويمسك بزمام العلوم العقلية والقضايا المعرفية في الحوزة العلمية في قم، وقد استطاع هذا الفيلسوف أن يؤسِّس لكثير من قضايا المعرفة والإدراك البشري، ويوضّح معالم المنظومة المعرفيّة الّتي يقوم عليها البناء الفكري عند الإنسان.

يقوم المرتكز الفكري الذي انطلق منه الصّدر على فرضية تقول: إنّ أيَّ تحوّل في الظّاهر والبنى الفوقية لا بدّ من أن يستند إلى تحوّل في الأسس والبنى الفكرية التّحتية للإنسان. ويحمل الصّدر في هذا المجال اعتقادًا راسخًا بتمامية الدّين وجامعيته وشموليته في بناء التّصورات المعنوية والمادية للإنسان، وبكونه قادرًا على حلّ مشاكل المجتمع الإنساني، وما يشوب العلاقات الدّولية من أزمات وتعقيدات.[1]

فيما يلي نوجز أكثر هذه المرتكزات الفكريّة أهمّية، أما أغلبها فنفصّل الكلام فيها في ثنايا الفصول اللّاحقة.

أولًا: تكامل الفكر والعمل

تمايز الإمام الصّدر عن غيره من المهتمّين في الشّأن الإسلامي العام، ومن المصلحين الإسلاميين، بتبنّيه منهجًا يدمج فيه البعد الثّقافي بأطره العملانية.

---

1 **صادق النّابلسي**، موسى الصّدر: مسار التّحديّات والتّحوّلات، م. م.، ص 16.

وميزة هذا المنهج أنّه لا يقبل العيش في الفضاء النّظري المثالي، بل يستعجل الانخراط في الواقع. والحقيقة أنّ هذا التّوجُّه ينطوي على منزع يعكس الرّغبة والإرادة لدى الصّدر في استنقاذ الذّات الثّقافية الإسلامية من طوايا النّسيان والتزمّت والعقلية البدائية، ومن تحت أستار التّعتيم الثّقافي الغربي المهيمن على أنظمة القيم والمعايير.[1] لهذا نرى علاقة جذرية وجوهرية بين حركة الصّدر الفكريّة وحركته السّياسيّة والاجتماعيّة. أضف إلى ذلك أنّ الفيلسوف أو المفكّر يسعى إلى فهم المشكلات الاجتماعيّة والعلميّة والتّاريخيّة بصورة فلسفيّة، ويرى أنّ هذه المشكلات لا يمكن أن تحلّ إلّا في إطار تصوّرٍ فلسفيٍّ محكّمٍ. فالنّظام الفلسفيّ هو بمثابة الخريطة الّتي تحدّد موقع الإنسان من الوجود، ومساره وحضوره في هذه الحياة، ومدى تأثير الفلسفة في تطور المجتمع. ولهذا، كما مرّ في مستهلِّ الفصل، يؤكد الصّدر حاجتنا إلى المبادئ العميقة.[2]

ثانيًا: إرادة التّغيير

كان الإمام الصّدر يحمل أهدافًا تغييرية عبر المنهج الإسلامي بمضمونه الأخلاقيّ والدّينيّ العميق، وقام بمقاربات دينية للمسائل السّياسيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة والتّنمويّة. وكان هذا المسعى التّجديدي فريدًا في منطقة تحتدم بالمصالح والتّجاذبات المحلّية والإقليمية والدّولية، وتزخر بالاعتبارات والرّهانات الجيوسياسية أو الجيودينية الّتي حكمت نوعية المواقف والتّحركات والتّحالفات في الفترة الّتي عايشها.

والأمر الجدير بالملاحظة هنا، لا يتعلق بالسجلِّ الذّهبي لِمَا قام به الصّدر من منجزات على الرّغم من أهمّيتها، بل بالتّراكم السّريع لتجربته وفعاليتها، وميدانية حركته الشّمولية المتسارعة والمتواصلة والمتكاملة، الّتي شقّت طريقها وسط معوقات كثيرة ومتاعب جمّة وإشكالات واعتراضات، عادة ما ترافق المناهج الإصلاحية الجديدة الّتي شكّلت أبعادُها القيمية والزّمانية والمكانية ارتداداتٍ وهزّاتٍ عنيفة لواقع راكد انطوى على تقاليده وعاداته، وعمل على حمايتها

---

1 **صادق النّابلسي**، موسى الصّدر: مسار التّحديّات والتّحوّلات، م. م.، ص 166.

2 م. ن.، ص 170.

وحراستها من أيٍّ مسٍّ أو تبديل. فالإمام موسى الصدر حاول تقديم خطاب جديد على المستويات السّياسيّة والاجتماعيّة والوطنيّة والدّينيّة والإنسانية، وسعى إلى إيجاد الحلول المناسبة على أساسٍ من الدّين والفلسفة والأخلاق. شكَّلت زعامة الإمام الصّدر القيادية عاملًا حاسمًا في نوعية التّغيير وأنماطه واتجاهاته، وهي من دون مبالغة شكّلت صدمًة إيجابيًّة قادت الطّائفة الشّيعية ولبنان إلى ولوج لحظات استثنائية في تاريخهما. ويمكن ملاحظة خمسة أبعاد على الأقل ترسو عليها حركة التّغيير هذه: البعد الإيماني، البعد العقلاني الواقعي، البعد المنهجي التّنظيمي، البعد الرسالي، البعد العملاني. وفي هذه الأبعاد جميعها سعى الإمام إلى تقديم تصوُّر جديد إزاء القيم والاتجاهات الفكريّة والسّياسيّة والاقتصاديّة السّائدة، وإزاء الطّائفة والكيان اللّبناني، وما يجب تبنّيه من أولويات، سواء على الصّعيد الوطني أم على الصّعيد الطّائفي الخاص، ويجيب كذلك عن كثير من الأسئلة والإشكاليات الّتي تدور حول مواقف ومفاهيم تتعلق إمَّا بالسّياسات العامة وطرائق تنفيذها، وإمّا بالممارسات الإيديولوجية، وإمّا بكليهما معًا. كما يرمي ضمن الإطار نفسه إلى تشخيص الآفات والموانع التي اعترضت وحدة الشّعب اللّبناني، وتنامي التّدخّلات الخارجية الّتي حالت من دون تبلوّر الفكرة الوطنيّة وتلاقي اللّبنانيين حول بناء دولتهم.

في ضوء هذا التّوجُّه، ومن أجل بلورة رؤية خاصّة في ميادين رسم السّياسات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة والدّينيّة في البلاد، تولّى الصّدر بنفسه نقد الانزياحات عن حضارة الإنسان ومواجهة الانحرافات الدّينيّة والتّحذير من السّلوكيات الاجتماعيّة ذات الجذور الطّائفيّة.

ثالثًا: إحياء الثّقافة الدّينيّة

من بين عناصر رؤية الإمام الصّدر الّتي شكَّلت أحد أكثر اهتماماته بروزًا، مسألة إحياء الثّقافة الديّنية بحسبانها منشأً للآثار التّربويّة والاجتماعيّة، وعاملًا مسبّبًا للحركة والتّغيير. وبمعزل عن مسألة العلاقة بين الدّين والسّياسة، فإنّ إمامة الصّدر الدّينيّة هزَّت سكون الواقع الدّينيّ وجمود المعتقدات والقيم والتّقاليد

الدّينيّة في طابعها الغالب آنذاك.[1]

وتيسّر له ذلك بفضل اعتماده قولًا جديدًا على المستويات السّياسيّة والاجتماعيّة والوطنيّة والدّينيّة والإنسانيّة، وسعيه إلى إيجاد الحلول المناسبة على أساس من الدّين والفلسفة والأخلاق.

وفي سياق احتجاجيٍّ متّصل، يلقي الصّدر باللّائمة على أولئك الذّين لا يرون في الإسلام فلسفة تنطلق من اهتمامات المجتمع؛ فيتجهون باتّجاه فلسفات أخرى لا تقيم أي حسبان للمعنويات الإنسانيّة. إذ يشير في هذه المسألة إلى اهتمام الإسلام بالنّظام الاجتماعيّ (إدارة المدنيّة)، والأخلاق، بمعنى البحث في كيفية الحياة، وكيف ينبغي أن تكون، وكيف ينبغي أن يتصرف الإنسان للوصول إلى حياةٍ سعيدةٍ هانئةٍ.

فيقول: «فما رأيكم بالذّي يقول اليوم: إنّ سبب تراكضنا نحو الفلسفات والتّيارات المتعدّدة هو انعدام وجود فلسفة متطوّرة تكون نابعة من فلسفة المجتمع؟ فشبابنا وغير شبابنا، بل مجتمعنا اليوم، وجميعنا بالفعل، يفقد الفلسفة أو العقيدة أو المبدأ الّذي ينسق له النّشاطات الإسلامية في مختلف الجوانب. وبالتّالي، يشعر بالفراغ العقدي فيركض... نحو اتّباع الفلسفات من هنا وهناك... فلكي لا نشعر بالفراغ علينا أن نرسم صورة واضحة عن فلسفة الإسلام».[2]

رابعًا: فلسفة الحياة عند الإمام الصّدر

ما أراد الإمام الصّدر تأكيده في هذا السّياق، هو أنّ الإسلام يحمل منظومة فلسفية متكاملة ومنسجمة تظهر ترابط الإنسان وحركته بالكون، في سيرورته نحو الكمال. بالنّسبة إليه إنّ الانسجام بين الكون والإنسان هو انسجامٌ فطريٌّ وكونيٌّ.

كان الإمام الصّدر يرى أنّ الكون هو موضوع تطوّر الحضارة وتقدّم الثّقافة، وحامل هذه التّطورات والتّقدُّم المستمر، هو الإنسان. فيعطي الصّدر قيمة

---

1 صادق النّابلسي، موسى الصّدر: مسار التّحديّات والتّحوّلات، م. م.، ص 176.

2 صادق النّابلسي، موسى الصّدر: مسار التّحديّات والتّحوّلات، م. م.، ص ص 176 - 177 .

عليا لمسألة التّفاعل بين الكون والإنسان في سياق ما يمكن تسميته بفلسفة الحياة، أي بما يرتبط بالحياة؛ العلميّة والاجتماعيّة للإنسان.[1]
أمّا الصّورة الثّقافيّة في بعدها الفلسفيّ التي يرسمها الصّدر فهي مكوّنة من عناصر ثلاثة: التّفاعل بين الإنسان والكون، والمعرفة الّتي تتخطى العلم بمفهومه الضّيق، والوعي.[2]
ذلك كلّه في إطار ما تنظّمه الشّريعة الّتي تنمو وتتسع صلاحيةً وملاءمةً مع تقدُّم الزّمن، ومع علوم الإنسان وفضوله المعرفيّ. فنجده يقول: «إنّ الإنسان له تفاعلات مع الكون تشكّل أسس التّطور، وهذه التّفاعلات تنظّمها شريعة اللّه، ولها أيضًا مع كلّ مرحلة من التّطور تعاليم متطوّرة، تتناسب مع المرحلة الّتي يعيشها الإنسان فتنظم الصّلات والتّفاعلات الثّابتة بين الإنسان والكون».[3]

خامسًا: التّطور والتّكامل في فهم الدّين

يعتقد الإمام الصّدر أنّ بإمكاننا أن نفتّش على مسرح الكون عن عناصر ثلاثة: **الإنسان، والكون، والدّين أو القرآن.** كما أنّ التّطور هو تفاعل الإنسان مع الكون وقراءة شيء جديد من الكون، كذلك بإمكان الإنسان أن يقرأ في الدّين أيضًا اكتشافات جديدة، وأشياء جديدة، وتطورات جديدة. كما إنّ الكون بإمكانك كلّ يوم أن تتعمّق فيه صفحة أو درجة أو مرحلة، وهذا هو التّطور، وبإمكانك أن تدرس كلّ يوم شيئًا جديدًا فتفهم أشياء جديدة.[4]
يعود هذا التّأسيس لتطوّر الفهم الدّينيّ وتكامله إلى ما يقوله العلامة الطّباطبائي في بيان الطّريق إلى التّحوُّل والتّكامل في المجتمع الإسلامي، إذ يقرر: إنّ المعارف الإنسانيّة على نوعين، نوع يقبل التّحوُّل والتّكامل، وهو العلوم الصّناعية الّتي تستخدم في طريق ترفيع قواعد الحياة المادية وتذليل الطّبيعة العاصية للإنسان، كالعلوم الرّياضية والطّبيعية وغيرهما، وهذه العلوم والصّناعات

---

1 م. ن.، ص 174.

2 م. ن.، ص 174.

3 زكي الميلاد، "السّيّد موسى الصّدر والمشروع الإصلاحي"، م. م.، ص 23.

4 م. ن.، ص 472 وص 473.

كلما تحوّلت من النّقص إلى الكمال أوجب ذلك تحوّل الحياة الاجتماعيّة. ونوع آخر لا يقبل التّحوُّل وإن كان يقبل "التّكامل" بمعنى آخر، وهو العلوم والمعارف العامة الإلهية التي تقضي- في المبدأ والمعاد والسّعادة والشّقاء وغير ذلك - قضاءً قاطعًا، واقفًا غير متغيّر ولا متحوّل وإن قبلت "الارتقاء والكمال" من حيث الدّقة والتّعمّق.[1]

سادسًا: التّطابق بين الدّين والفطرة الإنسانيّة

يرى الإمام الصّدر أنّ الفطرة هي قاسم مشترك في حدود الإنسانيّة. فالإنسان على فطرة متحررة من أثقال العبودية، عبودية السّلطان والمال والهوى، عبودية النّفاق والدّجل، عبودية الشّهوة واللّامبالاة والضّياع، عبودية الألم واللّذة في آنٍ معًا. ذلك أنّ معتمد الإسلام في النّشاط الفكري للإمام الصّدر، فطرة سليمة في الإيمان.[2]

ويؤكّد الإمام الصّدر بأنّ القرآن الكريم يؤكّد التّطابق الكامل بين الدّين وبين الإنسانيّة، إذ يقول سبحانه وتعالى: **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدين الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** [الروم/30]، وكذلك الحديث الشريف يعبّر عن تساوي الإسلام وفطرة الإنسان بقوله: «كلّ مولود يولد على الفطرة».

ونختم المبحث الثّاني بعبارات للإمام موسى الصّدر ينبّه فيها الانسان إلى أنّ العمل هو حركته نحو كماله الذّاتي، وأنّ العمل هو واجب وعبادة، ولا يمكن تثمينه أو وزنه بأجر، يقول:

«إنّ المجتمع اّلذي يقترحه الإسلام هو المجتمع الإنساني الحيّ اّلذي يرتبط الأفراد فيه بعضهم ببعض من خلال عطاءٍ مطلق لا يُحَدَّد ولا يثَمّن. إنّ العمل هنا رسالة يجب تحقيقها ببذل كلّ ما في طاقة الفرد، فهو قطعة من وجود

---

1 **محمد حسين الطّباطبائي**، الميزان في تفسير القرآن، (20 مجلدًا)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1973، ج.4، ص 118.

2 **حسين صالح حمادة**، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر" ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 111-109.

الإنسـان ذابـت فتحوّلـت إلى العمـل. والعمـل حـيّ مثـل الإنسـان، عبـادة، لا يمكـن تجميـده ولا تثمينـه. والمجتمـع الّـذي يتكـوّن مـن هـذه الأعمـال، وهـذه العلاقـات مجتمعٌ حـيّ كمثـل الجسـم الواحـد علـى حـدّ تعبيـر الحديـث الشّـريف. والعمـل بهـذه الصّـورة ينبـع مـن الإيمـان بالمطلقـات وبالقيـم الّتـي لا ينفصـل الإيمـان بهـا عـن الإيمـان باللّـه. والمؤمـن باللّـه يهـدف مـن خـلال عملـه إلى أكثـر سـموًّا، هـو كمالـه، ولذلـك فإنّ عمله هو حركتـه التّكاملية نحـو الأفضـل، ولا يقصـد مـن خلالـه الوصـول إلى الأجـر الّـذي يقدمـه لـه مجتمعـه، بـل الأجـر هـذا هـو واجـب مجتمعـه تجاهـه، وليس ثمنًـا لعمله.وهنـا نشـعر بالصّـورة الّتـي يرسـمها الإسـلام للمجتمـع، إنّـه موجـودٌ حـيّ وواحـدٌ متماسـكُ الأجـزاء، وليـس شـركة وشـركاء ومتحالفيـن».[1]

---

1 **موسى الصّدر،** محاضرة بعنوان "الإسلام والأسرة في مجتمع متطوّر"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 2009، ص 245.



الفصل الثّالث

علاقة الإنسان باللّه

المبحث الأول
مركزية التّوحيد في فلسفة الإمام العملية

المبحث الثّاني
اللّه والأديان

المبحث الثّالث
الإنسان في فكر الإمام الصدر

المبحث الرابع
قاعدة تشريع الأحكام



الإمام يلقي عظة الصّوم في كاتدرائية مار لويس للآباء الكبوشيين
(19 شباط 1975)



المبحث الأول
مركزية التّوحيد في فلسفة الإمام العمليّة

من هو اللّه؟ أو كيف يعرِّفُ اللّهُ ذاته العليّة؟

اللّه هو الذّات الواحد الأحد، يقول في كتابه الكريم: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)** [الشّورى/ 11]، **(لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)** [طه/ 8]، والأمثال العليا والصّفات الكمالية كلّها، يتعالى عن كلّ نقصٍ وحاجةٍ فهو الصمد، **(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)** [الإخلاص/ 3]، مجرد من الانتساب الخاص إلى أيّ شيء أو إلى أيّ فرد أو إلى أيّ ظاهرة. فالعالم بأجمعه والبشر بأفراده جميعًا والأحداث كلّها أمامه سواء، هو الخالق والمستمر في خَلْقه، ولا وجود ولا بقاء للموجودات من دون إرادته، ومن دون تصرُّفه. وهو عالم الغيب والشّهادة لا يَعْزُب عنه مثقال ذرة. هذا الكمال المطلق الّذي يتجلَّى في تفسير اللّه يعكس على الخلق جوانب تربوية عديدة، ويبعده من مجرد فكرة تجريدية وصورة قلبية أو طقوس مذهبية.[1]

إنّ التّعمّق في التّجرّد والابتعاد من الشّبه والتّعالي عن أيّ ربط خاصّ بشيء، ينزع صفة القداسة الذاتية عن كلّ شيء، ويحرّر الإنسان من أيّ قيدٍ عقليٍّ أو عمليٍّ أو عاطفيٍّ أو اجتماعيٍّ، فيجعل منه، وهو عبد لله، الحر المنطلق في شؤون الحياة جميعها، لا يقف أمامه مانع. وينعكس الكمال الإلهي على الكون كلّه، وعلى الإنسان بالذات، فيرى الكون والإنسان في أحسن صورة وأكمل تقويم وأدقّ تنظيم.[2]

يؤكّد الإمام الصّدر مركزية التّوحيد والإيمان باللّه الواحد الأحد في شؤون الحركة التّكاملية جميعها للإنسان والعالم والكون بأجمعه. فمن دون التّوحيد يكون الإنسان مكبَّلًا بالقيود الّتي تقوده في حركة عكسية تسافلية إذ يوجد اللاكمال واللاتقويم واللاتنظيم؛ وبذلك يتحقّق هلاكه الأبدي لا محالة.

لذا، تتجلّى مركزية التّوحيد في فلسفة الإمام الصّدر العملية في نسقٍ دقيقٍ ينقل الفكر والعقيدة إلى عمل وسلوك خارجي، ويؤسّس لسيرٍ حقيقيٍّ تكامليٍّ نحو الكمال المطلق، إذ يعود هذا التّأسيس لمبدأ التّوحيد في جوهره إلى ما

---

1 موسى الصّدر، الإسلام: الأصالة، الرّوحية، التّطور، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2009، ص 14.

2 م. ن.، ص 14 – 15.

ذكـره العلّامـة الطّباطبائـي حـول دور التّوحيـد فـي حيـاة الإنسـان، بـل فـي عمـوم حركـة الكـون، إذ يعتقـد الطّباطبائـي أنّ المقصـود مـن الكلمـة الطّيبـة الّتـي قـال اللّه عنها إنّها كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء هي كلمة التّوحيد، إذ يقـول سـبحانه وتعـالى: « والّـذي يعطيـه التدبُّـر فـي الآيـات أنّ المـراد بالكلمـة الطّيبـة الّتـي شُـبّهت بشـجرة طيبـة هـو الاعتقـاد والحـقّ الثّابـت.... وهـذا القـول والكلمـة الطّيبة هما اللّـذان يرتِّـب تعـالى عليهما تثبيتَـه فـي الدّنيـا والآخـرة أهلَـه، وهـم الّذيـن آمنـوا.. وبهـذا يظهـر أنّ المـراد بالمثـل هـو كلمـة التّوحيـد، وشـهادة أن لا إلـه إلّا اللّـه حـقّ شـهادته.
فالقـول بالوحدانيـة والاسـتقامة عليـه هـو حـقُّ القـول الـذي لـه أصلٌ ثابـت محفـوظٌ عـن كلّ تغيُّـر وزوالٍ وبطـلان، وهـو اللّـه عـزّ اسـمه. ولـه فـروعٌ نشـأت ونمـت مـن غيـر عائـق يعوقها عـن ذلـك فـي عقائـد حقَّـة فرعيـة، وأخـلاق زاكيـة، وأعمـال صالحـة يحيـى بهـا المؤمـن حياتـه الطّيبـة ويعمّـر بهـا العالـم الإنسـاني حـقّ عمارتـه، وهـي الّتـي تلائـم سـير النّظـام الكونـي الّـذي أدّى إلى ظهـور الإنسـان بوجـوده المفطـور عـلى الاعتقـاد الحـقّ والعمـل الصّالـح.
والكمّـل مـن المؤمنيـن، وهـم حسـب قولـه تعـالى: **(الَّذِيـنَ قَالُـوا رَبُّنَـا اللَّـهُ ثُـمَّ اسْـتَقَامُوا)** [فصلـت/ 30]، فتحققَّـوا بهـذا القـول الثّابـت والكلمـة الطّيبـة، مَثَلهـم كمَثَـل قولهـم الّذيـن ثبتـوا لا يـزال النّـاس منتفعيـن بخيـرات وجودهـم، منعَّميـن ببركاتهـم.
وكذلـك، كلّ كلمة حقّـة، وكلّ عمـل صالـح مَثَلـه هـذا المثـل، لـه أصلٌ ثابتٌ وفـروعٌ رشـيدةٌ وثمـراتٌ طيبـة مفيـدةٌ ونافعـةٌ. غيـر أنّ المـراد فـي الآيـة عـلى مـا يعطيـه السّـياق هـو أصل التّوحيـد الّـذي يتفـرّع عليـه سـائر الاعتقـادات الحقّـة، وتنمـو عليـه الأخـلاق الزّاكيـة، وتنشـأ منـه الأعمـال الصّالحـة».[1]

أولًا: معنى الدّين ووحدانيّته

يعـرّف الإمـام الصّـدر الدّيـن بالمنظّـم للعلاقـات بيـن الإنسـان والعالـم، بيـن الإنسـان والكـون الّـذي يعيـش فيـه. وعـلى هـذا الأسـاس، طالمـا أنّ الإنسـان واحـد والكـون

[1] **محمد حسين الطّباطبائي**، الميزان في تفسير القرآن، م. م.، ج 12، ص 51.

واحد، يجب أن يكون دين اللّه أيضًا واحدًا. ولكن هذا الدّين يكتمل ويتطوّر ويتحسَّن بحسب ارتفاع وعي الإنسان وشعوره؛ لأنّ الإنسان كما يتصوَّر في الحقل العلمي، ويفهم كلّ يوم شيئًا جديدًا من هذا العالم، هكذا يتصوَّر في الحقل الدّينيّ، وكلّ يوم يفهم شيئًا جديدًا من الدّين. على هذا الأساس، فسّر الإمام الصّدر هذه النّقاط الثلاث: الإسلام دين اللّه، ودين اللّه هو سبب سعادة الإنسان في هذه الحياة، وهو سبب تنظيم علاقات الإنسان مع هذا الكون.[1]

الدّين هو تنظيم العلاقات بين الإنسان وبين الحياة، يقول سبحانه وتعالى: **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)** [النّحل/97]، فإذا أردتَ أن تعيش حياةً مرتاحةً سعيدةً يجب أن تكون متدينًا. [2]

يعتقد الإمام الصّدر أنّ الأديان كانت واحدة، وفي خدمة الهدف الواحد: دعوةٌ إلى اللّه، وخدمةٌ للإنسان. وهما وجهان لحقيقةٍ واحدةٍ، ثمّ اختلفت عندما اتجهت إلى خدمة نفسها أيضًا، ثمّ تعاظم اهتمامها بنفسها حتّى كادت أن تنسى الغاية؛ فتعاظم الخلاف واشتدّ فازدادت محنة الإنسان والأمة.[3]

كانت الأديان واحدة، لأنّ البدء الّذي هو اللّه واحد، والهدف الّذي هو الإنسان واحد والمسير الّذي هو هذا الكون واحد، وعندما نسينا الهدف، وابتعدنا من خدمة الإنسان؛ نسينا اللّه وابتعد منّا، حضرنا فرقًا وطرائقَ قددًا، وألقى بأسنا بيننا فاختلفنا ووزّعنا الكون الواحد، وخدمنا المصالح الخاصّة، وعبدنا آلهةً من دون اللّه، وسحقنا الإنسان فتمزّق.

في هذا المجال، يقرّر العلّامة الطّباطبائي أنّ وحدة الدّين أو وحدانيته تستند إلى أساسٍ فلسفيٍّ في خلقة الإنسان، فإنّ الدّين فطري، وما كان كذلك لا تضلّ فيه الخلقة، ولا يتبدّل فيه حكمها، كما قال سبحانه وتعالى: **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدين الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** [الروم/30].

وعليه، فالاختلاف في الدّين وتعدّد اتجاهاته مستندٌ إلى البغي من دون الفطرة. ثمّ يخبرنا تعالى أنّ الاختلاف نشأ بين النّوع الإنساني في الدّين نفسه، وإنّما أوجده حَمَلة الدّين ممن أوتي الكتاب المبين، من العلماء بكتاب اللّه بغيًا بينهم

---

1 **موسى الصّدر**، محاضرة بعنوان "معرفة الإسلام" ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 27.

2 م. ن.، ص 29.

3 م. ن.، ص 12.

وظلمًا وعتوًا، قال سبحانه تعالى: **(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدين مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدين وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)** [الشورى/13]. إلى أن قال سبحانه تعالى: **(وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ)**[الشّورى/14]. وقال سبحانه تعالى أيضًا: **(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ)** [يونس/19].[1]

ثانيًا: معنى الإسلام

يعتقدالإمام الصّدر أنّ الإسلام، كما يظهر من لفظه ومن لغته، يعني التّسليم لله. يعني نحن نستسلم ونطيع ونخضع لله ربّ العالمين. والإسلام يكون بالعقل وبالقلب وبالجسد. فالإسلام بالعقل يعني أنّنا نحن نتيجة لدراستنا ومشاهداتنا نقتنع وعقلنا يصدّق أنّ اللّه موجود. والإسلام بالقلب، يعني أنّ عاطفتنا تصدّق، وتشعر أنّ اللّه موجود، وتحبّ اللّه وتطيعه. وجسمنا أيضًا يسلّم لله ربّ العالمين؛ يعني يطيع اللّه؛ نصلّي، نصوم، نخدم، نساعد، نعمل الخير، نجاهد، وأمثال ذلك. المهم أنّنا نخضع للقوانين الإلهية.
«والإسلام أيضًا هو دين اللّه الواحد، بمعنى أنّ الأنبياء جميعهم من "آدم" إلى "محمّد بن عبد اللّه" (ص)، كلّهم رُسُلُ رَبٍّ واحد؛ بمعنى أنه ليس هناك أديان مختلفة... الدّين واحد، بمعنى أنّ "آدم" النّبي الأول، و"نوح"، و"إبراهيم"، و"إسماعيل"، و"موسى"، و"عيسى" و"محمد" عليهم السّلام، كلّهم رسل ربٍّ واحد، حملوا الأمانة من إله واحد وبلّغوا النّاس دينًا واحدًا؛ الفرق بينهم في المنهاج والشّرائع».[2]
بناءً على هذا، يعتقد الإمام الصّدر أن ما علينا هو أن نعرف التّفاصيل، بعد ذلك، نصدّق في عقولنا أنّ اللّه موجود، وأنّ المعاد، يعني أنّ الحياة الآخرة موجودة، وأنّ الأنبياء حديثهم صحيح. بعد ذلك، ننتقل إلى الإيمان القلبي، ثمّ ننتقل إلى الأحكام والإسلام العملي الّذي هو إطاعة الأوامر وتنفيذها، وأداء الواجبات، واجتناب المحرمات وأمثال ذلك.... [3]

---

1 محمد حسين الطّباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، م. م.، ج 2، ص 134.

2 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "معرفة الاسلام"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الانسانيّ، م.م، ص 22.

3 م. ن.، ص 28-27.

ثالثًا: تعريف الإنسان

يعرّف الإمام الصّدر الإنسان بأنّه العطاء الإلهي، وهو المخلوق الّذي خُلق على صورة خالقه في الصّفات، خليفة اللّه في الأرض. الإنسان، أساس الوجود، وبداية المجتمع، والغاية منه، والمحرِّك للتّاريخ. الإنسان هذا، يعادل ويساوي مجموعة طاقاته، لا لما التقت عليه الفلسفة والفيزياء في قرننا هذا من المبادلة وإمكانية التّحوّل بين المادة، المادة كلّها والطّاقة، بل ما تؤكّده الأديان والتّجارب العلمية، يقول سبحانه وتعالى: **(وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)** [النّجم/39]، وأنّ الأعمال تخلّد، وأنّ الإنسان عدا إشعاعه في مختلف الآفاق لا يساوي شيئًا. لذلك، فبقدر ما صُنّا طاقات الإنسان ونمّيناها بقدر ما كرّمناه وخلّدناه.[1]
بناءً على تفسير الإمام الصّدر للإيمان ببعده السّماوي، يعطي الإنسان اللّانهائية في الإحساس، واللّانهائية في الطّموح، وكذلك، يحفظ للإنسان الأمل الدّائم عندما تسقط الأسباب، ويزيل عنه القلق، وينسّق بينه وبين بني نوعه من جهة، وبينه وبين الموجودات كلّها من جهة أخرى. إذا كان الإيمان، بهذا البعد، يعطي الإنسان هذا الجلال وهذا الجمال، فببعده الآخر يسعى إلى صيانة الإنسان وحفظه، ويفرض المحافظة عليه. ولا وجود للإيمان من دون الالتزام بخدمة الإنسان.

رابعًا: البعد الروحي والجسمي في الذّات الإنسانيّة

يعتقد الإمام الصّدر أنّ الإنسان مكوَّن من مادة وروح، وقد عرض في محاضراته أدلة كثيرة على وجود الرّوح، شأنه بذلك شأن الفلاسفة والحكماء وعامة مفكّري الأديان السّماوية. إلّا أن الجدير بالذّكر في هذا الموضوع هو علاقة الفلسفة العملية للإمام الصّدر بهذا المبدأ الفلسفي.
لا شكَّ أنّ ثنائية الرّوح والبدن في حقيقة الإنسان سوف تمثّل أساسًا جوهريًّا لأيّ إيديولوجية تحاول رسم خارطة التّكامل الإنساني، وعليها أن تقدّم منظومة

---

1 **موسى الصّدر**، "الإنسان في حاجاته وكفاءاته، حفاظًا على الإنسان"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م، ص 14.

متكاملة تراعي الجانب الرّوحي والجانب البدني في الإنسان. لذا ينطلق الإمام الصّدر في رسم معالم منظومة الفكر الإسلامي وصياغة الرّؤية القرآنية للإنسان في الحفاظ على الإنسان ببعديه الرّوحي والبدني. ويؤكّد الإمام الصّدر أنّ الإنسان صُنِعَ على يد اللّه، وفيه روح اللّه، يقول سبحانه وتعالى: **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بشرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ*فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ)** [الحجر/ 29-28]. فخلق الإنسان من جنس الأرض على يد اللّه، والنّفخ فيه من روح اللّه، صورة واضحة عن الجوانب الوجودية الشّاملة في الإنسان والّتي تمتدّ من الأرض - الجانب المادي - إلى السّماء - الجانب الرّوحي- وهذا تعبيرٌ قوي للكرامة الّتي يتمتع بها الإنسان.[1]

أدلَّة وجود الرّوح عند الصّدر كثيرة، أهمّها:

1) الإنسان متغيِّر بأجزائه جميعها وخلاياه، مع أنّه يحتفظ بكثير من الأشياء، ما يؤكّد وحدة الإنسان.

2) الإنسان يتصوَّر ما هو أكبر منه بملايين المرات من دون الشّعور بالضّيق.

3) الإنسان يتصوَّر ما هو بعيد منه بسرعة، من دون أيّ وقت.[2]

وهذا يعني وجود ما يتعدّى المادة في الإنسان.

خامسًا: تأثير الإيمان بالعدالة الإلهية في مفهوم الإنسان عن نفسه وغيره

يعتقد الإمام الصّدر أنّ الإيمان بالعدالة الإلهية، وبأن اللّه هو الحقّ وأنّه الكمال، ينعكس على مفهوم الإنسان عن نفسه، ومفهوم الإنسان عن الإنسان، ومفهوم الإنسان عن التّاريخ وعن الكون، وعن كلّ ما حوله. فيعطي الإيمان بالعدالة الإلهية مفهومًا منسجمًا جميلًا عن كلّ ما حول الإنسان من الأشياء. هذا بعض ما يعود للإيمان، ونتيجة الإيمان حينما يبرز.[3]

ويعتقد الإمام الصّدر أنّ الإنسان إذا اعتقد بأنّ مبدأ تصرفاته من الخارج، وبأنّه

---

1 **موسى الصّدر،** الإسلام وكرامة الإنسان، مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدراسات، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2009 ص9.

2 **موسى الصّدر،** محاضرة بعنوان "جانب الإنسان الرّوحي والجسمي في العالم الآخر"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 201.

3 **موسى الصّدر،** محاضرة بعنوان "الدّين اليوم"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 47.

سبب علمنة الحياة على الأرض، وتصوَّر أنّه منفصل عن اللّه، يؤدّي ذلك به إلى الشّرك، وعبادة غايتين، وتأسيس هدفين، ونمو إيمانين يتجزأ وينفصل أحدهما عن الآخر. فإذا آمن الفرد بشيئين: باللّه وبالإنسان، فلأجل اللّه يعبد ويمارس بعض الأعمال، ولأجل الإنسان يعمل، ويتصرف، ويمارس، ويعاشر، ويشتغل، وهذه الأعمال كلّها تتلخّص في حياة الإنسان على الأرض. فهي تكريس لمعبودين، ولإلهين. ولأنّ مصدر انطلاق الأفعال هو الذي نسميه باللّه، أو هو الّذي نسمّيه بالإله الموجود، فإذا كان هناك تجزُّؤٌ، وغايتان في نفس الإنسان، يحصل التّنافر[1]. وإذا قلت: إنّ الإنسان الّذي وراء نشاطنا وحياتنا في الأرض هو الإنسان المخلوق لله،... وأضفت، أنا لكي أصون إيماني، أعبده في عباداتي الخاصة. وهكذا، أكرّس إيماني بربّي، ولكن في أعمالي الخارجية أكرّس من طريق إيماني بالإنسان، إيماني بربي.

بناءً على هذا، يفرّق الإمام الصّدر تفريقًا جوهريًّا بين الإنسان الّذي هو من صنع اللّه، وبين الإنسان من دون الإيمان باللّه. فهو يرى بأنّ الإيمان بالإنسان الّذي ينبثق عن الإيمان باللّه مفهوم آخر، وهو الإنسان الّذي من صنع اللّه على صورة اللّه ومثاله في صفاته.

فهذا الإنسان ليس مادة فحسب، بل هو [من روح] اللّه، هو خالد ليس له حياة مادية فقط. والإنسان بهذا المعنى، إذا كان منشأ للنّشاط في الحياة على الأرض، فليست هذه علمنة، بل هذا معنى التّدين، تدين الصّلات، لأنّ الإنسان هو الذي من وراء الحياة على الأرض، وهو أثر من آثار اللّه. فإذًا، ينتج عن أنّ غاية الغايات، وعلّة العلل، هو اللّه أيضًا.[2]

نختم بعبارات للإمام الصّدر يربط فيها بين توحيد اللّه تعالى وبين حياة الجماعة البشرية وحسن انتظامها، ويؤكّد أنّ التّوحيد الحقّ يؤدّي إلى الشعور بالمساواة، يقول:

«وحدة اللّه كما نحن نؤمن به؛ معناه أنّ العالم كلّه من عنصرٍ واحد، ومن نبعٍ واحد. لا يوجد إلهان، لا يوجد دولتان، لا يوجد جنسان من البشر؛ الأبيض والأسود،

---

1 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "الدين اليوم"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 49.3

2 م. ن.، ص 49 – 50.

والطّويـل والقصيـر، والماضـي والحاضـر والمسـتقبل، والغنـي والفقيـر، والطّويـل والأبيـض، كلّ شـيء مـن عنصرٍ واحـد، لا يوجـد فـرق بالوجـود، هـذا الوجـود كلّه نبعه واحـد.[...]. إذًا، هـذه الصّـورة مـن الّتوحيـد تقلـع جـذور الامتيـازات مـن بيـن البشـر، عنـد ذلـك لسـت أنـا مـن نسـيج آخـر غيـرك؛ لا تقـدر [أن] تفكّـر أنـه أنـت تختلـف عـن الآخريـن، أنـت فـوق الآخريـن، أنـت تحـت الآخريـن لأنّـك مـن عائلـة متواضعـة، أو كريمـة، أو أصيلـة، أو سـيّد، أو غيـر سـيّد. لا، لا!... بشـرٌ مـن نبعٍ واحـد كلّهـم. وهـذا مـا يخلـق نوعًـا مـن القناعـة الفكريـة عنـد الإنسـان بمسـاواة البشـر، بعـدم الاسـتكبار عـلى الآخريـن، بـل بالتّفاهـم معهـم، وبعـدم الشّـعور بالحاجـز، بـالإدراك بمـا يجـري عنـدي، يجـري عنـدك».[1]

1 **موسـى الصّـدر،** محاضـرة بعنـوان "الإيمـان باللّـه وملائكته"،ضمـن كتـاب: حركيّـة الإيمـان، مركـز الإمـام موسـى الصّـدر للأبحـاث والدّراسـات، بيـروت، الطّبعـة الأولى، 2016.

المبحث الثّاني
اللّـــه والأديـــان

يعتقـد الإمـام الصّـدر، أنّ القـرآن الكريـم يقـرّر مبـدأ وحـدة الدّيـن الإلهـي ونزولـه بالتّدريـج حسـب تـوارد الأنبيـاء والرسّـل، فـكلّ ديـن يعـدّ مرحلـة مـن ديـنٍ واحـد. ويعـدّ فـي ختــام الشّـوط أنّ النّبي محمّدًا (ص) جـاء بالمرحلـة الكاملـة مـن الدّيـن الإلهـي. فـإذا لاحظنـا أنّ الإسـلام الكامـل إنّمـا هـو مجموعـة مـن القوانيـن الفرديّـة والاجتماعيّـة، وإذا لاحظنـا أنّ هـذه المجموعـة مـا طبقّـت إلّا بعـد هجـرة الرّسـول وممارسـة مقـام الولايـة، نفهـم الأمـر الّـذي جعـل المسـلمين يقـرّرون يـوم الهجـرة مبـدأ للتّاريـخ الإسـلامي مـن دون يـوم المبعـث مثـلًا.[1]

يعلـن القرآن أنّ رسـالة "محمّـد" (ص) هـي العقـد الأخيـر مـن سلسـلة الدّيـن الإلهي، وأن "محمـدًا" (ص) هـو خاتـم الأنبيـاء، مؤمـن بهـم ومصـدّق بأنّهـم رسـل ربّـه، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(قُـلْ مَـا كُنـتُ بِدْعًـا مِّـنْ الرُّسُـلِ)** [الأحقـاف/9]، ويقـول سـبحانه وتعـالى: **(آمَـنَ الرَّسُـولُ بِمَـا أُنـزِلَ إِلَيْـهِ مِـن رَّبِّـهِ وَالْمُؤْمِنُـونَ كُلٌّ آمَـنَ بِاللّـهِ وَمَلآئِكَتِـهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُـلِهِ لاَ نُفَـرِّقُ بَيْـنَ أَحَـدٍ مِّـن رُّسُـلِهِ)** [البقـرة/285].

والقـرآن يؤكِّـد أيضًـا أن دّيـن اللّـه واحـد ويسـمّيه "الإسـلام"، ويعـدّ أنّ الأنبيـاء جميعهـم كانـوا يبشـرون بـه، وقـد جعـل اللّـه لـكلّ منهـم شـرعة ومنهاجًـا ويقـول سـبحانه وتعالى:**(شَـرَعَ لَكُـم مِّـنَ الديـن مَـا وَصَّـى بِـهِ نُوحًـا وَالَّـذِي أَوْحَيْنَـا إِلَيْـكَ وَمَـا وَصَّيْنَـا بِـهِ إِبْرَاهِيـمَ وَمُوسَـى وَعِيسَـى أَنْ أَقِيمُـوا الديـن وَلَا تَتَفَرَّقُـوا فِيـهِ)** [الشـورى/13]. [2]

أولًا: سبب التّشابه بين الأديان

جميعنـا نلاحـظ الشّـبه الكبيـر بيـن الأديـان، لا سـيما الأديـان الإبراهيميـة. فوفاقًـا لرؤيـة الإمـام الصّـدر للأديـان فـإن هـذا الأمـر يصيـر طبيعيًّـا، لأنّنـا إذا لاحظنـا هـذا المنطـق "كـون رسـالة «محمّـد» (ص) هـي العقـد الأخيـر مـن سلسـلة الأديـان

---

1 موسى الصّدر، مقدمة بعنوان "مع المستشرق هنري كوربان"، لكتاب هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، م. م.، ص 23.
2 موسى الصّدر، الإسلام: الأصالة، الرّوحية، التّطور، م. م.، ص 11.

الإلهيـة"، فـلا نجـد أيَّة غرابـة أو أيَّ مانـع مـن بعـض التّشـابه فـي العقائـد والأحـكام والأخـلاق الإسـلامية مع الأديـان السـماوية الأخـرى. ولهـذا، نجـد فـي كـثير مـن الآيات القرآنيـة، أنّ القـرآن ينقـل عقائـدَ وأحكامًا وقصصًا تربويَّة عـن الرّسـالات السّـماوية ويعتمـد عليهـا. [1]

ثانيًا: القرآن يؤِّكد وحدة الأديان

يقـول اللّـه سـبحانه وتعـالى فـي كتابـه الكريـم: **(رَبَّنَـا وَاجْعَلْنَـا مُسْـلِمَيْنِ لَـكَ وَمِـن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لكَ)** [البقرة/ 128]، هـذا على لسـان إبراهيـم واسـماعيل، وأمّا مـا ورد عـن نـوح، فالقرآن يؤكّـد حسـب قوله تعـالى: **(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدّيـنِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدّيـنَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...)** [الشّورى/ 13].

وتسـتمر تلـك السّلسـلة عـلى ألسـنة الأنبيـاء مـرورًا بموسـى وعيسـى، وحـواره مـع حوارِيِّيـه، ووقوفهـم إلى جانبـه، وإسلامهم للـه علـى لسـان خاتـم الأنبيـاء. الّـذي جـاء ليتمّـم رسـالة ربّـه، ويشـرحها شـرحًا وافيًـا، ويفصّلها تفصيـلًا يتناسـب مـع العصـور كلهـا الّتـي سـتلي رسـالته الشّـريفة. يقـول اللّـه سـبحانه وتعـالى: **(الَّذِيـنَ يَتَّبِعُـونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَـهُ مَكْتُوبًا عِندَهُـمْ فِـي التَّـوْرَاةِ وَالإِنْجِيـلِ يَأْمُرُهُـم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَـرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُـمْ إِصْرَهُـمْ وَالأَغْـلاَلَ الَّتِـي كَانَـتْ عَلَيْهِـمْ..)** [الأعـراف/ 157]. إذًا؛ فالأديـان ديـنٌ واحـدٌ، إلهـا واحـدٌ، مصدرهـا واحـد، ولكـن بعـض التّفسـيرات والتّعديـلات، والسّـلوك المعنـي جعلهـا تظهـر وكأنّهـا أديـانٌ مختلفـةٌ ومتباعـدةٌ. [2]

ويلتقـي مـع التّفكيـر الصّـدري المسـلم، مـا انتهـى إليـه لقـاء التّـراث الإبراهيمـي، والحـوار الإسـلامي المسـيحي. "الإيمـان الإبراهيمـي" هـو إرثٌ يشـترك فيـه الموحّـدون جميعهـم، إنّـه إيمـان التّوحيـد الخالـص. وهـو أنّـه يجعـل الرّبـاط الرّوحـي بيـن هـؤلاء وبيـن النّبـي إبراهيـم واحـدًا، هـذا الرّبـاط هـو أنّ الإيمـان بيـن أبنـاء إبراهيـم النّسـبيين والرّوحييـن لا يتضمّـن تفضيـل فريـق عـلى آخـر، ولا يعطـي لأيّ

---

1 موسى الصّدر، الإسلام: الإصالة، الرّوحية، التّطور، م. م.، ص 11.

2 حسين صالح حمادة، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 132 – 133.

شعب، أو جماعة دينية الحقّ في التّمييز ضد الآخرين، أو الاستئثار دونهم بما لا شرعية لهم فيه، طبقًا للشّرائع السّماوية، والقوانين الدّولية، والمواثيق المعترف بها عبر المستوى الحقوقي الدّولي، انطلاقًا من كون اللّه واحدًا، والأديان واحدة، والإنسان واحدًا، أيًّا كان لونه وعرقه ودينه. فقد انطلق إمامنا مسرعًا إلى الحوار الموضوعي والخارجي عن دائرة الذّاتية في لبنان، وخارجه، سواء كان هذا الحوار ديّنيًّا، أم سياسيًّا، أم اجتماعيًّا، أم تربويًّا، أم اقتصاديًّا، وسواء كان هذا الحوار مع الشّيعة، أم مع السُّنة، أم مع المسيحيين..[1] يقول اللّه سبحانه وتعالى: (**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...**) [آل عمران/ 64]، ويقول سبحانه وتعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...**) [الحجرات/ 13].[2]

كان يقول: تعالوا لنجعل من الدّين إنسانيَّة، ومن الإنسانيّة ديّنًا، أنا لستُ ضد اليسار، ولكنّني ضد الإلحاد، لأنّ اليسار إذا وصفناه بقوى التّغيير فإنّني أعدّ نفسي أحد أركانه. فالإيمان ليس تجريديًّا، بل يحدّد معالم شخصية الإنسان وسلوكه مرحليًّا واستراتيجيًّا. [3]

تتكوّن كلّ ديانة من وحيٍ وتفسيرٍ لذلك الوحي، والوحيُ ثابت لا يتغيّر لأنّه يمثّل التّعبير الفعلي للإرادة الإلهية، ويتضمّن الحقائق الخالدة، أمّا التّفسير فهو ما يثيره الوحي من ردّ فعل في العقل الإنسانيّ. ونظرًا إلى أنّ هذا العقل داخل في الزّمان فهو يعتدّ به. فالوحي يبقى على مَرِّ القرون، من دون أن يخضع لأيِّ تغيير، في حين أنّ التّفسير والاجتهاد يتعرّضان على مَرِّ العصور لضغوط القوى الدّاخلية والخارجية، تلك الضّغوط الّتي تعطي الجماعة شخصيّتها في كلّ فترة من فترات التاريخ.[4]

الإنسان في ميزان الإمام الصّدر، عليه واجبٌ، وله حقٌّ، والواجب قبل الحقّ؛ أيّ الواجب أولًا والحقّ ثانيًا. وشرف الإنسان وكرامته هما في واجبه وحقّه. واجبه مع اللّه إيمان وطاعة إنْ في العبادات وإنْ في العمل، واجبه أنّه مكلّفٌ ومسؤولٌ بأسباب العقل الّذي يميّزه.

---

1 حسين صالح حمادة، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 133.

2 م. ن.، ص 134.

3 م. ن.، ص 135.

4 م.ن، م. م.،ص 143.

فواجبه مع نفسه صلاحٌ وتطهيرٌ وتحريرٌ، وواجبه مع الآخرين ارتباطٌ باللّه عبادةً، وبنفسه وبالآخرين أخلاق؛ لا كذب بل صدق، لا خيانة بل أمانة، لا ظلم بل عدل، لا تجهيل بل تعليم، لا سرقة أو اغتصاب بل عطاء، لا غش، لا نميمة، لا قتل إلا بالحق، لا غيبة، لا فتنة، لا فساد ولا إفساد، بل الصلاح والإصلاح بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واحترام الآخرين، وحفظ كرامتهم، لأنّ الإنسان شريف الموقع، كريم الخلق، واجبه استغلال طاقته وعدم الاستهتار بالوقت، والأخذ بأسباب النّظام هو قوانين الكون، واجبه ألَّا يلغي الآخر، وأن يعيش على وحدة الأديان، ووحدة النّاس، وأن يفهم الأديان بأنّها عقلٌ يصنع الإيمان. [1]
أمّا حقّ الإنسان، فإنّه الحرية الّتي هي محور شخصيته وكرامته في العبادة، يقول سبحانه وتعالى: **(فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ)** [الكهف/29]، ومع نفسه فلا يحمّلها ما لا طاقة لها به، ولا يملكه هواه لأنّ من ملك هواه كان حرًّا كما يعدّ أمير المؤمنين، يتصرف بما يشاء وكيفما يشاء ولكن بمسؤولية. وشعورنا بالتّكليف، أنّه مسؤول تجاه اللّه، تجاه نفسه وتجاه الآخرين، ومن حقّه حفظ حياته وكرامته. [2]

ثالثًا: اللّه الخالق

من البداهة أن يكون إيمان الإمام الصّدر من الأوليات فطرَة وعقلًا... **(فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ...)** [الرّوم/30]، فالدّين بصورة عامة موجزه «فطرة اللّه التي فطر النّاس عليها». الدّين تعبيرٌ صحيح عن هذه الفطرة، وإبراز لها إبرازًا غير متأثر بالعوامل المختلفة الخارجة على طبيعة الإنسان «يولد المولود على الفطرة...». [3]
إنّ الدّين في العقيدة الإسلامية هو الإيمان باللّه الواحد الأحد الّذي له الأسماء الحسنى، والصفات العليا كما في كتابه الكريم: **(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)**[الإخلاص/3].[4]

---

1 حسين صالح حمادة، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان ، م. م.، ص 148 – 149.

2 م. ن.، ص 149.

3 محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج3، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطّبعة الثّانية، 1983، ص 133.

4 م. ن.، ص 107.

فاللّه ليس كمثله شيء، له الصّفات الكمالية كلّها، يتعالى عن كلّ نقصٍ وحاجةٍ، فهو الصّمد، هو المجرّد من الانتساب الخاصّ إلى كلّ شيء، أو إلى كلّ فرد، أو إلى كلّ ظاهرة، فالعالم بأجمعه والبشر - بأفرادهم جميعًا - والأحداث كلّها أمامه سواء، هو الخالق، والمستمر في خَلْقه، ولا وجود ولا بقاء للموجودات من دون إرادته، ومن دون تصرّفه، وهو عالم الغيب والشّهادة، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السّماء، يحيط بكلّ شيء علمًا.

يعطي الإسلام مفهومًا عن خالق الكون، فهو إلهٌ واحدٌ عالمٌ غنيٌّ عن العالمين، ليس بينه وبين أيّ شيء أو شخص أو فئة أو وضع صلة ولا انتساب، ولا يزيد ولا ينقص. ويوجّه هذا المفهومُ الإنسانَ إلى الشّعور الفطري ليسمع صوت ضميره الّذي ينادي بالإيمان، ثمّ يطلب منه أن يتدبّر في خلق السّموات والأرض، واختلاف اللّيل والنّهار، وفي الآفاق والأنفس لكي يتبيّن له الحقّ تبيّنًا عقليًّا حتّى يعيش إيمانه بقلبه وعقله.[1]

رابعًا: علاقة اللّه بالإنسان

الكمال المطلق من جانب والنّقص والضّعف من جانب آخر، كيف يرسم الإمام الصّدر العلاقة بينهما؟

يرى الإمام أنّ الإحاطة القيومية - على حدِّ التّعبير القرآني - تربط بين التّجرُّد الإلهي المطلق وبين أن يكون اللّه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وأن تكون حسب قوله تعالى: **(الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ)** [الزّمر/ 67]، **(وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)** [الزّمر/67]، فالأبصار لا تدركه ولكنّه يدرك الأبصار. إن اللّه بعيد من إدراك العقول «كلما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم[2]». [3]

ومع ذلك **(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ)** [الحديد/4] إذ إنّه «مع كلّ شيء لا بالمقارنة، وغير كلّ شيء لا بالمزايلة» [نهج البلاغة]. وهذه الإحاطة تُشعر الإنسان

---

1 **حسين صالح حمادة**، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان ، م. م.، ص 107.

2 **محمد باقر المجلسي**، بحار الأنوار، م. م.، ج 66، ص 293.

3 **موسى الصّدر**، الإسلام: الأصالة، الرّوحية، التّطور، م. م.، ص 15.

بالاطمئنان وبالقوة، وتزيل عنه الوحشة، وتوحي إليه بالمسؤولية، وهكذا نرى تأثير الفكرة العميق في الحياة الإنسانية وابتعادها من التّجريد. يقول سبحانه وتعالى: **(وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّه)** [البقرة/115].

وجاء في الأحاديث القدسية: «وقلب المؤمن عرش الرّحمن»، و«أنا عند المنكسرة قلوبهم»، و«من عاد مريضًا فقد عادني في عرشي»، و«المحسن يلمس يد اللّه حال إحسانه».[1] يعدّ الإمام الصّدر بأن هذه الصّورة عن "اللّه" وعلاقته بالإنسان، جديدة في الإسلام تختلف عن الصّور الأخرى جميعها.

وإذا كان يمكننا تلخيص الإيمان المسيحي باللّه بكلمة موجزة، وهي أنّ «اللّه هو المحبّة» يمكن تلخيص الإيمان الإسلامي باللّه بأنّ «اللّه هو الحقّ» بما لكلمة الحقّ من معنى. ولهذا يعدّ بأنَّ مَنْ تَرجَمَ القرآن من المتأخرين أجادوا إذ احتفظوا بكلمة اللّه من دون تعبيرٍ آخر مشابه في سائر اللّغات. [2]

يعدّ الإمام أنّ اللّه كما هو خالق الإنسان، هو أيضًا مبدأ نشاطاته وفعالياته. فالشّيء الّذي ينبثق منه نشاطات الإنسان جميعها يُسمّى: إله الإنسان.[3]

فهل يتمكّن أن يكون مصدر نشاطات الإنسان جميعها، غير المطلق الّذي يلهمه الأمل والحركة، والفاعلية في دائم الأحوال؟! هنا نقطة جوهرية؛ كلّ ما لنا من الإنتاج، كلّ ما هو من صنعنا؛ من الفكر، أو الفلسفة، أو العلم، أو القانون، أو أيّ شيء من الأشياء، ما دام من نتائج البشر، أي يبدأ من الإنسان إذًا، وينطلق منه، بما هو مخلوق للإنسان. ينبثق ويتجّه من هوى الإنسان ورغبته. ولكن الإنسان، من أين يأخذ؟ وإلى أيّ شيء يستند؟ [4]

هنا يأتي معنى الإله الذي يعطي الوجود للكائنات، ويؤتيها النشاطات والفعاليات جميعها. فإذًا، وجود اللّه المطلق هو سند وسبيلٌ لبقاء الإنسان متحرّكًا قويًّا، ومتينًا دائمًا. وننطلق من هذه النّقطة إلى نقطةٍ ثانيةٍ؛ فالإيمان بالغيب مبعث الأمل الدّائم، والأمل حقيقة الحياة. لأنّ انقطاع الأمل، انقطاع الإنسان عن المستقبل. فالإنسان الّذي لا أمل له، يعني لا يفكّر في نفسه وفي السّاعة القادمة، وليس موجودًا في المستقبل؛ بل هو باقٍ في الحال، والبقاء في الحال يعني الجمود، والجمود يعني الموت. فإذًا، الأمل حياة الإنسان، ولو

---

1 موسى الصّدر، الإسلام: الأصالة، الرّوحية، التّطور، م. م.، ص 15-16.

2 ن. م.، ص 15-14.

3 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "الدين اليوم"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 42.

4 ن. م.، ص43.

افترضنا أنّ الإنسان لا يؤمن بالمطلق، يبلغ الإنسان في محنته، في مرضه، في حوادثه حدًّا، يبلغ غاية إمكانات الإنتاج البشري، فيحصل اليأس، ويموت، وإن كان حيًّا فيُحرم ويَحرم الأرض من طاقاته. وبقاء الأمل في الإنسان لا يمكن إلا بالإيمان بالمطلق. وإلّا، فإذا قام الاستناد على إنتاج الإنسان، هذا الإنتاج له حدّ، وحينما تبلغ المحنة والمرض، والظّروف والشّروط الّتي يعيشها الإنسان هذا الحدّ، ينتفي عمله في المستقبل.
إذًا، حياة الإنسان وبقاؤه وأمله، هذا كلّه مشروط بالإيمان بالمطلق. هذا المبدأ الذّاتي والسيّر في الخطّ إلى الأمل يتوقّفان على الإيمان بالمطلق [1]. كذلك الغاية أيضًا، باعتقاد الإمام الصّدر، تتوقّف على الإيمان بالمطلق. ويرى بأنّ اللّانهاية والإيمان باللّانهاية؛ أيّ المطلق هو طريق الاكتفاء الوحيد عند الإنسان الطّامح.[2]

نختم بعبارات للإمام الصّدر يُجلي فيها أنّ الدّين يبدأ من نقطة الإيمان باللّه تعالى، ولكن ليس الإيمان الصوّري المدوّن في الهوية، بل الإيمان الحيّ الّذي يحرّك الانسان ويجمعه بأخيه الإنسان، يقول:

«كثيرون منّا يعتقدون أنّهم مؤمنون باللّه نحن مؤمنون باللّه، ولكن هل إيماننا باللّه إيمانٌ حيّ؟ إيمانٌ نابض؟ إيمانٌ محرِّك؟ أو إيماننا باللّه إيمانٌ شكليّ؟ قد يُكتَب في هويتّنا وتذكرة نفوسنا، ديننا: مسلم أو مسيحي؛ وقد يُكتَب في قلبنا كلمة مسلم أو مسيحي، يُكتَب... هذا شكل الإيمان. الإيمان الحيّ هو الإيمان المحرِّك، هو الإيمان الواعي، هو الإيمان ٱلّذي يُشعُر الإنسان بأنّه موجود في صداقته، في عداوته، في حياته، في معاملته، في بيته، وفي خارج بيته، يجب أن نشعر بهذا الإيمان؛ فلنبحث في معنى الإيمان باللّه، هل للإيمان باللّه هذا المفعول السّحري حتّى يجمع بيننا جميعًا من دون تردّد، ومن دون تخوّف، ومن دون نفاق، ومن دون دَجَل، هل هذا الإيمان له هذا الأثر الكبير؟ نعم، الإيمان باللّه.

---

1 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "معنى الإيمان"، ضمن كتاب: حركية الإيمان، مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 2016، ص 43.

2 م. ن.، ص 44.

أولًا، لماذا يبدأ الدّين من هذه النقطة بالذّات؟ لماذا لا يبدأ بإيماننا بالإنسان؟ بشعورنا المشترك في كلّ شيء، في آلامنا، في أعمالنا، في مصالحنا، في رأفة قلوبنا أمام الضّعيف، أمام المظلوم، أمام الفقير، هذه نقاط أيضًا مشتركة؛ لماذا يبدأ الدّين بنقطة الإيمان باللّه؟ لأنه يريد أن يستند على أكثر صفات الإنسان إخلاصًا، على أجمل صفةٍ يُؤمن بها الإنسان، وهي الوفاء، لأنّ الإنسان إذا تجرّد عن كل شيء لا يمكن أن يتجرّد عن الوفاء؛ من لا وفاء له لا دين له، ولا إنسانية له. الوفاء هو النّقطة الأولى في بناء صفات الإنسان وإنسانيّته، ولا شكّ أنّ الإنسان الوفي لا يتمكّن أن ينسى نِعَمَ اللّه عليه، تلك النِّعَم الّتي هي كلّ وجود الإنسان، فأيّ شيءٍ نملكهُ نحنُ من دون اللّه؟ هل نعيش على أرضٍ غير أرض اللّه؟ هل نأتي إلى الدنّيا بغير إرادة اللّه؟ هل نأكل إلّا من رزقِ اللّه؟ هل نسعى إلّا بقوّة اللّه؟ أبدًا. كلّ ما نملك وكلّ ما نحبّ وكلّ ما نجِد من نِعَمِ اللّه سبحانه وتعالى، فنحنُ غريقون بنِعَمِ اللّه». [1]

---

1 **موسى الصّدر،** محاضرة بعنوان "معنى الإيمان"، ضمن كتاب: حركية الإيمان، مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 2016.

المبحث الثّالث
الإنسان في فكر الإمام الصّدر

الإنسان في الفكر الدّينيّ والإصلاحي والفلسفي والاجتماعي والأخلاقي والعملي للإمام هو المحور... له باللّه علاقة المخلوقية والاعترافِ والإيمانِ والطّاعةِ والعبادة، وله مع الكون علاقة الخلافة والكشف والتّطوير، وله من الإنسان قضية واجب الإنسان، وحقّ الإنسان على الإنسان، وله علاقة واجب الإنسان نحو الكون، ونحو نفسه ونحو الآخرين.[1]

أولًا: إنسانية العقيدة

يعتقد الإمام الصّدر بأن الأساس في العقيدة هو الإيمان باللّه الواحد، ويعدُّ نتائج الإيمان هذا بما يلي:

- ينزّه الإنسانَ عن الخضوع الكامل (العبادة) للموجودات الطّبيعيّة كلها، وللفرد المماثل له مهما بلغ من المقام، وبالنّتيجة لا يحدّد وجوده بحدّ مادي.
- يجنّد طاقات الفرد كافة نحو هدفٍ واحدٍ، ويصونها من الضّياع والتّسرُّب ومن الشّرك؛ أي التّجزئة المحطّمة لحياته ولنشاطاته.
- يوجّه الإنسان نحو الهدف اللّامتناهي، ويرسم لطموحه خطًّا طويلًا يتمكّن من السّير فيه من المهد إلى اللّحد وإلى ما بعد الموت.
- يجعل الكمال الإنساني المستمر بعيدًا من الاصطدام والتّزاحم مع الآخرين إذ اللّانهائية واللّامادية تتحكّم في جوهر نشاطاته وعطائه.
- يوحّد طاقات الجماعة في تنسيق مقارن بالسّباق، ويحول من دون الشّرك الجماعي الّذي يفرّق المجتمع وطاقات أفراده، يقول سبحانه وتعالى: **(...وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ*مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا...)** [الرّوم/ 31 و32].
- إن معنى الآية الآتية: **(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)** [الإخلاص/3] يبعد العنصر الذّاتي والانتسابات المتنوعة من ميدان مكاسب الإنسان إذ إنّ النّاس سواسية

---

1 **حسين صالح حمادة**، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.،ص 109.

كأسنان المشط، بل إنَّ له ما حصّلت يداه، يقول تعالى: **(وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)** [النّجم/39]. [1]

1 - الرّأي والعقيدة

يرى الإمام الصّدر بأنّ الرّأي والعقيدة، ثمرتا تفكير الإنسان، ونتيجة الجانب الأشرف من وجوده. والنّية الحسنة عدّت روح العبادة «وإنّ لكلّ امرئ ما نوى»[2] ومن أجمل ما يثيره الإسلام ويحافظ عليه تكريمًا للإنسان ونشاطاته المتنوعة، هو احتساب الجهد الضّائع «للمصيب أجران وللمخطئ أجرٌ واحدٌ». [3]

2 - تساوي البشر أمام اللّه

يعدّ الإمام الصّدر أنَّ الإسلام أَمَرَ بالاجتهاد في أصول الدّين؛ أي في حقل الإيمان والعقيدة، يعني أنّ المسلم هو الّذي يعرف وحدة اللّه بدليلٍ ومنطقٍ، أمّا الإيمان التّقليدي فلا يكفي.[4] وسبب هذا الأمر في رأي الإمام الصّدر هو أنّ الإيمان باللّه الواحد معناه أنّ الخَلْق كلّهم - ما دام اللّه واحدًا، ليس له ولد ولا والد ولا كفء ولا قريب ولا رحيم - أي أفراد البشر جميعهم سواسية كأسنان المشط. وبما أنّ أبناء البشر متساوون، يسهل التّعاون بينهم لأنّه ليس هناك من هو فوق الآخر، وغني عن الآخر حتّى لا يحصل التّعاون، بل كلّ فرد به حاجة إلى الآخر.... فكلّ منهم غني من جهة وفقير من جهة، فيأخذ ويعطي. [5]

3 - اللّه هو الّذي يرسم أبعاد الإنسانيّة الواحدة الكاملة

يعتقد الإمام الصّدر أنّ الإنسان لا يمكن أن يحدّد الإنسانيّة وقيمها على الرغم من ترابطها الذّاتي بالإنسان، أو يضع تفاصيلها. ويرى أنّ سبب ذلك عدّة أمور، أهمّها:

- إنّ مدارك الفرد والجماعة ومشاعرهما تتأثر حتمًا بمبادئهما الثقافية وبأوضاعهما

---

1 موسى الصّدر، رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانيّة، منشورات مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2009، ص 9 – 10.

2 محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، م. م.، ج 67، ص 212.

3 موسى الصّدر، الإسلام وكرامة الإنسان، م. م.، ص 21 – 22.

4 موسى الصّدر،الجانب الاجتماعي في الإسلام، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الثّانية،2009م، ص 14.

5 م. ن.، ص 14 - 15.

الخاصة وبمصالحهما الأرضية.

• إن الفرد والجماعة في تكاملٍ دائمٍ، ولذلك فهما في نقصٍ وعجزٍ دائمين عن إدراك أبعاد وجود الإنسان، الأبعاد الّتي يسير نحوها ويسعى إلى الوصول إليها. فإذا أراد الإنسان وَضْع تفاصيل الإنسانيّة وقيمها، فإنّه سيفعل ذلك بصورةٍ نسبيةٍ، هذا يؤدّي إلى تعدّد الإنسانيّة وإلى إخضاع الأهداف للأوهام والتّخيُّلات. وعليه، فإنّ المقام الصّالح لوضع هذه التّفاصيل الّتي هي أبعاد الإنسانيّة الواحدة الكاملة، هو اللّه، خالق الإنسان، وخالق الكون والحياة، وهذا هو مفهوم ضرورة سماوية الدّين وغيبيته وإطلاقه. من أجل تأكيد صحّة هذا البحث وتبنّي علماء الإسلام له، رضوان اللّه عليهم، يعيد إلى الأذهان المبدأ المعروف: «إنّ الواجبات الشّرعية ألطاف في الواجبات العقلية»؛ والمبدأ الآخر: «كلّ ما حكم به العقل حكم به الشّرع».[1]

4 - رجوع الإنسان إلى اللّه

الرّجوع الإرادي الحرّ الّذي يعود فيه الإنسان بين الحين والآخر لينصب الميزان بينه وبين ذاته، يستفاد من العناصر الرّسالية الّتي بُنيت عليها أطوار الرّسالات الإلهية الثّلاثة، حسب مفهوم الإمام الصّدر الّذي يرى أنّ «الرّسالات الإلهية ذات أطوار ثلاثة تبدأ برسالة الضّمير الإنساني، تليها رسالة الأنبياء، وأخيرًا رسالة التّجارب المريرة والصّعوبات والمشكلات الّتي يعانيها الإنسان والّتي هي تحرُّكات لدفع الإنسان إلى الخير والكمال».[2]

5 - قضية الإيمان والطّاعة

حين يعيش الإنسان - في فكر الإمام الصّدر- جَوَّ العبودية لله في قيامه وركوعه وسجوده، فإنّه ينفتح على مسؤولياته في الحياة، على كلّ ما أمر اللّه به ونهى عنه.

الإيمان في ميزان الإمام الصّدر هو نور القلب في العقل، ونور العقل في القلب. إنّه صلاة الخلاص، أغنية النّصر، نشيد الوصول، محطة الحقّ، آية التّماسك في بناء الإنسان، عنوان التّزاوج في عناصره ومقوّماته، صعود به إلى العُلا ليتقبّل

---

1 **موسى الصّدر**، رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانيّة، م. م.، ص 8 – 9.

2 **حسين شرف الدّين**، مشاركة بعنوان: "الإمام موسى الصّدر وحقّ الحياة على الإنسان"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 156.

شيئًا من اللّه. بالإيمان ينقلب الإنسان مِن إنسانِ الخاطرة والحركة، والكلمة، والعمل، والحس موصولًا بعالم القدسية، ليعيش حساسية الميزان... [1]
إنّ الفطرة المرادة هي قاسم مشترك في حدود الإنسانيّة. فالإنسان على فطرته متحرّر من أثقال العبوديّة، عبودية السّلطان والمال والهوى، عبودية النّفاق والدّجل، عبودية الشّهوة واللّامبالاة والضّياع، عبودية الألم واللّذة في آنٍ معًا. ذلك أنّ معتمد الإسلام في النّشاط الفكريّ للسّيّد الصّدر، فطرة سليمة في الإيمان... [2]

ثانيًا: الدّين والإنسانيّـــة

يرى الإمام الصّدر بأنّ القرآن الكريم يؤكّد التّطابق الكامل بين الدّين وبين الإنسانيّة إذ يقول سبحانه وتعالى: **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَت اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدين الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** [الرّوم/30]. والحديث الشّريف يعبّر عن تساوي الإسلام وفطرة الإنسان بقوله: «كلّ مولود يولد على الفطرة». [3]

1 - الأديان من أجل الإنسان

يعدّ الإمام الصّدر أنّ الأديان كانت من أجل الإنسان، وكانت واحدة آنذاك، ولهذه الوحدة وجوهٌ عِدّة. فهي واحدة من حيث إنَّه يبشّر بعضها ببعض، ويصدّق أحدها الآخر، فأخرج اللّه النّاس بها من الظّلمات إلى النّور بعد أن أنقذهم بها من الخلافات الكثيرة السّاحقة والمفرّقة، وعلّمهم السّلوك في سبيل السّلام. [4]
كانت الأديان واحدة إذ كانت في خدمة الهدف الواحد دعوة إلى اللّه وخدمة للإنسان، وهما وجهان لحقيقةٍ واحدةٍ. ثمّ اختلفت عندما اتّجهت إلى خدمة نفسها أيضًا، ثمّ تعاظم اهتمامها بنفسها حتّى كادت أن تنسى الغاية، فتعاظم

---

1 **حسين صالح حمادة**، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 109 – 110.

2 م. ن.، ص 111.

3 **موسى الصّدر**، رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانيّة، م. م.، ص 7.

4 **موسى الصّدر**،"الإنسان في حاجاته وكفاءاته، حفاظًا على الإنسان"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 11 – 12.

الخلاف واشتد فازدادت محنة الإنسان والأمة.
كانت الأديان واحدة تهدف إلى غاية واحدة، وهي حربٌ على آلهة الأرض والطّغاة، ونصرةٌ للمستضعفين والمضطهدين، وهما أيضًا وجهان لحقيقةٍ واحدةٍ. ولما انتصرت الأديان وانتصر معها المستضعفون؛ وجدوا أنّ الطّغاة غيّروا اللّبوس وسبقوهم إلى المكاسب، وأنّهم بدأوا يحكمون باسم الأديان ويحملون سيفها؛ فكانت المحنة المتعاظمة للمضطهدين، وكانت محنة الأديان والخلافات فيما بينها، ولا خلاف إلّا في مصالح المستغلّين.
كانت الأديان واحدة، لأنّ البدءَ الّذي هو اللّه واحد، والهدفَ الّذي هو الإنسان واحد، والمسيرَ الّذي هو هذا الكون واحد. وعندما نسينا الهدف وابتعدنا من خدمة الإنسان، نسينا اللّه وابتعد منّا، فصرنا فرقًا وطرائقَ قددًا، وأُلقي بأسنا بيننا، فاختلفنا، ووزّعنا الكون الواحد، وخدمنا المصالح الخاصة، وعبدنا آلهة من دون اللّه، وسحقنا الإنسان فتمزّق.[1]

2 - الدين وطموح الإنسان

إنّ مشكلة الطّموح اللّانهائي في الإنسان، مع نهاية وسائل تحقيق الأهداف، هي أساس الصّراع الدّائم بين الأفراد وبين الجماعات. فالإنسان لا يقتنع بما يمتلك، ووسائل الإنتاج محدودة عنده. وهنا يحصل الصّراع المستمر؛ ولا تُحلّ المشكلة إلّا بتوجيه الطّموح البشري نحو اللّانهاية، لكي لا يموت الطّموح، ولكي لا يحصل اكتفاءٌ من دون صراع، فهناك نقطتان: إما أن نحدَّ من طموح الإنسان، وإمّا أن نفتح له طريقًا لا نهاية له حتى يتمكّن من السّير الدائم.
فإذًا، الطّموح، وبقاؤه، الّذي هو شرط أساسيّ لبقاء الإنسان، وعدم خلق الصّراع، والمشاكلات في مجتمعاتنا لا يمكن إلّا بالإيمان بالمطلق، وأن يجعل الإنسان غايته الكسب من المطلق قدر المستطاع، والإيمان بالغيب. فالإيمان بالغيب يوسّع مفهوم الإنسان عن نفسه، لأنّ الإيمان بالغيب يربطه باللّه، مالكِ الموتِ والحياة. فما دمتُ أنا معلول لله، ومخلوق لله، فإذًا، أنا من اللّه، ومنسجم مع اللّه، فلا أموت، وأنا أخلد وأكون خالدًا. فالإنسان المؤمن باللّه يرى نفسه خالدًا، يملك حياة مادية، هذه الحياة ملك الإنسان، ولا يمكن انتزاع الخلود منه، ممكن

---

1 م.ن.، ص 44.

انتزاع الحياة من الإنسان، ولكن لا يمكن انتزاع الخلود منه.[1]
وهكذا، يستطيع الإنسان أن يتغلّب على الموت، ويستعمل الحياة، كلّها منه، وسيلة لا غاية. فيتمكّن الإنسان عند هذا من تعميق العطاء؛ لأنّ العطاء قد يكون بالمال، وقد يكون بالطّاقة، وقد يكون بالفكر. فحينما يؤمن الإنسان بالخلود، يستطيع أن يعطي كلّ ما يملك. ولكن إذا أعطى الكلّ، لا يبقى شيء حتّى يملك. لكي نحافظ على شيء يُملَك ويُعطى، يجب أن يكون الإنسان مؤمنًا بالخلود. فإذًا، تعميق العطاء، إلى حد عطاء النّفس، من آثار الإيمان باللّه مالك الموت والحياة. وهنا تتكوّن الطّاقة الهائلة. وبهذه المناسبة نلاحظ كيفية التّعبئة عند الدّين، وسر نجاح الدّين في أول الأمر على الرغم من قلّة المتدينين، وكثرة الأعداء.[2]
يعتقد الإمام الصّدر بأنّ الدّين أولًا، هو المدرسة الفكرية الوحيدة الّتي تعدّ أنّ الإنسان، وإن مات قبل الوصول إلى النّهاية فهو المنتصر، وجزاؤه محسوب، ويسجّل ضمن المنتصرين. فالإنسان في الطّريق الدّيني يُعرَف، سواء بلغ الغاية، أو مات من دون الوصول إلى الغاية، فهو المنتصر، يقول سبحانه وتعالى **(قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ)** [التّوبة/ 52].[3]
ويعتقد ثانيًا، أنّ الدّين هو المدرسة الفكرية الوحيدة الّتي تقدّر الطّاقة المبذولة في الخطأ. إذ، كثيرًا ما يتفق أنّ الإنسان يخطئ في سبيل الوصول إلى غاية، وفي سبيل الدّفاع عن مهمّة. الطّاقات غير المرئية محسوبة في المنطق الدّيني، إعطاء لون العبادة إلى الفعل. فالفعل الخارجي ذو لون عبادي، وإذا كسب الفعل لون عبادة فقد صار هنيئًا وقريبًا إلى ذهن العامل. والتّعبئة النّفسية تبلغ كمالها حينما نجد أنّ الإنسان في سيره الكوني منسجم مع الكون، ومنسجم مع الجو الصّالح الّذي يتكوّن من عبادة كلّ شيء، وسجود كلّ شيء، وبالنّتيجة، الوسيلة الكاملة لتجنيد طاقات البشرية، طاقات البشر كلّها بما فيه تصميم الحياة لأجل العطاء والبناء فهو وسيلة التّعبئة الدّينية.[4]
يعتقد الإمام الصّدر بأنّ البناء الدّيني، لا يعني بناء المساجد والكنائس فقط، ولا العطاء الدّيني، ولا يعني الصّلاة والصّيام فقط، بل كلّ ما هو من تكوين

---

1 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "الدّين اليوم"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 44.

2 م. ن.، ص 44 45-.

3 م. ن.، ص 46.

4 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "الدّين اليوم"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 47-46.

الحضارة البشرية، وكلّ ما هو من نتيجة عمل الإنسان في الحياة إذا صدر عن الإنسان بنيّةٍ حسنةٍ، فقد نسمّيه عبادة وبناءً وعملًا مقبولًا عند اللّه. فإذًا، نحن نبني الأرض بناءً صحيحًا كاملًا، ولكن بأمر السّماء.. تقول الآية الكريمة: **(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ)** [القصص/77]. [1]

3 - الإسلام والإنسانيّة

بناءً على تعريف الإمام الصّدر لمفهوم الإسلام، بأنّه "التّسليم لله" ما يعني أنّ كلّ شيء عندما يقف في مكانه الحقيقي من الخَلْق فهو مسلم، فإنّ الموقع الّذي جعله اللّه للإنسان في الخلق وجعل الإنسان له، هذا الموقع: إنسانيته وإسلامه في الوقت نفسه. إذًا، الإنسان من هذا الموقع الطّبيعي يرتبط بالخالق وبالموجودات البشريّة والطّبيعيّة، فإسلام الإنسان يكمن في إنسانيته. وهذه الآيات المباركة من سورة البقرة توضّح هذه الحقيقة، يقول سبحانه وتعالى: **(قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ*فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ*صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ)** [البقرة/ 138-136]. [2]

4 - إنسانيّة الثّقافة في الإسلام

يعدّ الإمام الصّدر أنّ المفاهيم العامة الّتي يقدمّها الإسلام لتكوين ثقافة أولية أصيلة للإنسان المسلم ولخلق نظرة له شاملة إلى الكون والحياة، هذه المفاهيم ترتكز على القيم الإنسانية وتصونها. [3]

وإذا تتبَّعنا تعاليم الإسلام في الإنسان وفي الحياة والكون والمجتمع وغير ذلك من المفاهيم العامة الّتي لا تنالها يد العلم والتّجربة وتبقى في نطاق النّظريات، إذا تتبّعناها نلاحظ عمق إنسانيّتها. [4]

---

1 م. ن.، ص 46 -47.

2 موسى الصّدر، رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية، م. م.، ص8-7 .

3 موسى الصّدر، رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية، م. م.، ص 11.

4 م. ن.، ص 12.

ثالثًا: الإسلام وكرامة الإنسان

يعتقد الإمام الصّدر أنّ الخطوة الأولى في طريق تربية الإنسان ورفع مستواه في حقول التّكامل جميعها، هي في جعله يشعر بكرامته، ويهتمُّ بشؤون نفسه، وإلا فسوف لا يولي نفسه أيَّ اهتمام، ولا يبذل لإصلاح وضعه أيَّ نشاط، مهملًا حاضره ومستقبله وحتّى ماضيه. [1]

يرى الإمام الصّدر أنّ بإمكاننا أن نفتّش في مسرح الكون عن عناصر ثلاثة: الإنسان، الكون، والدّين أو القرآن.

كما أنّ التّطوّر هو تفاعل الإنسان مع الكون وقراءة شيء جديد من الكون، كذلك بإمكان الإنسان أن يقرأ في الدّين أيضًا اكتشافات جديدة وأشياء جديدة وتطورات جديدة. وكما أنّ الكون كلّ يوم بإمكانك أن تتعمّق فيه صفحةً أو درجة أو مرحلة، وهذا هو التّطوّر. بإمكانك أن تدرس كلّ يوم شيئًا جديدًا فتفهم أشياء جديدة. [2]

بحسب رأي الإمام الصّدر، في مثل هذه الحالة بإمكان البشرية أن تستفيد من الدّين والقرآن، لأنّه كلام اللّه. ولو كان كلام غير اللّه ما كان فيه هذه الميزة لأنّ كلامه يحكي عن ثقافة عصر المتكلّم ولا يتجاوز ثقافة عصره، أمّا كلام اللّه فثقافته لا حدَّ لها. [3]

كما يعتقد الإمام الصّدر أنّ الإنسان في القرآن الكريم مكرّم ومفضّل على كثير من الخلق، مخلوق في **﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾** [التّين/4]. من أحسن الخلق وهو مخلوق بيد اللّه، إنّه خليفة اللّه في الأرض، علّمه الأسماء ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسّجود له، وسخَّر له الشّمس والقمر والنّجوم واللّيل والنّهار. إنّه الموجود الوحيد الّذي شرّفه اللّه بالعلم، وبإمكانية السّيطرة على القوى الكونية وسائر الموجودات. [4]

---

1 موسى الصّدر، الإسلام وكرامة الإنسان، م. م.، ص 5.

2 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "كرامة الإنسان"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 472 -473.

3 انظر: موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "كرامة الإنسان"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 473.

4 انظر: موسى الصّدر، رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية، م. م، ص 12.

رابعًا: الإنســـان المخلوق المســـؤول

توقف الإمام الصّدر عند الإنسان بشؤونه كلّها، بواجباته وحقوقه كلّها، بحاجاته ورغائبه كلّها، بفضائله ورذائله، بواقعه الفردي والجماعي في الدّنيا، ومصيره في الآخرة.

فالإنسان كان كلَّ همِّ الإمام الصّدر، وحين كان يتحوّل إلى اللّه كان لينتهي إلى الإنسان في علاقاته باللّه، وبالآخرين، ومع الكون تفاعلًا وتسخيرًا، وإرادةً، وتدبيرًا وتطويرًا.

فالإنسان المخلوق المسؤول هو صفوة خلق اللّه، بل صفوة الصّفات جميعها الّتي ذكرها القرآن عن الإنسان. أمّا خاصّة التّكليف، أو عامته، فهي في معارض الحمد والذّم من طباعه وفعاله. هذا كلّه يعني أنّ الإنسان أهلٌ للكمال والنّقص، بما فُطر عليه من استعداد لكلّ منهما، فهو أهل للخير والشّر لأنّه أهل للتّكليف. والإنسان في نظرية الإمام الصّدر القرآنية أو الإسلامية مسؤول عن عمله فردًا وجماعة، لا يؤخذ واحد بوزرِ واحدٍ، ولا أمة بوزرِ أمة، تقول الآية الكريمة: **(...كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ)** [الطّور/ 21]، ويقول اللّه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: **(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ*وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)** [الزّلزلة/ 7 - 8]. [1]

1 - أركان مســـؤولية الإنســـان إزاء عمله

بالنّسبة إلى الإمام الصّدر، فإنّ هذه المسؤولية قائمة على أركان ثلاثة:

تبليغ - علم - عمل

- التّبليغ: يقول سبحانه وتعالى: **(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)** [الإسراء/15].

- العلم: أولى آيات الكتاب الكريم كانت الأمر بالقراءة، للتّنويه بعلم اللّه، وعلم الإنسان، يقول سبحانه وتعالى: **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ*الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ*عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)** [العلق/ 5-1].

- العمل: فهو مشروط في القرآن بالتّكليف الّذي تتسع له طاقة المكلف، وبالسّعي الّذي يسعاه إلى ربه وإلى نفسه، يقول سبحانه وتعالى: **(لاَ يُكَلِّفُ**

---

1 حسين صالح حمادة، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص120 121-.

اللّـهُ نَفْسًـا إِلَّا وُسْـعَهَا...) [البقـرة/286]، ويقـول سـبحانه وتعـالى أيضًـا: **(وَأَن لَّيْـسَ لِلْإِنسَـانِ إِلَّا مَـا سَـعَى)** [النّجـم/39].

ورُسُـل البـلاغ هـم أول المكلّفيـن بالعلـم والعمـل، إنّهـم جميعًـا أمّـة واحـدة، هـي الأمّـة الإنسـانيّة، وإلههـم جميعًـا إلـه واحـد هـو ربّ العالميـن، يقـول تعـالى: **(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ*وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّـةً وَاحِـدَةً وَأَنَـا رَبُّكُـمْ فَاتَّقُـونِ)** [المؤمنـون/51 - 52].

فالإنسـان، بكمـال اسـتعداده للخيـر والتّكليـف واسـتعداده للشّـر، كانـت لـه فـي القـرآن نصـوص الأمـر والنّهـي، والعِظـة والتّذكيـر، والثّـواب والعقـاب. وهنـا يكـون الإنسـان أكـرم الخلائـق، حتّـى الملائكـة، بهـذا الاسـتعداد المتفـرّد بيـن خلائـق الأرض والسّـماء مـن ذي حيـاة، أو مـن غيـر ذي حيـاة، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(وَلَقَـدْ كَرَّمْنَا بَنِـي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُـمْ فِـي الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ وَرَزَقْنَاهُـم مِّـنَ الطَّيِّبَـاتِ وَفَضَّلْنَاهُـمْ عَـلَى كَثِيـرٍ مِّمَّـنْ خَلَقْنَـا تَفْضِيـلًا)** [الإسـراء/ 70]، كمـا يقـول سـبحانه وتعـالى: **(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَـانَ فِـي أَحْسَـنِ تَقْوِيـمٍ)** [التّيـن/4]، **(...سَـخَّرَ لَكُـم مَّـا فِـي الْأَرْضِ...)** [الحـج/65].

فـي فكـر الإمـام الصّـدر لا يُسـأل الإنسـان عمـا يَجهـل، ولكنّـه يُسـأل عمّـا يعلـم وعمّـا وَسِـعَه أن يعلـم. ومـا مـن شـيء فـي عالـم الغيـب، أو عالـم الشّـهادة محجـوب كلّـه عـن علـم الإنسـان، فمـا وسـعه مـن علـم فهـو المحاسـب عليـه، والمسـؤول عنـه. وخدمـة الإنسـان هـي الطّريقـة الّتـي فضّلهـا اللّـه وجعلهـا هدفًـا لحياتنـا، ورسـالة لهـا. خدمـة الإنسـان لا خدمـة شـخص. [1]

2 - الإنســـــان مكلّف حرّ

لا ينسـى الإمـام الصّـدر أن الإنسـان المسـؤول مكلّـف بمهمّـات ليـس لـه أن يتجاوزهـا، ولا أن يقصّـر فـي أدائهـا. لا يكلَّـف الإنسـان إلا بمقـدار طاقتـه. مَـنْ مَسَّـه طائـف مـن الجنـون، مَـنْ لـم يبلـغ الرّشـد، المريـض والعاجـز، هـؤلاء جميعًـا ليسـوا بمكلَّفيـن. [2]

مـن هنـا صـارت مكانـة الإنسـان فـي فهـم الإمـام الصّـدر للقـرآن بخاصـة، والإسـلام بعامـة، هـي أشـرف مكانـة فـي ميـزان العقيـدة والفكـر، وفـي ميـزان «الخليفـة» الّـذي تـوزن بـه طبائـع الكائـن بيـن عامـة الكائنـات، إنّـه الإنسـان المكلَّـف. بهـذا يكـون الإنسـان هـو الكائـن الأصـوب فـي التّعريـف مـن قـول القائليـن: الكائـن النّاطـق، أو

---

1 حسين صالح حمادة، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 121 -122.

2 م. ن.، ص 122.

الأشرف في التّقدير من الملك الهابط، ومن الحيوان الصّاعد.
من أكثر خصوصيات المكلَّف في فكر الإمام الصّدر أهمّية: العقل. والعقل وازع يَعْقِل صاحبه عما يأباه له التّكليف. هو فهم وفكر يتقلَّبان في وجوه الأشياء وفي بواطن الأمور. هو رشد يميّز بين الهداية والضّلال، هو روية وتفكير، هو بصيرة تنفّذ وراء الأبصار، هو ذكرى تأخذ من الماضي للحاضر. وتجمع العبرة مما كان لما سيكون، وتحفظ وتعي وتبدئ وتعيد، والعقل بهذه المعاني كلّها موصول بكلّ حجة من حجج التّكليف، وكلّ أمر بمعروف، وكلّ نهي عن محظور.
«أفلا يعقلون»؟
«أفلا يتفكّرون»؟
«أفلا يبصرون»؟
«أفلا يتدبرون»؟
«أليس منكم رجل رشيد»؟
«أفلا تتذكرون»؟
إنّ هذا العقل بأعماله كلّها الّتي يناط بها التّكليف حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسّماء، ومن أمر أنفسهم، ومن أمر خالقهم، خالق الأرض والسماء، يقول سبحانه وتعالى: **(...يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا...)** [آل عمران/ 191].[1]
ومن أكثر خصوصيات المكلّف أهمّية أيضًا عند الإمام الصّدر: الحرية، وذلك أنّ الحرية هي المناخ الملائم لنموِّ طاقات الإنسان، وبروز مواهبه عند توافر الفرص. هذه الحرية الّتي كانت تتعرّض دائمًا للاعتداء، وكانت تُغتصب من قبل الآخرين بحجج متنوعة، هي أمّ الطّاقات. [2]

خامسًا: الإنســـــان في الإسلام

يعدّ الإمام الصّدر أنّ أكثر تعريف مهمّ للإنسان في الإسلام هو أنّ "الإنسان خليفة اللّه على الأرض". وأنه صنيعة اللّه وحامل روحه. ويؤكّد الإمام الصّدر بأنّ

---

1 حسين صالح حمادة، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 123 - 124.

2 م. ن.، ص 127.

الإنسان صُنع على يد اللّه وفيه روح اللّه، تقول الآيات الكريمة: **(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بشرًا مِن طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)** [ص/71 - 72]، **(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)** [ص/75].[1]

فخَلقُ الإنسان من جنس الأرض على يد اللّه، والنّفخ فيه من روح اللّه صورة واضحة عن الجوانب الوجودية الشّاملة في الإنسان والّتي تمتدّ من الأرض إلى السماء، وهذا تعبيرٌ قويٌّ أيضًا للكرامة الّتي يتمتع بها الإنسان. [2]

1 - الإنسان ذروة الخَلْق وقمة الصّنع

جعل اللّه الإنسان ذروةً في الخلق، وقمةً في الصّنع، يقول سبحانه وتعالى: **(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ* ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ*إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)** [التّين/-4 6]، **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)** [المؤمنون/ 12 - 14]. [3]

2 - الإنســـان خليفة اللّه

يقول الإمام الصّدر: إنّ الإنسان في رأي الإسلام خليفة اللّه على الأرض، عالم بالأسماء كلّها، مسجود له من ملائكة اللّه جميعها. تقول آيات القرآن الكريم: **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ* وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ*وَإِذْ قُلْنَا**

---

1 موسى الصّدر، الإسلام وكرامة الإنسان، م. م، ص 8 – 9.

2 م. ن.، ص 9.

3 موسى الصّدر، الإسلام وكرامة الانسان. م. م.، ص 9.

لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ) [البقرة/ 30 – 34].[1]
يعدّ الإمام أنّ مفهوم الخليفة يوضّح تمام الوضوح استقلال الكائن البشري وحريّته في التّصرُّف على الأرض. أمّا السّبل المرسومة له والخطوط المكتوبة عليه، فهي النّصائح الّتي قرَّرها اللّه لخليفته: الإنسان.[2]
إنّ تعليم الأسماء لآدم، الأسماء الّتي يعود إليها ضمير "هم" المختص بذوي العقول، وتأكيد اللّه لملائكته بعد اعترافهم بالعجز أنّه يعلم غيب السّماوات والأرض. هذا التّعليم والتّأكيد يعكسان في الذّهن إمكانات الإنسان الهائلة، وتمكّنه من معرفة الموجودات جميعها والقوى المتفاعلة في دائرة خلافته والّتي جُعِلت تحت تصرفه في حياته الرّسالية.[3]
وسجود الملائكة، وهم نخبة الموجودات، تأكيد صريح لخضوع الموجودات كافة للإنسان وإطاعتها له، إذًا إنّ أكثر صفات الإنسان أهمّية حسب الإمام الصّدر هي: الاستقلال بالتّصرُّف، والإمكانات الكبيرة، وخضوع عامة الموجودات له.[4]
يرى الإمام أنّ شعور الملائكة باستقلال البشر في التّصرُّف على الأرض، ومعرفتهم أنّ هذا الاستقلال لا يتمّ إلّا إذا كان البشر يملكون الإحساس بالشّرور ويتمكَّن منهم. هذا الشّعور، هو الّذي يجعل الملائكة يقولون: إنّ الإنسان سوف يُفسد في الأرض ويسفك الدّماء، ومع ذلك نرى أنّ هذا الخطر لا يقلّل من مقام الإنسان وكرامته، بل يبرزه كشرط أساسي لاستقلال الإنسان وحريّته في التّصرف.[5]
وإبليس، من منظور القرآن، هو الوحيد الّذي أبى السّجود لآدم، واستكبر عليه. فكان نصيبه الطّرد من مقام ملكوت اللّه، وجزاؤه العذاب يوم البعث.. تقول آيات القرآن الكريم: **(فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ* قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ* قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدين * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ* قَالَ فَبِعِزَّتِكَ**

---

1 م. ن.، ص ص 6-7.

2 م. ن.، ص 7.

3 م. ن.، ص 7.

4 **موسى الصّدر**، الإسلام وكرامة الانسان. م. م.، ص7.

5 م. ن.، ص ص 7-8.

لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ* قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ* لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ) [ص/ 73 – 85].
وإبليس هذا الّذي صار شيطانًا رجيمًا بعد امتناعه عن السّجود لآدم، يقود جنود الشّر في حياة الإنسان ويجعل الصّراع محتدمًا في العالم كلّه، وفي نفس الإنسان. والمنتصرون في المعركة، المخلصون من عباد اللّه، هم ثمار الكون الّذي من أجلهم خُلِق، وصار ميدانًا لخلافتهم. [1]

3 - مفهوم الخليفة

إنّه يقوم مقام من استخلفه في التّصرُّف والعلم والحرية. تعكس هذه الخلافة استقلال الإنسان وحريّته في التّصرُّف على الأرض، وبما استُخلف فيه. يظهر من الآية أنَّ إمكانيات واسعة، تمكّنه من معرفة جملة الموجودات، والقوى المتفاعلة في دائرة خلافته، وما أوسع دائرة هذه الخلافة! إنّ سجود الملائكة، وهم صفوة الموجودات ونخبتهم، إنّما هو تأكيد لخضوع مختلف الكائنات للإنسان وإطاعتها له. [2]

4 - حامل الأمانة

الأمانة الّتي عجز الكون كلّه عن حملها، تمكّن الإنسان من حملها.. يقول اللّه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا* لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)** [الأحزاب/ 72 - 73].
ومهما كان تفسير الأمانة، دِينًا أو معرفةً أو ولايَة أو شرف مسؤولية، مهما كان ذلك، اختصاص الإنسان بحملها تكريم له وإشادة بمقامه العظيم. [3]

5 - مقام النّبوّة

يعتقد الإمام الصّدر أنّ مقام النّبوّة هو مقام الرّسالة الإلهية، هو مقام الخُلّة،

---

1 م. ن.، ص 8.

2 حسين صالح حمادة، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 119.

3 موسى الصّدر، الإسلام وكرامة الإنسان، م. م.، ص 11.

مقام التّكلُّم مع اللّه، ومقام الاصطفاء، ومقام المحبّة مع اللّه. مقام كلمة اللّه، مقامات خُصِّصت بالعنصر البشري وهي أشرف ما يصل إليه مخلوق على الإطلاق. يقول سبحانه وتعالى: **(لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ)** [آل عمران/ 164]، ويقول في كتابه الكريم: **(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ)** [الأنعام/ 9] وكثير غيرها من الآيات القرآنية الدّالة على اصطفاء اللّه لرسله، وعلى ما ذكر من الوصف. [1]

6 - صيانة كرامة الإنسان

يعدّ الإمام الصّدر أنّ الإسلام ينبني في تشريع أحكامه وسَنِّ قوانينه على قاعدة تكريم الإنسان، ويحسب هذا المبدأ هدفًا رئيسًا من أهداف الدّين ومن غايات الرّسالة.

نختم المبحث الثّالث بعبارات يبيّن فيها الإمام الصّدر أن اللّه تعالى أعطى الإنسان حريّة الاختيار، وكلّفه باختيار الخير والصّواب في كل موقف، يقول:

«علاقة الإنسان باللّه مرسومةٌ من خلال هذه الكلمة **{الّذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى}** [الأعلى، 3-2]. الخلق والتّسوية يعنيان إعطاء الكفاءات ووضع الدّور (قدّر) وتوجيه الإنسان نحو هذا الدّور. الإنسان في خلقه وفي تحرُّكه مرتبط باللّه سبحانه وتعالى، تبادل الكفاءات، علاقات الإنسان بعضهم مع بعض ولكن خلق الكفاءات هو دور اللّه في الإنسان مع خلق الإنسان في الأساس. أمّا لماذا لا يتدخّل اللّه سبحانه وتعالى في دفع الشّر وفي فرض الصّلاة أو في فرض الخير على البشر؟ لأنّه إذا تدخل نصبح كلّنا مثل النّحلة... لا إنسانية عند ذلك، الإنسان يكتمل نتيجة للصّراع النّفسي بين الخير والشّرّ، لأنّه هو مخيَّر بين الخير والشّرّ، فيختار الخير ويتعب ويتعذب. هذا العذاب هو الصّراع الّذي يؤدي إلى الكمال لأنّه رياضة نفسية. أمّا إذا كان الإنسان مسّيرًا ومجبورًا، نحو الخير [...] يصبح البشر كلّهم مثل الخرفان أو مثل النّحلات... يعني هو موجود مسيَّر مثل

---

1 م. ن.، ص 11-12.

هذه الموجودات الكونية الأخرى. كمال الإنسان أن يختار الخير بملء إرادته وأن يعيش صراعًا دائمًا بين الخير والشّر في كلّ خطوة وفي كلّ موقف». [1]

---

1 **موسى الصّدر،** محاضرة بعنوان "أسئلة وأجوبة عن القضاء والقدر"، ضمن كتاب: قولوا لا إله إلّا اللّه تفلحوا، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للدّراسات والأبحاث، بيروت، الطبعة الأولى، 2019، ص .

المبحث الرابع
قاعدة تشـــريع الأحكام

يعتمـد الإسـلام فـي تشـريع أحكامـه وسَـنِّ قوانينـه، حسـب الإمـام الصّـدر، عـلى قاعـدة تكريـم الإنسـان، ويعـدّ هـذا المبـدأ، هدفًـا رئيسًـا مـن أهـداف الدّيـن، ومـن غايـات الرّسـالة. [1]
أكثـر تلـك التّعاليـم أهمّيـة يعدّهـا الإمـام الصّـدر هـي مـا يلـي: فطـرة اللّـه، حفـظ النّفـس والآخريـن، التّحـرّر الجوهـري، قدسـية الكلمـة، والسّـعادة والعمـل. [2]
لبيان مراد الإمام الصّدر من هذه العناوين، نذكر بعض نصوصه في هذا الخصوص.

أولًا: فطـرة اللّه

يعـدّ الإمـام الصّـدر، أنّ الدّيـن بصـورة موجـزة، هـو فطـرة اللّـه الّتـي فطـر النّـاس عليهـا. والدّيـن تعبيـر صحيـح عـن هـذه الفطـرة وإبـراز لهـا إبـرازًا غيـر متأثـر بالعوامـل المختلفـة الخارجـة عـن طبيعـة الإنسـان.. يقـول سـبحانه وتعـالى: **(فَأَقِـمْ وَجْهَـكَ لِلدِّيـنِ حَنِيفًـا فِطْـرَت اللَّـهِ الَّتِـي فَطَـرَ النَّـاسَ عَلَيْهَـا لَا تَبْدِيـلَ لِخَلْقِ اللَّـهِ ذَلِـكَ الديـن الْقَيِّـمُ وَلَكِـنَّ أَكْثَـرَ النَّـاسِ لَا يَعْلَمُـونَ)** [الرّوم/ 30]. وكذلـك الحديـث الشّـريف الـوارد فـي تفسـير الآيـة الكريمـة: «إنّ كلّ مولـود يولـد عـلى الفطـرة». فالدّيـن بموجـب هـذه التّعاليـم، هـو فطـرة الإنسـان. ولكـن الإنسـان نفسـه لا يتمكّـن مـن التّعبيـر عنهـا، لأنّـه يتأثّـر بالعوامـل الّتـي تحيـط بـه وينفعـل بهـا، فشـعوره بنفسـه وتعبيـره عـن فطرتـه، يكسـب لونًـا خاصًّـا.
وعليـه؛ يـرى الإمـام الصّـدر أنّ مـن الصّحيـح أن يعبّـر عن هـذه الفطـرة الإنسـانيّة مقـام آخـر، لا يتأثّـر بالعوامـل الخارجـة عـن الإنسـان. وهـذا المقـام، فـوق كلّ عامـل، وخالـق كلّ مؤثـر، وهـو مقـام اللّـه الّـذي شـرّع الديّـن، وعـدّ الفطـرة الإنسـانيّة المخلوقـة شـريعته ورسـالته. [3]

---

1 موسى الصّدر، الإسلام وكرامة الإنسان، م. م.، ص 12.

2 م. ن.، ص 12 – 17.

3 م. ن.، ص 13.

ثانيًا: حفظ النفس والآخرين

احترم الإسلام حياة الإنسان، وعدّ أنّ مَنْ أَحيا نفسًا **(فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جميعًا)** [المائدة/ 32]، ومن قتلها متعمّدًا كأنّه قتل النّاس جميعًا، وجزاؤه جهنم. يقول سبحانه وتعالى: **(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جميعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جميعًا)** [المائدة/ 32].

يعتقد الإمام الصّدر أنّ حرمة النّفس لا تختصّ بالإنسان المولود، بل تشمل حتّى الجنين، لأنّ الإسلام لا يسمح بقتل الجنين. وكذلك، لا تختصّ بالآخر، بل الإسلام لا يسمح أن يتصرف الإنسان بنفسه بالانتحار، حسبانًا منه بأنّ حياته ملك له، وحرم هذا تحريمًا قاطعًا، فقال تعالى: **(وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)** [النّساء/ 29]. [1]

ولهذا، جعل في قتل الخطأ، ديّة لوليّ الدّم. وصار اليوم هذا الأمر قانونًا عامًّا، مع العلم أنّه من التّشريعات الإسلامية. ويبالغ الإسلام في وجوب حفظ نفس الآخرين، ويهدّد الّذين يهملون شؤون فقرائهم وأيتامهم، إذ يؤدّي إلى موت أحدهم فقرًا وعجزًا، يقول سبحانه وتعالى: **(وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)** [البقرة/ 195]، **(وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)** [البقرة/ 272]، **(وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا)** [النّساء/9]، ويقول الإمام الصّادق[2] عليه السّلام: «لَأَنْ أَعُولَ أهل بيت من المسلمين، فأُكسي عريهم وأُشبع جياعهم، أحبُّ عند اللّه من حجة وحجة إلى سبعين حجة». [3]

---

1 موسى الصّدر، الإسلام وكرامة الإنسان، م. م.، ص 13.

2 الإمام الصّادق (702 - 765م): جعفر بن محمّد الصّادق، هو الإمام السّادس للشّيعة الإثني عشرية، وكانت فترة إمامته 34 عامًا، ولد في المدينة، وسمّ بأمر المنصور العبّاسي واستشهد على أثره، ودُفِنَ في البقيع إلى جانب أبيه الإمام الباقر، وجدّه الإمام السّجاد، والإمام الحسن (ع). أخذت رواياته في المجالات المختلفة حيّزًا كبيرًا من روايات أئمة أهل البيت (ع)؛ فلذلك نُسب مذهب الشّيعة الإمامية إليه وسُمّي بالمذهب الجعفري. يحظى (ع) بمكانة مميّزة من العلم عند أئمة مذاهب أهل السّنة، كما روى عنه مالك بن أنس وعدّه أبو حنيفة أعلم أهل زمانه.

3 موسى الصّدر، الإسلام وكرامة الإنسان، م. م.، ص 14.

ثالثًا: التّحـرُّر الجـوهري

يـرى الإمـام الصّـدر بـأنّ مـن تعاليـم الإسـلام فـي سـبيل صيانـة كرامـة الإنسـان هـو تنزيه مقـام الإنسـان، فحـرّم عليـه عبـادة الأصنـام، وعبـادة البشـر وعبـادة كلّ شـخص أو شـيء، وعـدّ الإنسـان أكثـر رفعـة مـن أن يعبـد غيـر اللّـه، ويخضـع أمـام محـدود مثلـه. وفي كثيـر مـن التّعاليـم، نجـد تحذيـرًا ومنعًـا مـن طلـب الحاجـة مـن غيـر اللّه. [1]

رابعًا: قدسية الكلمة وما يتلّفظ به الإنســان

وردت تعاليـم كثيـرة تعتمـد علـى تكريـم مـا يتلفّـظ بـه الإنسـان بحسـبانه جـزءًا منـه، ولـذا، أوجـب الإسـلام صيانـة القـول، وجعـل تسـديده مفتاحًـا لجلـب كلّ خيـر ولدفع كلّ شـر، يقـول سـبحانه تعـالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)** [الأحـزاب/ 70 - 71]. وقـد فُسّـر "تسـديد القـول" فـي مواضـع شـتَّى مـن التّعاليـم بأنّهـا منـع عـن الكـذب والاغتيـاب والتّهمـة والنّميمـة والبـذاءة والفحـش واللّهـو وحتـى اللّغـو فـي القـول. [2]
كذلـك الشـهادة أُعطيـت عنايـة خاصّـة فـي الإسـلام، فقـد وجـب تحمُّلهـا وأداؤهـا، وبهـا تثبـت الدّعـاوى وتسـتقر الحقـوق وتتحقّـق العقوبـات، ولكنّهـا لا تقبـل إلّا مـن الإنسـان العـدل. وعـدّت شـهادة الـزّور مـن المعاصـي الكبيـرة ويسـتحقّ مؤدّيهـا عقوبـة كبـرى فـي بعـض الأمـور الجزائيـة. [3]
والعهـد، وهـو الالتـزام اللّفظـي، محتـرمٌ فـي الإسـلام، يقـول سـبحانه تعـالى: **(إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا)** [الإسـراء/ 34]. كذلـك الالتزامـات اللّفظيـة المتبادلـة الّتـي يعبـر عنهـا بالعقـود، أوجـب الإسـلام الوفـاء بهـا، ونهـى عـن التّخلّـف عنهـا، يقـول سـبحانه تعـالى: **(يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ أَوْفُـواْ بِالْعُقُـودِ)** [المائـدة/ 1]، **(وَكَيْـفَ تَأْخُذُونَـهُ وَقَـدْ أَفْضَـى بَعْضُكُـمْ إِلَى بَعْـضٍ وَأَخَـذْنَ مِنكُـم مِّيثَاقًـا غَلِيظًـا)** [النسـاء/ 21].
وحتّـى الوعـد اللّفظـي، يُعـدّ محترمًـا، وقـد عبّـر عنـه الحديـث الشّـريف «عِـدَةَ المؤمـن

---

1 موسى الصّدر، الإسلام وكرامة الإنسان، م. م.، ص 14.

2 م.ن.، ص 14 – 15.

3 م. ن.، ص 15.

دِينه». والالتزامات اللّفظية الّتي تدخل ضمن العقود، تصير واجبة الوفاء، ويعبّر عنها بالشّروط؛ **«المسلمون عند شروطهم إلا شرطًا حرّم حلالًا أو أحلّ حرامًا[1]»** [2]
يعتقد الإمام الصّدر أن هذه الشّروط تعدّ وسيلًة كافيًة لجعل العقود والمعاملات تنطبق على الحاجات المختلفة، وتؤدّي المتطلبات المتزايدة من الالتزامات.
اللّفظ في الإسلام محترمٌ إلى حدٍّ جُعِل سبيلًا للدّخول في الدّين، فيكفي الإدلاء بالشّهادة لله بالوحدانية ولـ«محمّد» (ص) بالرّسالة ليتحقّق الانتماء إلى الإسلام، وقد نهى عن التّنكُّر لمثل هذا الاعتراف.. يقول سبحانه تعالى: **(وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)** [النّساء/94].
وقد جعل للكتابة ما للفظ في أكثر الأحيان، ولهذا، يرى الإمام أنّ التّأكيد الشّديد الصّادر عن الإسلام حول محاسبة الإنسان على كلّ كلمة يتلفّظ بها، وأنّ اللّه يسجلّها بوساطة كرام كاتبين. هذا التّأكيد أيضًا نوع من الصّيانة والتّكريم. فالألفاظ الصّادرة عن المكرمين، هي الّتي يُعتنى بها من دون سواها. فالاهتمام بتسجيل كلمات الإنسان معناه الاهتمام بأمره والاعتراف بتكريمه.. يقول سبحانه وتعالى: **(مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)** [ق/ 18]، **(وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ*كِرَامًا كَاتِبِينَ*يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)** [الانفطار/ 10 - 12]. [3]

خامسًا: السّــــعادة والعمل

أعطت تعاليم الإسلام عمل الإنسان جوانبَ بالغًة من الاهتمام والتّكريم بصورة صريحة. يعتقد الإمام أنّه في حقل السّعادة والشّقاء الحقيقيين الشّخصيين يتنكّر الإسلام لكلّ عامل خارجيّ، ويجعل السّبيل الوحيد إليهما العمل فقط؛ يقول سبحانه وتعالى: (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا)** [الشّمس/ 7 - 10]، **(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)** [المدثر/ 38]. [4]
وقد صرّح القرآن الكريم بخطأ التّصوُّر الّذي كان عند بعض الأمم بأنّهم أبناء

1 محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، م. م.، ج 100، ص 137.

2 موسى الصّدر، الإسلام وكرامة الإنسان، م. م.، ص 15.

3 م.ن.، ص 15 – 16.

4 م. ن.، ص 16.

اللّـه وأحبّـاؤه، وكان السّـبب الرّئيسـي فـي تقسـيم المجتمعـات. وأكّـد أنّـه يتنافـى مـع التّوحيـد الحقيقـي، ولا يغنـي عـن عمـل الإنسـان. يقـول سـبحانه وتعـالى: **(قُـلْ يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ هَـادُوا إِن زَعَمْتُـمْ أَنَّكُـمْ أَوْلِيَـاءُ لِلَّـهِ مِـن دُونِ النَّـاسِ فَتَمَنَّـوُا الْمَـوْتَ إِن كُنتُـمْ صَادِقِيـنَ*وَلَا يَتَمَنَّوْنَـهُ أَبـدًا بِمَـا قَدَّمَـتْ أَيْدِيهِـمْ وَاللَّـهُ عَلِيـمٌ بِالظَّالِمِيـنَ)** [الجمعة/ 6 و7]. يعـدّ الإمـام الصّـدر أنّ ذروة هـذا المبـدأ هـي مـا بلَّغـه النّبـيُّ "محمـد" (ص) حينمـا قـال مخاطبًـا ابنتـه "فاطمـة": «يـا فاطمـة اعملـي لنفسـك فإنّـي لا أغنـي عنـك مـن اللّـه شـيئًا». [1]

وفـي حقـل تكويـن المجتمعـات وصورِهـا وتنظيماتهـا ومسـتوياتها ومشـكلاتها، يحمِّـل الإسـلام هـذه المسـؤوليات جميعهـا علـى عاتـق الإنسـان فقـط. فهـو الّـذي يخلـق المجتمعـات بعمله، وهـو الـذي يرسـم الخطط، ويحدّد المسـؤوليات، ويسـبّب المشـكلات والصعوبـات، يقـول تعـالى: **(إِنَّ اللّـهَ لاَ يُغَيِّـرُ مَـا بِقَـوْمٍ حَتَّـى يُغَيِّـرُواْ مَـا بِأَنْفُسِـهِمْ)** [الرّعـد/ 11]، **(ظَهَـرَ الْفَسَـادُ فِـي الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ بِمَـا كَسَـبَتْ أَيْـدِي النَّـاسِ لِيُذِيقَهُـم بَعْـضَ الَّـذِي عَمِلُـوا لَعَلَّهُـمْ يَرْجِعُـونَ)** [الـرّوم/ 41]. وفـي الحديـث النّبـوي: «كمـا تكونـوا يـولَّى عليكـم».

فعمـل الإنسـان هـو القـوة الوحيـدة لتكويـن التّاريـخ ولتحريكـه وتطويـره مـن دون سـواه، فـلا دخـل للعوامـل الخارجـة عـن سـعي الإنسـان فـي تكويـن المجتمعـات، وتحديـد معالمهـا، كائنًـا مـا كان، بـل الإنسـان بعملـه عـن معرفـة، أو عـن جهـل، أو عـن إهمـال، يختـار طريقًـا، ويفضِّـل خطًّـا، ويكـون الأمـر كمـا اختـار هـو لمجتمعـه.[2]

ونختـم بعبـارات للإمـام الصّـدر يبيّـن فيهـا أنّ الفهـم الصّحيـح للإسـلام، علـى مسـتوى العقائـد والأحـكام والتّربيـة والثّقافـة، يؤسّـس حضـارة إنسـانية عادلـة، ويربّـي إنسـانًا كامـلًا، ويبنـي مجتمعًـا فاضـلًا، يقـول:

« علينـا أن نؤكّـد أنّ الإسـلام [...] يمكـن أن يؤسّـس حضـارة إنسـانية عادلـة وثقافـة إنسـانية متجـدّدة، وبالتّالـي، أنّ يربّـي الإنسـان الكامـل، والمجتمـع الإنسـاني الكامـل.. أو مـا سـمّي "بالمدينـة الفاضلـة". كمـا إنّـه فـي الطّريـق الى تحقيـق الهـدف الأقصـى

---

1 موسى الصّدر، الإسلام وكرامة الإنسان، م. م.، ص 17.

2 م.ن.، م. م.، ص 17.

يمكـن أن يقـدّم خدمـات متفاوتـة مـع كلّ مرحلـة.

فـإذا لاحظنـا تعاليـم الإسـلام فـي حقـل الثّقافـة الأصيلـة؛ أيّ الرّؤيـا الإسـلامية عـن الكـون والحيـاة.. وإذا لاحظنـا العقائـد الإسـلامية المترابطـة بالكـون مـن جانـب، والعمـل والسّـعي الإنسـانيين مـن جانـب، وإذا نظرنـا إلى الأسـاليب الإسـلامية فـي التّربيـة وفـي البنـاء، وإذا نظرنـا إلى مـا فـي الأحـكام الإسـلامية مـن بـذور التّطويـر، مـا يجعـل المجتمـع الإسـلامي متجـدّدًا دائمًـا.. ويجعـل الإنسـان المسـلم فـي حركـة دائمـة» ..[1]

---

1 موسـى الصّـدر، حـوار صحفـي بعنـوان "الإسـلام قـادر عـلى تأسـيس حضـارة عادلـة"، مجلـة صـوت العـرب، 19 تشـرين أول 1973، ضمـن كتـاب: حـوارات صحفيـة(1): تأسيسًـا لمجتمـع مقـاوم، منشـورات مركـز الإمـام موسـى الصّـدر للدّراسـات والأبحـاث، بيـروت، الطّبعـة الثّانيـة، 2007، ص 373.



الفصل الرّابع

علاقة الإنســـان بالكون وبالتّاريخ

المبحث الأول
الإنســـان والكون

المبحث الثّاني
الانســان والتّاريخ



اعتصام مسجد الصفا
(29 حزيران 1975)



المبحث الأول
الإنســـان والكون

ما أراد الإمام الصّدر تأكيده في هذا السّياق، هو أنّ الإسلام يحمل منظومة فلسفية متكاملة ومنسجمة تُظهر ترابط الإنسان وحركته بالكون، في سيرورته نحو الكمال، فالانسجام بين الكون والإنسان، انسجامٌ فطريّ وكونيّ.
كان الإمام الصّدر يرى أنّ الكون هو موضوع تطوّر الحضارة وتقدّم الثّقافة، وحامل هذه التّطورات والتّقدّم المستمر، هو الإنسان. فيعطي الصّدر قيمةً عليا لمسألة التّفاعل بين الكون والإنسان في سياق ما يمكن تسميته بفلسفة الحياة؛ أي بما يرتبط بالحياة العلميّة والاجتماعيّة للإنسان. أمّا الصّورة الثّقافية في بُعدها الفلسفي الّتي يرسمها الإمام الصّدر فهي مكوّنة من عناصر ثلاثة: التّفاعل بين الإنسان والكون، والمعرفة الّتي تتخطّى العلم بمفهومه الضّيق، والوعي.
ذلك كلّه في إطار ما تنظّمه الشّريعة الّتي تنمو وتتسع صلاحيةً وملاءمةً مع تقدّم الزّمن، ومع علوم الإنسان وفضوله المعرفي، فنجده يقول: «إنّ الإنسان له تفاعلات مع الكون تشكّل أسس التّطوّر، وهذه التّفاعلات تنظّمها شريعة اللّه، ولها أيضًا مع كلّ مرحلة من التّطوّر تعاليم متطورة، تتناسب مع المرحلة الّتي يعيشها الإنسان؛ فتنظّم الصّلات والتّفاعلات الثّابتة بين الإنسان والكون».[1]

أولًا: اللّه والإنســـان والكون

يعتقد الإمام الصّدر أنّ الإنسان، في أفعاله العائليّة جميعها، والإنسانيّة، والفكريّة، والخيريّة، والاقتصاديّة، والسّياسيّة، في أفعاله جميعها يلتقي مع اللّه. حينما يتصل بإنسان آخر أو بعمل آخر، يلتقي مع اللّه، مجاهدًا في سبيل اللّه، قائلًا: «ما رأيت شيئًا إلا رأيت اللّه قبله وبعده وفيهما معًا»، حسب الحديث

1 **زكي الميلاد**، "السّيّد موسى الصّدر والمشروع الإصلاحي" م. م.، ص 23.

الشّـريف. [1]

الحضارة الدّينيّـة، هـي الحضـارة الّتـي تعتـرف بوجـود اللّه، وتعتـرف بعمـق أثـر اللّـه فـي حياتنـا، يعنـي "اللّـه" فـي ذاتنـا، فـي قلوبنـا، أقـرب إلينـا مـن حبـل الوريـد، بيـن المـرء وقلبـه. [2]

اللّـه الكبيـر، الكبيـر الّـذي **(وَالسَّـماوَاتُ مَطْوِيَّـاتٌ بِيَمِينِـهِ)** [الزّمـر/ 67]، **(وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَـادِي عَنِّـي فَإِنِّـي قَرِيـبٌ أُجِيـبُ دَعْـوَةَ الـدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ)** [البقـرة/ 186]، ليـس بعيـدًا منّـا... فـي الوقـت نفسـه، فـي قلبنـا وأقـرب إلينـا مـن حبـل الوريـد.

فـإذًا، بحسـب الصّـورة التـي يرسـمها الإمـام الصّـدر، اللّـه فينـا وهـو معنـا أينمـا كنّـا، فـي أيٍّ طريـق، يقـول اللّـه سـبحانه وتعالـى: **(وَهُـوَ مَعَكُـمْ أَيْـنَ مَا كُنتُـمْ)** [الحديـد/4]، ثـمّ فيمـا حولنـا مـن اللّـه. مـن الواضـح أنّ الإمـام الصّـدر لا يقصـد أنّ الجـدار والإنسـان هـو اللّـه، ولكـن الإنسـان عندمـا يتصـدّق علـى فقيـر، يتصـدّق فـي سـبيل اللّـه. وعندمـا يدافـع عـن الكرامـة أو عـن الوطـن، أو يجاهـد فـي سـبيل خدمـة قضيتـه ورسـالته، يجاهـد فـي سـبيل اللّـه. وعندمـا يعـود مريضًـا، يعـود اللّـه فـي عرشـه. وعندنـا نصـوص مـن الحديـث النّبـوي علـى هـذه الأمـور جميعًـا.

فـإذًا، لا يكفـي أن يكـون اللّـه عنـدي هـو خالـق الكـون فقـط، بـل هـو معـي أينمـا كنـت، وحولـي أيضًـا فـي نشـاطاتي وأفعالـي جميعهـا، وفـي كلّـي أيضًـا كمـا مـرّ.. يقـول سـبحانه وتعالـى: **(أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللَّـهَ يَسْـجُدُ لَـهُ مَـن فِـي السَّـمَاوَاتِ وَمَـن فِـي الْأَرْضِ وَالشَّـمْسُ وَالْقَمَـرُ وَالنُّجُـومُ وَالْجِبَـالُ وَالشَّـجَرُ وَالـدَّوَابُّ وَكَثِيـرٌ مِّـنَ النَّـاسِ)** [الحـج/18]، كلّ موجـود سـاجد للّـه: الرّمـال، الأشـجار، البحـار، الطّيـور، الشّـمس، القمـر، كلّـه سـاجد. [3]

هـذا هـو التّفسـير العـام عـن الكـون الّـذي هـو أحـد أركان حضارتنـا الدّينيّـة. فـإذًا، فكـرة "اللّـه" فـي تفسـيرنا، وفـي حضارتنـا، ليسـت فكـرة تجريديـة، بعيـدة مـن التّأثيـر المباشـر في حياتنـا العادية، وإنّمـا فكـرة متغلغلـة فـي جميـع شـؤون وجودنـا شـخصيًّا، ومـا حولنـا، ومـا فـي كوننـا الكبيـر. [4]

1 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "صُورٌ من حضارتنا"، ضمن كتاب: موسى الصدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 145.

2 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "صُورٌ من حضارتنا"، ضمن كتاب: موسى الصدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 146.

3 م. ن.، ص 146.

4 م. ن.، ص ص 146 - 147 .

ثانيًا: الإنســـان والوجود

يعتقد الإمام الصّدر أنّ الأنبياء والرّبانيين والعلماء والمصلحين، عملوا على دمج الإنسان بدوائر ثلاث لتنظيم العلاقات بين الإنسان والوجود، وهذه الدّوائر هي:
1 - الغيبية: وهي الإيمان المطلق بالحق المطلق، والتّوجُّه إليه في كلّ سعي ونشاط وعمل، تحريرًا للنّفس من أن تتوجّه بإيمانها إلى موجودات لا ثبات لوجودها.
2 - الكونية: وهي الموجودات ضمن ما ينطوي عليه تحديد السّماوات السّبع والأرضين السّبع، وهذه لا حدود معلومة لها، كما لا حدود للمدى الّذي سيتوصل فيه الإنسان لاكتشاف ما فيه، ما دام هذا الإنسان، بكلّ ما تقدّمت لديه وسائل الكشف لا يزال أمام مجاهيل هذا الكون.
3 - العالمية: وهي الدّائرة الّتي يمتلك الإنسان قدرات التّحرك والتّفاعل خلالها، وبالخصوص في دائرته الحيوية، وفيها مدى تحرُّك الفرد بقدراته الذّاتية ومحيطه المستوعب لهذه القدرات. [1]
ويرى الإمام الصّدر أنّ الجماعة البشرية من هذه الدّوائر الثّلاث تمتلك المعرفة وقدرات التّحرّك في الدّائرة الثّالثة، لأنّ منها تتفرع دوائر محلّية تجد فيها كلّ مجموعة بشرية دائرتها الحيوية، بما هنالك من طبائع مختلفة للمجموعات البشرية تمنح خصوصية تسهم في التّطور العام للدّائرة العالمية، إذا كان التّفاعل تكامليًّا بينها، ومبنيًّا على مجتمع إنساني لا فردي ولا جماعي، كما يطرح الإمام الصّدر.
هذه الدّوائر، بوجود وسائل العلاقة فيما بينها من جانب، وما بينها وبين الإنسان من جانب آخر، وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم بالسّجود والتّسبيح، هي قوانين طبيعية، يضمن انتظامها المُدَبِّرات أمرًا، وهي من القدرات الّتي علينا الإيمان بها إيمانَنا باللّه، لأنّها الرّسول المقيم في هذا الكون لحفظ نظامه العام.
أمّا الإنسان، فلم يدخل في تكوينه هذه الطّواعية المطلقة الّتي نظّمت في سلكها الملائكة، ففي إيجاده كان العلم والاختيار، ولذلك، كان سجوده وتسبيحه مدركًا كنه سجود الأشياء الأخرى، ثمّ انسجامه معها في الأغراض الدّائرة في

---

[1] **حسين شرف الدين**، مشاركة بعنوان: "الإمام موسى الصّدر وحقّ الحياة على الإنسان"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 164.

مدار الكون، مع إدراك دوره أنّ عليه أن يكتشف سرّها ليُثري به النّتاج الكوني، فتنوّع الجماعة البشرية قدرات عملها وقنوات أغراض التّطوير. [1]
يستمرّ الإمام في الحديث عن حقّ الحياة على الإنسان قائلًا: «فخلْقُ الإنسان من جنس الأرض على يد اللّه، والنّفخُ فيه من روح اللّه صورة واضحة عن الجوانب الوجودية الشّاملة في الإنسان والّتي تمتد من الأرض إلى السّماء، وهذا تعبيرٌ قويٌّ أيضًا للكرامة الّتي يتمتّع بها الإنسان». [2]

ثالثًا: الإنســـان والكون

يعدّ الإمام الصّدر أنّ الكون هو موضوع تطوّر الحضارة وتقدّم الثّقافة البشرية، وأمّا حامل هذه التّطورات والتّقدُّم المستمر فهو الإنسان. فالكون والإنسان حقيقتان تتجلَّيان في كلّ مرحلةٍ حضاريّةٍ بصورةٍ جديدةٍ. كذلك حقيقة القرآن الكريم تنكشف أيضًا في كلّ مرحلةٍ بصورةٍ جديدةٍ تناسب الصور الجديدة للكون والإنسان، وتوجِّه الإنسان لخطوة إيجابية جديدة في الكون. [3]

1 - نظرة الإسلام للكون

يعدُّ الإمام الصّدر الكون محرابًا كبيرًا يسجد لله كلّ شيء فيه، ويسبّح بحمده ويصلي له، وكلّ شيء فيه منظّم وبحُسبان، وجُعِلَ له قدر معين. وهذه الرّؤية تنعكس على تحركات الإنسان ونشاطاته بصورة إيجابية ومؤثّرة. [4]

2 - الكون مخلوق قائم على النّظام والحقّ والعدل

وطالما أنّ اللّه خالقٌ بالمطلق، فكلّ ما سواه مخلوق له؛ لأنّه كمال: بقدرته، ومشيئته، وعلمه، وحقيقته."ويعكس مفهوم الخالق في ذهن المسلم مفهومًا عن الكون يعطيه الإسلام أيضًا"، فالكون مخلوق واحد مشبَّع بالروح والجمال

---

1 حسين شرف الدين، مشاركة بعنوان: "الإمام موسى الصّدر وحقّ الحياة على الإنسان"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 164 - 165.

2 م. ن.، ص 165.

3 م. ن.، ص 96.

4 موسى الصّدر، رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية، م. م.، ص 13.

والكمال، منظّم متّزن، سائر نحو أكثر الأهداف سموًّا، قائم على أساس الحقّ والعدل، متناسق، متجاوب في أجزائه بعضها مع بعض، ومع الخالق، يقول سبحانه تعالى: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ...)** [الحج/18]، **(...وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...)** [الإسراء/44]. إنَّ منعكس الكمال الإلهي يسري على الكون كلّه، وعلى الإنسان بالذّات، فيرى الكون والإنسان في أحسن صورة، وأكمل تقويم، وأدق تنظيم. إنّ هذا الكمال الإلهي يحرّر الإنسان من أيّ قيد عقليّ، أو عمليّ، أو عاطفيّ أو اجتماعيّ، فيجعل منه عبدًا لله، الحر المطلق في شؤون الحياة جميعها، لا سقف أمامه مانع. [1]

فالأديان في مفهوم الإمام الصّدر الإسلامي دينٌ واحد حسب قوله تعالى: (النّاس أمّة واحدة)، ويدينون بدين واحد، وإله واحد، وإن اختلفت الطرائق والأساليب، لأنّ لكلّ إنسان أسلوبه؛ "الأسلوب هو الرّجل" ولكلّ عصر حاجاته وظروفه وأذواقه. ولذا، يقول الإمام بوحدة الدّيانات والرّسالات لأنّها على جملتها تؤمن بالإله الواحد وبالرّسالات وباليوم الآخر. إذًا، فالمؤمنون إخوة بمفهوم الإيمان، والنّاس إخوة بالمفهوم الإنساني. معتمَدُ إمامنا انفتاح فكره، وعمق تفكيره، وشمولية فهمه الإنساني، وقولة أميره المعلم. [2]

3 - الانسجام بين الكون والإنسان حقيقي وفطري

يعتقد الإمام الصّدر أنّ الانسجام الحقيقي بين الكون والإنسان وبين كتاب اللّه هو انسجام فطري، يكشفه مبدأ مراحل إدراك القرآن وصوره المتفاوتة عمقًا واتّجاهًا، وهو يبيّن لنا بوضوح إمكان تنظيم الكون أو الكتاب التّكويني، على حدِّ تعبير المتكلمين، بوساطة الكتاب التّشريعي الإلهي؛ أي القرآن، في أيّ زمان ومع أيّ عهد وتطور. [3]

---

1 حسين صالح حمادة، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 108.

2 م. ن.، ص 108- 109.

3 حسين رحّال، مشاركة بعنوان: "ملامح التّجديد عند السّيّد موسى الصّدر: إمام التّواصل"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء التّاسع، عنوانه: موقع الحرية في الإصلاح والتّجديد، م. م.، ص 213.

رابعًا: الإنسان والمخلوقات

1 - الإنسان والملائكة

في الحقيقة؛ إنّ مسألة الملائكة فكرة قديمة قِدَم الأديان، لكنّها بصورة عامة، في الإسلام وفي الأديان كلّها، تختلف عما ورد في آراء الفلاسفة باسم أرباب الأنواع، وباسم المُثُل الأفلاطونية أو الأنوار الإسفهبدية. [1]

وقد نوقش موضوع الملائكة في الإسلام في كتب الباحثين من الشّرق والغرب مناقشاتٍ مفصَّلة، وساعدهم على هذه المناقشات كلمات علماء الكلام والسِّيَر من الأساطير والتّخرصات حول الملائكة وحول المقربين منهم "جبرائيل" و"ميكائيل" و"إسرافيل" و"عزرائيل" بالذّات؛ ورأى بعض المستشرقين الكبار خلال مقارناتهم أنّ هذه الفكرة في الإسلام دخيلة، واعتمدوا لذلك صيغ هذه الأسماء وغير ذلك. [2]

في معرض البحث في ذاتية الفكرة الإسلامية عن الملائكة يعيد الإمام الصّدر إلى ذاكرة المستمع والقارئ تصديق الإسلام بالأديان السّماوية السّابقة وبما جاء فيها، ثمّ يقول: «إنّ ما ورد في كلمات علماء المسلمين في الكلام والسّيرة والفقه أيضًا كلّه يُحَمِّلُ قائلوها مسؤوليةَ كلامهم، لا الإسلام أو القرآن. أمّا مصادر الشّريعة الإسلامية فخالية من هذه التّفاصيل، ولا تهتم إلّا بالإيمان بالملائكة وبالجانب التّربوي منه. أمّا حقيقة الملائكة وتفاصيلها وتجرّدها ومادّيتها فلا تجدها في المصادر الأصلية. ولهذا، فالاعتقاد بهذه التّفاصيل وبغيرها لا يعدّ من الإيمان الإسلامي الّذي يدين به المسلم، بل كلّ ما يجب أن يؤمن به المسلم هو وجود ملائكة اللّه فقط كما يجب أن يؤمن باللّه وبكتبه وبرسله، وأنّ اللّه جعل من الملائكة رسلًا وأنّهم يسبّحون بحمد ربهم ويقدّسونه في الليل والنهار؛ يقول سبحانه وتعالى: **(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا**

---

1 **الأنوار الاسفهبدية أو الأصفهبدية:** يعتقد الفيلسوف الإشراقي شهاب الدّين السّهروردي (1155 – 1191) أنّ الحقيقة بمنزلة شمس واحدة، لها تجلّيات غير متناهية ولكنّها لا تتكاثر، ويعدّ أنّ الحقيقة تنعكس في عالم الطّبيعة وعوالم ما بعد الطّبيعة من طريق خمسة أنواع من الأنوار وتدبّر الأمور.الأنوار الأسفهبدية هي النّوع الخامس من طبقات الأنوار، وهي عبارة عن مجموعة ملائكة ما بين الفئات العمودية (الأنوار القاهرة) والفئات الأفقية (أرباب الأنواع أو المثل الأفلاطونية)، ودورها تبيين الحقائق الّتي لا صورة لها في عالم ما بعد الطّبيعة، وقد سمّاها العلماء عالم المثل أو عالم الملكوت.

2 **موسى الصّدر،** الإسلام: الأصالة، الرّوحية، التّطور، م. م.، ص 16.

يُؤْمَـرُونَ) [التّحريـم/ 6]. [1]
يعتقد الإمام الصّدر أنّ المسلم يؤمن بهذا كلّه لأنّ القرآن نصَّ عليه وأخبر عنه. أمّا الجانـب العلمـي فـي فكـرة الملائكـة فيعتقـد أنّ الإسـلام هـو الدّيـن الوحيـد الـذي تعـرَّض لـه، مـا عـدا الّـذي ورد فـي إنجيـل "متـى" فـي الإصحـاح الأول وفـي أعمـال الرّسـل بصـورة موجـزة.
هذا الجانب تشير إليه بعض الآيات القرآنية الّتي تعبِّر عن الملائكة بـ (**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا)** [النّازعات/ 5]، والّتـي تسـند كثيـرًا مـن الأحـداث الكبـار فـي الدّنيـا والآخـرة إلى الملائكـة، ومـن هـذه الآيـات قولـه سـبحانه وتعـالى: **(إِنَّ الَّذِيـنَ قَالُـوا رَبُّنَـا اللَّـهُ ثُـمَّ اسْـتَقَامُوا تَتَنَـزَّلُ عَلَيْهِـمُ الْمَلَائِكَـةُ أَلَّا تَخَافُـوا وَلَا تَحْزَنُـوا وَأَبْشِـرُوا بِالْجَنَّـةِ الَّتِـي كُنتُـمْ تُوعَدُونَ*نَحْـنُ أَوْلِيَاؤُكُـمْ فِـي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَفِـي الْآخِـرَةِ)** [فصلت/ 30 و31]. [2]
تتلخّـص الفكـرة فـي أنّ الملائكـة هـم الّذيـن يدبِّـرون القـوى الكونيـة الظّاهـرة والخفيـة بأمـر مـن اللّـه، وأنّهـم يطيعـون اللّـه ولا يتخلفّـون عـن أمـره. فمـن يسـلك سـبيل الحـق تواكبـه الملائكـة قائليـن لـه كمـا ورد فـي الكتّـاب العزيـز: **(نَحْـنُ أَوْلِيَاؤُكُـمْ فِـي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَفِـي الْآخِـرَةِ)** [فصلت/ 31]. فالسّـالك ليـس منفـردًا فـي طريـق الحـقّ، بـل القـوى الكونيـة الّتـي هـي طـوع يـد الملائكـة تسـانده وتقويّـه وترفـع وحشـته. [3]
إنّ المؤمـن السّـالك فـي سـبيل الحـق والعـدل لا يشـعر بالوحـدة والوحشـة، بـل يشـعر بمواكبـة الكـون وتأييـده لقـواه فيطمئـن بأنّـه المنتصـر إذ جـاء فـي الكتـاب الكريـم: **(فَإِنَّ اللَّـهَ هُـوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيـلُ وَصَالِـحُ الْمُؤْمِنِيـنَ وَالْمَلَائِكَـةُ بَعْـدَ ذَلِـكَ ظَهِيـرٌ)** [التّحريـم/ 4]. وهـذا الشّـعور هـو ضـروري بالنّسـبة إلى حَمَلَـة الرّسـالات وأصحـاب المبـادئ الّذيـن يحاولـون التّأسـيس وإعـادة بنـاء الإنسـان ومجتمعـه. [4]

2 - الإنسان والشّيطان

يعتقـد الإمـام الصّـدر بـأنّ الحديـث عـن الشّـيطان، ملـك الشّـرور، يرتبـط بالحديـث عـن الملائكـة، إذ إنّـه كان مخلوقًـا معهـم، بحسـب وصـف القـرآن، قبـل خلـق آدم، مطيعًـا، سـاجدًا، مسبّحًا لله، ثـمّ عصاه حينمـا أمـره بالسّـجود لآدم؛ فرفـض اسـتكبارًا

---

1 م. ن.، ص 16 - 17.

2 **موسى الصّدر**، الإسلام: الأصالة، الرّوحية، التّطور، م. م.، ص 17.

3 م. ن.، ص 17 - 18.

4 م. ن.، ص 18.

واعتـزازًا بعنصره، ثـمّ أُمهـل إلى يـوم الدّيـن، وهـو يقـود حَمَلـة الإغـواء وتضليـل البشـر بالتّعـاون مـع جنـوده قـوى الشّـر. ويختلـف هـذا التّفسـير اختلافًـا كليًّـا عـن معنـى "أهريمـان" عنـد الفـرس القدامـى إذ إنّـه خالـق الشّـرور، وهـو فـي صـراعٍ دائـمٍ، علـى رأيهـم، مـع "أهورامـزدا" إلـه الخيـر. [1]

يـرى الإمـام الصّـدر أنّ تفسـير الشّـيطان المخلـوق يختلـف تمامًـا عـن "أهريمـان" الخالـق مبـدأ وأثـرًا؛ إذ إنّ مشـكلة الصّـراع النّفسـي الّتـي يعانيهـا الإنسـان الّـذي يؤمـن بإلهّـي الخيـر والشّـر هـي مشـكلة كبيـرة، إذ إنّـه يـرى الكـون كلّـه والمجتمـع والإنسـان، كلّ منهمـا يتبعـض؛ وهـذا الإنسـان الّـذي يشـعر بالازدواجيـة فـي وجـوده، وفـي مجتمعـه، وفـي مبدئـه ومصيـره، ويعيـش فـي صـراعٍ أبـديٍّ ذاتًـا وسـلوكًا وزمانًـا لهـو إنسـان محطّـم ضعيـف حقًّـا. [2]

كذلـك، يعتقـد الإمـام الصّـدر أنّ معنـى الشّـيطان فـي الإسـلام يختلـف عـن معنـى مـلاك جهنـم ورئيـس هـذا العالـم وإلـه الدّنيـا فـي سـائر التّفسـيرات. كمـا يتفـاوت مفهـوم الشّـيطان فـي الإسـلام عـن رأي بعضهـم مـن أنّـه الموحِّـد الأكبـر الّـذي امتنـع عـن السّـجود لغيـر اللّـه، وصـار عندهـم رأس القدّيسـين وقائـد الموحّديـن.

أمّـا أصالـة الفكـر الدّينـي حـول الشّـيطان فإنّهـا تبلـغ القمّـة فـي القـرآن مـن النّاحيـة التّربويـة. فـإنّ الشّـيطان اسـمه الأصلـي "إبليـس" الّـذي كان مـن المقرّبيـن عنـد اللّـه، فطُـرد مـن مقـام القُـرب لأجـل معصيـةٍ صـدرت عنـه اسـتكبارًا؛ فسُـمي الشّـيطان. فانحرافـه وطـرده وشـقاؤه لعصيانـه أوامـر ربّـه لا لذاتيـة الشّـقاء فيـه ولا لعفويـة الطّـرد وإبعـاده مـن مقـام القـرب. [3]

ومـن جهـة ثانيـة، فـإنّ الشّـيطان كـذات، يمثّـل وحـدة قـوى الشّـر وتكتّلهـا أمـام قـوى الخيـر فـي صـراع أزلـي أبـدي بيـن الحـقّ والباطـل، مهمـا كان نوعهمـا أو وصفهمـا أو قدرهمـا. وأكثـر النّواحـي التّربويـة أهمّيـة فـي إعطـاء فكـرة الشّـيطان واسـتلامه مهمّـة الإغـواء والتّضليـل مـع جنـوده الّتـي منهـا النّفـس الأمّـارة بالسـوء، هـي تكريـس اختيـار الإنسـان والتّأكيـد أنّـه مخيّـر بيـن الخيـر والشّـر لا مسـيّر لا يهتـدي إلّا إلـى دوره الكونـي المقـرر لـه. [4]

وقـد أوضـح القـرآن الكريـم، هـذه النّاحيـة فـي لوحـة تاريخيـة رائعـة، أوضـح فيهـا

---

1 **موسى الصّدر**، الإسلام: الأصالة، الرّوحية، التّطور، م. م.، ص 18.

2 م. ن.، ص ص 18 19-.

3 م. ن.، ص 19.

4 **موسى الصّدر**، الإسلام: الأصالة، الرّوحية، التّطور، م. م.، ص 19.

كيفيـة الخلـق فـي [سـورة البقـرة، الآيـات 30– 38]. وبموجـب هـذه الآيـات أراد اللّـه أن يجعـل فـي الأرض خليفـة لا آلـة مسـيّرة ولا شـبه آلـة، بـل أراد خَلْـق موجـودٍ يتصرّف حسـب إرادتـه ويمـارس حريتـه. إذ إنّ حرية التّصرُّف لا تتـمّ إلّا مع وجـود نزعتَي الخيـر والشّـر في الإنسـان، وإلّا مع وجـود طريقَـي الخيـر والشّـر في الأرض. خلـق اللّـه الإنسـان بهـذه الخصائـص، ثـمّ علّمـه الأسـماء، وجعلـه مسـتعدًّا لمعرفـة حقائـق الكـون والقـوى الكونيـة، متمكّنًـا مـن الإحاطـة بهـا مـن طريـق معرفتهـا. ثـمّ أمـر الملائكـة أن يسـجدوا لـ"آدم" فخضعـوا وسـجدوا لـه بأمـر اللّـه. وخضوعهـم للإنسـان يسـتلزم مطاوعـة القـوى الكونيـة الّتـي هـي بيـد الملائكـة لـه. فصـار "آدم" سيّد الكـون، خليفـة اللّـه فـي الأرض. وامتنـع "إبليـس" مـن السّـجود لـ "آدم"، وطُـرد مـن مقـام المقربيـن، وأُمهـل حسـب طلبـه إلى يـوم القيامـة، وبـدأ هـو وجنـوده بإغـواء البشـر، وصـاروا مـن الدّعـاة إلى طريـق الشّـر يسـاندون النّزعـة الشّـريرة في الإنسـان.[1] فالكـون ميـدان للسَّـيْر فـي الخـطّ المسـتقيم أوللانحـراف والضّـلال. والإنسـان أمـام مفتـرق الطّريقيـن يسـمع صـوت اللّـه بلسـان عقلـه، وبلسـان ضميـره، وبلسـان أنبيـاء اللّـه، وبالطرائـق الأخـرى للهدايـة، وصـوت الشّـيطان بلسـان نفسـه الأمَّـارة بالسّـوء، وبلسـان عناصـر السّـوء والفسـاد مـن البشـر وغيرهـم. يسـتمع الإنسـان فـي حياتـه إلى النّداءيـن؛ فيجيـب بمـلء إرادتـه لنـداء الخيـر أو لنـداء الشّـر. وهكـذا، نـرى أنّ الشّـيطان فـي مفهومـه الإسـلامي يقـوم بـدورٍ بـارزٍ فـي تعميـق التّخييـر الإنسـاني، يقـول سـبحانه وتعالى:**(يهلِـكَ مَـنْ هَلَـكَ عَـن بَيِّنَـةٍ وَيَحْيَـى مَـنْ حَـيَّ عَـن بَيِّنَةٍ)**[الأنفـال/42]. [2]

3 - الإنســان والإنسان الآخر

يؤكـد الإمـام الصّـدر علـى كـون النّـاس صنفيـن بحسـب المفهـوم الإسـلامي: "إمّـا أخ لـك فـي الدّيـن، وإمّـا نظيـر لـك فـي الخَلْـق". يجـب على الإنسـان أن يؤمن بـأنّ الكـون بُنـي عـلى الحـقّ، وأقيـم عـلى العـدل، ليعيـش الإنسـان عـلى الحـقّ والعـدل، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(وَالسَّـمَاء رَفَعَهَـا وَوَضَـعَ الْمِيـزَانَ*أَلَّا تَطْغَـوْا فِـي الْمِيـزَانِ)** [الرّحمـن/ 7 و 8]، والميـزان مـا هـو إلّا التّقديـر والنّظـام والعـدل. هـذا ليربـط بيـن السّـلوك الفـردي والجماعـي وبيـن الرّؤيـة الكونيـة عـن السّـماء، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(وَمَـا**

---

1 موسى الصّدر، الإسلام: الأصالة، الرّوحية، التّطور، م. م.، ص19 – 20.

2 م. ن.، ص 20 .

خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) [الأنبياء/ 16]، **(مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ...)** [الدّخان/39]. [1]

نختم هذا المبحث بعبارات للإمام الصّدر يبيّن فيها أنّ التّقدُّم العلميّ والمعرفيّ والانسانيّ للبشرية يتأسّس على التّفاعل السّليم والمستمر بين الإنسان والكون، يقول:

«إن التّطوّر ليس دخول عنصرٍ جديد في حياة الإنسان، ولا غياب عنصر عن مسرح الحياة البشرية، ولكن التّطوّر هو التّفاعل المستمر بين الإنسان والكون. إنّ الإنسان منذ أن خُلِق وقف أمام الموجودات الكونية يتأمّل فيها ويفكر، فيستكشف موجودًا أو طاقة، ثمّ يسيطر على ما استكشفه ويستثمره، فيغيّر بذلك حياته ومحيطه، وهذه خطوة في طريق التّطوّر الطّويل تتلوها خطوات. قرأ الإنسان سطرًا من كتاب الكون، فعرف النّار، فاستثمرها، فجعل من ليله نهارًا، ومن برده دفئًا، من نيّه مطبوخًا، ومن سلاحه وسيلة أمضى، ثمّ استمّر إلى أن وصل إلى معرفة النّفط، والذّرة، والجاذبية وغير ذلك؛ فاستثمرها كلّها فتغيّر وتطوّر، وغيَّر وطوَّر.

هذا هو فهرس كتاب التّطوّر، وتحديد دقيق للحقيقة الأزلية الأبدية الّتي يحياها الإنسان، تفاعل بين الإنسان والكون ليس إلّا، فلا وجود لجديد ولا انعدام موجود قديم». [2]

---

1 حسين صالح حمادة، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 109.

2 موسى الصّدر، مقال حول تفسير القرآن الكريم، ضمن كتاب: دراسات للحياة، مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2011، ص 18.

المبحث الثاني
الإنســـان والتّاريخ

يعتقد الإمام الصّدر بأنّ عمل الإنسان هو القوة الوحيدة لتكوين التّاريخ ولتحريكه وتطويره من دون سواه. إنّ الإنسان بعمله عن معرفة، أو عن جهل، أو عن إهمال وتقصير يختار طريقًا، ويكون الأمر كما اختار هو لمجتمعه.

أولًا: تطوُّر التّاريخ

ليس تطوُّر التّاريخ إلّا تفاعلًا بين الإنسان والكون، يحاول بحسب رغبته وحاجته، أن يطلع على العالم الذي يعيش فيه، فيقرأ منه سطرًا، فتؤثّر هذه القراءة في حياته، وترفع وعيه، وتطوّر معيشته، وتغير بيئته. فالبطل الوحيد على مسرح التّاريخ هو الإنسان، يكوّنه، يحرّكه، ويطوّره. فعمل الإنسان هو أنّ يصنع هذه الأحداث كلّها، فهل تجدون فوق هذا المقام تكريمًا وتعزيزًا؟[1]

ثانيًا: التّحرير والتّغيير

يعدّ الإمام الصّدر التّحرير والتّغيير «نتيجة التّفاعل المستمر بين الإنسان وبين الكون المحيط به، وليس ناتجًا عن حدوث عنصر جديد في مسرح حياته، ولا غياب عنصر عنه»، ومعالم التّطور «أنَّ الإنسان يبحث فيقرأ سطرًا جديدًا من كتاب الكون فيطلع على عنصر جديد أو طاقةٍ جديدةٍ في الشّيء الّذي يعرفه، وعند ذلك يستفيد من علمه من جديد في سبيل تحسين وضعه، ليستعمل الجديد، ويطوّر حياته والكون المحيط به، ويتطوّر هو أيضًا، ثمّ ينطلق من المرحلة الحياتية الجديدة للبحث عن جديد آخر، وهكذا».[2]

---

1 **حسين صالح حمادة**، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 126.

2 **حسين شرف الدين**، مشاركة بعنوان: "الإمام موسى الصّدر وحق الحياة على الإنسان"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 166.

والنّتيجة أَنْ «ليس هناك شيء يطوّر حياة الإنسان من الخارج، ولا هنالك فَقْدُ عامل من عوامل الحياة الإنسانيّة تتغيّر الحياة من أجل انعدامه، يقول اللّه سبحانه وتعالى: **(...إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ...)** [الرّعد/11]. ولكن عملية تغيير ما بالنّفس لا تتمّ في المناخات القلقة. فالاستقرار والاطمئنان نفسيًّا وفكريًّا هما الأداتان الرّئيستان للأجواء التّغييرية، وهذه الأجواء تتوفّر: أولًا؛ بالكلمة الشّرعية الطّبيعية، كلمة اللّه، وليست الوضعية، لأنّها الكلمة الّتي لا تتغّير، وإنّما الّذي يتغّير هو المفهوم البشري لها، (يعني إنّ أيَّ فهم جديد للقرآن، وفي أيِّ مستوًى كان هو صحيح، عندما يحصل بحسب القواعد المعتمدة في الكلام، ويمكن اعتماده والتّمسّك به في تنظيم شؤون الحياة وفي كلام النّاس، وقد لا يمكن اعتماد هذه القاعدة، لأنّ الإنسان يعبّر عن مستوى ثقافيّ لا يمكنه تخطّيه؛ ولذلك، لا يجوز فهم كلامه إلّا في حدود مستوى ثقافته).

وتتوفر ثانيًا؛ في الجو المطمئن الّذي يعتمد على الأسرة الّتي «تشكّل جانبًا مهمًّا من حياة المجتمع البشري وتتفاعل مع المجتمع بصورة متقابلة فتتأثّر بالتّطورات الاجتماعيّة، وتؤثّر في المجتمع بدورها». [1]

ثالثًا: الإنســـان والمستقبل

يرى الإمام الصّدر أنّ المستقبل في رأي الإسلام هو للمتّقين، والنّصرَ لأولياء اللّه، وقد أراد اللّه أن يجعل الّذين استُضعفوا في الأرض أئمة ووارثين، ونتائج هذه الرّؤية تفاؤل في الإحساس وثقة بالنّجاح وبالفرج. [2]

رابعًا: الإنسـان والكوارث الطّبيعية والأمراض والموت والمصاعب

يعتقد الإمام الصّدر أنّ نظرة الإسلام إلى الموت والأمراض والكوارث نظرة

---

1 **حسين شرف الدين،** مشاركة بعنوان: "الإمام موسى الصّدر وحق الحياة على الإنسان"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 166 و 167

2 **موسى الصّدر،** رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية، م. م.، ص 13.

إنسـانيّة وطريفـة جـدًّا. إنّ المـوت زينـة الحيـاة، «خُـط [= المـوت] عـلى ولـد آدم مخـطّ القـلادة عـلى جيـد الفتـاة»، لأنّـه امتحـان للإنسـان وفرصـة ليبلونـا اللّـه أيّنـا أحسـن عمـلًا.

إنّـه دخـول عـلى ربٍّ غفـور الّـذي مـا عنـده خيـر وأبقـى، وليـس نهايـة عمـل الإنسـان، فبإمكانـه أن يتخطّاه ويبقـى مرزوقًـا عنـد ربّـه فرحًـا بمـا آتـاه اللّـه، مستبشـرًا بالّذيـن لـم يلحقـوا بـه، وبإمكانـه أيضًـا تخليـد أعمالـه وإبقـاء نشـاطاته. [1]

أمّـا الأمـراض والمصائـب ونقـص الأمـوال والأنفـس والثّمـرات فهـي ابتـلاء وتنميـة لكفـاءات الإنسـان وتدريـب لـه علـى الصّبـر، وفـي الوقـت نفسـه تنبيـه لـه إلى حجمـه الحقيقـي، وأنّـه للّـه وإليـه راجـع.

ومـن جهـة أخـرى، فـإنّ المصائـب والأمـراض هـذه، شـأنها شـأن الكـوارث الطّبيعيـة الّتـي تدفـع الإنسـان إلى معرفـة أسـبابها، وتجنّـب مآسـيها، والسّـيطرة عليهـا قـدر المسـتطاع، فهـي إذًا، مدرسـة إلهيـة ترفـع المعرفـة البشـرية. [2]

يعدّ الإمام الصّدر المصاعب محك الإيمـان. فالإيمـان إنّمـا يُعـرف عنـد الهـزّات وعنـد المصائـب وعنـد المتاعـب، وعنـد الغضـب وعنـد النّصـر. فالمؤمـن كالجبـل الرّاسـخ؛ لأنّ الإيمـان ليـس فكـرة فـي النّفـوس، وحالـة فـي القلـوب والعقـول، بـل إنّـه ارتبـاطٌ متيـنٌ باللّـه ربّ العالميـن، وصلـة قويـة تمنـع الإنسـان مـن الاهتـزاز والضّعـف ومـن الانجـراف والسّـلوك العفـوي اللّامسـؤول.

الإيمـان ليـس مجـرد كلمـةٌ تقـال، ولا صـلاة تُصـلَّى، ولا صيامًـا ولا مظهـرًا، بـل الإيمـان الحقيقـي هـو وقفـة الإنسـان فـي سـاعات الحـرج، فـي سـاعات المصالـح المتضاربـة، فـي سـاعات المحـن والكـوارث. [3]

خامسًا: الإنســان والعلم

يعتقـد الإمـام الصّـدر أنّ العلـوم وفروعهـا هـي مخلوقـة للإنسـان، ولا يمكـن لهـا أن تصيـر خالقـة للإنسـان، فمهمـا تقدّمـت وازدهـرت وتفاعلـت معـه، لا يمكـن للإنسـان

---

1 موسى الصّدر، رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية، م. م.، ص 12.

2 م. ن.، ص 13.

3 حسـين صالـح حمـادة، مشـاركة بعنـوان: "الإنسـان فـي فكـر الإمـام موسـى الصّـدر"، ضمـن أعمـال مؤتمـر كلمـة سـواء الثّالـث، عنوانـه: بحثًـا عـن حـقّ الإنسـان، م. م.، ص 114.

الّذي صنع العلـم والفلسفـة والحقـوق والأخـلاق أن يسـجد أمامها بعـد الصّنع، ولا أن يركـن إليها ويعبدها مـن دون اللّه، فالعلم ونظائـره وسـائل وآلات بيـد الإنسـان: تبـدأ مـن الإنسـان وتنبـع منـه وتسـتند إليـه.[1]

يبـدأ الإنسـان مـن اللّـه والدّيـن والغيـب، ويعتمـد عـلى اللّـه، وهـذا الاعتمـاد يبـدو ضروريًّا في حياة الإنسـان لينجـو مـن القلـق والاضطراب. يتـمّ هـذا الاعتمـاد حيـث إنّ المطلـق هـو صانـع الإنسـان، وحيـث إنّ الغيـب، لا المحسـوس، هـو المتغيّـر النّسـبي، ويُدخـل الإنسـان المعتمـد عـلى اللّـه معتـرك الحيـاة بثقـة كاملـة. وهكـذا، نـرى أنّ الدّيـن لا يكتفـي بتعبئـة الإنسـان وتحضيـره للانطـلاق، بـل يحـاول صيانـة الإنتـاج البشـري فـي حقـل العلـم ونظائـره فـي إطـار مقـدّس، فيعطيـه القداسـة والاحتـرام مـن دون أن يجعـل منـه مطلقًـا جديـدًا وإلهًـا يُعبـد وكامـلًا يُحمـد.[2]

سادسًا: قيمة عمل الإنســـان

يعتقد الإمام الصّدر أنّه من خلال ملاحظة مجموعة التّعاليم الإسلاميّة في أبواب المعامـلات فـي الفقـه، نصـل إلى نتائـج مهمّـة، تثبـت أنّ العمـل هـو العنصـر الأول بيـن عناصـر الإنتـاج الثّلاثـة (العمـل والآلـة ورأس المـال). وهـذه النّتائـج قـد تبـدو غريبـة إلّا أنّهـا حقيقـة. أمّـا هـذه التّعاليـم وتلـك النتائـج فيعرضهـا الإمـام بشـكلٍ موجـزٍ حسـب التّرتيـب الآتـي:

1 - حُـرّم الربّـا فـي الإسـلام تحريمًـا قاطعًـا، والربّـا هـو وضـع ربـح ثابـت لـرأس المـال مصـون مـن خطـر الخسـائر المحتملـة.

2 - إذا اسـتعمل المـال بوسـاطة غيـر مالكـه في عقـد يسـمّى في الفقـه بالمضاربـة، فالأربـاح تنقسـم بالنّسـبة المحـدودة بيـن العامـل ورأس المـال، والعمـل؛ أي سـعي العامـل المضـارب، مصـون مـن الخسـائر، وتقتصـر الخسـائر على رأس المـال.

3 - لا يجـوز حسـبان حصّـة مـن الأربـاح للآلـة، كمـا هـو صريـح عبـارات الفقهـاء فـي بـاب المزارعـة والمسـاقاة، بـل يمكـن احتسـاب أجـرة للآلـة فقـط.

4 - تقويـم العمـل قد يكـون بصورة أجـرة عامـل، وقـد يتحقّـق بإشـراك العامـل فـي

---

1 حسين صالح حمادة، مشاركة بعنوان: "الإنسان في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م.، ص 181.

2 م. ن.، ص 181 – 182.

الأرباح مثل المضاربة. [1]
يستنبط الإمام من هذه الأحكام أنّ عنصر العمل له في الفقه الإسلامي ثلاثة امتيازات: الأجر الثّابت، المشاركة في الأرباح والصّيانة من الخسائر.
أمّا عنصر رأس المال وعنصر الآلة، فلكلٍّ منهما امتياز واحد، فرأس المال يشترك بالأرباح، من دون الصّيانة من الخسائر ومن دون الأجر الثّابت، والآلة لها الأجر الثابت من دون المشاركة في الأرباح. يعتقد الإمام بأنّ هذا الموجز من العرض يقنع بوجهة نظر الإسلام إلى عمل الإنسان، وبمقدار تكريمه له منذ البدء، وقبل التّطورات الحديثة. [2]

سابعًا: الإنســـان والمعاد

بالنّسبة إلى الإمام الصّدر، فإنّ أثر الإيمان بالمعاد وبعدالة المحاسبة الإلهية، وبرؤية الإنسان لما صدر عنه من خير أو شر حتّى ولو كان مثقال ذرة، على صعيد القيم الإنسانيّة يعكس:
1 - مقام الإنسان الرّفيع الّذي يجعله مسؤولًا في كبار أعماله وصغارها، وفي أسرار نشاطاته وبوارزها، وفي أقواله كلّها وما يخفي صدره. إنّ المسؤولية هي التّأثير في النّفس أو في الآخرين، فهي شأنٌ كبيرٌ للإنسان وتشريفٌ له.
2 - اطمئنانًا في نفسه بعدم ضياع جهده البارز أو الخفي، والتّأكيد على أنّ الجهد المبذول عن إخلاص، حتّى ولو لم يثمر لعائق يفوق قدرته، فهو جهد مشكور. يقول سبحانه وتعالى: **(وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ)** [النّساء/ 100]، والمخطئ في الاجتهاد أيضًا، باتفاق علماء المسلمين له أجر.
3 - الانعكاسة الثّانية الّتي نستنتج منها أنّ الإيمان بالمعاد يسهّل على الإنسان مهمّة التّغيير للمجتمع نحو الأفضل، ومهمّة تطوير نفسه في مطلق الأحوال. إنّ المؤمن يسعى لأجل ذلك من دون اهتمام بآراء المنتفعين بالأوضاع القائمة، إنَّه يريد وجه اللّه ويختار جزاءه الأوفى.

---

1 موسى الصّدر، الإسلام وكرامة الإنسان، م. م.، ص 18 – 19.
2 م. ن.، ص 19.

4 - دور التّوبة في توفير الجهد الإنساني ومنعه عن اليأس والخوف من الإحباط.[1]

ونختم هذا المبحث بعبارات للإمام الصّدر، يرى فيها أنّ حركة التّاريخ البشري مشبوكة بتفاعل الانسان علميًّا مع الكون، صعودًا وهبوطًا، تقدّمًا وتخلّفًا، يقول:

«أمامنا عنصران: عنصر اسمه الإنسان، وعنصر اسمه الكون - العالم. أول الخلق الإنسان وقف أمام هذا الكون ضعيفًا عاجًزا جاهلًا، لا يملك شيّئًا ولا يتمكّن من عمل شيء. بدأ يفتّش ويستفسر، يبحث عن الحقائق الكونية. أمام الإنسان كان كتاب الكون، فبدأ يدرس في هذا الكتاب، في صفحة من صفحات هذا الكتاب عرف الإنسان النّار، ما هي النّار؟ عرفها فاستغلّها واستثمرها وغيّر معالم الحياة. كيف يعني؟ عندما عرف النّار بدأ يخلق له جوًّا دافئا، نجا من الموت بسبب البرد، طبخ المآكل فتغذّى وتقوّى أكثر، ونجا من الأمراض النّاتجة عن عدم طبخ الأشياء؛ خَلَق من النّار النّور، وحارب العدو، وغيَّر كثيرًا من معالم حياته بعدما عرف النّار. يقولون اليوم إنّ أهم يوم في تاريخ البشرية يوم عرف النّار، لأنّ لها أثرًا كبيرًا في حياة البشرية. ثمّ بعد ذلك بدأ يدبّ؛ فيحبو، فيعرف أشياء وأشياء؛ فيستثمرها فيغيّر ويطوّر معالم حياته». [2]

---

1 موسى الصّدر، رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية، م. م.، ص 10 – 11.

2 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "كرامة الإنسان"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 2009، ص 267 – 268.



الفصل الخامس

العلاقة بين العلم والدّين

المبحث الأول
التّوأمة بين العلم والدّين

المبحث الثّاني
علاقة الدّين بالحضارة

المبحث الثّالث
مسيرة الدّين والعلم معًا في تاريخ البشرية

المبحث الرابع
التّلاقي بين العلم والدّين



في أكرا - غانا
(1967)


PRIVATE

العلاقة بين
العلم والدّين

تشكّل العلاقة بين الدّين والعلم إحدى المشكلات القديمة الّتي لم تبدأ مع عصر النّهضة، بل تناولها بعض الفلاسفة الإسلاميين في العصور السّابقة أيضًا. حتّى أنّ ابن رشد خصَّص لها كتاب: **فصل المقال في تقرير ما بين الحكمة والشّريعة من الاتصال**.

لكن هذه القضية استُعيدت مع النّهضة الأوروبيّة، وأُثيرت في العقود الأخيرة في منطقتنا الإسلامية.

ومن الطّبيعي أن يتناولها الإمام الصّدر، وهو الذي كان يحاول معالجة قضايا المجتمع الكبرى كلّها ويسعى كي يجد لها حلولًا، فيدلو بدلوه فيها، ويحاول رسم ملامح العلاقة بين الدّين والعلم من خلال قراءته للدّين الإسلامي.

المبحث الأول
التّوأمة بين الدّين والعلم

أولًا: التّـوفيق بيـن العلم والدّين

استند الإمام الصّدر إلى التّراث الفلسفي والكلامي والعرفاني الإسلامي ليطوّر النّظرة التّوفيقية بين العلم والدّين الّتي طرحها الشّيخ محمّد عبده[1]، لإثبات أنّ الدّين يكشف الانسجام الحقيقي بين الكون والإنسان وكتاب اللّه.

يرى الإمام الصّدر أنّ هناك انسجامًا حقيقيًّا بين الكون والإنسان وبين كتاب اللّه. وهذا الانسجام هو انسجامٌ فطريٌّ كونيٌّ، يكشفه إدراك الإنسان للقرآن، بمراحله المختلفة وصُوره المتفاوتة عمقًا واتّجاهًا؛ وهو يبيّن لنا بوضوح إمكان تنظيم الكون، أو الكتاب التّكويني على حَدِّ تعبير المتكلمين، بوساطة الكتاب التّشريعي الإلهي؛ أيّ القرآن، في أيّ زمان ومع أي عهد وتطوُّر. [2]

ويعتقد الإمام الصّدر أنّ المستمع للكلام الإلهي يحقّ له أن يفهم منه كلّ شيء، في أيّ جانب من الواقع، وفي أيّ حقل من المعرفة، وبأيّ درجة من العمق والخفاء، لكن هذا كلّه شريطة أن لا يتجاوز فهم السّامع المفسِّر مدلولَ الكلمة، ولا يتعدّى التّفسير محتوى الكلام ودلالاته الوضعية حقيقةً ومجازًا وكنايَة.

إنّ كلام اللّه هو كالحقيقة العينية، أو هو الحقيقة بعينها، له جوانب من الدّلالة ومراحل من التّفسير، كلّ واحد منها مقصود للقائل، حجة على المستمع وطريق للمؤمن. [3]

وقد مهّدت هذه الصّورة الكونية للعالم الواقعي ودور الإنسان في اكتشاف العالم وتطوّر فهمه للنّصّ الدّينيّ، لتقديم رؤية سمحة عن العالم وعن الآخر: إذ رفضت أن تحسب كلّ حضارة خارج السّياق الإسلامي حضارة بلا معنى أو متخلّفة أو عدوانية بطابعها وجاهلية.

---

1 الشّيخ محمّد عبده (ولد في العام 1849 م وتوفي في العام 1905 م)، داعية وإمام إسلامي، عرف بفكره الإصلاحي ودعوته إلى التّحرر من أشكال الاستعمار الأجنبي كافة، ومحاولاته المستمرة من أجل الارتقاء بالمؤسسات الإسلامية.

2 حسين رحّال، مشاركة بعنوان: "ملامح التّجديد عند السّيّد موسى الصّدر: إمام التّواصل"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء التّاسع، عنوانه: موقع الحرية في الإصلاح والتّجديد، م. م.، ص 213.

3 م، ن.، ص 213.

ثانيًا: موقف القرآن من القضايا العلمية

يـرى الإمـام الصّـدر أنّ القـرآن الكريـم كتـاب ديـن وهدايـة، وليـس مـن مهمّتـه الأبحـاث العلميّة وذكـر القوانيـن التّجريبيـة أو وضع أسـس للإنتـاج الثّقافـي البشـري. فالقـرآن الكريـم يحـاول أن يشـكّل الإنسـان الكامـل الّـذي هـو مبـدأ العلـوم وغايتهـا، ويتقـن هـذه المحاولـة بأحكامـه الفرديّـة والاجتماعيّـة وتعاليمـه المقدّسـة.

أمّـا مـا يأتـي فـي الكتـاب الكريـم مـن ذكـرٍ للأمثـال فهـو تذكيـرٌ للعبـرة وتأكيـدٌ للتّربيـة، وإن كانـت هـذه الأمثـال تتنـاول الظّواهـر الكونيـة أو الأحـداث الطّبيعيّـة أو الزّوايـا التّاريخيـة. ويمتـاز القـرآن الكريـم بـأنّ الأمثـال هـذه لا تتناقـض مـع العلـوم الثّابتـة، وإن كان ذكرهـا فـي القـرآن يأتـي عفويًّـا، فالقـرآن يقـول: **(وَتَـرَى الْجِبَـالَ تَحْسَـبُهَا جَامِـدَةً)** [النّمـل/ 88]، ولكنّـه يسـتخلص مـن هـذا القـول نتيجـة تربويـة، ويضيـف اللّـه سبحانه وتعالى في كتابه الكريـم: **(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)** [النّمل/ 88]، ونحـن نقـدر أن نقـول بـكلّ ثقـةٍ واعتـزازٍ: إنَّ جميـع الأمثـال القرآنيـة مـن دون اسـتثناء لا تتناقـض، إن فُهمـت عـلى هـذا النّحـو، مـع العلـم الحديـث. وهـذا يـدلّ عـلى أنّ ألفـاظ القـرآن الكريـم وحـيٌ إلهـيٌ مثـل معانيهـا، وليسـت مـن تأليـف شـخص يتحـدّد مسـتوى ثقافتـه بعصـره مهمـا ارتفـع هـذا المسـتوى. [1]

يؤكّـد الإمـام الصّـدر أنّ تنـاول القـرآن لهـذه المباحـث هـو اسـتطرادُ ذكـرٍ وأمثـال، وليـس مـن مهمّـة القـرآن وضـع الأسـس ونقـل القوانيـن العلميـة شـأن الكتـب العلميـة. [2]

ثالثًا: الدّين يكشف التّوازن الدّقيق في الكون

يعتقـد الإمـام الصّـدر أنّ الدّيـن يكشـف لنـا عـن تمتُّـع كل شـيء فـي الكـون مـن صغيـر أو كبيـر بأسـاس وقـدر وتفاصيـل. وتعـدّ الآيـات الآتيـة كاشـفة هـذه الحقيقـة، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ**

---

1 موسـى الصّـدر، مقدمـة بعنـوان "الدّيـن والعلـم" لكتـاب يوسـف مـروة: العلـوم الطبيعيـة فـي القـرآن الكريـم، منشـورة ضمـن كتـاب: موسـى الصّـدر والخطـاب الإنسـاني، م. م.، ص 188.

2 م. ن.، ص 189.

شَيْءٍ مَّوْزُونٍ* وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ*وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُوم) [الحجر/ 19 - 21].

في معرض تفسير هذه الآيات الكريمة يروي لنا الإمام الصّدر بأنّه منذ سنوات، قرأ في كتاب مترجم باسم: العلم يدعو للإيمان، بحثًا حول تنفُّس الإنسان وتنفُّس الأشجار. يقول الكاتب فيه: إنّ الإنسان عندما يتنفّس يأخذ كميات من الأوكسجين الموجودة في الجو، وعندما يرجّع النَّفَس يقذف كميات من ثاني أوكسيد الكربون. وهذا الغاز مثله ككثيرٍ من الغازات، سامّ لا يصلح للاستنشاق والتّنفس. وكلّ إنسان مع كلّ مرة من التّنفّس، يأخذ كمّيات من الأوكسجين فيستهلكها، ويقذف ثاني أوكسيد الكربون. وعليه، إنّ المليارات من البشر، خلال آلاف السّنوات، والمليارات من الحيوانات والحشرات والطّيور والأسماك، تأخذ كلّها أوكسجينًا وتقذف بأوكسيد الكربون. ونحن نعرف أنّ كميات الأوكسجين في الجو محدودة، لأنّنا عندما نخرج من الأرض، تقلّ كميات الأوكسجين في المناخ. مليارات من البشر والحيوانات خلال ألوف السّنوات استهلكوا الأوكسجين وقذفوا ثاني أوكسيد الكربون.

كيف الأوكسجين في الجو باقٍ وصالح للاستنشاق ولم يتسمّم الجو؟ على الرّغم من أنّنا إذا عشنا مع عدد محدود من النّاس في غرفة مسدودة الأبواب والمنافذ بعد فترة سنتسمّم، لأنّ الأوكسجين في الغرفة يحترق ويُستهلك، وثاني أوكسيد الكربون يسمّم.

يقول الكتاب:«إنّ مقابل تنفّس الإنسان، هناك حركة معكوسة من الأشجار. فالأشجار تأخذ ثاني أوكسيد الكربون وتقذف الأوكسجين»؛ أي تعيد الأوكسجين الّذي يحتاج إليه الإنسان. ويقول: »إنَّ كميات الأوكسجين في المناخ ما تغيّرت، إلا لأسباب طبيعيّة منذ أن اكتشف الإنسان أن نحو 22.5 % من الجو يتكوّن من الأوكسجين، وما تغيّر إلّا في حدود قليلة جدًّا وطفيفة«. وهذا يعني أنّ هناك توازنًا عميقًا بين مقدار التّنفّس الإنساني ومقدار تنفّس الحيوانات من جهة، وبين تبديل الأشجار لهذا الغاز: ثاني أوكسيد الكربون إلى الأوكسجين من جهة أخرى. [1]

إذًا، جعل اللّه في الكون توازنًا دقيقًا، ووضع في كفّة البشر كلَّهم والحيوانات

---

1 **موسى الصّدر**، أحاديث السّحر، تحقيق: حسين شرف الدّين، مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 1999، ص 125 – 126.

كلّها، وفي كفة أخرى الأشجار والنّباتات كلّها، حتّى الأشجار الصّغيرة والعشب القليل المتواضع. كلّ ذرّة من الأعشاب، وكلّ عدد من الحشرات، وكلّ فرد من البشر أو الحيوانات موضوع في كفة، مقابل كفة أخرى. سبحان اللّه وتعالى.. ويعرب الإمام الصّدر عن دهشته من هذا التّوازن العميق المدروس، فيقول: «إنّه، بعد مطالعة هذا البحث، عاد إلى القرآن الكريم لكي يجد ضوءًا وبشارةً وتأييدًا واستنتاجًا تربويًّا لهذه المعجزة الإلهية في الخلق، حتّى إذا وصل إلى آيات سورة الحجر المذكورة أعلاه، اطمأن قلبه لما ورد فيها، وعدّه يلقي أضواءً على هذه الحقيقة وغيرها من الحقائق، واكتشف معنًى جديدًا في هذه الآيات». ويفسّرها الإمام لنا كما يأتي:

يقول سبحانه وتعالى: **(وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا)** [الحجر/19]؛ أي جعلناها ممتدة، ولا تقصد الآية نفي الكروية. فالتّمديد لا يتنافى مع كروية الذّات، كما هو الحال في واقع الكرة الأرضية، مددناها للتّحرّك، للزّرع، للبناء، وللاستثمار.[1] ويقول سبحانه وتعالى: **(وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ)** [الحجر/19]، ما أجمل هذه الكلمات! وما أقرب موسيقاها إلى المسامع والقلوب! ويقول أيضًا في كتابه الكريم: **(وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ)**؛ أي الجبال؛ ثمّ نقف عند هذه الكلمة في الآية الآتية: **(وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ)**: النبات في العالم موزون وزنًا، فلكلّ ورقة، ولكلّ عشب، ولكلّ شجرة وزنٌ في هذه المجموعة الكثيرة من الأشجار، كما أشرنا إليه. إذًا، كميات النّبات موزونة ومقدرة. ويضيف القرآن الكريم **(وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ)** [الحجر/20]؛ أيّها الإنسان، إنّ عيشك وحياتك في الأشجار، لأنّها هي الّتي تقدّم الأوكسجين، والحياة لك أيّها الإنسان. وجعلنا أيضًا إلى جانب الحياة بالتّنفّس، يقول سبحانه وتعالى: **(وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ)** [الحجر/20]؛ أي الأشجار، تعطي وتطعم النّاس والحيوانات الّتي لا تطعمونها أنتم. ثمّ يستنتج القرآن الكريم من خلال هذه الآية المعجزة: **(وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ)** [الحجر/21]، نحن بإمكاننا أن نخلق كلّ شيء بالكميات الكبيرة التي نريدها، ولكن حسب قوله تعالى: **(وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)** [الحجر/21].

وهذا يرشدنا إلى البحث عن حقيقة علمية في الكون، تلك الحقيقة الّتي هي مفطورة في نفوس العلماء الباحثين، إنّهم يجدون أمراضًا، ويفتّشون عن علاج، لأنّهم يعرفون أنّ كلّ مرض في الكون له علاج في الكون أيضًا، فما

---

1 **موسى الصّدر،** أحاديث السّحر، م.م.، ص 126.

على الإنسان إلّا أن يفتّش عن العلاج. وهكذا، نجد أنّ العلم بقوانينه وأبحاثه واكتشافاته، يؤكّد أنّ النّظام القاطع الثّابت، يتحكّم في الكون الّذي نعيش فيه؛ أيّ أنّ كلّ شيء في الكون من صغير أو كبير له أساس وقدر وتفاصيل، سبحانه وتعالى. [1]

رابعًا: تاريخ العلاقة بين العلم والدّين

يعتقد الإمام الصّدر أنّ تاريخ علاقة العلم والدّين بدأت مع بدء الإنسان، ويرسم لنا هذه الصّورة الغنية بدلالاتها الصّادقة: خَلَق اللّه الإنسان وخَلَق معه الدّين والعلم معًا جناحين له، فالدّين حسب ما ورد في الآية الكريمة الآتية: **(فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)** [الرّوم/ 30].[2] يرى الإمام الصّدر أنّ الدّين، في رأي منابع الدّين، وُلد بولادة الإنسان، ويؤكّد هذا الرّأي التّاريخ والآثار والبرهان العلمي. أمّا العلم فبإمكاننا أن نشهد ولادته مع ولادة الطّفل، إذ نشاهده في رغبةٍ ملحّةٍ إلى المعرفة، تبدو في عيونه ونظراته الفاحصة، ثمّ في أسئلته اللّامحدودة عن كلّ ما حوله. وهكذا، نأتي إلى نهاية الفصل الأول من حكاية الدّين والعلم، ووجدناهما ولدًا وبنتًا مع ولادة الإنسان بصورة بدائية وساذجة، وُلِدا مرتبطين في الخلق بالإنسان.[3]

فَخَلَقَ اللّه العلم والدّين توأمين حينما خلق الإنسان لأنّ بين العلم والدّين ربطًا مصيريًّا وهما يقرران مصير الإنسان وكماله. فالعلم، من دون تكلّف فلسفيّ أو تحديد منطقيّ، هو ضياء لكشف الواقع ولمعرفة الحقيقة. والحقيقة هي فِعل اللّه وأمره، فالعلم طريق طبيعي لرؤية آثار الخالق، وتزداد معرفة الإنسان للخالق بازدياد العلم. العلم أيضًا بمعناه العام؛ (أي بما يشمل الفلسفة) أداة لكشف حقيقة الكون وحقيقة الإنسان، وارتباط الإنسان بالكون وبالموجودات، ودور الإنسان في العالم وفي الحياة وفي الكون.

والدّين يكشف بصورة قاطعة عن هذا الدّور، ويدعو إلى قيام الإنسان بدوره

---

1 م. ن.، ص 127 – 128.

2 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "جانب الإنسان الروحي والجسمي في العالم الآخر"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 196.

3 موسى الصّدر، مقدمة بعنوان "الدين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعيّة في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 170.

الكونـيّ، بـل إنّـه فـي تفسـير بعـض العلمـاء هـو ربـط الإنسـان بالكـون، وهـذا التّفسـير يتّفـق مـع تفسـير الدّيـن الّـذي يربـط الإنسـان بخالـق الكـون، إذ إنّ الأدوار الكونيـة هـي مـن تخطيـط خالـق الكـون، فربـط الإنسـان بالكـون هـو بعينـه الـدّور الّـذي عيّنـه خالـق الكـون، وهـو بعينـه ربـط الإنسـان بخالـق الكـون.

خامسًا: خدمات متبادلة بين العلم والدّين

يـرى الإمـام الصّـدر أنّـه، بمـا أنّ الدّيـن يربـط الإنسـان بالكـون، وفـي النّتيجـة يربـط الإنسـان بخالـق الكـون، فإنّنـا نسـتطيع أن نسـتنتج بـأنّ العلـم هو الطّريـق إلى معرفة اللّـه، وهـو الجهـد البشـري لإدراك الـدّور المفـوَّض لـه الّـذي هـو الدّيـن. وكلّمـا ازداد العلـم يـزداد الدّيـن، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللَّـهَ أَنـزَلَ مِـنَ السَّـمَاءِ مَـاءً فَأَخْرَجْنَـا بِـهِ ثَمَـرَاتٍ مُّخْتَلِفًـا أَلْوَانُهَـا وَمِـنَ الْجِبَـالِ جُـدَدٌ بِيـضٌ وَحُمْـرٌ مُّخْتَلِـفٌ أَلْوَانُهَـا وَغَرَابِيـبُ سُـودٌ*وَمِنَ النَّـاسِ وَالـدَّوَابِّ وَالْأَنْعَـامِ مُخْتَلِـفٌ أَلْوَانُـهُ كَذَلِـكَ إِنَّمَـا يَخْشَـى اللَّـهَ مِـنْ عِبَـادِهِ الْعُلَمَـاء إِنَّ اللَّـهَ عَزِيـزٌ غَفُـورٌ)** [فاطـر/ 27 و28]. ومقابـل هـذه الخدمـة الّتـي يقدّمهـا العلـم للدّيـن، يقـدّم الدّيـن للعلـم خدمـات مصيرية، إذ يجعـلُ العلـمَ سـبيلًا وحيـدًا للوصـول إلى مقـام خلافـة اللّـه فـي الأرض، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلاَئِكَـةِ إِنِّـي جَاعِـلٌ فِـي الأَرْضِ خَلِيفَـةً)** [البقـرة/ 30]، **(وَعَلَّـمَ آدَمَ الأَسْـمَاء كُلَّهَا)** [البقرة/ 31]، **(قَـالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْـمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْـمَآئِهِمْ قَـالَ أَلَـمْ أَقُـل لَّكُـمْ إِنِّـي أَعْلَـمُ غَيْـبَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَـمُ مَـا تُبْـدُونَ وَمَـا كُنتُـمْ تَكْتُمُـونَ)** [البقـرة/ 33]. ثـمّ يحـاول الدّيـن أن يحطّـم الأصنـام والعوائـق الّتـي تقـف أمـام سـير العلـم وينشّـطه، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(هَـلْ يَسْـتَوِي الَّذِيـنَ يَعْلَمُـونَ وَالَّذِيـنَ لَا يَعْلَمُـونَ)** [الزّمـر/9]، ويجعلـه فضيلـةً وعبـادةً وكمـالًا للإنسـان، ويقـول فـي كتابـه الكريـم: **(إِنَّ فِـي خَلْـقِ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ لآيَـاتٍ لِّأُوْلِـي الألْبَابِ*الَّذِيـنَ يَذْكُـرُونَ اللّـهَ قِيَامًـا وَقُعُـودًا وَعَـلَى جُنُوبِهِـمْ وَيَتَفَكَّـرُونَ فِـي خَلْـقِ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَـا مَـا خَلَقْـتَ هَـذا بَاطِـلًا سُـبْحَانَكَ فَقِنَـا عَـذَابَ النَّـارِ)** [آل عمـران/ 190 - 191]. [1]

---

1 **موسى الصّدر**، مقدمة بعنوان "الدّين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 170 - 171.

ونختم هذا المبحث بعبارات للإمام الصّدر يدلُّ فيها على العلاقة العضوية بين الدّين والعلم، وأنّهما توأمان خُلقا مع وجود الإنسان في الأرض، يقول:

"فالعلم والدّين لهما قصة طريفة خلال التّاريخ. قصّة لا تقل طرافة من أيّة قصّة أخرى وتفوق تأثيرًا أيّ قصّة ثانية، وكثيرًا ما يراود أذهاننا أّننا هل نتمكّن من أن نعيش متدينين ونحتفظ بمكاسب العلم؟ هل العلم يتناقض ويتنافى مع الدّين؟ هل الدّين يقف في وجه العلم؟ هل الدّين كما يتّهمونه أفيون الشّعوب أو أن الدّين والعلم مرتبطان ربطًا مصيريًّا؟ هذه الأسئلة تراود ذهننا كثيرًا، وأعتقد أنّ خير هدية يمكنني أن أقّدم لكم باسم الرّسالة المشتركة حكاية العلم والدّين في هذه الأمسية الجميلة المباركة. حكاية الدّين والعلم تبدأ مع الإنسان؛ فالدّين والعلم وُلِدا بولادة الإنسان؛ هما توأمان خلقا مع خلق الإنسان وسيبقيان مع بقاء الإنسان طوال التّاريخ."[1]

1 **موسى الصّدر،** محاضرة بعنوان "حكاية العلم والدّين"، تسجيل صوتي من محفوظات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات.

المبحث الثاني
علاقة الدّين بالحضـارة

نشـير هنـا بإيجـاز إلى بعـض مواقـف الإمـام الصّـدر فـي خصـوص علاقـة الدّيـن بالحضـارة المعاصـرة والثّقافـة والعلـوم البشـرية:

أولًا: وجوب الانفتاح على الثّقافات والعلوم

يعـدّ الإمـام الصّـدر بـأنّ الانفتـاح عـلى الثّقافـات والعلـوم البشـرية مـن واجبـات الإنسـان الدّينيّـة: يجـب عـلى الإنسـان أنّ يفتـح صـدره لقبـول الثّقافـات البشـرية، فيقتبسـها ويهضمهـا وينشـطها، ويحسـب هـذه النّشـاطات مـن واجبـات الإنسـان فـي الحيـاة ورسـالته فـي الكـون، وأنّ الثّقافـة الإسـلامية تحـرّك الإنسـان حركـة دائمة نحـو التّقدّم، في مختلف مجـالات التّطور العقلي، وتتحمّل كلّ جديد بقلب عاشـق، تعدّه سـلوكًا إلى اللّه، ومعرفـةً لـه وكمـالًا للإنسـان. يعتقـد بـأنّ الإسـلام، يرحِّـب بـكلّ حركـة فكريـة إيجابيـة، وكلّ تطـوّر عقلـي سـليم، ويعـدّ كل هـذا جـزءًا مـن رسـالة الإنسـان فـي الحيـاة وواجبًـا مـن واجباتـه.

ثانيًا: الرّؤية الدّينيّة للعالم

منـذ السّـتينيات مـن القـرن الماضـي حملـت رؤيـة الإمـام الصّـدر للعلاقـة بيـن الحضـارات، وبيـن الدّيـن الإلهـي والدّنيـوي البشـري، تصـورًا يقـوم عـلى التّناغـم بيـن الكونـي والتّشـريعي، وبيـن العلمـي المتغيّـر المتطـوّر والدّينـي المتجلّـي دائمًـا حسـب تقـدُّم أفهـام البشـر.
إنّها رؤيـة دينيـة للعالـم لكنّهـا تسـمح بتطـوّر العلـوم والثّقافـات مـع تبلـور تجلّيـات جديـدة للحقيقـة وصلـت فـي ذروتهـا إلى اسـتلهام مقولـة انسـجام الكتـاب التّشـريعي (القـرآن) مـع الكتـاب التّكوينـي (الكـون) لأنّهمـا يصـدران عـن مؤلّـف خالـق واحـد.

ثالثًا: مكانة الدّين في حياة الإنسان

بعدما اتّضح المكان الثّابت للدّين في حياة الإنسان، ذلك المكان الّذي لا يمكن للعلم ولا للفلسفة ولا للحقوق ولا للأخلاق أن تحلَّ محلّه، مهما عَظُم شأنها ومهما تقدّمت، نكتشف حقيقة أخرى، وهي أنّ حركة الإنسان بصورة عامة غيبية الدّافع وإلهية الباعث، ولكنّها في داخل هذا الإطار الغيبي إنسانية الصّنع.[1]

رابعًا: موقف الدّين من تعاليم سائر الحضارات

أكّد الإمام الصّدر– كما يرى محمد تقي ميبدي - أنّ الأديان لم تكن لتمحو التّقاليد والأعراف كافة تمامًا، وتأتي بسننٍ وآداب جديدة في المجالات كلّها، بل إنّها سعت إلى جذب الموارد الّتي لا تعارضها في سبيل سعادة البشر. ويفصّل الكلام للتّدليل على هذه الفكرة فيشير إلى كون الأحكام في الإسلام على نحوين: تأسيسية وإمضائية، وهذه الأخيرة عبارة عن أحكام كانت رائجة ومتداولة في المجتمع الجاهلي واندرجت تحت الآداب والأعراف الاجتماعيّة. فأحكام الجزاء، مثلًا، كانت غالبًا موجودة في العصر الجاهلي. والإسلام، إذ لم يرَها منافيةً للتّوحيد والأخلاق، أوصى بها وتقبَّلها وأدخلها في الشّريعة الإسلامية. والدّليل في المقام هو أنّ الدّين إن كان بصدد نفي الحضارات والمقابلة معها، لم يهيّىء الأرضية الملائمة لنموّها وازدهارها؛ والحال أنّ الأديان وبخاصّة الإسلام، لم تواجه أيّ حضارة إلّا واستقبلتها بحفاوة. [2]

نختم هذا المبحث الثّاني بعبارات للإمام الصّدر يدلّ فيها على أنّ الموقف الدّيني والأخلاقي لحضارة من حضارات العالم، يتعيّن أنّ لا يكون جذريًّا بالرّفض الكلّي أو الانبهار والانقياد الكلّي، بل بدراسة خيرات هذه الحضارة، وما تحمله في طيّاتها أو في ممارساتها من شرور، ثمّ الاستفادة من الحسنات مع رصد الشّرور والتّحذير منها لتجنّبها، يقول:

---

1 **انظر: موسى الصّدر**، مقدمة بعنوان "الدّين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص181 – 182.

2 **محمد تقي ميبدي**، مشاركة بعنوان "الإسلام في مصب الحضارات، التّصادم أو التّعاطف"، ضمن كتاب أعمال مؤتمر كلمة سواء الرّابع: الهوية الثّقافية، قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام موسى الصّدر، ص 201.

«... الحضارة يجب أنّ ندرسها كمجموعة لا تتجزأ، شجرة الحضارة لها فواكه وثمار شهية مثل العلم، مثل التّكنيك، مثل التّنظيم، ولكن لها أيضًا أشواك مدمية مهلكة يجب أن ننظر إلى المعطيات وإلى النّتائج السّلبية على حدّ سواء. لا يمكن لنا أنّ نقول إنّ ما أعطته الحضارة الغربية المادية في حقل العلم والتّكنيك والتّنظيم هي لها، وما أعطته في حقل الاستعمار والاستثمار والاستغلال والتّمييز العنصري والحروب، وفتح الأسواق[...] وانحطاط مقام الإنسان [...] وأمثال ذلك... لا يمكن أنّ نقول إنّ هذه النّتائج ليست من نتائج الحضارة الغربية، وغير محسوبة عليها.

يجب أن ندرس الحضارة بخيرها وشرّها، لماذا ندرس هذه الحضارة بخيرها وشرّها؟ لأنّنا اليوم في دور التّجربة. نحن ندرس ونجرّب لكي نتبنّى، لأنّنا نحن اليوم نريد أن نبدأ من الصّفر، لأنّنا لا نملك شيئًا، فأمامنا تجارب يجب أن ندرسها ونتبّنى الأكثر نجاحًا من هذه التّجارب، فلندرس الحضارة الغربية...». [1]

---

1 **موسى الصّدر**، محاضرة بعنوان "الحضارة الغربية والعلم الحديث"، تسجيل صوتي من محفوظات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات.

المبحث الثالث
مسيرة الدّين والعلم معًا في تاريخ البشرية

أولًا: الدّين حرَّر العلم

بعدما أصيب التّوأمان: العلم والدّين، بالمرض نفسه- "الأساطير والخرافات"، وفي إطار التّفاعل الّذي رسم مسيرتهما المشتركة، مدّ الديّن، هذه المرة، يد العون لأخيه العلم، يقول اللّه سبحانه وتعالى: **(فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ)** [البقرة/ 213]، لكي ينقذ الإنسان من هذا اللّيل المظلم، ويطلق سراحه من السّجن الضّيّق الّذي صنعه بنفسه لنفسه وسجَن فيه دينه وعلمه أيضًا.
فالأنبياء دعوا النّاس إلى التّوحيد: إلى عبادة اللّه الواحد الأحد الّذي **(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)** [الإخلاص/ 3]، والأنبياء نزّهوه عن الصّلات الخاصة مع الموجودات السّلبية والإيجابية، وبذلك أعلنوا عدم الخباثة أو القداسة في الأشخاص والأشياء والأوضاع.
وأكّد رسل اللّه هذه المبادئ في تعاليمهم بمختلف حقولها الإيمانية والعمليّة والثّقافيّة والخلقيّة، فحرّروا الإنسان من أوهامه وتفاسيره الخاطئة عن الكون والحياة، وحطّموا أصنامه الطّبيعيّة الّتي كانت تملأ جوانبه وأوثانه المصنوعة الّتي كانت تكرّس حقارته وتجرح كرامته. فاهتدى إلى الصراط المستقيم، يقول اللّه سبحانه وتعالى: **(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ)** [الفاتحة/ 7]، فكان الدّين كلُّه لله، ولا معبود سواه مهما كان نوعه. وفُكَّ الحصار عن العلم المسجون، وانطلق بجرأة من دون تعقيد أو تخوُّف في السّير في الآفاق والأنفس، وفي اقتحام الموجودات، وإجراء التّجارب فيها ومعرفتها وإخضاعها له. [1]

وفي معرض الاستدلال على هذه النّقطة الّتي أشار إليها الإمام الصّدر، ولكي لا يكون مروره عليها عاطفيًّا ومن دون دليل، ينقل لنا نصًّا من كتاب "جورج

---

1 **موسى الصّدر،** مقدمة بعنوان "الدّين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعيّة في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 173.

سارتون"[1]، لأنه يراه أفضل كتاب في تاريخ العلم.
يقول "سارتون": «إنّ الأسس العلميّة الّتي بُنيت عليها صروح العلم الشّامخة والحضارة القائمة وُلدت أولًا في مصر وبين النّهرين وإيران وعند الإغريق بين القرن الثّامن والقرن السّادس قبل ميلاد المسيح»(...) وهذا الوقت بالذّات هو عصر انتشار دعوة الأنبياء الكبار وتوسّعها في فلسطين بوساطة عاموس وهوشع وبيكاه واشعيا وإرميا وفاحوم، وبعد اشتهار الأسفار الخمسة في العهد القديم، وبعد تأثّر الإنسان الشّرقي بدعوة إبراهيم وبتنقّلاته في فلسطين والحجاز وبين النّهرين، وبعد ظهور زرادشت عند الفرس وبوذا في الهند(...) «ثمّ إنّ الصِّلات الحضارية الّتي كانت بين فلسطين ومصر مع إيونيا مهد الحضارة الإغريقية وأسفار السّفن الصّغيرة ورحلاتها من الفرات إلى ميناء ميلتوس، تفسّر لنا بوضوح التّشابه الموجود بين آثار هوميروس وبين آثار الأنبياء المذكورين، وتفسّر لنا التّفاعلات الفّنية بين هذه الشّعوب كالنّقوش المصرية القديمة على العاج والّتي نجد مثلها في سامراء المركز السّومري القديم».
يعدّ الإمام الصّدر أنّ كلام "سارتون" هذا، دليل قاطع على ما أشار إليه هو سالفًا، وهو وجود تلاقٍ تاريخيّ وجغرافيّ عجيب بين انطلاق العلم وانتشار دين اللّه ودعوة الأنبياء، إذ إنّ مركز العلوم ومنبع الحضارات هو مشرق الأديان، وعهد العلم هو زمان الدّين، وهل يمكن لنا تفسير هذا اللّقاء العجيب بالصّدفة والاتفاق؟! [2]

ثانيًا: المصير المشترك للدّين والعلم

الدّين والعلم اللّذان بدءا مسيرتهما مع الإنسان توأمان بحسب رؤية الإمام الصّدر، وهما يقومان بخدمات متقابلة طوال الطّريق ويصلان إلى مصيرٍ مشتركٍ. وكما وُلدا بعضًا مع بعض، عَرَفا كذلك في أيام الصّبا والطّفولة مصيرًا مشتركًا،

---

1 **جورج سارتون** (1884 - 1956): جورج الفرد ليون سارتون، هو كيميائي، ومؤرخ أمريكي بلجيكي المولد. يعدّ مؤسّس تخصّص تاريخ العلوم كمجال مستقل.. له إسهامات كثيرة في تاريخ العلوم، وأكثر أعماله تأثيرًا هو كتاب: "مقدمة في تاريخ العلوم"، والّذي يتكوّن من ثلاثة مجلدات تضمّ 4296 صفحة. سعى سارتون في نهاية المطاف إلى تحقيق فلسفة متكاملة للعلم، توفّر صلة بين العلوم والإنسانية والّتي أشار إليها باسم "الإنسانية الجديدة".

2 **موسى الصّدر**، مقدمة بعنوان "الدين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 173 – 174.

إذ ابتُليَ الدّين والعلم بأمراض مشابهة. فالإنسان البدائي انحنى أمام العجز والجهل والمرض، وأخافته العوامل الكونية، وسيطرت عليه الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وبالنّتيجة تغلّبت هذه العوامل على ذات الإنسان المؤمن بفطرته والمشتاق إلى معرفة الحقيقة، وفرضت عليه أوهامًا عاشت معه، ورافقت علمه ودينه في عصور الجاهلية الأولى، عهد الأساطير والخرافات، وانحرف الإنسان المصاب في علمه ودينه، فضلّ في متاهات الجهل وصحارى الضّياع.
وكانت مظاهر دينه: التّوسّل بالتّمائم والسّجود أمام الموجودات الطّبيعية والعكوف عند التّماثيل الّتي لا تملك نفعًا ولا ضرًا، وكان يعبد أحيانًا بني نوعه، وكان يضع مجهولاته جميعها وجميع ما يعجز عنه في حساب دينه تحت سيطرة الإرادة العينية.
وكان نشاطه العلمي مشابهًا تمامًا لوضعه الدّيني، فكان يعالج بالطّلاسم ويكافح الجدب بدفن إنسان في الأرض، وكان يواجه الطّوفان بإغراق شخص في البحر، وكان يطبّب الصّداع بنفخ السّاحر في أذن المصاب لكي تعود إليه روحه المتوارية في الغابة والّتي اصطادها السّاحر وجعلها في الصّندوق. وكان يفهم الخسوف والكسوف بغضب من الشّمس والقمر، أو بغضب متفوّق عليهما، وكان ينجدهما بدقّ الطّبول، وكان وكان... ما ملأ تاريخ الإنسان بالمآسي. ابتُليَ العلم والدّين في دور الطّفولة وأيّام الصّبا بمرض مشترك وهو: الأساطير والخرافات.[1]

ثالثًا: طغيان المتدينين على العلم

في خضمِّ العلاقة المتقابلة بين العلم والدّين، وخلال رحلتهما التّاريخية المشتركة يعتقد الإمام الصّدر بأنّ الدّين، أو بتعبير أدق "أهل الدّين"، طغوا على العلم، ويسمّي الإمام الصّدر هذه الأيّام بأيّام المحنة، محنة الظّلم من الأخ لشقيقه، وظلم ذوي القربى أشدّ ضراوة. إذ استغلّ المتدينون الدّين لتجميد العلم وإخضاعه لسلطانهم الواسع وحصره بما كتب القدامى الّتي أكسبها القِدم قداسةً.

---

1 موسى الصّدر، مقدمة بعنوان "الدّين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 171 – 172.

قالـوا: «إنّ حقائـق الكـون كلّهـا قـد اكتُشـفت بوسـاطة السّـلف، وإنّ كلّ جديـد انحـراف وضلالـة»، كمـا قالـوا: «إنّ القـول بكرويـة الأرض أو حركتهـا كفـر وإلحـاد، وإنّ الاعتـراف بالجراثيـم وتأثيرهـا فـي خلـق الأمـراض سـفه وجـرأة عـلى اللّـه وتحـدٍّ لفعاليتـه المطلقـة، وإنّ الإيمـان بقانـون العليـة العامـة لا يصـحّ إذ إنّـه يتنافـى مـع القضـاء والقـدر». وقالـوا: «إنّ السّـعي إلى معرفـة القـوى الكونيـة الخفيـة مثـل الكهربـاء والجاذبيـة اتصـال وتأثّـر بالجـن والعفاريـت، وإنّـه سـحرٌ وحـرامٌ وتضليـلٌ للعبـاد».

قالـوا هـذه ونظائرهـا، وكفّـروا رجـال العلـم، وأحرقوهـم. واسـتتابوهم بعـد المحاكمـة والتّعذيـب؛ إنّهـم تجـاوزوا حدودهـم، وخلقـوا جمـودًا فـي أشـرف إنتـاج للإنسـان، وأوقفـوا سـير التّاريـخ مـا أمكـن أن يقـف التّاريـخ. إنّ العهـد الوسـيط كان يحمـل طغيانًـا منهـم عـلى العلـم وعـلى كلّ شـيء، وقـد ظلمـوا الدّيـن أيضًـا إذ جمّـدوه ومنعـوا أيّ إنتـاج دينـي جديـد. [1]

رابعًا: ثورة العلم ضد الدّين

يـرى الإمـام الصّـدر أنّـه فـي المرحلـة التّاليـة عـادت الكَـرَّة وانعكسـت المأسـآة، فمـا إن اقتربـت القـرون الوسـطى مـن نهايتهـا حتّـى بـدت فـي الأفـق علائـم الانتقـام والتّعـدّي المعاكـس والثّـأر.

ثـار العلـم وثـأر لكرامتـه المجروحـة، فحطّـم أبـواب السّـجن الّـذي صُنـع لـه باسـم الدّيـن، وبـدأ يعتـزّ بنفسـه ويحتقـر الدّيـن جـذلانَ مسـرورًا، وهـو سـكرانُ مـن خمـرة الانتصـار عـلى شـقيقه ومكمّلـه. انتقـم العلـم مـن الدّيـن، وتنكّـر لـه وتجاهـل دوره إطلاقًـا فـي الحيـاة، وعـدّه سـدًّا يمنـع التّقـدّم، وقيـدًا يجـب كسـره، وصنمًـا مـن الضّـروري تحطيمـه عـلى حـدِّ تعبيـر "بيْكُـن". [2]

وقـد بلـغ بـه الغـرور درجـة تظهـر فـي مكالمـة جـرت بيـن "نابليـون" وبيـن أحـد

---

1 **موسى الصّدر**، مقدمة بعنوان "الدّين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدروالخطاب الإنساني، م. م.، ص 174 – 175.

2 **فرانسيس بيكون** (1561 - 1626)، فيلسوف، ورجل دولة، وكاتب انكليزي، معروف بقيادته للثّورة العلمية من طريق فلسفته الجديدة القائمة على "الملاحظة والتّجريب". من الرّوّاد الذين انتبهوا إلى عدم كفاية المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس لفهم العالم.

معاصريه من العلماء، فقد قال له "نابليون" سائلًا: «هل بقي في أقطار الأرض وآفاق السّماء نقطة مجهولة لا يمكن تفسيرها إلّا باعتماد القوى الغيبية؟»، فنسمع العالِم يقول بكل كبرياء: «لا»... حاسبين أنّ دور الدّين هو تفسير الأحداث الكونية ووضع قوانين مقابل العلم ومنافسته في كشف مجهولات الكون.

تنكّروا للدّين، فعدّوه أيضًا عدوًّا لكلّ ثورة اجتماعيّة، ولكلّ تغيير عميق في حياة الإنسان، واتّهموه بحماية المكاسب الظالمة والثّراء غير المشروع وبتهدئة المظلومين ومنعهم من ممارسة حقوقهم. ولا تزال المأساة بصورتها الجزئية قائمة في بعض أفكارنا الاجتماعيّة والفلسفيّة، وحتّى التّربويّة. والحقيقة أنّ هذا الرّد العنيف من العلم كان مستندًا إلى وضع ديني قائم، بخاصة في أوروبا، وكان مستمَدًّا من الأعصاب الثّائرة من جهة ومن الأوضاع الفاسدة من جهة أخرى. [1]

خامسًا: عودة الوئام بين العلم والدّين

يرى الإمام الصّدر أنّه بعد طغيان رجال الدّين على العلم وانتقام العلم لنفسه في المرحلة التّالية. وفي القرن العشرين، هدأت أعصاب العلم، وازدادت تجربته، فاصطدم أكثر من ذي قبل بالحقيقة، وشعر بالعجز عن إسعاد البشر وحده، وأحسّ بالغربة، ووصل إلى نتائج لم يكن يحسبها، تجلّت بوضوح مظاهر الشّقاء للإنسان، وامتلأ العالم بمآسي الحروب والظّلم والانحراف، فمدَّ العلم بعد ذلك يده إلى شقيقه الدّين، وصار يفتّش عن الإيمان الضّائع لكي يعيش معه ويتعاون معه في إصلاح أمر ما فسد في الماضي.

ينقل الإمام الصّدر عن "العقاد"[2] في كتابه عقائد المفكرين في القرن

---

1 **موسى الصّدر**، مقدمة بعنوان "الدين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 175 -176.

2 **عباس محمود العقّاد** (1889– 1964): أديب، ومفكّر، وصحفي وشاعر مصري. وهو عضو سابق في مجلس النّواب المصري، وعضو في مجمع اللّغة العربيّة. ويُعدّ العقّاد أحد أكثر كتّاب القرن العشرين أهمّية في مصر، وقد أسهم بشكل كبير في الحياة الأدبيّة والسّياسيّة، وأضاف للمكتبة العربية أكثر من مائة كتاب في مختلف المجالات. نجح العقّاد في الصحافة، فقد كان يكتب شعرًا ونثرًا على السّواء، وظلّ معروفًا عنه أنه موسوعيّ المعرفة، يقرأ في التّاريخ الإنساني والفلسفة والأدب وعلم الاجتماع.

العشـرين: «إنّ ظاهـرة القـرن العشـرين هـي أن أكثـر المفكّريـن فيـه مؤمنـون باللّـه بعدمـا كانـت الظّاهـرة فـي القـرن التّاسـع عشـر هـي الإلحـاد عنـد المفكّريـن أو عنـد أغلبهـم». بـدأ العلـم يـدرك حقيقـة الدّيـن، فآمـن بـه وقـدّره واعتمـد عليـه، وأهـل الدّيـن أيضًـا بـدأوا يدركـون خدمـات العلـم لهـم، ولبنـي الإنسـان، فأيّـدوه واعترفـوا بـه، فبـدأت الأمـور تنجـلى وترجـع الميـاه إلى مجاريهـا. [1]

سادسًا: مستقبل علاقة الدّين والعلم

يحمـل الإمـام الصّـدر أمـلًا كبيـرًا بمسـتقبل علاقـة الدّيـن والعلـم، ويقـول: «بدأنـا نسـمع نغمـات موزونـة تـزداد يومًـا بعـد يـوم فـي سـمفونية متوافقـة متناغمـة مـن الدّيـن والعلـم، فـكلٌّ يضـرب عـلى وتـره ويـؤدّي دوره مـن دون تعـدٍّ أو تجـاوز، فيتناجيـان ويمـلآن الكـون نـورًا وسـرورًا. نحـن الآن في أول هـذا الطّريـق، وفـي أفقنـا فجـر صـادق يبشّـر بطلـوع الحضـارة الحقّـة وبظهـور نهـار مشـرق للإنسـانيّة، يعيـش الإنسـان فيـه بـكلّ وجـوده وبـكلّ أفـراده وبـكلّ كفاءتـه». [2]

سابعًا: توزيع الصلاحيات بين الدّين والعلم

يعتقـد الإمـام الصّـدر أنّـه يوجـد توزيـع صلاحيـات وتقاسـم أدوار بيـن العلـم والدّيـن. وبنـاءً عـلى هـذا التّقاسـم والتّوزيـع يـرى بـأنّ العلـم بعدمـا سـما وارتفـع، تبيّـن لـه مـدى صلاحياتـه وغايـة إمكاناتـه، فهـو مـن دون شـكّ أو تعقيـد ضيـاء لمعرفـة الحقيقـة، ووسـيلة حقّـة لرؤيـة الواقـع فـي مختلـف جوانـب الواقـع وتنـوّع حقـول الحقيقـة، العلـم يكشـف الحقيقـة أمـام الإنسـان، ولكنّـه ليـس محـرِّكًا للإنسـان في حياتـه ولا دافعًـا لـه في تكاملـه، بـل يقتصـر عـلى كشـف الحيـاة وتوضيـح التّكامـل. والمحـرِّك الحقيقـي للإنسـان هـو طبيعتـه وغرائـزه وميولـه، فالإنسـان خُلـق طموحًـا سـاعيًا نحـو هـدف محبـوب لـه، متحـرّكًا نحـو مـا يـراه الأفضـل مـن الحـال، ويأنـف

---

1 **موسى الصّدر**، مقدمة بعنوان "الدّين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 176.

2 م. ن.، ص 176.

الوقوف والجمود؛ ولكن الاندفاع الطّبيعي للإنسان ليس نابعًا من مؤثّر واحد، فقد يتحرّك لدوافع شخصيّة أو نوعية، أو قد يندفع لأسباب فورية سطحية، وقد يلاحظ العواقب، وقد تؤثّر فيه عوامل مادية أو معنوية، وقد يحرّكه شعور يختلف عن شعور آخر سموًّا وانخفاضًا؛ وهذه الألوان من دوافع الإنسان في سيره، وهي مشهودة لجميعنا نعيشها بوضوح.

فالعلم ينير الطّريق، والدّوافع النّفسية البشرية للحركة في هذا الطّريق مختلفة، وهنا نصل إلى الشّعور بالحاجة الملحّة إلى غربلة هذه الدّوافع واختيار أكثرها صلاحًا للإنسان. وهكذا، تتجلّى بعض صلاحيات الدّين إذ يختار الدّافع الأفضل والمحرّك الأصلح، ويحاول تنميته وإبرازه ومساعدته على بقية الدّوافع. ولأجل إيضاح هذا المدعى، علينا أنّ نتفق على أنّ الدّافع الأفضل لسير الإنسان في حياته هو الدّافع الّذي يؤمّن نمو الإنسان من جوانب وجوده جميعها ليكونَ سيره متكاملًا. [1]

الإنسان خُلق ذا إرادة وحرية بخلاف بقية الموجودات، والإرادة هذه تشكِّل جانبًا من جوانب وجوده؛ وهناك جانب آخر من وجوده لا يمكن تجاهله، وهو الجانب الاجتماعي. فالإنسان في وعيه وتجاربه، وفي حياته وماضيه ومستقبله، وفي أكله وشربه ولبسه وصحته، في هذا كلّه ليس إلّا جزءًا من المجموعة البشرية، ولا ينفصل عنها أبدًا. وله جانب ثالث، وهو الجانب الكوني، فالإنسان في تكوينه وبقائه هو جزء من الأرض والهواء، وما يحيط به، ولا ينفك أبدًا من هذا الكون. [2]

فالكمال الحقيقي للإنسان ذي الاستقلال في الإرادة والاجتماع الكوني، هو سيره ونموه في هذه الجوانب جميعها، ولو نما وتكامل في جانب واحد يكون قد انحرف. وهنا نصل إلى النّقطة الأساس، وهي أنّ الإنسان إنْ تحرّك بدافع الجانب الأول فقط فهو أناني مغرور وليس منسجمًا مع واقعه. كما أنّه إنْ ذاب في الجانب الاجتماعي من دون رعاية شخصيته الخاصة، فقد حَرَم المجتمع والوجود من لونه الأصيل وكفاءاته الخاصة. وهكذا، إنْ سار في سبيل كونيته ووجوديته على حدِّ التعبير الحديث فقد ظلم نفسه وظلم عالمه، إذ فقد ميّزته الإنسانية.

فالخطّ المفضّل للإنسان هو الخطّ الخاصّ به الموازي لخطّ الآخرين في مجتمعه

---

1 موسى الصّدر، مقدمة بعنوان "الدين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 177.

2 .ن.، م. م.، ص 178.

والمتوازي أيضًا مع سير الموجودات الأخرى. والإنسان في سيره في هذا الخطّ يشكّل نغمةً خاصّة منسجمة مع الأنغام البشرية الّتي تشكّل بمجموعها المصالح الاجتماعيّة العالية، وأنّ اجتماعيّته هي بحقّ وليدة الكون، والسّير في هذا الخطّ هو سير نحو الكمال المطلق؛ أي: نحو اللّه غاية السّير ودافعه ومبدأه. فهو؛ أي اللّه، خلق الكون في حركة دائمة هادفة، وخلَق الإنسان الّذي هو جزء ممتاز من الكون في طموح وتطّلع دائمَين نحو الكمال. فحركة الفرد الّذي هو جزء من الجماعة هي حركة منسجمة مع حركة الجماعة، ولها في الوقت نفسه لون خاص وطابع مميّز. وهكذا، فإنّ حركة: الإنسان الفرد والجماعة، الإنسان الّذي هو جزء من الكون هي حركة منسجمة مع حركة الكون كله، ولها في الوقت نفسه طابعها الإنساني الخاص، طابع قيادة الكون.

والنّتيجة أنّ الدّافع للإنسان في نموّه المتكامل يجب أن يكون متناسقًا مع دافع زملائه وأبناء مجتمعه ومع محرّك الكون كلّه نحو الحركة الّتي يسمّيها الدّين سجودًا. وهذا الدّافع هو إيمانه باللّه وبما رُسم له من الدّور الكوني المتناسق مع سائر الأدوار. وهكذا، يبدو أنّ الجانب الإلهي من الإنسان هو في المكان العلي من الجوانب الثّلاثة؛ أي أنّ هذا الجانب علة للجوانب الأخرى ومنسجم معها تمام الانسجام. [1]

ثمّ يعود الإمام الصّدر ويلخّص رؤيته ويقول: إنّ العلم قد كشف الطّريق ووضَع النّقاط على الحروف. والإنسان انطلق في الخطّ بدافع من ذاته، ولكن الدّوافع كثيرة، والدّافع المفضّل هو الّذي يحركّه في خطّه المتكامل، وفي نموه في جوانب وجوده جميعها، وهذا الدّافع هو إيمانه باللّه، هو دينه. والانطلاق الإنساني الصّادر عن إيمانه باللّه، هو الانطلاق المنسجم مع المجتمع، ومع الكون كلّه، لا الانطلاق الأناني الّذي يسمي القرآنُ دافِعَه بـ (النّفس الأمَّارة بالسّوء)، ولا الانطلاق الاجتماعي مع تجاهل شخصيته، ذلك الانطلاق الّذي يعبّر عنه القرآن الكريم في الجزء الثاني من الآية الكريمة: **(وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)** [الإسراء/ 29]، ولا الانطلاق الكوني الّذي يكون فيه تجاهلٌ لإنسانيّته ولطابعه الخاص الّذي يعبر عنه القرآن الكريم بمقام خلافة اللّه في الأرض. [2]

---

1 موسى الصّدر، مقدمة بعنوان "الدين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص -178 .179

2 م. ن.، ص 179 – 180.

ثامنًا: الدّين يحاول صيانة الإنتاج البشري في حقل العلم

بحسب تفسير الإمام الصّدر: «الدّين لا يكتفي بتعبئة الإنسان وتحضيره للانطلاق، بل يحاول صيانة الإنتاج البشري في حقل العلم ونظائره في إطار مقدّس، فيعطيه القداسة والاحترام من دون أن يجعل منه مطلقًا جديدًا وإلهًا يُعبد وكاملًا يُحمد». [1]

تاسعًا: الإسلام لا يتحفّظ من العلم

بحسب الإمام الصّدر: «لا تنتهي فاعلية الإسلام عند هذا الحدّ فهو يدخل هذا العنصر الجديد في جسمه الثّقافي الكبير؛ ولا يبدي الإسلام أيّ تحفظ تجاه النّشاطات الثّقافيّة بسبب التّخوُّف على ذاته، أو إضعاف الدّين في نفوس أبنائه. فالإسلام يضع للدّين مكانًا أصيلًا لا يمكن أن يقوم مقامه شيء من العلوم والتّشريعات. وفي القرآن الكريم، هذه الحقيقة، تنكشف في كلّ مرحلة أيضًا، بصورة جديدة تناسب الصّور الجديدة للكون وللإنسان، وتوجّه الإنسان لخطوةٍ إيجابيةٍ جديدةٍ في الكون». [2]

عاشرًا: الدّين خالق للطّموح

يعتقد الإمام الصّدر: «إنّ الإطار المقدّس الّذي يضفيه الدّين للإنتاج البشري يبدو كالخطوط العريضة في حياة الإنسان، ولا يتجاوز تأثيره التّنشيط والتّقديس فقط، بل يهيّئ أيضًا فضاءً لانهائيًا أمام الإنسان يتناسب مع طموحه اللّانهائي ومع حركته الدّائمة. وهذه التّهيئة تجمع بين الاكتفاء الذّاتي والارتضاء النّفسي وبين الحركة والسّعي، وتؤمّن التّلاقي بين الثّبات والتّغيّر، بين الإطلاق والنّسبية».[3]

---

1 **موسى الصّدر**، مقدمة بعنوان "الدين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 181.

2 م. ن.، ص 181.

3 م.ن.، ص 181 – 182.

11: الدّين يمنح الطّمأنينة

يعتقد الإمام الصّدر أنّ هناك ناحية مهمّة جدًّا في حقل توزيع الصّلاحيات بين العلم والدّين، ولكنّها تتجاوز العلم وتبّلغ إنتاج البشر جميعهم من الفلسفة والصّناعة والقوانين الوضعية والأخلاق والآداب أيضًا. وهذه النّاحية تقسّم الصّلاحيات بصورة أكثر وضحًا ودقّةً من التّوزيع المذكور آنفًا، فالإنتاج البشري في حقوله الفكريّة والجسديّة والعاطفيّة جميعها يتكامل تدريجيًا، ويكتمل نتيجة لنشاط الإنسان وتجاربه وتفكيره، ونتيجة لمعنى التّكامل والتّغيّر. [1]
إنّ الفلسفة والعلوم والصّناعة والحقوق والآداب وغيرها من ثمار نشاطات البشر كلّها متغيّرة ومتزلزلة لأنّها متكاملة، ولهذا لا يمكن حصول الاستقرار النّفسي والطّمأنينة للبشر إذا استند إليها واعتمدها، مهما ارتفع وعيه وازدادت تجاربه وتقدّم تفكيره وإنتاجه.
إنّ الاستقرار الكامل المطلق لا يحصل بالاستناد إلى غير المطلق؛ أيّ إلى المتغير، بل بالاطمئنان إلى المطلق. يقول سبحانه وتعالى: **(أَلَاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)** [الرّعد/ 28]، وبتعبير أكثر دقة: بالغيب والإيمان به فقط يمكن جعل الإنسان مستقرًّا بعيدًا من القلق والاضطراب.
يبدأ الإنسان من اللّه والدّين والغيب، ويعتمد الإنسان على اللّه، وهذا الاعتماد الّذي يبدو ضروريًّا في حياة الإنسان لكي ينجو من القلق والاضطراب، هذا الاعتماد يتمُّ إذ إنّ المطلق هو صانع الإنسان، وكما أن الغيب، لا المحسوس، هو المتغيّر النّسبي، ويدخل الإنسان المعتمد على اللّه معترك الحياة بثقة كاملة، إذ لا يفارقه سنده أبدًا ولا يتركه في حال ولا آن، وهكذا، يتحوّل الإنسان إلى طاقةٍ كبيرة تتحرّك من دون توقُّف، وتنتج من دون تردُّد في الخطّ السّليم. [2]

---

1 **موسى الصّدر**، مقدمة بعنوان "الدين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 180.

2 م.ن.، ص 181. وتجدر المقارنة هنا بين موقف الإمام وموقف إدموند هوسرل، صاحب الفيمياء، في كتابه الكبير: الكريزس (راجع التّرجمة العربية، أزمة العلوم الأوربية والفينومينولوجيا الترنسندتالية، عن المنظمة العربية للتّرجمة، بيروت 2008) مع الانتباه إلى اختلاف المنطلَقين. لكن إجراء هذه المقارنة يخرج على نطاق بحثنا الآن، لذا اكتفينا بالإشارة.

12: القيادة للدّين

يـرى الإمـام الصّـدر أنّ السّـبيل لاكتمـال دور العلـم واغتنـام جهـده يتـمُّ مـن خـلال تسليم القيـادة إلى الدّيـن وغربلـة الدّوافـع بوسـاطته، ويعتقـد أنّ الآيـة الآتيـة تشـير إلى هـذا الـدّور؛ أي دور القيـادة وخلـق الحيـاة الحقيقيـة للإنسـان، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ اسْـتَجِيبُواْ لِلّـهِ وَلِلرَّسُـولِ إِذَا دَعَاكُـم لِمَـا يُحْيِيكُـمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُون)** [الأنفال/ 24]. لاحظ جملة: «اللّه يحـول بيـن المرء وقلبـه» الّتـي هـي تعبيـر كِنائي عـن مصـدر الحركـة فـي الإنسـان، فدعـوة الرّسـول، حسـب رأي القـرآن، هـي قيـادة اللّـه وتوجيـه قلبـه وحركاتـه وغربلـة دوافعـه، ثـمّ إنّ الغايـة والمنتهى هـو اللّـه.

بهـذه الخارطـة يرسـم الإمـام التّحديـد الأول لصلاحيـات كلٍّ مـن الدّيـن والعلـم، فالعلـم يكشـف الطّريـق، والدّيـن يحـرِّك حركـة قياديـة ويوجِّـه الدّوافـع المحرّكـة للإنسـان فـي حياتـه. [1]

نختـم المبحـث الثّالـث بعبـارات للإمـام موسـى الصّـدر تبيّـن دعـم الإسـلام للعلـم وإنجازاتـه حتّـى فـي حـال سـعى عمالقـة العلـم إلى النّفـاذ مـن أقطـار الأرض بسـلطان المعرفـة، يقـول:

«إنّ الوصـول إلى القمـر نجـاح علمـي باهـر لكنّـه سـوف لا يـؤدّي، والأمـر كمـا نـرى، إلى تأثيـرات روحيـة وتحسـينات محسوسـة فـي حيـاة الإنسـان الشّـاملة.

إنّ أسـطورة حـلّ المشـكلات جميعهـا بمفتـاح "اعـرف نفسـك" قـد بَطُلـت منـذ عهـد سـقراط، وإنّ مراهقـة العلـم وادعـاءه العجيـب بالجـواب عـن حاجـات الإنسـان جميعهـا قـد دُفِنَـا فـي القـرن التّاسـع عشـر!

إنّ الإنسـان يمكنـه أن يجعـل مـن هـذا الانتصـار العلمـي انتصـارًا إنسـانيًّا مؤثـرًا فـي وجـوده كلّـه وجميـع بنـي نوعـه إذا أراد. ولكنّـه هـل يريـد؟!

أمـا السّـؤال الثّانـي، حكايـة تضـارب هـذا الاكتشـاف مـع معطيـات الدّيـن فقـد

---

1 موسى الصّدر، مقدمة بعنوان "الدين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 180.

حصلت من خطأ شائع يعتقد أن السّماء بمعنى ملكوت اللّه وعرشه، ومملكته النّجوم والشّمس والقمر، وهذه الأجواء الزّرقاء الّتي نراها فوق رؤوسنا، فهذه منطقة محرَّمة على الإنسان الّذي جُعِلَتْ الأرض مجالًا لتحركه وميدانًا لمساعيه. والّتعاليم الإسلامية ما اعترفت يومًا بهذا الخطأ، وما جعلت قسمًا من الكون فوق مستوى البشر. فأيّ فرق بين الأرض وبين الكرات الأخرى زميلات الأرض في هذا الوجود الواسع. أمّا الّذي نراه فوق رؤوسنا من الشّمس والنّجوم وطبقات الأجواء ونعدّها سماء، ففي اللّيل أرضنا تصير سماء لها بهذا المقياس. والقرآن الكريم يؤكّد أن المجال الحيوي لتحرّك الإنسان ليس الكرة الأرضية فحسب، بل الشّمس والقمر والنّجوم مسخرات للإنسان بأمر اللّه يتمكّن من الوصول إليها، والتّصرف فيها والانتفاع بها حينما سلك سبيل المعرفة واستمرَّ فيه، في ذلك السّبيل الّذي يسمّيه القرآن الكريم بتعلّم الأسماء.

والباحث في القرآن والسّيرة المطهرة والتّراث الإسلامي يجد بوضوح الاعتراف كائنات حيّة عاقلة في الأجرام الأخرى، ويرى مناقشات علماء المسلمين في هذا الموضوع، حتّى عدّ بعضهم أنّ معجزتي الإسراء والمعراج من آثارهما. إنّهما وسيلتان تربويتّان ناجعتان لتنبيه الإنسان إلى سعة وجوده وإمكاناته، ولتحريضه بعدم الاكتفاء بما حوله في الأرض.

ويؤكّد القرآن الكريم أيضًا إمكان سيطرة الإنسان على القوى الكونية جميعها وخضوعها له في مفهوم عام شامل هو مفهوم خلافة اللّه» .[1]

---

1 **موسى الصّدر،** مقال "الأديان والقمر"، جريدة الجريدة، 7 آب 1969.

المبحث الرابع
التّلاقي بين العلم والدّين

يرى الإمام الصّدر أنّ بين الدّين والعلم، على الرّغم من تحديد الصّلاحيات، يوجد تلاقٍ عجيب وتَناجٍ دقيقٍ يعدّه لطفًا على حدِّ تعبير الفقهاء، وتوجيهًا ومساعدة من الدّين للعلم. وهو، في الوقت نفسه، تأييد وشهادة حقّ من العلم للدّين. ويسرد بعض الشّواهد والأمثلة على ذلك، ويكتفي بذكر مثال واحد في كلٍّ من حقول: الثّقافة والعقيدة والتّشريع والحقوق والاجتماع والعلم. [1]

أولًا: تلاقي الدّين والعلم في حقل العلوم

ينقل الإمام الصّدر مثالًا تاريخيًّا للالتقاء الدّيني العلمي،[2] المثال الّذي يسرده هو حديث القرآن عن فراعنة مصر القدامى، وكأنّه يحيط بتاريخهم العلمي الدّقيق، على الرغم من أنّ وسيلة دراسة تاريخ الفراعنة في أيّام "محمّد"(ص) ومئات السّنين قبله وبعده، ما توفَّرت لأحد من المؤرخين، وكان اتصالهم بذلك التّاريخ المدفون في رمال الصّحراء من طريق التّوراة أو الأساطير الشّائعة.[3]
فالقرآن مثلًا يؤكِّد أنّ جسد الفرعون المعاصر لـ"موسى"(ع) بقي في البحر الأحمر خلافًا لنقل التّوراة، وخلافًا لنقل الشّائعات، إذ يقول القرآن: **(فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً)** [يونس/ 92]، ويشير بذلك إلى نجاة بدن فرعون، وبذلك يلتقي بصورة حتمية مع ما اكتُشف من تاريخ الفراعنة وأجسادهم، ذلك التّاريخ الّذي لا يسجّل أبدًا اختفاء الفرعون المعاصر للنّبي "موسى"(ع).
وكذلك يسمّي القرآن مستشار الحاكم المعاصر لـ"يوسف"(ع) في مصر، باسم

---

1 **موسى الصّدر**، مقدمة بعنوان "الدين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 182.

2 راجع كتاب: الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، منشورات المحرر الأدبي، القاهرة، 1968.

3 **موسى الصّدر**، مقدمة بعنوان "الدين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 185.

"العزيـز"، وبهـذه التّسـمية يعبِّـر بصـورة أكثـر دقـة مـا يمكـن أن يعبّـر عـن كلمـة "Putipharo" الّتـي يترجمهـا الأب فيغـورو"Père Vigoureux" بعـد بحـثٍ دقيـقٍ بـ"عزيـز الإلـه شـمس"، وقـد اختـار القـرآن الكريـم تعويـض "ال" عـن المضـاف إليـه، فقـال: «العزيـز» انسـجامًا مـع روح التّوحيـد. [1]

ثانيًا: تلاقي الدّين والعلم في حقل الحقوق

حقل الحقوق وسيعٌ جدًّا، لكن الإمام الصّدر يكتفي بالإشارة إلى أنّ الفقه الإسلامي أدّى دورًا كبيـرًا فـي تنظيـم المجتمعـات عـلى أسـاس علمـيّ متيـن، وكان مصـدر إلهام لكثيـر مـن القوانيـن الوضعيـة فـي العالـم، وهـو الآن ينافـس الفقـه المعاصـر ويفـرض نفسـه فـي كثيـر مـن المـواد عـلى علـم الحقـوق فـي الأحـوال الشّـخصية وفـي القوانيـن المدنيـة، وحتّـى فـي المبـادئ العامـة والأصـول الموضوعيـة. [2]

ثالثًا: تلاقي الدّين والعلم في حقل الاجتماع

يعتقـد الإمـام الصّـدر أنّ المفهـوم العلمـي المعاصـر متجـلٍّ فـي المبـادئ الدّينيـة، وكمثـال عـلى ذلـك يذكـر آيـة الإنفـاق الّتـي تأمـر بالإنفـاق، وتعقبـه فـورًا بقولهـا: **(وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)** [البقـرة/ 195]، وفـي آيـة قرآنيـة أخـرى، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(وَمَـا تُنفِقُـواْ مِـنْ خَيْـرٍ فَلأنفُسِـكُمْ وَمَـا تُنفِقُـونَ إِلاَّ ابْتِغَـاء وَجْـهِ اللّـهِ وَمَـا تُنفِقُـواْ مِـنْ خَيْـرٍ يُـوَفَّ إِلَيْكُـمْ وَأَنتُـمْ لاَ تُظْلَمُـونَ)** [البقـرة/ 272].
فمفهـوم المجتمـع وتأثيـر تنشـيط الطّبقـات الضّعيفـة وإشـراكها فـي بنـاء المجتمـع الّـذي يعـود تطـوره وازدهـاره بالنّفـع للجميـع، وللّـذي ينفـق، ثـمّ أخطـار الإمسـاك عـن الإنفـاق ونتائجـه المهلكـة مـن الاضطرابـات والتّعقيـدات، هـذه المعانـي العلميـة الحديثـة تُقـرأ مـن مطـاوي الأحـكام الدّينيـة. [3]

---

1 موسى الصّدر، مقدمـة بعنـوان "الديـن والعلـم" لكتـاب يوسـف مـروة العلـوم الطّبيعيـة فـي القـرآن الكريـم، ضمـن كتـاب: موسـى الصّـدر والخطـاب الإنسـاني، م. م.، ص 185 – 186.

2 م. ن.، ص 184.

3 م. ن.، ص 185.

رابعًا: تلاقي الدّين والعلم في حقل التّشريع

يرى الإمام الصّدر أنّه في حقل التّشريع والاعتماد الدّيني على أسلوب الحلال والحرام وتصنيف الموجودات، يقف العلم لكي يؤيّد بصراحة أخطار بعض المحرمات ونتائج المباحات ولزوم الواجبات، ولا ينفي بصورة قاطعة صحّة هذا التّقسيم في الأمور المجهولة منه.
يتجاوز تأييد الفكر البشري لموقف الدّين في اعتماد أسلوب الحرام والحلال هذا الحدّ، ويصل إلى بحث أكثر وسعًا وشمولية، إذ إنّ خضوع الإنسان المطلق لرغباته وحاجاته يؤدي إلى ذوبان شخصيته في الطّبيعة، وإلى انصياعه وتبعيته لها. لكنّه إذا اتخذ ميزانًا أرفع من الرّغبة أو الحاجة، وقاس كلّ موقف برضى اللّه أو عدم رضاه، فلبّى حاجاته إذا انطبقت على مرضاة اللّه، يكون قد ترفَّع عن الطّبيعة، وتمكَّن من القيام بدور القيادة للطّبيعة والكون، فيكون فاعلًا في العالم، لا منفعلًا، قائدًا لا منقادًا. وهكذا، نجد الحلال والحرام مدارج لصعود الإنسان وعدم انغماسه في العالم ولعدم تحوُّله إلى جزء حقير من العالم. [1]

خامسًا: تلاقي الدّين والعلم في حقل العقيدة

يرى الإمام الصّدر أنّ الدّين يعدّ عقيدة التّوحيد كمالًا للإنسان وتجنيدًا للطّاقة البشرية نحو اتجاه واحد، ما يخلق قوة خَلَّاقة عظيمة. ويعدّ الشّرك، وهو الإيمان بتعدّد الآلهة، تجزئة للإنسان وتقسيمًا لطاقاته وتحطيمًا لشخصيّته. والعلوم الإنسانية، وعلم النّفس بالذّات يعرّف هذه الحقيقة، ويدرس النّتائج الإيجابية والسّلبية في كلٍّ من التّوحيد والشّرك في الحقل الإنساني. [2]

---

1 **موسى الصّدر**، مقدمة بعنوان "الدين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 184.

2 م. ن.، ص 183 – 184.

سادسًا: تلاقي الدّين والعلم في حقل الثّقافة

يرى الإمام الصّدر أنّ الدّين في حقل الثّقافة يتبين من خلال الآية الكريمة الآتية: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ)** [الحج/ 18]. يقول سبحانه وتعالى أيضًا: **(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)** [الجمعة/ 1]، ويقول أيضًا: **(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ)** [النّور/ 41].

تعطي هذه النّظرة العامة إلى الكون صورة خاصّة عن الوجود. فالكون، على هذا التّفسير، محراب لسجود الموجودات جميعها وتسبيحها وصلاتها. وهذا التّفسير يفرض الرّؤية الخاصة للكون المتحرّك دائمًا، الواحد فعلًا، المنظَّم بدقّة، المتّجه اتجاهًا واحدًا نحو اللّه.

وهذا تعبير آخر عما يكتشفه العلم وتعترف به الفلسفة، من أنّ كلّ جزء من أجزاء الكون يؤدّي دوره بكلّ دقّة وتنظيم، ومن أنّ الكون مجموعة يرتبط كلّ جزء منه بأجزائه الأخرى ارتباطًا في التّكوين والبقاء والعمل والتّفاعل. فالكون موجودٌ واحدٌ متحرّكٌ ومنظّمٌ، والنّتائج التّربوية لهذا التّفسير الكوني غير خافية على البصير، إذ يجد الإنسان نفسه أمام عالم كلّه حركة وحياة وتنظيم واتّجاه نحو اللّه.

ويزيد في هذه النّتيجة التّربوية تعبير قوله تعالى في كتابه الكريم: **(وَمَن فِي الْأَرْضِ)** [الحج/ 18] الّذي يقصد: الجانب الأرضي الجسماني من الإنسان وتأكيد سجوده، إذ إنّ الإنسان صاحب الإرادة يجد الانسجام مع نفسه، ويقتضي الحركة والحياة والتّنظيم والاتّجاه نحو اللّه.[1]

---

1 **موسى الصّدر**، مقدمة بعنوان "الدين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 182 - 183.

نختـم المبحـث الرّابـع بعبـارات للإمـام الصّـدر ألقاهـا فـي حفلـة علميـة أقامتهـا "مهنيـة جبـل عامـل" وتضـع صيغـة العلاقـة بيـن الدّيـن والعلـم، يقـول:

«إنّ الجيـل الصاعـد أمـام المعركـة المصيرية، وأمـام أصعـب فتـرة فـي تاريـخ هـذه الأمـة يحتـاج إلى المزيـد مـن التّـزوّد والانتبـاه: يحتـاج [...] إلى العلـم، ولكـن يحتـاج أيضًـا [...] إلى الدّيـن. فقـد شـاءت الإدارة الكريمـة أن تجعـل هـذه الحفلـة العلميـة برعاية رجـل ديـن، تأكيـدًا منها أنّ العلـم مفصـول عن الدّيـن لا ينفع المجتمع، إذا ما ضرّه. وتأكيـدًا أنّ العلـم وحـده أمـام المصاعـب الّتـي يواجهها جيلنا والجيـل الصّاعـد لا يتمكّـن إذا مـا ارتبـط بينبـوع القـوة، وبمصـدر الإيمـان والخيـر إلى اللّـه سـبحانه وتعـالى. ولذلـك، الإدارة تقـول بالعلـم الّـذي تدرسـونه، وبالدّيـن الّـذي تشـاهدونه تتمكّـنون مـن متابعـة الحيـاة الكريمـة.

وسـوف أحـاول أن أترجـم هـذه الرّغبـة الغامضـة الّتـي طالما يفكّـر بها أحدنـا، ما هـو دور الدّيـن بعـد نمـوّ العلـم وتكامله؟ هـل الدّيـن تقلـص أمـام زحـف العلـم؟ نعـم، إنّـه تقلـص، ولكنّـه تقلـص فـي المظاهـر لأنّ الدّيـن الّـذي انسـحب أمـام العلـم كان شـكل ديـن، وكانـت تجـارة بالديّـن، وكانـت المظاهـر. أمّـا الدّيـن الحقيقـي فهـو كما كان وبالمسـتوى نفسـه سـندًا للعلـم، ونبعًـا لـه، ودعامـة لنمـوه، وتصحيحًـا لسـيره»[1].

---

[1] **موسى الصّدر**، محاضرة بعنوان "العلم ودور الدّين"، 20 نيسان 1972، مدرسة جبل عامل، تسجيل صوتي من محفوظات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات.



الفصل السّادس

علاقة الإنسان بالمجتمع

المبحث الأول
الإنسان والمجتمع

المبحث الثّاني
انسجام القوانين الشّرعية الثّابتة مع المجتمع المتطوّر

المبحث الثّالث
الإنسان والأسرة

المبحث الرابع
الأسرة والمجتمع

المبحث الخامس
الأدوار والواجبات داخل الأسرة

المبحث السادس
العلاقات الأسريّة والاجتماعيّة



مع أهالي كفرشوبا غداة القصف الإسرائيلي للبلدة
(22 حزيران 1975)



مدخــل

تتجلَّى الفلسفة الإصلاحية للإمام موسى الصّدر في ممارساته العملية في المجالين الاجتماعيّ والوطنيّ، من خلال مقاربته لمفهوم الاجتماع الإنساني، وتشخيصه لواقع المجتمعات الّتي عاش فيها وتفاعل معها، ومن ثَمَّ المشكلات الاجتماعيّة الّتي تصدّى لها، وناضل في مواجهتها، واجترح الحلول المناسبة لها. ذلك كلّه من خلال رؤيته الفلسفيّة المرتكزة على موقعه الدّيني المتجذّر في عمق إرثه العائلي، وقراءته المتّنورة والمتجدّدة للدّين وفقهه، وبما يتناسب مع حركة الاجتماع الإنساني في أطره المحليّة والإقليميّة والعالميّة، على وقع انفتاح المجتمعات العالميّة على بعضها بعضا، وتأثرها وتأثيرها المتبادل والمتسارع مع تسارع وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي، وما ينتج عن ذلك كلّه من تحدّيات وإشكالات، أو من فرص وتهديدات، أو من تكامل وصراعات...

ويمكننا أن نستقرىء فلسفة الإمام الصّدر في ميدان الحياة الاجتماعيّة والوطنيّة من خلال ما كتب وصرَّح ونادى؛ أي مجمل أقواله. وأيضًا من خلال ممارساته العملية عبر المواقف الّتي اتّخذها، والهيئات الّتي أنشأها، والتّجمعات الّتي قادها أو دعا إليها، والمؤسسات الّتي أسسها ورعاها وأشرف على أعمالها. وقد تميّز الإمام الصّدر في هذا الجانب، إذ إنَّ رؤيته وفهمه للدّين والرّسالات السّماوية تتعدّى النّصوص والطّقوس، على أهمّيتها، إلى الهداية والارتقاء بالإنسان في علاقاته الاجتماعيّة كانعكاس لعلاقته بالخالق، وبالّتالي، يرى أنّ دور المؤسسات الديّنية ورجال الدّين هو التّفاعل مع قضايا النّاس ومجتمعاتهم ومساعدتهم على مواجهة مشاكلاتهم في الحياة، وقضاياهم الاجتماعيّة والوطنيّة، بما يليق مع تكليفهم الشّرعي ومسؤولياتهم الدّينيّة والدّنيويّة.

المبحث الأول
الإنسان والمجتمع

أولًا: شـــؤون المجتمع

حسب الإمام الصّدر، لم يكتفِ الإسلام في تعاليمه بالعقائد وبالتّوجيه الخُلُقي، بل قدَّم نظامًا عامًّا للحياة يشمل صِلات الفرد بالآخرين وبالدّولة وتنظيمات إدارية ودولية، فضلًا عن قوانين الأحوال الشّخصيّة. هذه التّدخلات التّفصيلية في الشّؤون الحياتية تفتح مجالًا للتّساؤل عن سببها، ثمّ هل بالإمكان وضع نظام ديني يتمتّع بالقداسة والثّبات للمجتمع وشؤونه المتطورة في كل عصر حتى صارت كلّ يوم هي في شأن؟![1]

لأجل إيضاح هذه النقطة يطرح الإمام أولًا السّؤال الآتي: هل الّذين يكتفون أو يريدون من الأديان أن تكتفي بالإيمان والأخلاق يعتقدون أنّ صيانة الإيمان والمحافظة على الأخلاق الحسنة أمران ممكنان لمن لا يرتبط في عمله الخارجي بخطّة تتناسب مع الإيمان والأخلاق المذكورين؟

هل الإنسان - وهو موجود واحد لا موجودات متعدّدة – يتمكّن من أن يعزل روحه عن تأثيرات جسده أو يمنع جسمه من التّفاعل مع روحه؟ والإيمان والأخلاق اللذان هما من أفعال النّفس وصفاتها، هل يمكن إبعادهما من تأثيرات أعمال الجسد؟

يعتقد الإمام أنّ الجواب سلبي وواضح، فإنّ التّفاعل بين جوانب وجود الإنسان أمر بديهي. ولهذا، ولأجل صيانة الإيمان والأخلاق، لا بدَّ من أن يتقيّد الإنسان بعمله، وأن يرتبط برباط يتناسب مع الصّيانة الرّوحية المذكورة.[2]

والقرآن الكريم، مثل بقية الكتب المقدَّسة، يؤكّد هذا التّفاعل، ويعلن أنّ ممارسة الأعمال السّيئة تنزع الإيمان من القلب، يقول سبحانه وتعالى: **(ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون)** [الرّوم/10].

---

1 موسى الصّدر، الإسلام: الأصالة، الرّوحية، التّطور، م. م.، ص 28.

2 م. ن.، ص 29.

ثـمّ هل مـن المعقـول أن يعيـش الإنسـان فـي مجتمـع يناقـض الخـط الّـذي يسـلكه فـي عملـه ويتنافـى مـع إيمانـه وأخلاقـه ثـمّ لا ينفعـل بـذاك المجتمـع؟[1] إنّ الإنسـان فـي تكوينـه، فـي حياتـه، فـي حاجاتـه، فـي وعيـه، فـي تفكيـره وفـي جوانـب حياتـه جميعهـا، الإنسـان فـي جميـع ذلـك موجـودٌ اجتماعـيٌّ يتفاعـل مـع مجتمعـه الّـذي يعيـش فيـه. فهـل يمكنـه أن يعـزل إيمانـه وأخلاقـه وأعمالـه الشـخصية عـن تفاعلات مجتمعه؟

يعتقـد الإمـام الصّـدر بـأنّ الجـواب عـن هـذا السّـؤال سـلبي أيضًـا. ولهـذا، فقـد أكَّـد الإسـلام لـزوم إيجـاد مجتمـع يتناسـب مـع الإيمـان والأخـلاق والأعمـال الصّالحـة، وأعلـن بصراحـة: «مـا آمـن باللّـه واليـوم الآخـر مـن بـات شـبعانَ وجـاره جائـع»[2] (حديـث شـريف)، ويركّـز السّـيّد علـى كلمـة «مـا آمـن»، لكـي ننتبـه إلى التّناقـض الّـذي يـراه الإسـلام بيـن الإيمـان وبيـن سـوء الوضـع الاجتماعـيّ الّـذي يوجـب هـذه الظّاهـرة، والقـرآن يؤكّـد هـذا المبـدأ، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(أَرَأَيْـتَ الَّـذِي يُكَـذِّبُ بِالدّين*فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ*وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ)** [الماعـون/1-3]. وعلـى هـذا الأسـاس، نجـد أنّ الإسـلام الّـذي يؤكّـد نبيُّـه: «إنّمـا بعثـت لأتمّـم مـكارم الأخـلاق»[3] (حديـث شـريف)، يحـاول لأجـل هـذه الغايـة أن يتدخّـل فـي الحيـاة العمليّـة للإنسـان، ثـمّ فـي الحيـاة الاجتماعيّـة فيضـع لـلأول مبـدأ الحـلال والحـرام، وللثّـاني الأنظمـة القانونيـة الواسـعة الّتـي تشـكّل مـا يقـرب النّصـف مـن التّعاليـم الإسـلاميّة.[4]

ثانيًا: شعور الإنسان بالمدنيّـــة والحياة الاجتماعيّة

ينطلـق الإمـام الصّـدر مـن مسـلّمة أنّ المجتمـع يتكـوّن مـن الأفـراد، لكنّـه يتسـاءل: هـل يكفـي وجـود الأفـراد لتكويـن المجتمعـات؟ والإجابـة حُكمًـا لا، ويكمـل بـأنّ تكويـن المجتمعـات قائـمٌ علـى أسـاس التّبـادل؛ أي وجـود الأفـراد الّذيـن يتبادلـون

---

1 م.ن.، ص 29.

2 **محمد باقر المجلسي**، بحار الأنوار، م. م.، ج 75، ص 273.

3 م. ن.، ج 68، ص 382.

4 م. ن.، ج 68، ص 382.

أعمالهـم وكفاءاتهـم بعضهـم مـع بعـض. ويفسّـر بـأنّ هـذا التّبـادل بيـن أفـراد المجتمـع يحصـل لأحـد أسـباب ثلاثـة:

السّبب الأول:

التّفاوت في الكفاءات، إذ يختلف البشر في شكلهم الجسديّ، وحالاتهم النّفسيّة، وكذلـك فـي استعداداتهم وكفاءاتهـم، مـا يجعـل الجريان متبادلًا بيـن فـرد وآخـر. فالأخـذ والعطاء اللّذان هما أساس تكويـن المجتمعات، يحصلان بتفاوت الأفراد في الكفاءات.

السّبب الثاني:

إن البشـر أمامهـم أهـداف ومنافـع وغايـات هـي أكثـر عظمـة مـن الفـرد، وأكثـر قـوّة مـن الفـرد، إذ لا يمكـن للفـرد أن يحقّـق تلـك الأهـداف لوحـده، وأن يصـل إلى تلك المنافع، ولهـذا هـو يحتـاج إلى التّعـاون مع الآخريـن لكـي يقـوى ويتمكّـن مـن تحصيـل تلـك الغايـات.

السّبب الثّالث:

هو أنّ الإنسان أمامه أخطار وأعداء ومضار هي أكثر قوّة من طاقاته الفردية.

ويعـدّ الإمـام الصّـدر هـذه الأسـباب أصيلـة فـي الإنسـان منـذ أن خُلـق. ولهـذا فالمدنيـة؛ أي رغبـة الإنسـان فـي تكويـن المجتمعـات، طبيعـة أصيلـة فـي الإنسـان لأنّ أسبابها أصيلـة. ولعلّ الـرّأي العـام الّـذي يقـول بـأنّ الإنسـان مدنـي بالطّبـع ناتـج عـن هـذه الأسـباب الثّلاثـة حسـب اعتقـاد الإمـام الصّـدر. [1]

إذًا؛ الرّغبـة والشّـعور فـي تكويـن المجتمعـات؛ أي الرّغبـة والشّـعور فـي الأخـذ والعطـاء، همـا إحساسـان أصـلان وطبيعيّـان فـي البشـر. ويـرى الإمـام الصّـدر أنّ دور رجـال الدّيـن أو القـادة حينمـا يأتـون علـى هـذا الشّـعور هـو أن يتناولـوه بمنظـار الفلسـفة كـي يعمّقـوه. وحـول كيفيـة تعميـق هـذا الشّـعور، يـرى مـن الضّـروري أن نعطـي للإنسـان صـورة واضحـة عـن الكـون الّـذي يعيـش فيـه. يقـال لـه: هـذا الكـون الّـذي يشـكّل محيطـك - وهـو أكثـر المؤثـرات قـوّة فيـك - منظّـم، كلّ شـيء فيـه بمقـدار. كلّ جـزء مـن أجـزاء الكـون يـؤدّي دوره الكونـي بدقّـة وإتقـان. فـإذا أردت أن تعيـش فـي هـذا الجـو، وفـي هـذا الكـون منسـجمًا معـه، عليـك أن تكـون منظّمًا،

---

1 موسى الصّدر، الجانب الاجتماعي في الإسلام، م. م.، ص 7 – 8.

دقيقًا، مؤدّيًا لأماناتك، ووفيًّا لالتزاماتك[1].

ويتابع: «إنّ طريقة التّعميق في هذا الشّعور من خلال تبيان أنّ الكون منظمٌ، الكون يُعطي، والكون دقيق، فأنتم إذًا يا بشر إذا كنتم تريدون أن تكونوا منسجمين مع هذا الكون، فيجب أن تكونوا دقيقين. وبهذا نخلق للإنسان جوًّا عميقًا حتّى ينبع شعوره بلزوم الوفاء وأداء الأمانة من جذورٍ تمتدُّ إلى السّماء والأرض».[2]

ومن جهة ثانية، يرى الإمام الصّدر أهمّية تقديس شعور الإنسان بالمدنية والحياة الاجتماعيّة، شعوره بحقوقه وواجباته، وشعوره بالأخذ والعطاء. وذلك استنادًا إلى أنّ العطاء جزء من الواجبات الدّينية، إذ إنّ الّذي يعطي هو المتقي. فإذًا: العطاء الّذي يكوّن المجتمعات هو من التّقوى. فالعمل الاجتماعيّ، وأداء الواجب الاجتماعيّ يعدّ أنّ واجبًا ديّنيًّا أصيلًا، فيقول: إنَّ «بإمكاننا أن نعبّر عن العطاء الّذي هو ركن أساسي لتكوين المجتمعات بأداء الأمانة. حينئذ نرجع إلى ما في هذه الكلمة من القداسة، من الجمال، والميزة للإنسان، لأنّ الإنسان هو الموجود الوحيد الّذي يمكن أن يؤدّي الأمانة، وأن يحملها. ولأنّها أمرٌ اختياري، فالإنسان هو الّذي يؤدي واجباته بملء إرادته، بينما الشّمس والقمر وسائر أجزاء الكون تؤدّي واجباتها لا بطوع إرادتها، بل من دون إرادة، مسيّرة ومسخّرة نحو أداء الواجب. الإنسان هو المخيّر الوحيد، ولهذا عُبّر عنه بأداء الأمانة»[3].

ويستند الإمام الصّدر إلى حديث نبوي: «الخَلْق كلّهم عيال اللّه وأحبّ النّاس إليه أنفعهم لعياله». ليؤكّد أنّ العطاء للمجتمع هو نفع لعيال اللّه وتقرّب إلى اللّه. بهذه الكلمات يلاحظ الإمام الصّدر، ويوضّح كيف أنّ الإيمان الحقيقي يؤكّد الصّلات الاجتماعيّة ويعدّها مقدّسَة وعبادَة.

ويضيف الإمام الصّدر من جهة ثالثة أنّ هذه الصّلات الاجتماعيّة لها خطوط وموازين صريحة في مجموعة تعاليم، يذكر نماذج منها في حقول أربعة:

1 - حقل الثّقافة؛ أي المفاهيم والتّفاسير الّتي يقدّمها الدّين عن الأشياء.

2 - حقل الإيمان؛ يعني الإيمان باللّه وباليوم الآخر والنّبوّة.

3 - حقل الأحكام؛ يعني الواجبات والمحرّمات- ما يجوز وما لا يجوز.

---

1 م. ن.، ص 8 – 10.

2 م. ن.، ص 10.

3 **موسى الصّدر،** الجانب الاجتماعي في الإسلام، م. م.، ص 12 – 13.

4 - حقل الأخلاق؛ أي الصّفات.

فيلاحظ أنّ تكريس الصّلات الاجتماعيّة واضحٌ في الحقول الأربعة كافة:

أ - في المفاهيم

يشير الإمام الصّدر إلى النّصّ القرآني، إذ يقول اللّه سبحانه وتعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...)** [الحجرات/10] الّذي يعدّ أنّ أفراد المجتمع إخوة، ويؤكّد صفة الرّحمة والصّلات العاطفيّة والمنطقيّة بين أبناء المجتمع. ثمّ يبالغ في هذا التّفسير، ويتجاوز حدّ الأخوَّة من خلال الحديث: «المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأجزاء بالسّهر والحمى». ويلفت الإمام إلى تشبيه النّصّ الدّينيّ لأجزاء المجتمع وأفراده بأجزاء جسد واحد، والتّعبير عن الأفراد بـ"بعض"، ويبيّن الفرق بين البعض والفرد بقوله: «وأنتم تعلمون أنّ في الاصطلاح المنطقي فرقًا بين البعض والفرد. فالبعض قطعة من الشّيء، والفرد فرد كما تعلمون».[1]

وكذلك يشير إلى أنّ أموال المجتمع ومقتدراته يشترك فيها الجميع، ولا يجوز أكلها؛ أي الاستئثار بها من فئة على حساب أخرى بالباطل حين يفسّر الآية الآتية: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...)** [النّساء/29]، بقوله: «يعني الأموال كلّها، مالكم يعدّ مال الجميع، بعضكم من بعض، أوفوا بعقودكم، ويعدّهم قطعة واحدة ذات أجزاء متعددة».[2]

ب - في حقل الإيمان والعقيدة

الإيمان باللّه الواحد (ليس له ولد، ولا والد، ولا كفء ولا قريب..) معناه أنّ الخَلْق كلّهم متساوون، ما يسهّل التّعاون بينهم، لأنّه ليس هناك من هو فوق الآخر وغني عن الآخر حتّى لا يحصل التّعاون، بل كلّ فرد هو بحاجة إلى الآخر. فليس بين البشر غنيٌّ كليٌّ ولا فقير كليّ، بل كلٌّ منهم غني من جهة وفقير من جهة، فيأخذ ويعطي.

ومن ناحية ثانية، حينما لا يوجد في البشر قدّيس مصون عن الخطأ، فكلّ فرد قابل للخطأ ويحتاج إلى المشورة، وهذا يكرّس التّعاون الفكري بين البشر. «فالبشر بحاجة إلى التّعاون الفكري والاعتناء الاجتماعيّ، وهذا ناتج عن اعترافنا بأنّ البشر كلّهم متساوون. وهكذا، إذا قلنا: إنّ اللّه الواحد هو مبعث حركاتنا

---

1 م. ن.، ص 13- 14

2 موسى الصّدر، الجانب الاجتماعي في الإسلام، م. م.، ص 14.

جميعها وانطلاقاتنا يحصل شيء من وحدة المبدأ، وتنسيق الحركة ما يُسَهِّل مهمّة التّعاون بين أبناء البشر».[1]

ويلتفت الإمام الصّدر في بحثه هذا، إلى أن ما يمكن أن يستنتج من الإشارات إلى تفوّق بعض البشر على بعض، استنادًا إلى بعض الآيات القرآنية: **(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)** [الزّخرف/ 32]، وهو ما لا يجتمع مع حديث: «النّاس سواسية كأسنان المشط»، فيوضّحه بقوله: «إذا لاحظنا معنى الآية ومقارناتها نجد أنّها لا تكرِّس تفاوتًا وتقدّمًا ورفع بعض البشر على بعض، بل القصد هو التّفاوت في الكفاءات. فكلّ إنسان في اختصاصه فوق الآخرين كالطّبيب والمحامي والمعلِّم وصاحب الحرفة. فإذا: رفعنا بعضهم فوق بعض في اختصاصاتهم ليساعد بعضهم بعضًا حسب اختصاصه، وهذا معنى تفاوت الاختصاص».[2]

ج - في حقل الأحكام

يقول الإمام الصّدر: نجد أنّ في الأحكام كثيرًا من الأبحاث تهتمّ بشؤون المجتمع، نستعرض بعضًا منها حول تكوين المجتمعات الّتي توضّح كيف يكرِّس الإسلام الصِّلات الاجتماعيّة بين الأفراد والجماعات:

نجد في حقل الأسرة، الخلية الاجتماعيّة الأساس، تقدّس الصّلات بين الزّوج والزّوجة، إذ يعدّها واجبات مقدَّسة ليس فوقها واجبات، وأنّ الزّواج أفضل من بناء المسجد.

ثمّ الصلات بين الأرحام، فيحرم قطيعة الرّحم، وهكذا، يقوي الصّلات بين العائلات.

ثمّ يأتي في حقّ الجار، فيوصي ويؤكّد حقّ الجار، فيشير إلى قول الإمام علي(ع): «لا زال يوصينا النّبي(ص) بالجار حتّى ظننا أنّه يورثه». ويفسّر الجار بالملاصق بالبيت وصولًا إلى الّذي يكون بينك وبينه أربعون بيتًا، وهذا معناه بلد بأكمله كلهم جيران. ثمّ يقول في تعليماته: إنّ المسؤولية في أهل بلد واحد مسؤولية مشتركة. فإذا مات أحد في البلد من الفقر أو الجوع أو المرض، فلا ينظر اللّه إلى أهل هذه البلدة. وهكذا، يعدّ أنّ على كلّ فرد أمام فرد آخر من بلده واجبًا

---

1 م. ن.، ص 15.

2 **موسى الصّدر**، "الجانب الاجتماعي في الإسلام"، م. م.،ص ص 17 – 18.

ولا يمكـن أن يتخلّـف عنـه: «مـا آمـن باللّـه واليـوم الآخـر مـن بـات شـبعانَ وجـاره جائعًا».
أمّـا فـي العبـادات فيشـير الإمـام الصّـدر إلى اهتمـام الإسـلام اهتمامًـا كليًّـا بالبعـد الاجتماعـيّ إذ يعطـي فـي كلّ عبـادة صبغـة اجتماعيّـة، فيقـول:
«لعلّكـم تعلمـون أنّ الصّلاة أول مـا نزلـت جماعـة. ثـمّ إنّ توجُّـهَ المسـلمين جميعهـم إلى قِبلـة واحـدة ينسّـق هـذه الصّلاة ويعطيهـا صفـة اجتماعيّـة. والصّيـام فـي شـهر رمضـان عبـادة اجتماعيّـة. والحـج بملابـس واحـدة فـي حـركاتٍ واحـدةٍ، فـي وقـتٍ واحـدٍ. وأكثـر جوانبهـا اجتماعيّـة. أيضًـا الـزّكاة واجـب اجتماعـيّ، فالـزّكاة والصّدقـات الّتـي تختلـف عـن الضّرائـب الحكوميـة واجبـات خُصِّصـت لحـلّ مشـكلة الاختـلاف الطّبقـي لا لتمويـن خزائـن الدّولـة، بـل لتقـارب الطّبقـات مـن الناحيـة الماديـة بعضهـم مـن بعـض بالطرائـق المتناسِـبة للعصـر». [1]

د - حقل الأخلاق

يقـول الإمـام الصّـدر: «تجـد فـي حقـل الأخـلاق أحكامًـا واسـعة، وتعاليـم مكـرَّرة لأجل إيجـاد شـعور واسـع فـي الإنسـان، وأنّـه أوسـع مـن نفسـه. يريـد الإسـلام فـي تربيتـه الخلقيـة أن يوحـي إلى الفـرد بأنّـك لسـت وحـدك، بـل أنـت جـزء مـن المجموعـة، ثـمّ بالأخـلاق يسهُـل التّعـاون بيـن الأفـراد بعضهـم مـع بعـض»[2].
ويَذكـر عـددًا مـن العناويـن كمثـال لمجموعـة مـن الأخـلاق السّـامية ذات البُعـد الاجتماعـيّ، مـن قبيـل: محبّـة النّـاس، الكـرم، التّواضـع، حُسـن الظـن، لِيـن العريكـة، الصّـدق، عـون الضّعيـف، تعليـم الغشـيم، إجـلال الكبيـر، الرّحمـة بالصّغيـر، إفشـاء السّلام، بشاشـة الوجـه، عيـادة المريـض، الحيـاء، العفـو، قبـول العـذر وغيرهـا الكثيـر.
وفـي تأكيـده تأثيـر الأخـلاق فـي خَلْـق المجتمعـات، يقـول الإمـام الصّـدر: «..أمّـا الأخـلاق الّتـي هـي سـموّ الإنسـان وكمالـه وجمـال نفسـه، هـذه الأخـلاق، السّـمو النّفسـيّ، هـي غايـة الرّسـالة، رسـالة الأنبيـاء» [3]. ويتابـع فـي إجابتـه عـن تأثيـر هـذه الأخـلاق فـي خَلْـق المجتمعـات بتذكيـره «إنّ المجتمعـات تتكـوّن مـن التّعـاون، مـن الأخـذ والعطـاء، مـن الفعـل والانفعـال، مـن التّأثيـر والتّأثّـر. هـذا التّبـادل الّـذي

1 م.ن.، ص 18-19.

2 موسى الصّدر، "الجانب الاجتماعي في الإسلام"، م. م.، ص 19 – 20.

3 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "المجتمع الصّالح– الأخلاق"، ضمن كتاب: "موسى الصّدر والخطاب الإنساني"، م. م.، ص 371.

يكوّن المجتمعات يَسْهُل بوجود الأخلاق، ويصعب مع عدمه. فلو فشت الأخلاق السّيئة في المجتمع، فسوف تقضي على التّعاون بين أبناء المجتمع. الأخلاق نور يربط بين الجماعات، صلة بين الأفراد»[1].

ويتابع بأنّ المجتمعات بحاجة إلى طاقات الأفراد، فيسأل هل أحدنا يعيش في مجتمعه بطاقاته الجسديّة؟ هل الواحد منّا مقدار عطائه للمجتمع بمقدار قوَّتِه المادية؟ فيجيب طبعًا بالنّفي ومتابعًا: «إنّ الإنسان في مجتمعاته بكرامته لا بطاقته الماديّة... بثقة النّاس فيه. ثقة النّاس بأبناء المجتمع هي سبب تعاون أفراد المجتمع بعضهم مع بعض. فإذا شاعت الغيبة بين أبناء المجتمع، وإذا شاع الافتراء والتهمة بينهم تحطّمت الثقة وخسر المجتمع ما يحتاجه من طاقات أفراده..». [2]

ويضرب الإمام مثلًا بقوله: «إذا أَذْهَب أحدهم كرامتي بالاغتياب قتلني في المجتمع، أَفْقَدَ المجتمع طاقاتي وأفقدني التّعامل مع المجتمع. فإذًا: الاغتياب قتلٌ اجتماعيٌّ، والافتراء والبهتان تحطيم لحياة المجتمع»[3]، ليخلص إلى أنّ الأخلاق لها تأثير عميق في تكوين المجتمعات، وفي تأسيسها.

ثالثًا: الإســـلام والمجتمع

يعتقد الإمام الصّدر أنّ المجتمع الّذي يقترحه الإسلام هو المجتمع الّذي يعترف بوجود الفرد بجوانبه الشّخصيّة والاجتماعيّة. ولتوضيح هذا البحث يشير إلى وجود فطرة الخير في الإنسان ونزعة الشّر فيه والصّراع النّفسي الّذي يشكّل الحرية والاستقلال في الإنسان. ثمّ يقول: «إن ما يصدر عن الإنسان من الأعمال الإيجابية الخيّرة هي الّتي لا تتعارض مع حقوق الآخرين وتنسجم مع مصالح المجتمع والمعبّر عنها في الإسلام بأوامر القلب السّليم أو النّفس المطمئنة»[4]. أما الأعمال الّتي تتعارض مع حقوق الآخرين فهي رغبات النّفس الأمَّارة بالسّوء،

---

1 م. ن.، ص 373-372.

2 م.ن.، ص 374.

3 **موسى الصّدر**، محاضرة بعنوان "المجتمع الصالح– الأخلاق"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 375.

4 م. ن.، ص 24.

حسب التّعبير الدّينيّ.

ولا شكّ أنّ تحديد هذين النّوعين من الأعمال يحتاج إلى تحديد مفهوم الحقّ. والحقّ جزء من التّنظيم العام المقترح للمجتمع، وأثر ثابت ينبع من الأحكام العامَّة اللازم مراعاتها من صِلات الأفراد بعضهم مع بعض. وبهذا التّفسير الموجز نتمكّن من تصوُّر حرية الفرد في خطٍّ مُوازٍ لحرية الآخرين، ومن تصوُّر مصالح الأفراد منسجمة مع المصالح الاجتماعيّة. [1]

ومن ناحية ثانية، نتمكّن من الاحتفاظ بطاقات الفرد الإيجابية جميعها من دون طغيان أو تعدٍّ أو حتّى صراع بين الأفراد والطّبقات، بل إنّ الأمر يتحوّل إلى سباق بين أفراد المجتمع مع قدسية حقوق الآخرين، يقول سبحانه وتعالى: **(وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)** [آل عمران/ 133]، كما يقول في كتابه الكريم **(فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)** [المائدة/ 48]. والنّشاطات المتنوعة الصّادرة عن الأفراد تلتقي بإيجابية فيحصل التّعاون والتّكافل على مختلف الألوان والأشكال. [2]

انطلاقًا من مبدأ: «إنّما الأعمال بالنّيّات» وكذلك مبدأ: «تكريم الإنسان»، يرى الإمام الصّدر بأنّ من جملة التّعاليم الإسلامية، أصل قداسة حاجات الإنسان كلّها. فالإسلام يعترف بهذه الحاجات جميعها، ويعدّها من نعم اللّه، ويضع أحكامًا لتوجيه هذه الرّغبات، ويعترف بأنّ السّعي إلى تلبية هذه الرغبات بالصّورة المشروعة عبادة. فالتّجارة والزّراعة والبناء عبادات، والكَدّ في طلب الرّزق الحلال جهاد، والإتقان في العمل عبادة، والزّواج عبادة، ومَنْ رغب عنه عدّه نبي الإسلام أنّه ليس منه. وقد جعل النّبي في وصاياه لـ«أبي ذر الغفاري» قاعدة تدلّ على أن المسلم يتمكّن من أن يكون في عبادةٍ دائمةٍ حتّى في حال النّوم والأكل، ولا يرحّب الإسلام بترك تلبية الحاجات وتجاهلها. وفي الحديث الشّريف عدّ الّذين يتفرّغون للصّلاة، ويتركون السّعي إلى طلب الرّزق ممن لا يُستجاب دعاؤهم، وفضَّل عليهم الّذين ينفقون عليهم.[3]

فالإسلام، بما أنّه يسعى إلى تكريم الإنسان - خليفة اللّه سبحانه على الأرض - يهتمّ بحصانته في مواجهة الانحطاط والانحراف، فيقترح المجتمع الّذي يتناسب مع واقع الإنسان، ويعترف بجوانب وجوده جميعها، ويهيّئ الجوّ الملائم لنموّ

---

1 م.ن.، ص 25.

2 م.ن.، ص 25.

3 **موسى الصّدر**، محاضرة بعنوان "المجتمع الصالح– الأخلاق"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.،ص 25 – 26.

مواهبه.

وقد كان الإمام يرى ضرورة إعداد الإنسان ليس من أجل أن يكون فقط فردًا ناجحًا بذاته، بل ليكون جزءًا أساسيًّا فاعلًا في تركيبة المجتمع، بل يمضي إلى ما هو أبعد؛ فيقول:لا حاجة للمجتمع أصلًا، ما لم يكن الإنسان هدفه.[1] لذا، فإنّ مجتمع الإمام الصّدر يشكّله التّبادل بين الفرد ومجتمعه، فالإنسان: في تكوينه، في حياته، في ثقافته، في حاجاته وفي كلّ شيء جزء من مجتمعه ومتأثر بمجتمعه. ويؤكّد الإمام الصّدر أنّه لا يمكن أن نهتمّ بوضع الفرد ونتجاهل وضع المجتمع.[2]

من الواضح أنّ هذه الحاجات الّتي يتكلم عليها الإمام، هي حاجات «نابعة من ذاته... لا مصطنعة اصطناعًا»، وطبائعه عقليةٌ لا ضديّة، قائمة على الطّاعة والقبول والمرونة، لا على المعاندة والإنكار والمعصية، منسجمةٌ متوازنةٌ متكاملة.[3]

يعدّ الإمام الصّدر أنّ الهدف من تكوّن المجتمع هو الإنسان، والعنصر الأساسي لإيجاده هو الإنسان أيضًا، فلهذا يجب النّظر إلى واقع الإنسان والتّخطيط على ضوء هذا الواقع.

ونلاحظ هنا تركيز الإمام الصّدر على أنّ الهدف الأساس للمجتمعات هو سعادة الإنسان. وعلى الهيئات والمؤسسات الاجتماعيّة المهتمة برعاية حقوق الإنسان، والعمل على تحقيقها وصيانتها أن تنطلق في مشاريعها وبرامجها التّنموية من واقع الإنسان في كلّ مجتمع، وأن تعتمد التّخطيط المبتني على الحقائق الواقعية وتبنّي المشاريع الملائمة لها بأسلوب وتقنيات علمية وموضوعية. وهذا ما سنرى تطبيقه في الممارسة العملية التي اعتمدها الإمام الصّدر في مشروعه النّهضوي الثّقافيّ والاجتماعيّ والسّياسيّ.

نجد عند الإمام الصّدر رؤية لمجتمع الإنسان تُعدُّ من أكثر المعطيات الثّقافية الإسلاميّة أهميّة، ومن أكثرها تأثيرًا في رعاية القيم الإنسانيّة. إذ يشبِّه المجتمع بالجسد الواحد: «إنّه إنسانٌ كبيرٌ واحدٌ، وليس فيه صراع ولا طبقات ولا فئات.

---

1 **رشاد سلامة**، مشاركة بعنوان: "لبنان والإنسان في رؤية سماحة الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، عنوانه: اجتمعنا من أجل الإنسان– الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، م. م.، ص 69.

2 **رباب الصّدر**، كلمة الافتتاح،ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، عنوانه: اجتمعنا من أجل الإنسان– الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، م. م.، ص 18.

3 **سامي أبو المنى**، كلمة افتتاح الجلسة الأولى، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، عنوانه: اجتمعنا من أجل الإنسان– الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، م. م.، ص 54.

إنّه يتكوّن من أفراد متفاوتة الكفاءات والطّاقات، ولكنّها متعاطفة ومتعاونة، تتبادل الخدمات بينها فيكتمل كلٌّ بأخذه من الآخر، ويسمو كلٌّ بعطائه للآخر»[1].
ويرى الإمام الصّدر أنّ المجتمع يتكوّن من أنواع الإنسان كافة، من دون امتياز فيه لفرد، ولا لطبقة، ولا لعنصر أو فئة، حتّى ولا أكثرية على أقلية، ولا العكس، بل للإنسان فحسب. ويذهب إلى المدى الأكثر رحابة إذ يقول: «إنّ تمايز الشّعوب المشكّلة للمجتمع العالمي هو للتّعارف، وبالنّتيجة للتّبادل والتعاون اللّذين ينتهيان إلى التّكامل الإنساني على الصّعيد العالميّ تمامًا كتمايز الأفراد داخل مجتمع واحد. وأمّا ولاء الإنسان لمحيطه وبيئته، فلا يصحّ أن يقترن بالشّعور بالتّفوّق والعنصرية، فالوطن والقوم والعائلة ليسوا أصنامًا تُعبد..»[2].
بناءً على هذا، طالما أنّ المجتمع يتكوَّن لأجل الإنسان. ففي رأي الإمام: كلّ مجتمع متقدّم بإمكاننا أن نفسّره بالمجتمع الأكثر إنسانيّة، والمجتمع المتخلّف هو المجتمع الأقل إنسانيّة.[3] لهذا: فالمجتمعات الإسلامية حينما كانت في منتهى التّقدّم علميًّا وتقنيًّا وتنظيميًّا، كانت في منتهى التقدُّم إنسانيًّا أيضًا.[4]

رابعًا: مســـؤولية الإنسان الاجتماعيّة

تستند رؤية الإمام الصّدر لمسؤولية الإنسان الاجتماعيّة على مجموعة مبادىء، نوجزها بما يلي:
- خلفيته كرجل دين.
- المنظور الشّامل للإنسان الّذي يتصل بالأبعاد الروحيّة والجسديّة والأخلاقيّة وعلاقته بنفسه ثمّ بالآخر.
- المنظور الشّامل لهذه المسؤولية؛ بمعنى أنّها تكليف وواجب على الأفراد جميعهم من دون تمييز بين الرّجل والمرأة، أو بين مختلف الفئات والشّرائح والكفاءات والأعمار.

---

1 **موسى الصّدر،** رعاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانيّة، م. م.، ص 121.

2 م.ن.، ص 122.

3 **يعقوب ضاهر،** مسيرة الإمام السيد موسى الصّدر، م. م.، المجلد الثاني، ص 483.

4 م. ن.، ص 486.

تنطلق إذًا رؤية الإمام الصّدر لمسؤولية الإنسان الاجتماعيّة من فكرة "الخلافة" الّتي تشمل مسؤولياته كافة في مختلف مجالات حياته. فالإنسان هو الّذي جعله اللّه خليفة في الأرض. وهذا معناه أنّه في أعلى درجة من المسؤولية لأنّ من كلّفه هو اللّه سبحانه.

يعدّ الإمام الصّدر أنّه إذا كان اللّه قد فضّل الإنسان على كثير من الخلق، فمعنى ذلك أنّ مسؤوليته شاملة للمستويات كافة، وهي محطّ اهتمام كبير نظرًا إلى موقع الإنسان وكرامته من جهة، وإلى موقع من يقوم بخلافته من جهة ثانية.

ومن تجليات كرامة الإنسان الّتي ستجعل مسؤوليته الاجتماعيّة أكثر رقيًّا وأكثر إنسانيّة، هي قدرته على الحدِّ من اندفاع النّفس للسّيطرة على السّلوك والعقل. ويعدّ أنّ "تلك القدرة على التّرك" هي من تجليات كرامة الإنسان، فيشرحها بقوله: إن أنت كانت لديك القدرة على "التّرك" يعني أن لا تسير على هواك، فتتجلى كرامتك الإنسانية أكثر فأكثر...

ويرى الإمام الصّدر في تجليات كرامة الإنسان في مجال مسؤوليته الاجتماعيّة، أنّ هذه الكرامة ترتبط بحسب هذا البعد بخدمة النّاس الّذين هم "عباد الحق"، خصوصًا وأنّ الكون كلّه هو محراب كبير، وكلّ جزء من أجزائه ساجد ومسبح ومصلٍّ. يعني أنّ كرامة الفرد- الإنسان تتجلَّى كلما خدم عباد الحقّ، وبالتّالي، يصير عمله الاجتماعيّ عبادة.

وعن شمولية هذه المسؤولية لأفراد المجتمع جميعهم يشير الإمام الصّدر إلى أنّ المسؤولية الاجتماعيّة ليست شأنًا فرديًّا، حيث إنها لا تتحقّق إلّا من خلال وجود الفرد كجزء حقيقي في مجتمعه؛ أي أنّ المسؤولية هي عملية تبادلية بين الأفراد، لا تذهب في اتجاه واحد، وهدفها هو بناء مجتمع يقوم على قيم الحق والعدالة والمساواة والتّضامن، وهذا ما يراه في صورة المجتمع المنشود.

أمّا حسبانه المسؤولية الاجتماعيّة مسؤولية مشتركة، فيعني أنّ هناك ارتباطًا بينها وبين تحقيق العدالة. فهو لا يعترف بإيمان لا يثمر العدالة في حياة الفرد والجماعة. وينطلق الإمام الصّدر في حديثه عن العدالة الاجتماعيّة والاقتصاديّة، حاسبًا أنّ العدالة الكونية الّتي هي رؤية إيمانية إسلامية، هي أيضًا نتيجة الاعتقاد بعدالة الخالق. هذه العدالة الكونية تضع القاعدة الثابتة للعدالة في حياة الإنسان الفرديّة والجماعيّة، اقتصاديًّا وسياسيًّا، واجتماعيًّا، وغيرها.. ويتابع ملاحظًا أنّ «مئات الأحكام الّتي تدخل العدالة الاجتماعيّة والاقتصاديّة في صميم العبادات وضمن شروط صّحتها تعكس بوضوح أنّ هذين المبدأين ليسا حكمين

فرعيين ولا واجبين عاديين، بل إنّهما مبنيّان على أصول العقيدة والإيمان، لا ينفصلان عنهما...».[1]

ويلفت إلى التّرابط المتقابل بين مسؤولية الفرد ومسؤولية الجماعة لأجل تحقيق العدالة. إنّ الفرد مسؤول عن سلامة المجتمع حسب مبدأ: «كلّكم راعٍ، وكل راعٍ مسؤولٌ عن رعيّته»، ولأنّ كلّ ما يملكه الفرد من أموالٍ وطاقاتٍ وتجارب وحتّى الصّحة والقوة الجسديّة، ليس ثمرة جهده لشخصه، بل شارك في تكوينه الآخرون، من معاصريه ومن الّذين سبقوه. يتابع قائلًا: «وبكلمة، إنّ الفرد أمينٌ على ما يملكه، مسؤول عنه أمام المجتمع، بل أمام الماضي والمستقبل. وهذا يؤكّد أنّ الفرد لا يحقُّ له أن يحتكر ما عنده، ولا أن يتلفه أو يهمل في شأنه، ولا يجوز له أن يسيء إلى نفسه أو يؤذيها.. إن هذه كلّها وأمثالها في الحقيقة تَعَدٍّ، أو تفرِيط في حقّ الجماعة...».[2]

ويشير الإمام الصّدر إلى أنّه في مقابل المسؤولية الفردية عن سلامة المجتمع، تأتي مسؤولية الجماعة عن الفرد، معتمدًا على الأحاديث وفتاوى الفقهاء الّتي تثبت مسؤولية القرية بأبنائها جميعهم عن موت شخص جوعًا أو عن أية أضرار أو إيذاء وإساءة إليه، وذلك لأنّهم خانوا أمانة اللّه، ونقضوا عهده عندما لم يؤدّوا مسؤوليتهم تجاه هذا الفرد. ويتابع: إنّ ما يقال عن القرية، جائز في المدينة وفي الأوطان، وفي أرجاء بلاد الأمّة الّتي تشكّل وحدة متكاملة. ثمّ يبيّن الأخطار الّتي تتهدّد المجتمعات الّتي تفتقد إلى العدالة، وتزداد فيها الفوارق بين الأفراد والفئات الاجتماعيّة اقتصاديًّا ومعيشيًّا، وذلك «لأنّ العدالة تمكّن الجميع من السّعي البنّاء ومن العطاء؛ فيعود الخير إلى الجميع أيضًا، بينما غياب العدالة عن المجتمع ينجم عنه حرمان قسم كبير من المجتمع من بعض حقوقه أو كلّها، ومن بعض كفاءاته أو كلّها، ويعمّ الحرمان عند ذلك أبناء المجتمع كافة، بل المجتمع نفسه، ناهيك عن الأمراض والأخطار الّتي لا تقتصر على الفئات المحرومة بل تصيب الجميع، كأخطار سوء التّغذية، والحرمان والانفجارات الاجتماعيّة..».[3]

---

1 **موسى الصّدر،** العدالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في الإسلام، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2009، ص 19.

2 **موسى الصّدر،** العدالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في الإسلام، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2009، ص 20.

3 م.ن.، ص 21 – 22.

إنّ هـذا الربـط بيـن سـعي الإنسـان إلى توفيـر فـرص الحيـاة للآخريـن، أو فـرصٍ بمساعدتهم وبيـن عـودة هـذا الخيـر إلى نفسـه، هـو مـن أكثـر مـا قيـل أهمّيـة عـن نتائـج المسـؤولية الاجتماعيّـة المشـتركة بيـن الفـرد والمجتمـع. فقليـلًا مـا تجـد نظريـات تقـول: إنَّ الخيـر الّـذي تعطيـه أنـت للآخريـن، هـو لـك أيضًـا لمصلحتـك. مـن الإضافـات التـي أكَّدهـا الإمـام الصّـدر مـن خـلال مرجعيتـه الدّينيـة هـي إشـارته إلى أنّ العلاقـات البشـرية تعتمـد علـى أسـاس الكمـال البشـري. بمعنـى أنّـه عندمـا يقـدّم الإنسـان خدمـة، فإنّمـا يفعـل ذلـك فـي طريـق الكمـال، وليـس مقابـل الأجـر. لأنّ العطـاء فـي المجتمـع المـادي تجـارة، يعطـي ويأخـذ. هـذا معنـاه، كمـا يقـول الإمـام الصّـدر، تجميـد الإنسـان، تنزيـل نفسـيته وروحيتـه، بينمـا فـي المجتمـع الإسـلامي، الإنسـان يعطـي لأنّـه يعبـد اللّـه، ومـن خـلال ذلـك هـو يحقّـق الكمـال.[1]
يشـير الإمـام الصّـدر إلى مسـألة دقيقـةٍ ومهمّـة عندمـا يعـدّ أنّ مسـؤولية الإنسـان الاجتماعيّـة تنطبـق أيضًـا علـى الجوانـب الأخلاقيّـة، وليـس فقـط علـى الجوانـب الماديّـة، فتجنّـب الغيبـة علـى سـبيل المثـال هـي أيضًـا مسـؤولية تجـاه الآخـر.
كمـا تحـدّث الإمـام فـي غيـر مجـال عـن التّربيـة والمسـؤولية الاجتماعيّـة، الّتـي تبـدأ مـن الأسـرة، وعـن مسـؤولية كلٍّ مـن الزّوجيـن مـع تأكيـده تأثيـر الأم المهـم والأساسـي فـي الطفـل، وسـلامة الأسـرة وتماسـكها ونجاحهـا، إضافـة إلى أدوار أفـراد الأسـرة جميعهـم ومسـؤولياتهم، وصـولًا إلى الأبنـاء ومسـؤولياتهم تجـاه بعضهـم بعضًـا وتجـاه والديهـم..
ولـم يتوقّـف الإمـام الصّـدر عنـد حـدود المجتمـع الضّيـق والمحـدود فـي تحديـد المسـؤوليات المشـتركة للفـرد والجماعـة، بـل مـن خلال تجربتـه الواقعية وممارسـاته العمليـة تحـدّث عـن المسـؤولية الاجتماعيّة علـى مسـتوى الأمّـة. لأنّهـا، بالنّسـبة إليه، هـي أيضًـا التّصـدّي لتغييـر أحـوال الأمّـة، ويعدّهـا مسـؤولية لا يمكـن التّهـاون فيهـا أو التّراجـع عنهـا. لـذا، نفهـم موقفـه مـن الاسـتعمار الخارجـي، ومـن الكيـان الصّهيونـي، وتصدّيـه للتّوعيـة والفعـل لمواجهـة الخطـر الصّهيونـي علـى لبنـان والأمّتيـن العربيّـة والإسـلاميّة، كمـا سـيرد ذكـره لاحقًـا، وفـي عـدّة مواقـع مـن هـذا الكتـاب.

---

1 موسـى الصّـدر، حـوار صحفـي بعنـوان "الإسـلام والحضـارة المعاصـرة"، التّلفزيـون السّـعودي 1974، ضمـن كتـاب: حـوارات صحفيـة (1): تأسيسًـا لمجتمـع مقـاوم، م. م.، ص 382.

خامسًا: رابطة الفرد والمجتمع

التّبادُل الجوهري بين الفرد والمجتمع، والتّأثيرُ والتّأثر المتبادلُ بينهما ركنٌ أساسيٌ في الصّياغة الّتي يقدّمها الإمام الصّدر حول العلاقة بين الفرد والمجتمع، في المنظور الإسلامي والّتي يتكامل من خلالها الإنسان، ثمّ المجتمع.
ترجع صياغة التّأثير والتّأثّر بين الفرد والمجتمع في أساسها إلى رؤية فلسفيّة يؤسِّسها العلَّامة الطّباطبائي في طيّات بحثه عن موضوع "المرابطة في المجتمع الإسلامي"في تفسير الميزان، إذ يقول: أفراد الإنسان على كثرتهم إنسان واحد، وأفعالهم كثيرةٌ عددًا، واحدةٌ نوعًا.
وهي تجتمع وتأتلف بمنزلة الماء يقسّم إلى آنية، فهي مياه كثيرة ذو نوع واحد، وهي ذات خواص كثيرة، نوعها واحد، وكلّما جمعت المياه في مكانٍ واحد قويت الخاصّة وعَظُم الأثر. وقد عدّ الإسلام في تربية أفراد هذا النوع وهدايته إلى سعادته الحقيقية، هذا المعنى الحقيقي فيها، ولا مناص من حسبانه. قال تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بشرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا)** [الفرقان/ 54]. وقال سبحانه وتعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى)** [الحجرات/13].
وهذه الرابطة الحقيقية بين الشّخص والمجتمع لا محالة تؤدّي إلى كينونة أخرى في المجتمع حسب ما يمدّها الأشخاص من وجودهم، وقواهم، وخواصهم، وآثارهم، فيتكوّن في المجتمع سنخ ما للفرد من الوجود وخواص الوجود، وهو ظاهر مشهود. ولذلك، عدّ القرآن للأمّة وجودًا، وأجلًا، وكتابًا، وشعورًا، وفهمًا وعملًا، وطاعةً ومعصية، فقال سبحانه وتعالى:

(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ) [الأعراف/34].
وقال: **(كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا)** [الجاثية/ 28].
وقال: **(زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ)** [الأنعام/ 108].
وقال: **(مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ)** [المائدة/ 66].
وقال: **(أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ)** [آل عمران/ 113].
لذا، نرى أنّ القرآن يعتني بتواريخ الأمم كاعتنائه بقصص الأشخاص، بل أكثر حينما لم يُتداول في التّواريخ إلّا ضبط أحوال المشاهير من الملوك والعظماء، ولم يشتغل المؤرخون بتواريخ الأمم والمجتمعات إلّا بعد نزول القرآن، فاشتغل

بهـا البعـض منهـم المسـعودي،[1] وابـن خلـدون،[2] حتّـى ظهـور التّحـوُّل الأخيـر فـي التّأريخ النّقلي بتبديـل الأشـخاص أممًا، وأول مـن سنّه على ما يُقال هو: "أوغسـت كونـت"[3] الفرنسـي المتوفَّـى سـنة 1857 ميلادية.
وبالجملـة، لازم ذلـك تكـوّن قـوى وخـواص اجتماعيّـة قويـة تقهـر القـوى والخـواص الفردية عنـد التّعـارض والتّضـاد، علـى أنّ الحـسّ والتّجربـة يشـهدان بذلـك فـي القـوى والخـواص الفاعلـة والمنفعلـة معًـا. فَهِمَّـة الجماعـة وإرادتهـا فـي أمـر مـا، كمـا فـي مـواردَ الهجمـات الاجتماعيّـة، لا تقـوم لهـا إرادة معارضـة، ولا مضـادّة مـن واحـد مـن أشـخاصها وأجزائهـا. فـلا مفـرّ للجـزء مـن أن يتبـع كلّـه، ويجـري علـى مـا يجـري عليـه، حتّـى إنّـه يسـلب الشّـعور والفكـر مـن أفـراده وأجزائـه. وكـذا الخـوف العـام والدّهشـة العامـة فـي مـوارد الانهـزام وانسـلاب الأمـن والزّلزلـة والقحـط والوبـاء أو ماهـو دونهـا، كالرّسـومات المتعارفـة والأزيـاء القوميـة، ونحوهمـا، تضطـر الفـرد علـى الاتِّبـاع، وتسـلب عنـه قـوة الإدراك والفكـر، وهـذا هـو المـلاك فـي اهتمـام الإسـلام بشـأن الاجتمـاع، ذلـك الاهتمـام الّـذي لا نجـد ولـن نجـد مـا يماثلـه فـي واحـد مـن الأديـان الأخـرى، ولا فـي سـنن الملـل المتمدِّنـة (ولعلّـك لا تـكاد تصدق ذلـك). فإنّ تربيـة الأخـلاق والغرائـز فـي الفـرد، وهـو الأصـل فـي وجـود المجتمـع، لا تـكاد تنجـح مـع كينونـة الأخـلاق والغرائـز المعارضـة والمضـادة القويـة القاهـرة فـي المجتمـع إلّا يسـيرًا لا قـدر لـه عنـد القيـاس والتّقديـر.
فوضَـعَ أكثـر أحكامـه أهمّيـة وشـرائعه كالحـج، والصّلاة، والجهـاد، والإنفـاق، وبالجملة: التّقـوِّي الدّينـي علـى أسـاس الاجتمـاع، وحافـظ علـى ذلـك، مضافًـا إلى قـوى الحكومـة الإسـلاميّة الحافظـة لشـعائر الدّيـن العامّـة وحدودهـا، مضافًـا إلى فريضـة الدّعـوة إلى الخيـر والأمـر بالمعـروف والنّهـي عـن المنكـر العامـة للأمّـة جميعهـا بجعـل غـرض

---

1 **المسـعودي** (896 - 956م): هـو أبـو الحسـن علـي بـن الحسـن بـن الحسـين بـن علـي المسـعودي، مـن ذريـة عبـد اللّـه بـن مسـعود. مـؤرخ جليـل ورحّالـة كبيـر، ولـد فـي بغـداد، وتعلّـم بهـا، وتنقّـل فـي البـلاد، ثـمّ أقـام فـي مصـر، وتوفـي بهـا. هـو مـن كبـار المؤرخيـن المسـلمين. جـاب الأقطـار، فـزار بـلاد فـارس والهنـد وأصقـاع بحـر قزويـن والسّـودان وجنـوب شـبه الجزيـرة العربيـة وبـلاد الشّـام والـرّوم، ليجـدّد فـي كتابـة التّاريـخ، بالاعتمـاد علـى معاينـة الحقائـق وتسـجيل المشـاهد والوصـف الحـيّ للغرائـب والعـادات والتّقاليـد، وليـس النّقـل مـن أوراق السّـابقين وكتبهـم.. ومـن أشـهر كتبـه "مـروج الذّهـب ومعـادن الجوهـر."

2 **ابن خلدون** (1333 – 1406): عبـد الرّحمـن بـن محمـد بـن خلـدون، هـو مـؤرّخ شـهير، ومؤسّـس علـم الاجتمـاع، ومفكّـر سياسـي، صاحـب "المقدّمـة" المشـهورة. ولـد فـي تونـس، وعـاش فـي أقطـار شـمال أفريقيـا المختلفـة مـا يقـارب الخمسـين عامًـا. ثـمّ اسـتقر بـه الأمـر بعـد ذلـك فـي مصـر الّتـي وصـل إليهـا سـنة 1384، وبقـي فيهـا حتّـى وفاتـه.

3 **أوغسـت كونـت** (1798 - 1857): عالـم اجتمـاع، وفيلسـوف اجتماعـي فرنسـي. أعطـى لعلـم الاجتمـاع الاسـم الّـذي يُعـرف بـه الآن، أكّـد ضـرورة بنـاء النّظريـات العلميـة علـى الملاحظـة، إلّا أنّ كتاباتـه كانـت علـى جانـب عظيـم مـن التّأمـل الفلسـفي، ويُعـدّ الأب الشّـرعي والمؤسّـس للفلسـفة الوضعيـة.

المجتمع الإسلامي ـ وكلّ مجتمع لا يستغني عن غرض مشترك ـ هي السّعادة الحقيقية والقرب والمنزلة عند اللّه. وهذا رقيب باطني لا يخفى عليه ما في سريرة الإنسان وسرّه فضلًا عمّا في ظاهره، وإن خفي على طائفة الدّعاة وجماعة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وهذا هو الّذي ذكرنا من أنّ الإسلام تفوق سُنّة اهتمامه بشأن الاجتماع سائر السّنن والطّرائق. [1]

سادسًا: علاقة السّير الاجتماعي للإنسان بالكون

يعتقد الإمام أنّ خطّ السّير الاجتماعي المفضَّل للإنسان هو الخطّ الخاص به الموازي لخطّ الآخرين في مجتمعه والمتوازي أيضًا مع سير الموجودات الأخرى. والإنسان في سيره في هذا الخطّ يشكّل نغمةً خاصّة منسجمة مع الأنغام البشرية الّتي تشكل بمجموعها المصالح الاجتماعيّة العالية. وأنّ اجتماعيّته هي بحقّ وليدة الكون، والسّير في هذا الخطّ هو سير نحو الكمال المطلق؛ أي: نحو اللّه غاية السّير ودافعه ومبدأه. فهو- أي اللّه - الّذي خلق الكون في حركة دائمة هادفة، وخلَق الإنسان الّذي هو جزء ممتاز من الكون في طموح وتطلُّع دائم نحو الكمال. [2]

فحركة الفرد الّذي هو جزء من الجماعة هي حركة منسجمة مع حركة الجماعة، ولها في الوقت نفسه لون خاص وطابع مميّز. وهكذا، فإنّ حركة الإنسان الفرد والجماعة - الإنسان الّذي هو جزء من الكون هي حركة منسجمة مع حركة الكون كلّه، ولها في الوقت نفسه طابعها الإنساني الخاص، طابع قيادة الكون. والنّتيجة أنّ الدّافع للإنسان في نموّه المتكامل يجب أن يكون منسقًا مع دافع زملائه وأبناء مجتمعه، ومع محرّك الكون كلّه نحو الحركة الّتي يسمّيها الدّين سجودًا - حسب رأي الإمام- وهذا الدّافع - يراه الإمام الصّدر- هو إيمانه باللّه، وبما رُسم له من الدّور الكوني المنسّق مع سائر الأدوار. وهكذا، يبدو أنّ الجانب الإلهي من الإنسان هو في المكان العلي من الجوانب الثّلاثة الأولى، أي أنّ هذا

---

1 **محمد حسين الطّباطبائي**، الميزان في تفسير القرآن، ج 4، ص 94 – 137.

2 **موسى الصّدر**، مقدمة بعنوان "الدّين والعلم" لكتاب يوسف مروة العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 178-179.

الجانب علّة للجوانب الأخرى ومنسجم معها تمام الانسجام. [1]

نختم المبحث الأول بعبارات للإمام موسى الصّدر يلفت فيها الى كون التّعاون هو أساس تكوين المجتمعات، يقول:

"أساس تكوين المجتمع أنّ الإنسان صاحب المال يعطي من ماله لغير صاحب المال، الإنسان صاحب القوة يعطي من قوّته لغيره، الإنسان صاحب الفكرة يعطي من فكرته، الإنسان صاحب كلّ كفاءة يعطي من كفاءته، فتتكوّن المجتمعات. فإذًا، المقصود من الدّين خلق مجتمع متكامل متعاون، ثمّ مجتمع مؤمن، أبناؤه لا يؤمنون ولا يخضعون إلّا لله. وهذا من صميم فطرة الإنسان"[2].

---

1 م. ن.، ص 179.

2 موسى الصّدر، تفسير قرآني بعنوان "سورة *البينة*"، ضمن كتاب: دراسات للحياة، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للدّراسات والأبحاث، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2011، ص 245- 246.

المبحث الثاني
انسجام القوانين الشّرعية الثّابتة مع المجتمع المتطوّر

أولًا: منهج العلامة الطّباطبائي ومقاربة الإمام الصّدر

الالتزام بثبات قوانين الشّريعة وعدم تغيُّرها بمقتضى مصدرها الإلهي والسّماوي وخاتمية الشّريعة الّتي جاءت بها ـ من جهة، والالتزام بتطوُّر المجتمعات الإنسانيّة وتغيُّرها من زمان إلى آخر ـ من جهة أخرى ـ يفرض سؤالاً جوهريًا في صميم الرّؤية الاجتماعيّة الّتي يقدّمها الدّين الإسلامي حول المجتمع، وهو: كيف ينسجم ثبات القوانين الشّرعية مع الالتزام بتطوّر المجتمعات وتغيّر مبانيها حسب مقتضيات العصر؟

في هذا المجال، ينفرد الإمام الصّدر بالجواب عن هذا السّؤال من خلال مقاربة تختلف صياغةً ومضمونًا عن المقاربة الّتي يؤسّسها العلامة الطّباطبائي في الجواب عن السّؤال المذكور. ومن خلال استعراض المقاربتين، سيتجلّى لنا أيضًا أحد أمثلة اجتهادات الإمام الصّدر ومساحة التّأسيس الّتي يتحرّك فيها لصياغة مقولات القرآن والفكر الإسلامي عمومًا.

ولنأخذ أولًا ما قاله الطّباطبائي، ثمّ نعرّج على صياغة الصّدر.

يقول السيد الطّباطبائي: وقد اشتبه الأمر على من يقول: إنّ جعل القوانين العامة لما كان لصلاح حال البشر وإصلاح شأنه، وجب أن تتبدّل بتبدُّل الاجتماعات في نفسها وارتقائها وصعودها مدارج الكمال. ولا شكّ أنّ النسبة بيننا وبين عصر نزول القرآن، وتشريع قوانين الإسلام أعظم بكثير من النّسبة بين ذلك العصر وعصر بعثة عيسى (ع) وموسى (ع). فكان تفاوت النّسبة بين هذا العصر وعصر النبيّ (ص) موجبًا لنسخ شرائع الإسلام ووضع قوانين أُخر قابلة للانطباق على مقتضيات العصر الحاضر.

والجواب عنه، إنّ الدّين لم يعدّ في تشريعه مجرد الكمال المادي الطّبيعي للإنسان، بل إلغاء حقيقة الوجود الإنساني، وبنى أساسه على الكمال الرّوحي والجسمي معًا، وابتغى السّعادة المادّية والمعنويّة جميعًا، ولازم ذلك أن يعدّ فيه حال الفرد الاجتماعي المتكامل بالصّنعة والسّياسة. وقد اختلط الأمر على هؤلاء الباحثين، فإنّهم بولوعهم في الأبحاث الاجتماعيّة الماديّة (والمادة متحوّلة متكاملة كالاجتماع المبنيّ عليها)، حسبوا أنّ الاجتماع الّذي عدّه الدّين نظير

الإجتماع الّذي حسبوه اجتماعًا ماديًّا جسمانيًّا، فحكموا عليه بالتّغيّر والنّسخ حسب تحوّل الاجتماع المادي. وقد عرفت أنّ الدّين لا يُبنى تشريعه على أساس الجسم فقط، بل الجسم والرّوح جميعًا، وعلى هذا يجب أن يفرض فرد ديني أو اجتماع ديني جامع للتّربية الدّينيّة والحياة المادّية الّتي سمحت بها دنيا اليوم، ثمّ لينظر هل يوجد عنده شيء من النّقص المفتقر إلى التّتميم والوهن المحتاج إلى التّقوية؟ [1]

من الواضح أنّ جواب العلّامة الطّباطبائي يستند على ثنائية الرّوح والجسم، وعلى أنّ الجسم تتغيّر حاجاته من زمن إلى آخر بسبب تحوّلاته المادية، إلّا أنّ الرّوح ثابتة والحاجة الرّوحية لا تتغيّر بتغيُّر مقتضيات الزّمان.

وعندما نصل إلى الجواب الّذي يتبنّاه الإمام الصّدر في هذا الموضوع، نجد أنّه يعرض أمورًا ثلاثة:

الأمر الأول: إنّ التّطوّر في الحياة، وفي التّاريخ البشري معناه تفاعل الإنسان مع الكون. فالإنسان في كلّ يوم تزداد تجاربه، وتتقدّم علومه، فيكشف أشياء جديدة من الكون، ثمّ يستعمل معرفته الجديدة ويمارس وعيه الجديد، فيستفيد من القوى الكونية المكتشفة، ويطوّر بذلك حياته الشّخصيّة والاجتماعيّة، وينتقل إلى فصل جديد من فصول التّاريخ البشري الطّويل. فالتّطور حسب تعريف الصّدر هو قراءة الإنسان سطرًا جديدًا في كتاب الكون.

فليس هناك موجب غريب للتّطوّر، يدخل من عالم آخر في حياة الإنسان، وفي العالم الّذي يعيش فيه الإنسان. ليس هناك شيء يطوّر حياة الإنسان من الخارج، ولا هناك فقدان لعامل من عوامل الحياة الإنسانية لكي تتغيّر الحياة من أجله. إنّ التّطوّر هو تفاعل الإنسان مع الكون فقط، والمعروف أنّ الإنسان والكون عنصران كانا في مسرح الحياة من أولّ الخلق، ما زاد فيهما شيء ولا نقص منهما شيء. [2]

الأمر الثّاني: إنّ الدّين، حسب رأي الإسلام، شريعة وضعها خالق الكون والإنسان؛ أي اللّه سبحانه. وخالق الكون يعلم جوانب وجود الإنسان جميعها، ظواهره وبواطنه، ويعلم أيضًا حاجاته ورغباته جميعها. إنّ اللّه يعلم هذا كلّه، فوضع

---

1 محمد حسين الطّباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 2، ص 112، وما بعدها.

2 انظر: موسى الصّدر، الاسلام: الأصالة، الروحية، التّطور، م. م، ص78.

قوانين لكي يتمتّع الإنسان بالكون فيحيا حياة طيبة كاملة. [1]
الأمر الثّالث: إنّ اللّه خالق الكون وعالم به، وخالق للإنسان وعالم به، وقد وضع نصوصًا وتوجيهات لكي يعيش الإنسان في الكون حياة طيبة كاملة، ذات هدف كبير. وحسب رأي الإسلام أيضًا، وضع اللّه الشّريعة والتّوجيهات المذكورة بكلمات صادرة عنه، وهي الآيات القرآنية. والدّين الإسلامي يرى أنّ معاني القرآن منزَّلة بألفاظه بعينها، والمعروف أنّ كلام اللّه يختلف عن كلام البشر تمامًا، إذ إنّ فهم كلام البشر محدود بمستوى معرفة القائل، ولا يمكن تجاوز هذا الحد. وكلما ازداد مستوى معرفة المتكلِّم ازداد إمكان تفسير كلامه والتّعمّق فيه، ولهذا السّبب يتعمّق القضاة والمحامون في تفسير نصوص القوانين إلى درجات تتجاوز جدًّا حدود تفسير كلام العامة من النّاس. وإذ إنّ مستوى معرفة اللّه لا حدَّ له، فيمكن الاعتماد على مراحل مدلولات كلامه جميعها، وكلّما ازداد التّعمق فيه يتبيّن معنًى جديدٌ لكلامه، فكلام اللّه من هذه النّاحية مثل الحقائق الكونية، بل هو بعينه من الحقائق الكونية يكتشف الإنسان منه في كلّ مرحلة شيئًا جديدًا، كما يُكتشف من الكون في كلّ مرحلة شيئًا جديدًا.
بهذه الطريقة الموجزة، يمكننا أن نحتفظ بصفة القداسة للأنظمة الدّينيّة العائدة للإنسان والمجتمع، مع إفساح المجال لتطويرها في الإطار العام الّذي يتّضح للباحث عنها، والتّعاليم المتطورة تحتفظ بإلهيتها وقوتها وقيادتها قيادة متطورة مستقاة من القواعد الدّينيّة الثّابتة. [2]

ثانيًا: سبب تخلُّف مجتمع المسلمين

يرى الإمام الصّدر بأنّ الإسلام ككلّ مدرسة فكريّة إنسانيّة يعتمد في الدّرجة الأولى على تربية الإنسان، ولا يمكن تربية الإنسان وصيانة إنسانيتة إلّا عندما يتوفر للإنسان مجتمع إنساني. وإلّا، فالإنسان المتقدّم الأكثر إنسانية حينما يُترك في مجتمع غير إنساني، يذوب وينهار. الإنسان موجودٌ مدني بالطبع، وهو جزء من المجتمع، ولا يمكن أن يبقى صالحًا في مجتمع غير صالح، إلّا ما

---

1 انظر: موسى الصدر، الاسلام: الاصالة،الرّوحية، التّطور، م. م، ص 31.

2 م. ن.، ص ص 32 – 33.

نـدر. فعـلى هـذا الأسـاس، اعتمـد الإسـلام فـي بـدء أمـره عـلى مهمّتيـن رئيسـتين لرسـول اللّـه (ص): مهمّـة الرّسـالة، يعنـي إبـلاغ دعـوة اللّـه ورسـالته إلى النّـاس. ومهمّـة الولايـة، يعنـي تكليـف رسـول اللّـه بتأميـن مجتمـع صالـح، حسـب الآيـة الكريمة:**(النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِيـنَ مِنْ أَنفُسِـهِمْ)** [الأحزاب/6]. لأنّ الإسـلام تغييـر فـي أسـس الفكـر البشـري جميعها، والعمـل البشـري عمّا قبله. وهـو تغييـر فـي **الأركان الأربعـة: الرّؤيـة، العقيـدة، العمـل، والأخـلاق.** [1]

يَعـدُّ سـماحته نوعًـا واحـدًا مـن الحكـم للإسـلام، ولكـنْ نوعـان مـن التّعاليـم: نـوع يتوجّـه إلى الفـرد، فيربي الفرد ثقافيًّا وعقائديًّا وعمليًّا وأخلاقيًّا. والنّـوع الثّانـي مـن الأحـكام هـي الأحـكام الاجتماعيّـة. فلأجـل صيانـة الإنسـان صيانـة كاملـة، كان عـلى الإسـلام أن يكـوّن للإنسـان مجتمعًـا صالحًـا. هـذا المخطّـط الّـذي شـمل مهمّتيـن فـي حيـاة الرّسـول الأكـرم: مهمّـة الرسـالة؛ يعنـي إبـلاغ الأحـكام، ومهمّـة الولايـة؛ يعنـي تطبيـق الأحـكام وخلـق مجتمـع إسـلامي. عشـر سـنوات مـارس مهمّتيـه عليـه الصّـلاة والسّـلام، ثـم وضـع خطّـة للاسـتمرار ببنـاء المجتمـع الإسـلامي ولتكويـن هـذا المجتمـع. المسـلمون لـم ينفـذوا؛ فانحـرف الموضـوع. بقـي الفـرد المسـلم بقّـوة الاسـتمرار، يركـض فتـرة فـي الخـطّ الإسـلامي... فـإذا المسـلمون تخلفـوا لأنّهـم فقـدوا المجتمـع الإسـلامي، وإذا أرادوا أن يرجعـوا عليهـم أن يكوِّنـوا المجتمـع الإسـلامي، ولا تنفعهـم النّشـاطات الفرديـة إلّا جزئيًّـا جـدًّا. [2]

يؤكّـد الإمـام الصّـدر عـلى أن التّقـدّم المـادي شـرط أساسـي للتّقـدّم الإنسـاني؛ أي لسـنا متقدّميـن لأنّنـا أصلـح مـن الغـرب فـي الحقـل الإنسـاني، بـل الإنسـانيّة المتقدمـة هـي الإنسـانية الّتـي تتوفـر لهـا وسـائل الحيـاة الكريمـة. [3]

ثالثًا: معضلة المجتمعات المعاصرة

يشـكو الإمـام تخلُّـف مجتمعنـا المسـلم على مختلـف الصّعـد مـن الإنتـاج إلى الأخلاق. وأكثـر مـن هـذا حتّـى التّخلُّـف فـي ممارسـة النّشـاطات الدّينيّـة. ويؤكّـد أنّ الواقـع

---

1 انظر: موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "أسباب تأخّر المسلمين وكيفية معالجته1--"، ضمن كتاب: الإسلام والمجتمع، منشورات مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الاولى، 2019، ص 34.

2 انظر: موسى الصّدر، محاضرة بعنوان " لماذا تأخّر المسلمون عن ركب التقدم العلمي والمادي 1--"، ضمن كتاب: الإسلام والمجتمع، م.م، ص 76-75.

3 م. ن.، ص 76.

غير ما أراد اللّه الّذي أراد لنا العزة، يقول سبحانه وتعالى: **(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)** [المنافقون/8].[1] طبعًا لا يعترف أنّ يكون كلّ بلد إسلاميّ متأخّرًا في العالم، بل توجد في العالم مناطق مختلفة وبأشكال مختلفة، متقدّمة ومتأخّرة، لا ترتبط بنوعية الدّين وعدم التّدين.[2]

يعدّ الإمام الصّدر أنّ محنة العصر، ومشكلات المجتمعات المعاصرة، هي في حسبان العطاء إنتاجًا ماديًّا، وأنّ الإنسان آلة تعطي كمية من الطّاقة المتحوّلة إلى العمل لمجتمعه. ونسينا أنّ الأكثر أهمّية من هذا وذاك، ممارسته للقيم وبناؤه التّرابط الذّاتي بين الفرد والفرد، وبين الحاضر والماضي، الإيمان بالقيم والالتزام بالمطلقات.

المشكلة حسب رأيه هي في أنّ: «الإنسان اليوم آمن بإله غير اللّه، آمن بالمصلحة، بإله نفسه، فصار ذاته قدس الأقداس عنده، وارتبط بالآخرين من خلال إيمانه بالمصلحة، فلا صداقة ولا عداوة، بل المصلحة!! فلا عدل ولا صدق، ولا وفاء.. بل المصلحة! من خلال مصلحته تصرّف، ومن خلال ذاته ارتبط، فصار هو إلهًا في رأيه، وصار هو غريبًا في مجتمعه، يرتبط مع الآخرين من خلال المصالح المشتركة». [3]

ومن خلال قراءته هذه لأصل المشكلة يلاحظ كيف صار حالنا: «العائلة شركة، والوطن شركة، والأمة شركة، والصداقة شركة، والتّعاون مشاركة في الدّفع والأرباح.. والشّركة تخضع للمصالح، والمصالح تتطوّر وتتبدّل، فلا ثبات، بل تزلزلٌ واهتزاز وتفكّك دائم.. ومن ثمّ ليس إلّا القلق المرير».[4]

يقول الإمام الصّدر: إنّ الإنسان تقدّم في حقل العلم؛ فاكتشف المجهول... وسيطر على القوى الكونية.. ووصل إلى القمر، ولكنّه غريب، في منتهى الغربة، لأنّه لا يرتبط بالآخرين.. كيف يرتبط وهو لا يتعدّى إله نفسه.

ويتابع متسائلًا: «ماذا يربط الإنسان بأخيه الإنسان إذا لم يكن مؤمنًا بالقيم وممارسًا لها؟ كيف يرتبط الإنسان بأخيه الإنسان إذا خرج من نطاق الصّدق، والحقّ، والحبّ والود، والعدل والحق المطلق؟!». [5]

---

1 انظر: موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "أسباب تأخّر المسلمين"، ضمن كتاب : الإسلام والمجتمع، م. م.، ص 24.

2 م. ن.، ص 30.

3 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "مأساة رجل الدّين"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 32

4 م.ن.، ص 32.

5 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان: "مأساة رجل الدّين"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 32.

ويلاحظ، متأسفًا، أنّ هذا هو المصير على الرّغم من تقدّم العلم المتزايد. وليس هناك بالتّالي أي ترابط بين الحاضر والماضي، وبين المستقبل والحاضر، فالانفصام المطلق يتحكّم بين الجيل الحاضر وبين الجيل الصاعد، وهناك المشاكلات المتكاثرة.

ويرى التّصدّي لهذه المشكلات بإجراءات تربويّة واجتماعيّة تبدأ من الأسرة، وصولًا إلى رجال الدّين، مرورًا بباقي الهيئات والمؤسسات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة. ففي إجابته يقول: «ماذا يربط بين الحاضر والماضي؟ وماذا يربط بين الحاضر والمستقبل، إذا لم يكن هناك من أمومة مطلقة تؤمن بالعطاء المطلق، فتغمر الطّفل منذ ولادته، الأمومة المطلقة، وهي وجه اللّه على الأرض؟!

وعندما تتصرّف الأم بمقياس المصلحة، فهي تعطي للطّفل وللجيل القادم من واجهة الطّفل، تعطي بمقدار، والطّفل يعطي للمستقبل بمقدار. فليس هناك إذًا، من جذور تربط الحاضر والماضي... لذا حصل الانفصام، وحصلت المشاكلات الواحدة تلو الأخرى!

فالفئات في مجتمعنا... كلّ منها منفصلة عن الفئات الأخرى، وكلّ جيل منفصل عن الجيل الآخر. فالعمّال، مثلًا، يطلبون مصالحهم بقطع النّظر عن وضع صاحب العمل، وصاحب العمل يريد مصلحته بمعزل عن مصلحة العمال، وكلّ فئة تتمسك بمصلحتها المطلقة، لأنّها هي الحقّ المطلق، ولا حقّ ما وراء المصلحة في منطقنا المعاصر». [1]

أما عن دور رجل الدّين بهذا الصّدد، فيقول: «عندما كان دور رجل الدّين، منذ الطّفولة، تغذية الطّفل بالقيم. وعندما كان يعطي بلا حساب من دون انتظار الجواب والأخذ، كان يُدرّب على الإطلاق في العطاء، وهذا يعني أنّه كان يصنع الإنسان الّذي يتمكّن من التّرابط مع الآخرين، وبالنّتيجة، كان المجتمع مترابطًا، موحّدًا، متماسكًا، وكانت الأجيال مترابطًة موحّدًة ومتماسكًة.

هذا الدّور هو العطاء المطلق، هو التّقوى، هو الصّدق المطلق، هو الخروج على عبادة إله النّفس، هو التّنكُّر للمصلحة الذّاتية. هكذا كان دور رجل الدّين». [2]

---

1 م.ن.، ص 33.

2 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان: "مأساة رجل الدّين"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م، ص 33.

رابعًا: العدالة الاقتصادية والاجتماعية

يركِّز بحثٌ للإمام موسى الصّدر عن العدالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة وأوضاع الأمة اليوم على البون الشّاسع بين واقع مجتمعات الأمة الإسلاميّة والعربيّة وبين إمكانيات هذه الأمّة وخيراتها، إضافة إلى الجذور الإيديولوجية والأبعاد الواضحة لها في العقيدة الإسلامية، ويعدّ أنّ هذا الأمر هو جزء من مأساة الفصل بين العقيدة والشّريعة.. فيقول: «هذه العقيدة المنفصلة عن نتائجها الاجتماعيّة بقيت شعورًا نفسيًّا لدى أكثر المسلمين، لا تؤثر في أوضاعهم الحياتيّة، ولا في سلوكهم الخاصة والعامة. واقترنت لدى البعض بالعبادات فقط لتنظيم العلاقة بين الفرد وخالقه فحسب ولتسهيل رحلة الموت ليس إلّا...».[1]
ويتابع بقوله: «إنّ اللّه يُعبَد في المعابد وفي أيّام الجمعة وشهر رمضان، والإيمان ينعكس على الإنسان في ظروفه الصّعبة [...] لقد انفصل الإنسان عن العدالة وأفرغت العبادات عن محتوياتها، صارت طقوسًا... فالمحرومون من الحياة الكريمة، ومن العدالة يزداد عددهم باستمرار داخل المجتمعات الإسلاميّة، ويتعمّق إحساسهم بالحرمان بصورة متزايدة، نتيجة لوجود البذخ والتّظاهر بالغنى والتّرف فيما بينهم».[2]
ويقترح أنّ المطلوب لتحقيق العدالة ليس المساهمة والهبة، بل القروض من دون فوائد، قروض تمكّن الشعوب الفقيرة من رفع مستوى حياتها بوساطة تنفيذ مشاريع التّنمية.. وقد شجَّع الإسلام على القرض من دون فائدة، وعدّ أنّ درهمًا من القرض يقابَلُ بأجرٍ من عند اللّه يفوق درهم الصّدقة.
هكذا، عندما ننظر إلى تجربة الإمام الصّدر، وما قام به عمليًّا سوف نلاحظ أنّ مسؤوليته الاجتماعيّة كانت مسؤولية شاملة متعدّدة الأبعاد والمستويات، فقد عمل من أجل:
1 - رفع الغبن والحرمان عن اللّبنانيين عمومًا وعن أكثرهم غبنًا وحرمانًا، وكان شعاره "العدالة الاجتماعيّة تعزّز الشعور بالمواطنية".
2 - فتح قنوات الحوار بين الطّوائف المختلفة "لأنّ التّعاون مع الطّوائف من صميم الدّين".

---

1 موسى الصّدر، العدالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في الإسلام، م. م.، ص 25 – 26.

2 م.ن، ص 26 -27.

3 - ضرورة المواجهة مع إسرائيل وبناء مجتمع مقاوم.

4 - تقديم أنموذج مختلفًا عمليًّا عن مسؤولية رجل الدّين الاجتماعيّة.

خامسًا: العمل والعمّال والمسألة الاقتصاديّة

يستعرض الإمام الصّدر غير تعريف لمفهوم العمل، ليلقي الضّوء في كلّ تعريف منها على جانب من جوانب هذا المفهوم الأساسي في حياة الأفراد والمجتمعات البشريّة عامة. ففي تعريفه الأول يرى أنّ «العمل قطعة من الإنسان تتفجّر فتتحوّل إلى الطّاقة، لأنّ العمل الّذي هو هذا التّحرُّك الجسدي أو الفكري.. تحرّكه طاقة ناجمة عن تفجير للمادة (الموجودة في خلايا الجسم) بوساطة الأعصاب.. هذه الطّاقة إذًا كانت موادًا موجودة في داخلي، وكانت جزءًا مني، جزءًا من جسدي، قطعة مني، فالعمل قطعة من الإنسان».

[1]وفي التّعريف الثّاني يشير إلى أنّ «العمل ربط الإنسان بالكون، أو بتعبير تفصيلي العمل هو خالق الحضارات والثّقافات، وبالتّالي التّاريخ... هناك شيء اسمه: إنسان، البطل الوحيد على مسرح الكون. طبعًا الإنسان يزداد ثقافة وحضارة وتفكيرًا وتجربة، يطوّر الكون ويتطوّر... لا يوجد شيء اسمه التّاريخ بمعزل عن الإنسان... التّاريخ بطله الوحيد هو الإنسان، والعنصر الوحيد في هذه البطولة هو العمل – التّحرُّك- وإلّا إذا ما تحرّك فليس بتاريخ، ليس بحضارة، وليس بثقافة». [2]

وفي تعريف ثالث يعدّ أنّ الإنسان يحقّق من خلال العمل رسالته الحياتيّة، إذ يقول: «الإنسان حسب مفهومنا الدّينيّ له رسالة، له مهمّة، ذلك الّذي يسمّيه القرآن سجودًا. كلّ موجود له مهمّة.. كلّ زاوية من زوايا هذا الكون لها مهمّة، فيؤدّي هذا العالم مهمّته بإتقان. هذا الّذي يسمّيه العالم بالسّجود الّذي يعني منتهى التّواضع والإطاعة... فما هو دور الإنسان؟ دور الإنسان حسب تعبيرنا الدّينيّ، خلافة اللّه في الأرض. الإنسان دوره في الحياة هو المتصرّف الوحيد.. هو الّذي يسمّيه القرآن خلافة اللّه؛ يعني على الإنسان أنّ يوجِّه ويغيِّر ويطوِّر

---

1 **موسى الصّدر،** الاسلام والتّفاوت الطّبقي ومحاضرات في الاقتصاد، م. م، ص 60.

2 م.ن.، ص 62.

ويصحِّح. كيف يتمكّن من ذلك؟ عليه أنّ يتعلّم لأنّه إذا تعلّم يتمكّن من تغيير الأشياء.. أن يعرف هذه القوى، هذه الأشياء حتّى يسيطر عليها، ويطوّرها لصالح نفسه، ولصالح الكون كلّه. فإذًا: الإنسان يحقّق دوره ومهمّته في الحياة من طريق عمله... العمل الجسدي، والعمل الفكري الّذي هو التّفكير والّذي هو العلم، هذا هو دور الإنسان، وأخيرًا: العمل هو طريق الإنسان إلى اللّه»[1].

وفي كلمة ألقاها الإمام الصّدر في ذكرى أول أيّار من العام 1969 في كنيسة الأيقونية العجائبية - دير راهبات المحبّة في الأشرفية - عدّ أنّ العمل عبادة: «كلّ مَنْ يعمل فهو يصلّي في محرابه في موكب أزلي أبدي»[2].

ويتابع في تحليله الاقتصادي والاجتماعي لعملية الإنتاج وموقع العمل والعمال فيها، فيقول: «يعدّ العمل يعتبر العنصر المميّز في عناصر الإنتاج الثلاثة، وهي: العمل، الآلة، ورأس المال... وموقف الدّين من العامل يتلخّص في حمايته له ماديًّا وفي تكريمه إيّاه بمختلف أنواع التّكريم... ففي الفقه الإسلامي يمكن للعامل أن يشترك في الأرباح بنسبةٍ معيّنةٍ، ويمكنه أن يتقاضى أجرًا مقطوعًا.. كما يؤكِّد الدّين الإسراع في دفع الأجرة بصورةٍ نادرةٍ في تعاليم واسعة... إنّ الأنبياء والأئمة كانوا من الطّبقة العاملة: إبراهيم وموسى كانا يرعيان الغنم، عيسى كان نجّارًا، محمد (ص) كان راعيًا في الطّفولة، ثمّ كان عاملًا في التّجارة، وعليّ كان مزارعًا... إنّ رسول اللّه كان يأخذ يد العامل المتأثّرة بالعمل، فيقبّلها، ويقول: هذه يد يحبّها اللّه ورسوله»[3].

في حقل الاقتصاد، يعدّ الإسلام لأوّل مرة في التّاريخ أنّ عمل الإنسان هو أمر أساسي ذو قيمة، يُحرَّم اغتصابه، ويضمن المتعدّي للمعتدى عليه، مثل المغتصب للأموال، ويعدّ المانع للأجير أجرته من المرتكبين لأكبر المعاصي، وأنّه لا يشمّ رائحة الجنة[4].

نستخلص من كتابات الإمام الصّدر وأحاديثه وممارساته على أرض الواقع، إيمانه بأنّ الدين الإسلامي نظام متكامل للحياة، تناول جوانب حياة الإنسان وأبعادها كافة، ووضع برنامج عمل لها، بما في ذلك المذهب الاقتصادي الإسلامي الّذي

---

1 موسى الصّدر، الإسلام والتّفاوت الطبقي ومحاضرات في الاقتصاد م.م.، ص 66.

2 م، ن، ص 53.

3 م.ن.، ص 55.

4 موسى الصّدر، الإسلام وكرامة الإنسان، م. م.، ص 18.

يهدف إلى إرساء أسس العدالة الاقتصاديّة ومعالجة قضايا الفقر والحرمان بنحو مختلف عن المذاهب الاقتصاديّة الأخرى.
لذا، لم يكن صدفة أن يتّخذ الإمام الصّدر قراره بالالتحاق بالجامعة، واختياره الدّراسة في كلية الاقتصاد، النّابع عن إيمانه بأنّ الدّين الإسلامي ليس مجرد دين للعبادة، وإنّما هو ثقافة ونظام ورسالة للحياة، نظام حياة للبشرية، قادر على الأخذ بيد الإنسان ومعالجة مشاكلاته وتوجيه مسيرته إلى طريق الخير والصّلاح. لذا، فقد انبرى الإمام موسى الصّدر لاكتشاف المذهب الاقتصادي الإسلامي وتدوينه وعرضه، منذ أن بدأ بدراسة الاقتصاد في الجامعة، وتابعه في مقالاته وأبحاثه اللّاحقة.

نختم المبحث الثّاني بعبارات للإمام موسى الصّدر يبيّن فيها معنى الاجتهاد وضرورته لمواكبة مستجّدات الواقع، يقول:

«فالاجتهاد هو بذل الجهد لاستنباط الحكم الشّرعي من مصادره، وهذا يعني بدء المجتهد بالمصادر والنّصوص لكي يكتشف الصّواب في الواقعة الجديدة الّتي يحتاج إلى معرفة حكمها. فهو يبدأ من النّصّ ليهبط إلى الواقع، وهو يضمّ إلى الحكم الدّينيّ فهمه واستنباطه النّابع من خبرته، وممارسته، ومكوناته الذّاتية. فالاجتهاد تحرّك وتطوّر، ونظرة إلى الأرض، ضمن الإطار الغيبي المطلق السّماوي للحكم.
والمطلق والغيبية، لا يفقدان الحكم تطوره، وانطباقه على حاجات الانسان.كما أنّ التّطور والاهتمام بالحاجات لا يفقدان الحكم قدسيّته وغيبيته. فالاجتهاد يتكوّن من عنصرين: عنصر إلهي، وهو النّصّ الذي جاء به الوحي، وعنصر ذاتي، وهو فهم المجتهد»[1].

---

1 **موسى الصّدر**، حوار صحفي بعنوان "الشّيعة والمذاهب الأربعة"، مجلة الحوادث، 30 تشرين أول 1973، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للدّراسات والأبحاث، بيروت، الطّبعة الثّانية،2007، ص 360.

المبحث الثالث
الإنسـان والأسرة

أولًا: مبدأ الزّوجية في الكون

يخضع الكـون بحسـب خلـق اللّـه تعـالى لمبـدأ الزّوجيـة العامـة، وهـو المبـدأ الأعمـق فـي التّكويـن. نجـده فـي المجـرَّات الكبـرى، كمـا نجـده فـي الـذّرات الصّغـرى الّتـي ربمـا تسـتبطن توالـدًا لا ينتهـي فـي الصّغـر. وقـد أكّـد القـرآن أنّ المجتمـع الإنسـاني يقـوم علـى مبـدأ الزّوجيـة أيضًـا فـي قولـه فـي كتابـه الكريـم: **(وَمِنْ آيَاتِـهِ أَنْ خَلَـقَ لَكُـم مِّنْ أَنفُسِـكُمْ أَزْوَاجًـا لِّتَسْـكُنُوا إِلَيْهَـا وَجَعَـلَ بَيْنَكُـم مَّـوَدَّةً وَرَحْمَـةً إِنَّ فِـي ذَلِـكَ لَآيَـاتٍ لِّقَـوْمٍ يَتَفَكَّـرُونَ)** [الـرّوم/21].[1]
ظاهـرة جعـل الأزواج مـن الأنفـس، وجعـل الزّوجيـة فـي الخَلْـق ليسـتا موضعًـا للاسـتهلاك أو للممارسـة فقـط، بـل همـا موضوعـان للتّفكُّـر. يقـول سـبحانه وتعـالى: **(هُـوَ الَّـذِي خَلَقَكُـم مِّـن نَّفْـسٍ وَاحِـدَةٍ وَجَعَـلَ مِنْهَـا زَوْجَهَـا لِيَسْـكُنَ إِلَيْهَـا...)** [الأعـراف/189]، فهـذه الوحـدة تنبثـق منهـا الإثنينيـة والزّوجيـة، وهـذه الزّوجيـة تعـود إلى الوحـدة أيضًـا.
والهـدف الأكثـر عمقًـا لوجـود الإنسـان علـى الأرض هـو عبـادة اللّـه سـبحانه وتعـالى، يقـول تعـالى: **(وَمَـا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالْإِنـسَ إِلَّا لِيَعْبُـدُونِ)** [الذّاريات/ 56]. تحويـل هـذه المـادة الخـام الإنسـانية إلى كائـنٍ نقـيٍّ يتعملـق ويتألّـق بعبـادة اللّـه سـبحانه وتعـالى، والهـدف المصاحـب الّـذي يتبلـور مـن خلالـه الوجـود الإنسـاني هـو إعمـار الأرض وإصلاحهـا علـى قاعـدة الاسـتخلاف، يقـول سـبحانه وتعـالى: **(وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّـي جَاعِـلٌ فِـي الْأَرْضِ خَلِيفَـةً...)** [البقـرة/ 30].
إذًا، يتبيّـن لنـا مـن خـلال الحقائـق السّـابقة أنّ الأسـرة ليسـت مؤسسـة أنتجهـا البشـر لضرورتهـم، وإنّمـا هـي مؤسسـة أنشـأها اللّـه سـبحانه وتعـالى لتكمـل رسـالته علـى هـذه الأرض. لـذا، كانـت مهمّـة الأديـان بعـد إرسـاء عقيـدة الإيمـان، وقبـل تكويـن المجتمـع هـي تكويـن الأسـرة الّتـي تحقّـق للإنسـان النّمـو المعافـى باتجـاه هذيـن

[1] **محمّد مهدي شمس الدّين**، مشاركة بعنوان "في الأسرة تكتمل رسالة اللّه"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّاني، عنوانه: الأسرة واقع ومرتجى، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 1998، ص 44.

الهدفين المتكاملين. العبادة على أساس إعمار الأرض وإصلاحها. [1]

ولا بدّ أن يقوم تكوين الأسرة على قواعد الإيمان، لهذا، وضع الشّارع المقدس سبحانه وتعالى الضّمانات والضّوابط لإنشاء هذه الأسرة ولنموّها ولانحلالها.[2]

وفي ضوء هذا المنطلق، اهتمّ الإمام الصّدر بالأسرة وبنائها وتطويرها؛ لأنه يؤيّد التّصوُّر القائل بأنّ المجتمع في نظر الإسلام يتكوّن من وحدات، وكلّ وحدة هي الأسرة، وليست الفرد. كما أنّ المجتمع ليس الوحدة الّتي تتجزأ إلى الأفراد أو الأسر أو الطّبقات. وحتّى مع عدم الالتزام بهذا الرأي، يرى أنّ الحديث الشّريف: «ما بني في الإسلام بناء أحبُّ عند اللّه من الزّواج»، كافٍ لتبيان مقام الأسرة وتأثيرها في المجتمع في رأي الإسلام. [3]

يشبّه الإمام الصّدر المجتمع بأيّ بناء آخر، فكما لا بناء يقوم من دون مواد وشكل وصورة، وكما لا يمكن أن تقوم بناية من مواد فقط، من دون أن تعطى شكلًا وصورة خاصة، أو شكل من دون مواد، كذلك يرى الإمام الصّدر المجتمع في المنطق الدّيني يتكوَّن من مادة وشكل. [4]

الخلية أو المادة الّتي تشكّل المجتمع في الإسلام هي الأسرة. والتّركيب بين الأسر هو التّفاعل، البيع والشّراء، الأخذ والعطاء، الزّراعة، الإدارة، الخ ... هذه الارتباطات الاجتماعيّة، هي تركيب لهذه الأسر بعضها مع بعض. ولكي يكون المجتمع مجتمعًا كاملًا، نحتاج إلى أن تكون الأسر متينة، قوية، وأن يكون التّركيب بين الأسر قويًّا ومتينًا. فلو كانت الأسرة مهزوزة، ضعيفة، سيكون المجتمع ضعيفًا، ومهزوزًا. لو كانت الأسر متينة ولكن ارتباط بعضها مع بعض، يعني شكل المجتمع كان ضعيفًا، وهذا ما يشعرنا أيضًا بضعف المجتمعات لتعدّ هذا المجتمع مهزوزًا أيضًا! فنحن بحاجة إلى قوة في الأسرة وقوة في التّركيب.[5]

بيّن الإمام الصّدر أنّ المجتمع يتكوّن من مادة، وهي الأسرة، ومن شكل وهو

---

1 م.ن.، ص 45.

2 محمّد مهدي شمس الدّين، مشاركة بعنوان "في الأسرة تكتمل رسالة اللّه"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّاني، عنوانه: الأسرة واقع ومرتجى، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 1998، ص 46.

3 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "الإسلام والأسرة في مجتمع متطور"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 241.

4 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "المرأة في الإسلام"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 403.

5 م. ن.، ص 404.

الرّوابط الاجتماعيّة، ويجب أنّ تكون كلاهما رصينتين كي تبني مجتمعًا رصينًا ينتقل لبيان طريقة تقسيم الوظائف والواجبات الاجتماعيّة. يرى الإمام واجبات المجتمع على نوعين: النّوع الأول يخصّ الأسرة، وهي الواجبات الّتي تعود إلى تحكيم الأسرة وقوة الخلية الواحدة. والنّوع الثّاني: يخصّ الواجبات الّتي تعود إلى تمتين الرّوابط الاجتماعيّة وتشابك الأسر بعضها مع بعض لأجل تكوين المجتمعات.

يعتقد الإمام الصّدر وفاقًا للطرح الإسلامي، أنّ النّوع الأول- أي الواجبات والمسؤوليات والأعمال الّتي تقوّي الأسرة- سُلّمت للمرأة، والواجبات الثّانية الّتي تقوّي صِلات المجتمعات سلّمت للرّجل. [1]

ثانيًا: الأسرة أكثر بناء في الإسلام أهمّية

يتوقّف الإمام الصّدر عند الحديث النّبوي القائل: «ما بني بنيان في الإسلام أحبُّ عند اللّه من الزّواج». الأبنية الّتي بنيت في الإسلام هي: المساجد، المدارس، المؤسسات، الخ... الزّواج أكثرها أهمّية كلّها. يعتقد الإمام بأنّ النبيَّ محمدًا(ص) من خلال تعبيره هذا يريد أن يعطي للأسرة قداسة، حتّى لا يفكّر الزّوج والزّوجة أن يعملا شركة مساهمة، أو أن يتمتّعا ويتلذّذا بالجنس أو بالأنس. وكذلك، كي لا يفكّر الزّوج والزّوجة بأنّ الإنسان يكسب بالزّواج شرفًا من أهل امرأته أو من أهل زوجها. فضلًا عن ذلك، فإنّ الإسلام يريد أنّ يعرّف المسلم والمسلمة أو كل إنسان حينما يدخل في الحياة الزّوجية، أنّه يدخل في أكثر بناء في الإسلام قداسة.[2]

فكما أنّ الإنسان يدخل إلى المسجد في خشوع واحترام، يجب أن يدخل إلى الحياة الزّوجية بخشوع واحترام. ولهذا، بناء الأسرة مقدّسٌ، وعبادةٌ. وتهديم الأسرة محرّمٌ ومعصيةٌ. إذا تكلّم الإنسان كلمة سبّبت ضعفًا لكيان الأسرة، تكون حالته مثل حال الشّخص الّذي أخذ المعول لكي يهدم المسجد. وكما أنّ الفرد إذا تمكّن من بناء مسجد، له الأجر الكبير عند اللّه، كذلك، إذا ساعد على

---

1 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان : "المرأة في الاسلام"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م.م.، ص 404 - 405.

2 م. ن، ص 405.

تقوية بنيان أسرة. وكما أنّ الفرد لا يحقّ له تهديم المسجد، لا يجوز للزّوج أن يضعّف صِلاته مع زوجه؛ أي الواجبات الزّوجية لكلٍّ من الزوجين واجباتٌ مقّدسةٌ. وكما أنّ عمل الزّوجة في البيت عبادة لوجه اللّه وليست لأجل الزّوج، كذلك الرّجل حينما يعامل زوجته، أو يعمل للإنفاق على البيت، هو أيضًا يقوم بواجب وبعبادة مقدسة. [1]

ولهذا، يقول النّبي(ص): «جهاد المرأة حسن التّبعّل، ومسجد المرأة بيتها». وهكذا، بالنسبة إلى الرّجال يقول: «خيركم أحسنكم لأهله...» من كانت معاملته مع زوجته أحسن من الآخرين، «وأنا أحسنكم لأهلي»، لأنّ معاملتي معهن أحسن من الجميع. فإذًا، أنا أحسن منكم، النّبي يفتخر على النّاس. من هذا المنطلق، تصير عملية إتقان الأسرة الّذي كُلّفت المرأة بأدائه، خدمة اجتماعيّة عظيمة. لأنّه كما مرّ إذا كانت الأسر ضعيفة، فالمجتمع ينهار. ولهذا، حينما يقال بإعطاء واجبات تحكيم الأسرة للمرأة، ليس معناه أنّ المرأة أقل من الرّجل، بل بالعكس يمكن أن تكون أكثر أهمّية. فهذا الواجب واجبٌ عظيمٌ لا يقل عن الواجبات الاجتماعيّة. [2]

ثالثًا: من وحدة الخَلْق إلى وحدة المجتمع

انطلق الإمام الصّدر في دراسته للمرأة والرّجل من الرّؤية القرآنية لمبدأ الوحدة والتّزامن في الخلق، وكذلك، وحدة الغرض في الخلق الآدمي باتفاق مادة خلق الزّوجين، واختلاف الكفاءات الجسدية لتوفير أهداف الخلق، اتفاقًا واختلافًا الّتي استوحاها من الآية الكريمة، يقول سبحانه وتعالى: **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** [الرّوم/ 21]. وهنا تختصر عناصر الجعل الإلهي للعلائق بين الأزواج بـ: (السّكن والمودة والرّحمة)، فهي عمدة البناء الأسري، وعلى ما يبدو هي الثّوابت، وما سواها فإنّما هو مقتضيات حركة المجتمع. وظروف الحياة

---

1 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "المرأة في الإسلام"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 406.

2 م. ن.، ص407.

يقيمها الإنسان لتنظيم الرّوابط الاجتماعيّة وتسيير شؤون الحياة. [1]
انتقل الإمام الصّدر على أساس هذا المبدأ من وحدة الخلق إلى وحدة المجتمع. فكما أنّ عودة الفرد إلى التراب – عنصره الأول – هو انعدام الفرد، كذلك المجتمع تنعدم اجتماعيّته إذا تفكّك إلى عناصره الأولى، فرديّة كانت أم جماعيّة، تشكيلات أسرية أم تنظيمات نقابية أو سياسية، إذ لا تستطيع أيٌّ منها أن تكون هي المجتمع، وإن كان لها وضع جامع، فهو وضع خاص بها، ولا يتمكّن أيّ تشكيل أن يطبع تشكيلات أخرى بطابعه. [2]
لا يستخدم الإمام الصّدر التّعبير السّائد من أنّ الأسرة هي الخلية الاجتماعيّة الأولى، بل قال: «إنّ الأسرة تشكّل جانبًا مهمًّا من حياة المجتمع البشري». ترك الأولوية لأنّها ترتهن لصفتها، فالخلية الأولى أو الخلية الأم تندثر بعد أن تتوالد، فينعدم تفاعلها، وإن أولدت مجموعة من الخلايا، منها ما لهُ مهامها، ومنها ما لهُ مهام أخرى، وقد تكون للأسرة هذه الطّبيعة، ولكن طبيعة أخرى للأسرة لا تشارك فيه الخلية بمفهومها. وهذه الطّبيعة هي التّراكم الثّقافي وطاقة التّجديد من خلال التّوالد الفكري فضلًا عن التّوالد الجسدي، فطاقة الفكر لا اندثار لها. ولذا، تحدّث الإمام الصّدر عن الأهمّية وليس الأولوية، (وأهمّيتها أنّها تتفاعل مع المجتمع بصورة متقابلة متأثرة بالتّطورات الاجتماعيّة الاقتصاديّة والسكنية وغيرها، وتؤثر في المجتمع بدورها إذ تنعكس حالات الأسرة وأحداثها على المجتمع). [3]

نختم المبحث الثّالث بعبارات للإمام الصّدر مسجّلة بصوته يتكلّم فيها على كون الزّوجية هي مبدأ كوني عام، وأنّها سرّ استمرار النّوع، يقول:

«من الطّبيعي والمعروف أنّ البشر أزواجٌ، الذّكر والأنثى، وكذلك في الحيوانات أزواج. وقد كان الإنسان يعرف من قديم الزّمن، بعض الأزواج في النّباتات.

---

1 حسين شرف الدّين، مشاركة بعنوان: "الإمام موسى الصّدر في نظرة مختلفة للأسرة"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّاني، عنوانه: الأسرة واقع ومرتجى، م. م.، ص 239.

2 حسين شرف الدّين، مشاركة بعنوان: "الإمام موسى الصّدر في نظرة مختلفة للأسرة"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّاني، عنوانه: الأسرة واقع ومرتجى، م. م.، ص ص239 - 240.

3 م. ن، ص 240.

فكانـوا يعرفـون أنّ النّخيـل لـه ذكـر وأنثـى، وكانـوا يسـتعملون التّأبيـر[1]. أمّـا فـي بقيـة النّباتـات، وفـي بقيـة الموجـودات، فلـم يكـن يعلـم أحـد أنّ هنـاك أزواجًـا. فالعلم، لم يكـن قـد وصل إلى ما وصل إليه اليوم، وهو أنّ في كلّ شيء، وفي كلّ نـوع مـن أنـواع الموجـودات، إنسـانًا كان أم حيوانًـا أم نباتًـا، كلّ نبـات وحتّـى في الأجسام، وفي الموجودات غير الحية، وحتّى في الهواء، والرّياح، والصّواعق، والقـوى والطّاقـات الموجـودة فـي الكـون فيهـا كلّهـا أزواج[...]

في النّباتـات جميعها يوجد الزّوجـان، والزّوجـان هما السّبب لبقاء النّبات، وجنسه ونوعه على وجه الأرض. إذًا، في كلّ ما تنبت الأرض، خلق اللّه الأزواج[...].

وهنا نصل إلى ما اكتشفه العلم حول الذّرة، وما في الذّرة من الطّاقات السّالبة والموجبة؛ وتزاوج الطاقات السالبة والموجبة هو المكّون للمادة. وفي الصّواعق، وفي الكهرباء، وفي الموجودات الأخرى الّتي تتكون من الذّرات، ومن الطّاقات، نجد هذا التّزاوج قائمًا.

والحقيقة أنّ معنى الأزواج يتخطّى نطاق الذّكورة والأنوثة في الطّاقات وفي المواد. والقرآن الكريم لا يقف عند كلمة الذّكورة والأنوثة، وإنّما يتحدّث عن معنى الأزواج. فإذا قلنا إنّ الأزواج، ذكر وأنثى، يصح أن نقول إنّ الأزواج أيضًا سالب وموجب.

وعند ذلك، ننتقل إلى المعنويات الموجودة في العالم والأحاسيس المتقابلة في البشر الّتي تتجاوز نطاق الذّكر والأنثى. فهناك الفاعلية والانفعالية في الأخلاق، وهناك القيادة والانقياد في الموجودات وفي البشر، وهناك العطاء والأخذ في كلّ شيء.

هذا التركيب الازدواجي الثّابت في الموجودات جميعها أمر معروف علمًا وفلسفة وتجربة. والغريب أنّ هذه الآية القرآنية **﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلّها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾** [يس، 36] مثل بقية القرآن الكريم قد نزلت قبل قرون وقرون، وقبل مئات السّنوات من تاريخ اكتشاف هذه الآراء وهذه المعلومات». [2]

---

1 التّأبير أي التّلقيح.

2 موسى الصدر، تفسير بعنوان "التسبيح والتنزيه"، ضمن كتاب: أحاديث السّحر، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للدّراسات والأبحاث، بيروت، الطّبعة الثّانية،2011، ص217.

المبحث الرابع
الأسرة والمجتمع

يقول الإمام الصّدر بأنّ الأسرة تشكّل جانبًا مهمًّا في حياة المجتمع البشري، وتتفاعل مع المجتمع بصورة متقابلة، فتتأثر بالمجتمع وتؤثر فيه. لذلك، فإنّ دراسة هذا الموضوع لها بعدان متقابلان:

- تأثير المجتمع المتطوّر في الأسرة.
- تأثير الأسرة في المجتمع.[1]

ويمكن إيجاز رؤية الإمام للموقف الإسلامي في موضوع المجتمع في النّقاط الآتية:

1 - المجتمع الّذي يقترحه الإسلام هو المجتمع الإنساني الحيّ الّذي يرتبط الأفراد فيه بعضهم ببعضهم الآخر من خلال عطاء مطلق لا يُحدَّد بثمن.

2 - إنّ العمل رسالة يجب تحقيقها ببذل كلّ ما في طاقة الفرد، فهو قطعة من وجود الإنسان ذابت، فتحوّلت إلى عمل.

3 - العمل حيٌّ مثل الإنسان، عبادةٌ لا يمكن تجميدها ولا تثمينها. والمجتمع الّذي يتكوّن من هذه الأعمال، وهذه العلاقات، مجتمع حيّ كمثل الجسم الواحد على حدِّ تعبير الحديث الشّريف.

4 - ينبع العمل بهذه الصّورة من الإيمان بالمطلقات وبالقِيم الّتي لا ينفصل الإيمان بها عن اللّه.

5 - يهدف المؤمن باللّه من خلال عمله إلى هدف أكثر سموًّا هو كماله، ولذلك، فإنّ عمله هو حركته التّكاملية نحو الأفضل، ولا يقصد من خلاله الوصول إلى الأجر الّذي يقدّم له مجتمعه، بل الأجر الّذي هو واجب مجتمعه تجاهه، وليس لعمله.[2]

أمّا رؤية الإمام الصّدر لبنية العائلة وسبل تدعيمها لتصير فاعلة وتبني مجتمعًا

---

1 **موسى الصّدر،** محاضرة بعنوان "الإسلام والأسرة في مجتمع متطوّر"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 240 – 241.

2 **حسين شرف الدّين،** مشاركة بعنوان: "الإمام موسى الصّدر في نظرة مختلفة للأسرة"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّاني، عنوانه: الأسرة واقع ومرتجى، م. م.، ص 244 – 245.

حيًّا مترابطًا إنسانيًا، فنجملها في الفقرات الآتية:

أولًا: المسؤولية الاجتماعيّة على مستوى الأمّة

يؤكد الإمام الصّدر أنّ النّبي الأكرم (ص) عمل على صعيدَين: وضع الأسس السّليمة لتربية الفرد، ووضع الأسس لتكوين المجتمع. [1]
ويعدُّ الإمام المسؤولية الاجتماعيّة هي عملية تربويّة تبدأ في حضن الأسرة. وأنّ هذه المسؤولية لاحقًا هي تفاعل مشترك بين الفرد وبين الجماعة. كلٌّ يقوم بدوره تجاه الآخر، لتحقيق العدالة الإنسانية الّتي هي هدف الأنبياء والرّسل. لذا، كانت للدّين مكانة بارزة وأصيلة في تحمُّل المسؤولية الاجتماعيّة وفي دعوة المتديّنين بخاصّة، والنّاس بعامة إلى عدم التّخلّي عن تلك المسؤولية. [2]

ثانيًا: الإنســان - الطّفل

تعدّ مرحلة الطّفولة من أكثر المراحل أهمّية في حياة الإنسان وأكثرها خطورة، فهي تتميّز عن غيرها بصفات وخصائص واستعدادات، فهي أساس لمراحل الحياة التّالية. ففيها، تتّفتق مواهبه، وتبرز مؤهلاته، وتنمو مداركه، وتظهر مشاعره، وتتبيّن أحاسيسه، وتقوى استعداداته، وتتجاوب قابلياته مع الحياة سلبًا أم إيجابًا، وتتحدّد ميوله واتجاهاته نحو الخير والشّر، وفيها تأخذ شخصيته بالبناء والتّكوين لتصير مميّزة عن غيرها من الشّخصيات الأخرى. [3]
ولهذا يترتّب على الوالدين واجب من أكثر الواجبات الدّينيّة والأدبية كبرًا، وهو تربيه الطّفل جسميًّا وعقليًّا، وتدريبه فكريًّا وعلميًّا، وتثقيفه أدبيًّا واجتماعيًّا ليكتسب العادات الفاضلة، وتنغرس فيه جذور الأخلاق الكريمة سواء من طريق القدوة الصّالحة، فلا يسمِّعانه إلّا ما فيه الخير وحبّ الفضيلة، وكلّ ما يبعده

---

1 **طلال عتريسي**، مشاركة بعنوان: "مسؤولية الإنسان الاجتماعيّة في فكر الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، عنوانه: اجتمعنا من أجل الإنسان– الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، م. م.، ص133.

2 م. ن، ص 134 – 135.

3 **محمد منير سعد الدين**، مشاركة بعنوان: "إنسانية الطّفولة والشّباب في الفكر التّربوي للإمام السّيّد موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، عنوانه: اجتمعنا من أجل الإنسان– الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، م. م.، ص 105.

مـن الشّـر والعـادات الرّذيلـة، أو مـن طريـق التّلقيـن والتّعليـم والتّفكيـر، فيربّيانـه ويوجّهانـه ويعلّمانـه مـا يغـرس فيـه الإيمـان ويحبّـب إليـه الصّـدق والاسـتقامة وحـبّ الخيـر. [1]

ثالثًا: الإنســان - الشّاب

الشّـباب هـم أعمـدة المجتمـع، ويقـوم عليهـم بنـاء الأمـة، والاهتمـام بهـم يعـود إلى أنّهـم أقـرب إلى الفطـرة، ويمثّلـون أغلبيـة الأمـة. وهـم رجـال الغـد وأمّهـات الجيـل القـادم، ودرع الأمـة الّتـي يدفـع عنهـا الأعـداء، ويجمعـون بيـن الحيويـة والوعـي؛ فهُـم الطّليعـة والمحـرّك والمجـدّد والأمـل.
يعيـش الشّـباب فـي مجتمـع بـرزت فيـه تحدّيـات مـن الانحـلال الخلقـي والفسـاد الاجتماعـيّ، إذ مـن الصّعوبـة بمـكان - وهـم عـلى هـذه الحـال - أن يتماسـكوا عـلى الأخـلاق، وأن يتحصّنـوا بـدرع الفضيلـة، وأن يسـيروا مطمئنيـن فـي طريـق التّسـامي. إنّ بنـاء الشّـباب فـي مجتمعنـا محفـوف بالمخاطـر، والطّريـق إليـه تـزداد تعقيـدًا يومًـا بعـد يـوم. ومعنـى هـذا أنّ الجـذوة والموقـد فـي بنـاء مجتمعاتنـا وحضارتنـا فـي محنـة وأزمـة، وأنّ مسـتقبلنا كلّـه فـي أزمـة، مـا دام الوقـود لاهثًـا مهـدّدًا بالانطفـاء أمـام هـذا الوضـع الّـذي يعيشـه الإنسـان الشّـاب. وقـد توجّـه الإمـام كعادتـه لاقتـراح الحلـول الإيجابيّـة لذلـك. [2]

رابعًا: حريّة البنت في اختيار الزّواج والزّوج

يـرى الإمـام الصّـدر فـي موضـوع الـزّواج بـأنّ الحـقّ الأساسـي فـي الاختيـار للفتـاة. فهـي الّتـي تتـزوّج، والـزّوج يقبـل الـزّواج ويوافـق عليـه. أمّـا حـقّ الأب فهـو حـقٌّ تشـريعي واستشـاري. فـي حيـن إذا امتنـع عـن الموافقـة عـلى زواج ابنتـه، وكان فـي الـزّواج مصلحـة حقيقيـة للبنـت، وبالتّعبيـر القرآنـي إذا عضلهـا، يسـقط حقّـه. وأمّـا

1 محمد منير سعد الدّين، مشاركة بعنوان: "إنسانية الطّفولة والشّباب في الفكر التّربوي للإمام السّيّد موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، عنوانه: اجتمعنا من أجل الإنسان– الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، م. م.، ص 106.

2 م. ن، ص 111.

بالنّسبة إلى سائر الأقرباء، فلا يعترف الشّرع لهم بأيّ حقّ. ولا يستطيع الأبوان إجبار البنت على الزّواج، ويكون باطلًا إلّا إذا رضيت المرأة مؤخرًا. كما يمكن إدخال كثير من التّطورات في الزّواج الإسلامي من طريق وضع شروط ضمن العقد. [1]

يستدلّ الإمام الصّدر بالآية القرآنية الآتية: **(وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ)** [النّساء/ 19]، على عدم جواز إكراه البنت على الزّواج، أو منعها منه. نعم للأب حقّ في أن يشارك ابنته في اختيار الزّوج، ولا يحقّ للبنت أن تتزوّج في الزّواج الأول من دون رضى والدها،[2] لأنّ اللّه لا يأمر بإطاعة الوالدين، بل يأمر بالإحسان إليهما؛ وحقّ الفتاة في اختيار الزّوج حقٌّ أساسيّ. [3]

خامسًا: قواعد لتطوير الأسرة في مجتمع متحوّل

يعدّ الإمام الصّدر أنّ من أكثر معالم الأسرة أهمّية في مجتمع متطوّر معاصر هو تزايد الحاجات في شؤون الحياة المختلفة والّتي تتطلّب مزيدًا من الجهد لأجل تأمينها، فيضطرّ الرّجل إلى تطوير عمله أو تغييره أو حتّى النّزوح إلى المدينة أو العاصمة أو الهجرة لتأمين هذه الحاجات المستحدثة، أو تضطر المرأة في بعض الأحيان لأن تعمل. [4]

تنعكس هذه العوامل بصورة واضحة على حياة الأسرة والعلاقات الأسرية، فضلًا عن أنّ مجرّد تزايد الحاجات يزيد من عوامل تغيّر هذه العلاقات، لأنّ الوقت المطلوب لزيادة النّشاط وغياب الرّجل في حالات الهجرة أو النّزوح، وتغيُّر الظّروف عندما تهاجر أو تنزح الأسرة. وهكذا، إنّ غياب المرأة عن البيت وبقاءها في عملها واستقلالها المادي وغير ذلك من المؤثّرات، لها مفعول عميق في

---

1 موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان "الأديان، والمذاهب وشؤون المرأة"، جريدة النّهار بتاريخ 27 نيسان 1969، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2007، ص 44.

2 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "المرأة في الإسلام"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 402.

3 موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان "الأديان، والمذاهب وشؤون المرأة"، جريدة النّهار بتاريخ 27 نيسان 1969، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، م. م.، ص 36.

4 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "الإسلام والأسرة في مجتمع متطوّر"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.،ص 241.

العلاقـات الأسـرية بصـورة مباشـرة أو غيـر مباشـرة.[1]
وقـد اقتـرح الإمـام الصّـدر فـي إطـار مشـروعه الإسـلامي لحـلّ مشـكلة الأسـرة والعلاقـات الجنسيّة في مجتمعٍ متطوّرٍ، مجموعـة أصول يجـب أن تُراعـى للحفاظ عـلى سـعادة الأسـرة:
1 - لا مانع إطلاقًا من عمل المرأة في الإسلام.
2 - ليـس مـن الواجـب على المـرأة التطـوّع لخدمـة البيـت وتقديـم الخدمـات للطّفـل أو الـزّوج.
3 - إنّ المـرأة لا تُجبـر عـلى الـزّواج، فلهـا أن تختـار الحيـاة العامـة. لكـن عندمـا تختـار حيـاة الأسـرة، فعليهـا أن تتقـن العمـل وتـؤدّي الرّسـالة لأنّهـا التزمـت بهـا. وهنـا يضيـف شـرطًا، وهـو أنّ المـرأة المتزوجـة لهـا أن تعمـل، شـريطة عـدم تأثيـر عملهـا فـي مهمّاتهـا الأسـرية.
4 - تأميـن السّـكن المنفصـل مـن واجبـات الـزّوج، ويعـدّ جـزءًا مـن الإنفـاق الـلّازم عليـه، وتأثيـر السّـكن فـي وضـع الأسـرة وتطويرهـا واضـح.
5 - يجـوز تحديـد النّسـل برضـا الزّوجيـن، فإنّهمـا الوحيـدان الصّالحـان لتحديـد حجـم العائلـة.
6 - يمكـن تطويـر صـورة الـزّواج، ومواقـع الطّـلاق، وأوضـاع الحضانـة وتفاصيـل الحيـاة الزّوجيـة مـن خـلال الشّـروط الـواردة ضمـن العقـد؛ فبإمـكان أحـد الزّوجيـن وضـع تفاصيـل عـن السّـكن والإنفـاق والعلاقـات المتنوعـة بينهمـا بمـا يتناسـب مـع مصالـح تطـوّر الأسـرة، كشـروط ضمـن العقـد.[2]
وبإمـكان المـرأة أن تضـع شـرطًا ضمـن العقـد يحـدّد صلاحيـات الرّجـل فـي الطّـلاق، وذلـك مـن طريـق ذكـر شـرط فـرض نفقـات أو دفـع مبالـغ عندمـا يبـادر بالطّـلاق بغيـر سـبب مبـرر. ومـن الممكـن اعتمـاد المحكمـة أو لجنـة التّحكيـم لتمييـز السّـبب المبـرر. وبإمكانهـا أيضًـا أن تطلـب الوكالـة فـي الطّـلاق للمحكمـة أو للجنـة التّحكيـم فـي حـالات مختلفـة، وبالإمـكان تحديـد إدارة شـؤون الطفـل بعـد الطّـلاق مـن طريـق شـروط ضمـن العقـد بـدلًا مـن الحضانـة التّقليديـة.
ولتنظيـم هـذه الشّـؤون كلّهـا يمكـن للمؤسسـات المسـؤولة أن تـدرس أوضـاع الأسـر

---

1 م. ن.، ص 242.

2 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "الإسلام والأسرة في مجتمع متطوّر"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 249 – 250.

وكيفية تنظيمها في الظّروف الاجتماعيّة المتنوعة، وتضع نماذجَ لعقود الزّواج تقر عند إجراء الصّيغة، لكي يتمكّن الزّوجان من معرفة حقوقهما، والاستفادة من هذه الحقوق من طريق ذكر الشّروط ضمن العقد.
يصل الإمام الصّدر من خلال هذه الاقتراحات الّتي قدمّها إلى نتيجة مهمّة، وهي أنّ الوضع القانوني للأسرة في مختلف الظّروف والأحوال يمكن تنظيمه خلال الأحكام الفقهية الإسلامية، وذلك لكي لا تخرج الأسرة من ضمن حركة التّطوير في المجتمع عن إطارها الصّحيح، فتضيع الحقوق. [1]

سادسًا: بقاء الأسرة ليس ببقاء الابن الذّكر

لا يعدّ الإسلام بقاء الأسرة مرهونًا ببقاءِ ابنٍ ذكر منها، بل وجود البنت يكفي لبقاء الأسرة. ودليل ذلك شخص النّبي محمّد(ص) الّذي لم تبقَ منه إلا بنت واحدة هي فاطمة (عليها السّلام). فالقرآن الكريم يردّ على من يقول: إنّ محمدًا (ص) صار أبترَ بعد وفاة ولديه: **(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)** [الكوثر/ 3-1]، ليس أنت، عدوّك أبتر... أنت لست أبتر، أنت عندك الكوثر، عندك فاطمة الزهراء. يعني الرّجل إذا كان له بنت، ليس أبترَ. الأسرة باقية ببقاء البنت. قال النبي محمد(ص): «أسرتي من فاطمة». [2]

نختم المبحث الرّابع بكلمات للإمام موسى الصّدر يتكلم فيها على جيل الشّباب وطموحاته بعقلانية ورحمة، يقول:

«مع الاعتراف بأنّ للشّباب تمنيات خاصّة، فهذا لا يعني أن ينجرفوا أو يفرطوا في تمنياتهم حتّى تبقى أبدانهم وعقولهم بمأمن من النّوازل، ولهذا أقابل شبابنا بشيء من التّسامح وشيء من النّصح. إنّني، وأنا أنظر إلى الشّباب، أفتح عينًا وأغمض عيًنا، أمّا أمّنيتي فهي أن يكونوا دائمًا عند حسن ظن الوطن بهم،

---

1 **موسى الصّدر،** محاضرة بعنوان "الإسلام والأسرة في مجتمع متطوّر"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 250.

2 **موسى الصّدر،** محاضرة بعنوان "المرأة في الإسلام"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 400.

لأنّهم دعامته، ولأنّهم ريحانته وعصبه، ولأنّ روائح الجنّة في بُرَدِهم. أمنيتي ودعائي أن تتحقّق أمانيهم القوميّة والأدبيّة والخلقيّة، ليكونوا أقوى سندًا وأغلى قيمة في مجتمعهم الّذي ارتضاه لهم ربّهم». [1]

---

1 موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان"الدّين والعمل الاجتماعيّ"، جريدة الحياة بتاريخ 22 كانون أول 1961، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2007، ص 19.

المبحث الخامس
الأدوار والواجبات داخل الأسرة

أولًا: علاقة الطّفل بوالديه

لا يمكن لمولود الإنسان مواصلة الحياة بمفرده، فحاجته إلى الرّعية تستمرّ لسنين طوال. وعلى الرغّم من أن حاجة الوليد البدنيّة والماديّة تؤخذ بالحسبان، فإنّ نفسيّته وشخصيّته كذلك تأخذان في التّكوّن في فترة النّموّ الأولى بالذّات، وتوضع اللّبنة الأساس في بنائها. لهذا، عدّ القرآن تشكيل الأسرة هدفًا لتأمين السّلامة النّفسيّة لثلاثة أجيال، هم: الزّوجان والآباء والأبناء وأقرباؤهم، واستعدادًا للمواجهات الاجتماعيّة، يقول سبحانه وتعالى: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [الفرقان/ 74].
إذًا؛ الأسرة هي القدوة لتكوين المجتمع المثالي للإنسان. كما توصف العلاقات العائلية السليمة النّيّرة مثالًا للمتّقين ومبتغاهم. وضمن الوحدة الاجتماعيّة للأسرة يكون الوالدان المثال الأعلى للأبناء منذ ولادتهم. ويكمن هنا الدّور والمعنى الأكثر أهمّية للأسرة في مجال تحسين الوضع البشري. [1]
يجد الطّفل في بداية حياته أمَّه أمام عينيه، فتكون بالنّسبة إليه النافذة الّتي يطلّ منها على العالم، والعين الّتي يختبر بها الوجود. وعلى شاكلتها تتكوّن رؤيته القاعدة، ومشاعره الأساسية ومفهومه عن كلّ شيء في الطّبيعة وفيما وراءها. فحينما تبرز الأمّ أمام الطّفل مُطْلَقة في الأمومة، متفانية في رعايته، ذائبة في عطائها، منكرة لذاتها ولذاتياتها في سبيل طفلها. هكذا، يصير التّكوين الجديد.. الطّفل.. إنسانًا جديدًا.. مؤمنًا بالمطلق وبالقيم المثلى، مدركًا ذلك بعقله وبقلبه، مرتبطًا بأمّه، وبما تمثّله من قيم، وبمن تمثّله من المجتمع. والأب أيضًا عندما يتفانى في سبيل طفله والإنفاق عليه ورعايته وتربيته. والمعلّم الّذي ينشد تعليم الطّالب وتربيته بصورة مطلقة، وينظر إلى الأجر

---

1 **فاطمة الصّدر الطّباطبائي**، مشاركة بعنوان: "قراءة لمفهوم الأسرة من وجهة نظر القرآن"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّاني، عنوانه: الأسرة واقع ومرتجى،م. م.، ص 206.

كوسيلة لمتابعة رسالته. والطّبيب الّذي يوجّه خبرته إلى سلامة النّاس وحمايتهم من الأمراض من دون أن يجعل المال هدفًا أساسيًّا، وهكذا، ينمو الطّفل مؤمنًا بالمُثُل العليا، مرتبطًا بذاته في المجتمع إذ يصير جزءًا من مجتمع أبويه، مكمّلًا له. [1]

لكن، إذا كان وضع الأم مغايرًا لهذه الصّورة، يعتقد الإمام الصّدر بأنّ الطّفل يشعر بعطائها المحدود وخدمتها الموقوتة بساعاتٍ محدودةٍ، توفيرًا لطاقاتها أو صرفًا لها في الذّاتيات، واستبدالًا عن رعايتها بالغير، مقابل دفع عوض لذلك. عندما يجد الطّفل أمّه بهذه الصّورة فهو لا شكّ يتكوّن تكوينًا آخر.. تكوينًا لا يؤمن بالقيم والمثل الّتي لم يدركها أصلًا. وإذا آمن بها فالإيمان هو سطحي مهما حاول المربّون. وتبعًا لذلك، ينفصل الطّفل عن أمّه وعن مجتمعها لأنّ علاقته معها تحوّلت إلى أمر نسبي ومحدود يمكن التّعويض عنه.

كذلك الأب، إذا كانت أبوّته محدودة أو مُقتّرة أو يُستعاض عنها بمال، والمعلِّم الّذي يحوّل تعليمه إلى بضاعة تُباع أو تُؤجر. وكذلك، الطّبيب الّذي يتّخذ من عيادته محلًا تجاريًّا يبيع فيه العلاج، غير مبالٍ بما يفرضه عليه واجبه الإنساني. هؤلاء، وأمثالهم، يساهمون مساهمة فعّالة بتصرفاتهم في بناء كيان الشّباب كيانًا محدودًا، ومفصولًا فصلًا كليًّا عن الماضي.

ومن هذا المنطلق، يفسّر الإمام الصّدر وضع الشّاب في مجتمعنا المعاصر بعد أن فقد الرّعاية البيتية في الغرب والشّرق، وبعد أن وجد نفسه في رعاية الخادمات والممرضات، وفي حرمان كامل من الرّعاية الأبوية وعاطفة الأمّ المطلقة، وبعد أن عاش المجتمع التّاجر الّذي وضع لكلّ شيء ثمنًا حتّى للخدمات الدّينيّة. [2]

يرى الإمام الصّدر بأنّ غياب اللّه والمثل العليا عن حياة الشاب المعاصر وأعماقه يساعد على ظهور عدّة ظواهر، أهمّها:

1 - القلق: الّذي هو أثر للتّحرّك الشّامل وتغيّر كلّ شيء حول الإنسان. فالعلم والصّناعة والأنظمة الاجتماعيّة والاقتصاديّة في تغيّر دائم مترابطة بعضها ببعض. فيجد الإنسان ذاته في تحويل دائم، وعدم استقرار.

2 - تفكّك المجتمع: ضعف العلاقات الّتي تربط أفراد المجتمع بعضهم ببعض، إذ إنّ اختلاف المبادئ يجعل القواعد متفاوتة والمصالح متضاربة، فلا وحدة

---

1 موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان "الأسرة والشباب"، مجلة الإنسان الجديد المصرية، العدد الأول، 1972، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، م. م.، ص 218.

2 م. ن.، ص 219.

تربط بين الأفراد وتجمعهم، ويتحوّل التّنافس الذّاتي في هذا الوضع إلى صراع طبقيٍّ أو فئويٍّ مريرٍ لا يبشّر أبدًا بنتائج مثمرة. وهذا التّفكك قائم بين الماضي والحاضر وبينه وبين المستقبل أيضًا.

إنّ التّفكير والتّقدّم العلميين يفصلان بين الماضي والحاضر، ويدفعان الأجيال الصّاعدة إلى عدم الخضوع لأفكار السابقين، وعدم الرّضا والاكتفاء بإنتاجهم الفكريّ. فإذا انفصل ذلك الرّباط العاطفي فمعنى ذلك انفصال الأجيال بعضها عن بعض بصورةٍ نهائيةٍ. وربّما كان هذا هو السّبب الأساس لعنف الثّورات الشّبابية؛ بل نجد في الحركات الأخيرة في العالم تحطيمًا كاملًا وإهانة لإنتاج السّابقين كلّه. وتزداد المشكلة تعقيدًا عندما تزداد سرعة التّغيير في المجتمع الإنساني العام في العلوم والصّناعات والأنظمة الحياتية المتنوعة. إذ في ظلّ غياب المطلق، من شأنها أن تجعل الوجود الإنساني كلّه في تغيير سريع وخلق دائم. [1]

يقول الإمام الصّدر: إنّ الإنسان هدف الوجود وبداية المجتمع والغاية منه والمحرّك للتّاريخ. ولهذا، يرى أنّ الإسلام يفرض على الوالدين رعاية الأولاد بشكل الحضانة والولاية، يؤكّد أنّ تربية الطّفل تعادل رسالة الإنسان في حياته، إذ يكون الفرد من خلال تربية أطفاله مثالًا لهم بحمل الرّسالة.

إنّ الوالدين اللّذين يقومان بدورهما بصورة رسالية، وإلى درجة مطلقة من التّفاني في خدمة الطفل، يغمران مشاعر الطّفل، ويملآن عقلَه إيمانًا وقلبَه حبًّا ووجودَه رعاية. ويعيش الطّفل وينمو في هذا البحر المتدفّق مؤمنًا، مكمّلًا لرسالة والديه، وفيًا لعطائهما ولجيلهما. [2]

يؤكد الإمام الصّدر أنّ تغيّر مفهوم العطاء لدى الأهل، أكثر الأسباب أهمّية وراء فقدان الأسرة قيادتها على الأولاد، وبالتّالي الانفصام بين الأجيال.[3] إنّ فقدان الأسرة قيادتها على الأولاد مأساة إنسانية كبرى، وهي وراء الانفصام بين الأجيال. ويعتقد أنّ السبب ليس في وسائل الإعلام وتطوّر التّكنولوجيا والصّناعات، بل السّبب الأساس لتلك المأساة هو في تغيّر مفهوم العطاء

---

1 **موسى الصّدر،** حوار صحفي بعنوان "الأسرة والشباب"، مجلة الإنسان الجديد المصرية، العدد الأول، 1972، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، م. م.، ص 220.

2 م. ن.، ص 366.

3 **موسى الصّدر،** حوار صحفي بعنوان "المؤسسة الدّينية والنّهضة وقضايا المرأة والأسرة"، مجلة كلّ شيء بتاريخ 16 نيسان 1973، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، م. م.، ص 267.

لدى الأهل. فالأب وجه اللّه على الأرض، صار عطاؤه محدودًا ومقيّدًا. والأم الّتي تترك طفلها أو ولدها في عناية الخادمة أو المربيّة وتذهب لقضاء السّهرة خارج البيت، تكون قد قصّرت في بذل حنانها غير المحدود، واستبدلته بعطاء الخادمة أو المربيّة الناقص. [1]

الغياب الّذي يراه الإمام الصّدر نتيجة ازدياد الحاجات من جهة والنّشاط لتأمينها من جهة أخرى، يؤدِّيان في نظره إلى علاقات أسرية مهتزّة بدخول عنصر جديد على النّظام الأسري، وهو ما يسمّيه الإمام بالرّعاية البديلة بقوله: «إنّ الطّفل الّذي يشعر بحاجة إلى الرّعاية الدّائمة المطلقة، يرى نفسه في رعاية بديلة عن الوالدين - من شخص أو مؤسسة - والرّعاية هذه تحصل مقابل ثمن ما، أمّا رعاية الأبوين فلا تحصل إلّا في بعض الأوقات، وفي حدودٍ معيّنةٍ». [2]

تفجِّر الرعاية البديلة المأجورة الأقانيم الثّلاثة (السّكن، المودّة، الرّحمة). فهدم عنصر الرّحمة الّتي تتوج الأقانيم، إذ إنّها الحالة التّصاعدية لروحية السّكن بما فيه من اطمئنان واستقرار، والمودة بما فيها من تبادل للمحبّة، وتحاضن للألفة، تتصاعد هذه المشاعر لكون الرّحمة عطاء بلا عوض، بلا مقابل، بسعادة غامرة بأنّ عطاءً وقع يسلم الرّحيم إلى نشوة الرّحمة. وإذا بالأسرة، بناء للضّرورة تلقي زمام المنزل ورعاية الطّفل إلى عاملة أو مدرسة داخلية أو حضانة، إذ تنعدم المودة لتحلّ محلّها الوظيفة، وتستبعد من العلاقات الجديدة للرحمة. [3]

يطرح الإمام الصّدر نظرة مختلفة في التّطوّر الاجتماعي من خلال التّنامي العاطفي والتّباين النّظري، إذ يعّبر عن هذا بالقول: «وهذا التّرابط العاطفي القلبي إلى جانب التّغيّر العقلاني، هو الّذي يجعل الأولاد مكمّلين لدور الآباء، إنّهم مجددون، ولكنّهم يشكّلون استمرارًا لوجود الأجيال السّابقة»، نفهم من كلامه أنّه يعدّ التّباين الفكري يجب أن تحكمه العاطفة ليتمّ تلاقح فكري فينتج تطورًا؛ يعني أنّ العاطفة هي الكابح للتّباينات، فلا تجمح بقفزات أو حرق مراحل، بل حركة تنامٍ طبيعي يُكسب المجتمع متغيّرات هادئة بنضوجٍ مثمرٍ[4].

---

1 **موسى الصّدر،** حوار صحفي بعنوان: "المؤسسة الدّينية والنّهضة وقضايا المرأة والأسرة"، م. م.، ص 275.

2 **موسى الصّدر،** محاضرة بعنوان: "الإسلام والأسرة في مجتع متطوّر "ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م.م.، ص 242.

3 **حسين شرف الدّين،** مشاركة بعنوان: "الإمام موسى الصّدر في نظرة مختلفة للأسرة"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّاني، عنوانه: الأسرة واقع ومرتجى، م. م.، ص 241 -242.

4 **حسين شرف الدّين،** مشاركة بعنوان: "الإمام موسى الصّدر في نظرة مختلفة للأسرة"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّاني، عنوانه: الأسرة واقع ومرتجى، م. م.، ص 243.

ثانيًا: علاقة الأبناء بالأم

كانت المجتمعات القديمة تعتقد أنّ الأبناء من الرّجل، والمرأة ظرف. لكنّ القرآن الكريم يقول: **(الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)** [النّساء/ 1]؛ يعني الطّفل من الأب والأم معًا، يقول سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى) [الحجرات/ 13]. فإذًا، الطّفل وليد الأب والأم معًا، أيّ، بدنيًّا ونفسيًّا، الأب والأم يكوّنان الطّفل، ولهذا الشّيء أثر عميق في حياة المجتمع. فإذًا، أولًا تعدّ المرأة في تفسير الدّين إنسانًا كاملًا، ثانيًا لها دور أساسي في تكوين الطّفل. [1]

مهام الأم وأدوارها في حياة ولدها

تعدّ أحد أكثر أدوار المرأة أهمّية داخل الأسرة هو الأمومة. ويعتقد الإمام الصّدر أنّ الأمَّ لوحدها تقوم بمجموعة أدوارٍ مهمّة وأساسية من خلال أداء دور الأمومة. ومن أهمّ هذه الأدوار هي الآتية:

1. دور الطّبيب: يحتاج الطّفل ابتداءً من حمل الجنين في الرّحم إلى ما بعد الولادة إلى رعاية صحية حسّاسة جدًّا. والأم الواعية هي الّتي تنظّم حياتها بصورة تتمكّن من تكوين طفلٍ صحيحٍ قويٍّ، يتمكّن من أنّ يعيش في المجتمع بصورةٍ قويةٍ سليمةٍ، لا تكوين طفلٍ ضعيفٍ، مهزوزٍ، مريضٍ لا يتمكّن من تقديم خدمة مادية أو معنوية للمجتمع. إذًا فالأمّ لها دور الطّبيب. [2]

2. دور رجل الدّين: أعمال الأم لها أثر في حياة الطفل حتّى قبل ولادته؛ كخشوعها، وصلاتها، ودعائها في حالة الحمل ينعكس على الطّفل. وبالعكس، انحرافها وفسادها يؤثّران في تكوين الطّفل، لأنّه حينما يولد، يعيش في الأجواء الّتي تخلقها الأم. ويعدّ تكوين الطّفل من صنع الأم، ودور الأم هو دور عالم الدّين. [3]

3. دور المعلم: حينما يحرّك الطّفل لسانه يبدأ الأسئلة متوجّهًا إلى أمّه عن حقيقة الأشياء: الشّمس؟ القمر؟ المطر؟ الشّتاء؟ الضّوء؟... يسأل عن كلّ ما يخطر بباله. الأمّ الواعية تضع الأحجار الأساسية في تكوين حياة الطّفل. وهو

---

1 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "المرأة في الإسلام"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 399.

2 م.ن.، ص 408.

3 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "المرأة في الإسلام"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 408 – 409.

الّذي يتعوّد على المعرفة، وعلى الثّقافة، وعلى الوعي ليكونُ طفلًا سليمًا. أمّا الطّفل الّذي يتعوّد على السّحر والشّعوذة والأباطيل والجهل والظّن والتّطَيُّر والتّفاؤل والجن والعفريت وهذه المسائل، هذا الطّفل لا يرجى منه الخير.[1]

4. دور القاضي: يتنازع الأطفال في البيت، فسرعان ما يحكّمون الأم في مشكلتهم. يجب أن تحكم بالحقّ، لأنّها إذا أرادت أن تنحاز للولد أو للأكبر أو للأصغر أو لواحد منهما، سوف تخلق عقدة في نفوس أبنائها. وحينئذ يتعوّد على الباطل، على الظّلم، على الانحياز، وعلى الميل إلى أحد في الحياة.

على هذا الأساس، نرى أنّ للأم دورًا كبيرًا جدًّا في تكوين البشر كلّهم، فما من أحد إلّا وله أم، لأنّ تكوين الأسرة واجب ليس فوقه واجب، ودور الأم إصلاح المواد؛ أيّ خلق بشر صالح لتكوين المجتمعات. [2]

ثالثًا: واجب الأبناء تجاه والديهم

من وجهة نظر القرآن: ينبغي أنّ يكون تصرُّف الأبناء إزاء والديهما مقترنًا بالاحترام والمحبّة، وعليهم حفظهما ورعايتهما في كبرهما، يقول سبحانه وتعالى: **(وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالدين إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)** [الإسراء/23 - 24].[3] يؤكّد الإمام الصّدر أنّ اللّه لا يأمر بطاعة الوالدين أبدًا، إنّما يأمر بالإحسان إليهما، وعدم الإساءة حتّى في أقل درجاتها.[4] وبالطّبع، فإنّ الاحترام هذا لا يعني دعوة الابن إلى تقليد أبويه والمضي في طريقهما دون تفكير وتأمل. إذ أنّ ذلك برأي القرآن بعيدٌ من نهج الصّواب، يقول سبحانه وتعالى: **(وَإِذٰا قِيلَ لَهُمُا تَّبِعُوا مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ قٰالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مٰا وَجَدْنٰاعَلَيْهِ آبٰاءَنٰا أَوَلَوْ كٰانَ اَلشَّيْطٰانُ يَدْعُوهُمْ إِلىٰ**

---

1 م. ن.، ص 410.

2 م. ن.، ص 410 – 411.

3 فاطمة الصّدر الطّباطبائي، مشاركة بعنوان:"قراءة لمفهوم الأسرة من وجهة نظر القرآن"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّاني، عنوانه: الأسرة واقع ومرتجى، م. م.،ص 209.

4 موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان "الأديان، والمذاهب وشؤون المرأة"، جريدة النّهار، بتاريخ 27 نيسان 1969، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، م. م.، ص 44.

عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ [لقمان/ 21]. [1]

نختم المبحث الخامس بكلمات للإمام موسى الصّدر ينبّه فيها على مقام الأمّ في الإسلام، ويحثّ الأمّ على استحقاق ما أعطاها اللّه تعالى من مكانة في الأسرة وعند ولدها، يقول:

«من الّذي أتى بلا أمّ؟ فهنا نعرف أثر المرأة في تكوين المستقبل، هنا نعرف أنّ الأمّ كم تقدر أنّ تقدّم للعالم صلاحًا وإصلاحًا وخيرًا وتقوى، هنا نعرف كم أنّ الأمّ الصّالحة تخدم المجتمع، والأمّ غير الصّالحة كم تضرّ المجتمع. طيّب! هذا المقام الخطير العظيم الأساسي الّذي هو للأم، والمقام الّذي اللّه سبحانه وتعالى جعل حقّ الأم حقًّا كبيرًا، ويقول للطّفل مهما عملت في حقّ الأم فهو قليل، ويقول إذا حملتها على ظهرك وأخذتها للكعبة ماشيًا ما أدّيت واجبها لأنّها بدأت، هي الّتي بدأت بالإحسان، والرّوايات الكثيرة في حقّ الأم. طيّب! هذا المقام العظيم الّذي يعطيه اللّه للأم طبعًا يجب أن يقدّر الشّخص هذا المقام.

لماذا هذا المقام للأمّ؟ لتأثير الأمّ في حياة المجتمع.

اللّه سبحانه وتعالى، كلّما يعطي الإنسان شيئًا، يُحاسِبه على ما أعطاه [...] أعطى الأمّ هذا المقام العظيم وجعل الجنة تحت قدميها، يكلّفنا ويكلّف الأمّ بأن تعرف ما هي، [...] الأمّ التي تقوم بواجباتها تجاه أولادها، يعني تعدّ نفسها أمًّا، تصلح لصدق هذه الكلمة المقدّسة عليها». [2]

---

1 **فاطمة الصّدر الطّباطبائي**، مشاركة بعنوان: "قراءة لمفهوم الأسرة من وجهة نظر القرآن"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّاني، عنوانه: الأسرة واقع ومرتجى،م. م.، ص 210.

2 **موسى الصّدر**، محاضرة بعنوان"أثر الأمّ في تكوين المستقبل"، تسجيل صوتي من محفوظات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات.

المبحث السادس
العلاقات الأسريّة والاجتماعيّة

أولًا: العلاقات الأسريّة وحركات الشّبيبة

يعتقد الإمام الصّدر بأنّ العلاقات الوالدية تهتزّ بصورةٍ رهيبةٍ إذا استُبدلت الرّعاية الدّائمة المطلقة الوالديّة برعاية بديلة مقابل ثمنٍ ما. يفتقد الطّفل في مثل هذه الظّروف صفة الإطلاق في والديه، وبالنّتيجة يرى الوجود العام المتمثّل في وجودهما محدودًا نسبيًّا وسطحيًّا. ويتقلّص مقام الوالدين ومقام الوجود كلّه في نظر الطّفل وفي مشاعره. فيراه الطّفل محدّدًا مثمَّنًا، وتهتزّ العلاقات الوالدية كما تهتز العلاقات بين جيل الطّفل والجيل السّابق من خلاله[1].

يعتقد الإمام أنّ هذا هو تفسير حركات العنف الّتي يمارسها الجيل الصّاعد في عصرنا، اذ إنّ الأجيال المتعاقبة كان يرتبط بعضها ببعض، لا بالرّباط الفكري وبالوحدة العقلانية، إذ إنّها كانت دائمًا مفقودة، بل لقد كان التّفاوت في التّفكير والمنطق هو السّبب الأساس للتّكامل والخروج على الجمود. وكان الجيل الصّاعد المغاير منطقيًّا وعقليًّا للجيل الّذي سبقه يرتبط به بمشاعر عاطفية متينة، إذ كان يجد فيه الإطلاق في العطاء.

كانت الأمّ مثالًا للعطاء الدّائم الشّامل العميق اللّامحدود، وكذلك الأب والمعلم والطّبيب وغيره. وكان الطّفل ينمو من خلال هذه الصّورة الجذّابة عن الحياة وعن الماضي، ينمو ووجوده ممتلئ بمشاعر الحبّ والاحترام، ويرتبط برباطٍ وثيق من الوفاء والشّعور بالمسؤولية. وهذا التّرابط العاطفي القلبي إلى جانب التّغاير العقلاني هو الّذي يجعل الأولاد مكمِّلين لدور الآباء، إنّهم مجددون ولكنّهم يشكّلون استمرارًا لوجود الأجيال السّابقة. هذه المشكلة تظهر في الخطّ العمودي وفي العلاقات الوالدية. [2]

أمّا في الخطّ الأفقي، إنّ العلاقات الزّوجية، والتّباعد الزّماني والمكاني وانشغال

---

1 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "الإسلام والأسرة في مجتمع متطوّر"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 242.

2 م. ن.، ص 243.

كلٍّ من الزّوجين بعمله الخاص وبأجوائه الخاصة، وتقليص العطاء الزّوجي بمعناه الشّامل، وما يرافق هذه العناصر من تصرفات وانطباعات تجعل العلاقات الزّوجية مهزوزةً والثّقة ضعيفةً والتّفاهم قليلًا. لأنّ نمو الفرد في الأسرة بمعزل عن الآخرين، نموًّا عقليًّا واجتماعيًّا، يجعل التّفاوت بين أفرادها ينمو فتحدث هوّة تتعمق باستمرار بين الزّوجين نفسيهما وبين الأولاد. [1]

ثانيًا: أساس مشكلة التّباعد في المجتمع والأسرة

يرى الإمام بأنّ حقيقة المشكلة أكثر بعدًا من حدود العلاقات الوالدية والعلاقات الزّوجية، بل تقتحم العلاقات الاجتماعيّة كلّها؛ فتعطي صورة خاصة عن المجتمع. إذ تقوم العلاقات بين أفراده على أساس العطاء المحدود المثمَّن. وتجعل التّفاعل بين الأفراد، تفاعلًا آليًّا، غير إنسانيٍّ، وبلا روح. ويرى أنّ السّبب الحقيقي لهذه المشكلة هو اعتماد المادة والمادية قاعدة لبناء الحضارة، وعزل ما وراء الطّبيعة عن التّأثير في الحياة كما ارتآه بُناة الحضارة الحديثة. [2]
إنّ المادة لا يمكن أن تكون مطلقة. ولذلك، فالعطاء البشري الّذي هو صلته ببني نوعه والّذي هو أساس تكوين مجتمعه، هذا العطاء قائم على أساسٍ ماديٍّ، فهو نسبي ومحدود، إذ ينطلق من دافع مادي ومحدود. فكلّ فرد يقدّم لمجتمعه عملًا يتحدّد بنسبة الأجر الّذي يأخذه من مجتمعه، وبمقدار المنفعة الّتي تعود عليه. يعيش كلّ فرد هذا المجتمع غريبًا ويرتبط مع الآخرين بحسب منافعه المشتركة معهم، فالمجتمع شركة تجارية كبيرة تضمّ شركات أصغر منها، باسم الأسرة والعائلة والطّبقة والصّداقة والوطن والأمة. وفي هذا المجتمع، يصير التّباعد الزّماني أو المكاني خطرًا على الأسرة وسببًا لاهتزاز العلاقات، إذ إنّ التّفاعل يتقلّص والمصالح المشتركة تتضاءل لمصلحة مصالح أخرى مشتركة بين أفراد الأسرة والآخرين. [3]

---

1 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "الاسلام والأسرة في مجتمع متطوّر، ضمن كتاب: موسى الصدر والخطاب الانساني، م، م.، ص 343.

2 م. ن.، ص 244.

3 م. ن.، ص 244.

ثالثًا: رأي الإسلام في العلاقات الاجتماعيّة

يعتقد الإمام الصّدر بأنّ المجتمع الّذي يقترحه الإسلام، هو المجتمع الإنساني الحي الّذي يرتبط الأفراد فيه بعضهم ببعض من خلال عطاء مطلق، لا يُحدّد ولا يثمَّن. وفي مثل هذا المجتمع، يكون العمل رسالة يجب تحقيقها ببذل كلّ ما في طاقة الفرد. ينبع العمل في هذه الحالة عن الإيمان بالمطلقات وبالقيم الّتي لا ينفصل الإيمان بها عن الإيمان باللّه. والمؤمن باللّه يهدف من خلال عمله إلى هدف أكثر سموًّا هو كماله. لذلك، فإنّ عمله هو حركته التّكاملية نحو الأفضل؛ ولا يقصد من خلاله الوصول إلى الأجر الّذي يقدّمه له مجتمعه، بل ما يُقدَّم له هو واجب مجتمعه تجاهه، وليس ثمنًا لعمله. ويصير العمل حيًّا مثل الإنسان: عبادةٌ، لا يمكن تجميده ولا تثمينه. والمجتمع الّذي يتكوّن من هذه الأعمال وهذه العلاقات هو مجتمع حيّ، كمثل الجسم على حدِّ تعبير الحديث الشّريف، وواحد متماسك الأجزاء وليس شركة وشركاء ومتحالفين. [1]

رابعًا: علاج تفشُّخ العلاقات الاجتماعيّة والأسريّة

يصل الإمام الصّدر من خلال رسم صورة المجتمع وتبيان أدوار الأفراد المطلقة جميعها، إلى تحديد دور الأمومة والأبوّة المطلقة، ويقدّم علاج المشكلة المطروحة. إذ إنّ الوالدين اللّذين يقومان بدورهما بصورة رسالية ومطلقة، وإلى درجة التّفاني في خدمة الطّفل، ويغمرانه بالمشاعر ويملآن عقله إيمانًا وقلبه حبًّا ووجوده رعاية، فإنّهما ينشّئان طفلًا يعيش وينمو في هذا البحر المتدفّق مؤمنًا، ملتزمًا، مكملًا لرسالة والديه ووفيًّا لعطائهما ولجيلهما. والزّوجان أيضًا يشكّلان وحدة متكاملة من خلال العطاء المطلق الرّسالي الّذي يقدِّمانه كلٌّ منهما للآخر ويقدِّماه معًا للأولاد. والمهم هو نوعية العطاء لا حجمه ولا كميته، فلو وَجد لمّا حصلت المشكلة في الأساس. [2]
يعتقد الإمام الصّدر بأنّ الإسلام لم يتوقّف عند تحديد المبدأ، بل يضع أطرًا

---

1 **موسى الصّدر**، محاضرة بعنوان "الإسلام والأسرة في مجتمع متطوّر"، ضمن كتاب: موسى الصدر والخطاب الإنساني، م. م.، 245-246 .

2 م. ن.، ص 245.

في باب العلاقات الأسرية لتطبيق هذا المبدأ، كي يضمن بقاءها ويصون الطّرح الاجتماعيّ الّذي ذكر. فيفرض على الوالدين رعاية الأولاد عبر الحضانة والولاية والتّربية، ويؤكّد أنّ تربية الطّفل تعادل رسالة الإنسان في حياته، إذ يكون الفرد من خلال تربية طفله مثالًا لنفسه يحمل الرّسالة؛ ويوجب على الولد الإحسان بالنّسبة إلى والديه. ويعدّ بيت المرأة مسجدها، وحُسن التّبعّل جهادها، ويعطي لعملها في البيت ولخدمة أولادها وزوجها طابع القداسة وعنوان السّجود وثواب الجهاد. ويصعّد الإسلام تشجيع الأم في العطاء حتّى يعدّ أنّ «الجنّة تحت أقدام الأمهات». ويضيف تعاليم لتنظيم العلاقات وتحديد واجبات الرّجل تجاه المرأة، ويكرّس هذا كلّه بفرض نفقة الزّوج دائمًا، ونفقة الوالد على الولد، والعكس في حالة احتياج أحدهما إلى الآخر. [1]

يعتقد الإمام الصّدر بأنَّه لا علاج لهذه المشكلة سوى بتقوية التّربية البيتية ودعمها، وإعادة الاعتبار للمبادئ المطلقة والمثل العليا، في علاقاتنا. وبذلك، نجعل الطّفل مرتبطًا بالماضي والمستقبل، مؤمنًا بالمُثل العليا، فنعيد إليه اطمئنانه واحترامه لماضي أمّته وتفانيه لبناء مستقبلها. [2]

بناءً على الحديث النّبوي الشّريف، فإنّ الأبناء أمانة بيد الوالدين يتعيّن رعايتها أيّما رعاية من دون الشّعور بغريزة التّملُّك. والابن بحاجة في نموّه إلى عطف الأب والأم وحنانهما. ولهذا الحبّ والارتباط أثران رئيسان. أولهما: أنّه من ضرورات التكامل وزرع الثقة والطمأنينة الأولية في نفس الإنسان. والثاني: أنه يمكّن الأطفال من التّودّد إلى الآخرين في علاقاتهم الاجتماعيّة. [3]

ونختم المبحث السّادس بكلمات للإمام موسى الصّدر يحمّل فيها الشّباب مسؤولياتهم في مجالات الحياة كلّها، يقول:

«من الّذي قال إنّ الشابّ مسؤولياته أقل؟ بالعكس، أكثر الواجبات الإلهية والمسؤوليات التاريخية الكبرى سُلّمت لأيادي الشّباب. استعرِضوا طريق

---

1 **موسى الصّدر،** محاضرة بعنوان "الإسلام والأسرة في مجتمع متطوّر"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنساني، م. م.، ص 246.

2 **موسى الصدر،** حوار صحفي بعنوان "الأسرة والشّباب"، مجلة الإنسان الجديد المصرية، العدد الأول، 1972، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، م. م.، ص 218.

3 **فاطمة الصّدر الطّباطبائي،** مشاركة بعنوان: "قراءة لمفهوم الأسرة من وجهة نظر القرآن"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّاني، عنوانه: الأسرة واقع ومرتجى،م. م.، ص 209.

الأنبياء، استعرِضوا طريق الأبطال، استعرِضوا طريق الثّوار لا نجد أبدًا أنّ الشّاب أُعفيَ من مسؤولياته كفرد. في حديث عن الرّسول الأكرم محمد بن عبد اللّه (ص) يقول: إنّ اللّه بعثني بالحق نبيا فآمن بي الشّبان.
أساسًا هم الشّبان الّذين تحمّلوا واحتضنوا رسالات السّماء. أمامكم الأنبياء كلّهم، أمامكم الرسل بمصطلحكم، أمامكم الحواريون، أمامكم دعاة الرّسالة الإلهية وبنائها كانوا كلّهم، أو أكثرهم إذا ما بالغنا، من الشّبان. استعرضت مرة استعراضًا سريعًا لسنين عمر الأنبياء وجدت أنّ كلّهم تقريبًا أصبحوا أنبياء في عمر الشّباب. ومن الغريب، أنّ أمامنا السّيّد المسيح هذا حسب رأي القرآن كان نبيًّا وهو في المهد منذ الطّفولة، وعلى كلّ حال كم كان عمره السّيّد المسيح حينما مات؟ كان عمره أربعًا وثلاثون سنة، يعني أقل من أكثر الشّباب الموجودين في هذها القاعة، ومع ذلك تحمّل المسؤوليات كما لا يتحمّلها أحد. والعملية لا تنتهي عند السيد المسيح، الرسول الأكرم (ص) أربعون سنة، وإبراهيم (ع)، كما يقول سبحانه وتعالى: **﴿قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يُقال له إبراهيم﴾** [الأنبياء، 60]، غيره وغيره، والأنبياء كلّهم شكّلوا الأمر نفسه.
وهكذا، فكرة الّلامسؤولية عند الشّاب فكرة خاطئة، ونحن نعرف أنّ هناك عمرًا للبلوغ الجزائي والبلوغ المدني، هذا الّذي نسمّيه: سن البلوغ. أكثر من هذا ليس هناك ما يسمى بالّلامسؤولية.
فإذًا، الشّاب مسؤولياته تكثر نتيجة لتمكّنه وكثرة كفاءاته، والقول باللامسؤولية هذا هو تحقير للشّاب ومؤامرة على الإنتاج للمجتمع. الشّاب تكّمن مسؤولياته منذ أن وعى كثيرة، بخاصة حينما لاحظنا أنّ المسؤولية عادة تنسجم وتُساوي الوعي. الواعي هو المسؤول بمقدار الوعي. فإذًا، لا بدّ لنا من الاعتراف بمسؤوليات الشّباب الكبرى».[1]

[1] **موسى الصّدر**، محاضرة بعنوان "شباب الجنوب"، 22 أيار 1971، مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات.



الفصل السّابع

علاقة الإنسان بالوطن والعالم

المبحث الأول
البعد الوطني في السّاحة اللّبنانية

المبحث الثّاني
البعد العربي في مسيرة الإمام الصّدر

المبحث الثّالث
البعد العالمي لمسيرة الإمام الصّدر



اجتماع أعضاء هيئة نصرة الجنوب عند الرئيس شارل حلو: الإمام موسى الصدر، المفتي سليم جلال الدين، القس وديع أنطون، المطران بولس الخوري، المطران أنطونيوس خريش، المطران جاورجيوس حداد، المطران إثناسيوس الشاعر والشيخ أحمد الزين.
(26 حزيران 1970)



الوَطَن والعالَم

في البحث عن البعد الوطني أو العربي أو الإسلامي أو العالمي لمسيرة الإمام الصّدر لا بدَّ من التّطرق إلى شخصيته وفكره ككل. فمسيرة الإمام الصّدر في لبنان لا تختلف في الجوهر عن مسيرته عندما كان في إيران أو في حركته على المستويين العربي أو العالمي، فنحن أمام شخصية استثنائية. كان الإمام الصّدر يملك مشروعًا إصلاحيًّا كبيرًا، ويكرّس حياته لتنفيذ هذا المشروع. لذا،ا نرى أنّ المواقف والأهداف عند الإمام الصّدر واضحة دائمًا وثابتة، تستند إلى المبادئ، ولا تتغيُّر بتغيّر المصالح الآنية.

وقد عبَّر عن ذلك في مقابلة صحفية بقوله: «إنّني لا أحسب العمل السّياسيّ أو الاجتماعيّ إلّا جزءًا من رسالتي الدّينية، بمعنى أنّ الإيمان باللّه في تصوري لا ينفصل عن الجهد في سبيل خدمة النّاس... ذلك المسلك الّذي يعتمد على الالتزام بالقيم الأخلاقية... لذلك، فإنّ اللّقاء والخلاف عندي لا يمكن أن يكونا نابعين من الظّروف، بل منطلقين من المبدأ». [1]

يصف السّيّد محمّد خاتمي الرّئيس الأسبق للجمهورية الإسلامية الإيرانية في المؤتمر العالمي لتكريم الإمام الصّدر في مدينة قم بإيران، شخصية الإمام بقوله: «إنّ يوم تكريم الإمام الصّدر في الحوزة العلمية (قم) يلهمنا أنّ المجتمع ينتظر رجالًا كهؤلاء من الحوزة العلمية في المستقبل، شخصيات يفكرون بمسؤوليات وطنيةٍ ودولية أكثر وسعًا لرجال الديّن، يرون الأمور من أفق عالميّ، ومن زاوية الزّمان والمكان، وفي نقاشاتهم وأبحاثهم الفقهيّة والعلميّة، ينظرون إلى الوجود من موقع أكثر علوًّا وأفق أوسع باتساع الأرض كلّها والزمان كلّه... إنّ سلوك الإمام الصّدر وسيرته تذكّرنا بجاذبية شخصية مولانا ودافعية ومولاه الفذّة الإمام علي بن أبي طالب (ع)». [2]

كما يُجمع زملاء الإمام الصّدر على أنّه لم يكن يدرك زمانه فحسب، بل كان

---

1 **موسى الصّدر**، مقابلة مع جريدة السّفير، بتاريخ 23/2/1977م، نقلًا عن محمّد علي مهتدي، مشاركة بعنوان: "البعد العربي- الإسلامي في مسيرة الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الرّابع، عنوانه: الهوية الثّقافية ـ قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 58.

2 **محمّد خاتمي**، كلمة في المؤتمر الأول لتكريم الإمام موسى الصّدر، في مدينة قم بتاريخ 29 أيار1999، نص غير منشور، من أرشيف مؤسسات الإمام موسى الصّدر.

دائمًا متقدّمًا على زمانه، فكأنّه كان يرى المستقبل مثلما يرى الآخرون الماضي أو الحاضر. ويعرف القريبون منه أنّ هذه الميزة لم تكن حالة طوباوية، بقدر ما كانت نتاج عقله النَّيِّر الّذي لا ينقطع عن القلب الودود وفكره الملتزم بالضّمير الواعي. فكان يحلّل الأحداث والتّطورات تحليلًا عقليًّا دقيقًا يمكّنه من الوصول إلى رسمٍ بيانيٍّ، يحدّد مستقبل هذه التّطورات في ضوء العناصر المؤثّرة كلّها في حركة الأشياء وتطوّرها. ويشهد له بذلك بعض زملائه الإيرانيين كالمفكّر الشّهيد مرتضى مطهري[1] وآية اللّه السّيّد عبد الكريم موسوي أردبيلي، ويقول هذا الأخير: «إنّ الإمام الصدر كان يتمتع ببعد النّظر، فكان ينظر إلى ما بعد الخمسين سنة المقبلة كما ينظر الإنسان إلى يومه أو غده».[2]

كانت مسيرة الإمام الصّدر في مراحلها المكانية والزّمانية كافة نابعة من منظومةٍ فكريٍّة متكاملة ترتكز إلى:

- الإيمان باللّه، وهو الأساس في هذه المنظومة، إذ يقول في نداء وجَّهه إلى اللّبنانيين عبر التّلفزيون مساءَ 29/1/1970: «الإيمان باللّه الّذي هو ثقة وطموح وأمل، الإيمان باللّه الّذي يوصل الموت بالحياة؛ فيمدّد وجود الإنسان وعطاءه، الإيمان الّذي يجنّد طاقات الفرد، ويوحّد طاقات الجماعة، وينسّق سلوك الإنسان مع حركة الكون في موكب الحياة من الأزل إلى الأبد». [3]

- دور النّاس في هذه المنظومة الفكرية، الناس كلّهم، خصوصًا النّاس المعذبين والمحرومين، إذ أكّد «ضرورة أن نبدأ التّغيير من قلب المجتمع من القاعدة وصعودًا إلى القمة وليس العكس. أمّا الحكّام، فبالإمكان مسايرتهم واتّباع أسلوب المماشاة معهم وإبقاؤهم دائمًا في حال من الخوف والرّجاء، من دون أن نهملهم أو نستفزهم كلّيًّا قبل أن يبلغ التّغيير في قاع المجتمع المستوى المطلوب». [4]

في فكر الإمام الصّدر، هناك جبهتان أو صفّان: جبهة النّاس المستضعفين والمقهورين والمعذّبين، بغضِّ النظر عن دينهم أو مذهبهم أو حتّى انتمائهم، وجبهة الطّغاة والظّالمين والمستعبدين، أيًا كان دينهم أم مذهبهم أم شعاراتهم

---

1 سبق تعريفه.

2 **محمّد علي مهتدي،** مشاركة بعنوان: "البعد العربي - الإسلامي في مسيرة الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الرّابع، عنوانه: الهوية الثّقافية ـ قراءات في البعد الثقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 59.

3 م. ن.، ص 60.

4 م. ن.، ص 61.

السّياسيّة.
وهو يعدّ في جبهة النّاس، أنّه يجب أن يكون الباب مفتوحًا للجميع، لا "فيتو" على أحد، لا تصنيف للناس: «إنّني لا أؤمن بتصنيف النّاس إطلاقًا، ولا أتصرف مع النّاس على ضوء الانتماءات السّياسيّة، يحقّ لكلّ إنسان أن يدخل من هذا الباب، ويشارك في العطاء في حدود مقدرته واستطاعته، يجب أن تثق بالنّاس ليثقوا بك».[1]
وفي هذا المجال، يشير الراحل الشّيخ محمد مهدي شمس الدّين: «بأنّ للإمام الصّدر إنجازّين مهمَّين: أولهما، أنّه جعل نفسه قوة كبرى في مجال التّنفيذ. لم يقبع في صومعة يعيد إنتاج ما كتبه الآخرون في مستوى النّظرية، وإنّما نزل إلى الشّارع ليفعّل ما حمله في سبيل التّنفيذ. وثانيهما، أنّ النّاس الّذين كانوا خارج وعي حقوقهم، أو خارج القدرة على المطالبة بحقوقهم، وهم المحرومون بالمعنى الاقتصاديّ أو السّياسيّ أو بالمعنى الإنسانيّ العام، جعلهم يتكلّمون. لم يتكلّم عليهم، ولم يحبسهم ويختزلهم ويختزنهم، أعطاهم أصواتًا ينطقون ويتكلّمون بها، فليس المهم أن نعي حاجات الآخرين، ولكن الأكثر أهمّية أن نهب النّاس ما يجعلهم يتحركون». [2]
انطلاقًا من فهمنا لشخصية الإمام الصّدر وفكره ومشروعه الحضاري الإصلاحي، يمكننا تتبع حركته وكيفية سعيه إلى تنفيذ هذا المشروع في مختلف السّاحات الّتي تحرك فيها، والتّحدّيات الّتي واجهته.

---

1 **محمّد علي مهتدي**، مشاركة بعنوان "البعد العربي- الإسلامي في مسيرة الإمام موسى الصّدر، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الرّابع، عنوانه: الهويّة الثّقافيّة- قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السيد موسى الصّدر، م.م.، ص 61.

2 **محمّد مهدي شمس الدّين**، مشاركة بعنوان: "أعطى المحرومين صوتًا"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّالث، عنوانه: بحثًا عن حقّ الإنسان، م. م، ص 35.

المبحث الأول
البعد الوطني في السّاحة اللّبنانية

تخرّج الإمام الصّدر من دراسته الفقهية في النّجف الأشرف بعدما بلغ مرتبة الاجتهاد، ليتوجّه إلى لبنان في أواخر العام 1959، بعد وفاة المرجع السّيّد عبد الحسين شرف الدّين. وكان هناك إجماع لدى زملائه جميعهم وأساتذته أنّه لو بقي في النّجف، لكان قد وصل إلى مرتبة مرجعية المسلمين الشّيعة على المستوى العالمي، لكنّه اختار أن يأتي إلى لبنان بعد زيارة استطلاعية، ليس لأنّ هناك مركزًا دينيًّا شاغرًا دعي إلى ملئه، بل لقناعته بأنّ الخصائص الدّيمغرافية والاجتماعيّة والثّقافيّة للمجتمع اللبناني متميّزة نظرًا إلى تعدّد العائلات الرّوحية المسيحيّة والإسلاميّة فيه. وهذا يمكّنه أن يكوّن أنموذجًا مصّغرًا عن العالم، ومكانًا مناسبًا للانطلاق بمشروعه الإصلاحي، ليكون المختبر الذي أمِل أن يعمّم نجاح تجربته فيه إلى المستويين الإقليمي والعالمي. وقد أعرب عن رؤيته هذه بقوله: «لبنان في هذه المرحلة بالذّات في تاريخ العالم، صار ضرورة حضاريّة قصوى للعالم - هذا العالم المترابط الّذي يضمّ الأديان. والتّعايش بين أبناء العالم من أجل استمرار الإنسان في بناء الدّولة الواحدة الكونية مرتبط ومتأثر إلى حدٍّ كبير بنجاح صيغة لبنان التّعايشية. فإذا سقطت تجربة لبنان سوف تظلم الحضارة الإنسانية لمدة 50 عامًا على الأقل».[1] وفي تصريح آخر في الفترة الزّمنية نفسها، قال: «إنّ القرن المقبل يجب أن يحتوي على أفضل الصّيغ لاحترام الحضارات والثّقافات كلّها، ولخلق التّفاعل التّام المتكافئ بينها، وبإمكان لبنان أن يكون أنموذجًا واقعيًّا لهذا المستقبل الّذي نحلم به».[2]

وقد تطابقت رؤيته لهويّة لبنان مع ما ذكره قداسة البابا يوحنا بولس الثّاني[3]

---

1 **موسى الصّدر**، حوار مع جريدة النّهار اللّبنانية بتاريخ 18/1/1977، نقلًا عن محمد علي مهتدي، البعد العربي- الإسلامي في مسيرة الإمام الصّدر، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الرّابع، عنوانه: الهوية الثّقافية ـ قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 64.

2 **رباب الصّدر**، مشاركة بعنوان: "في البحث عن الذّات، تلتقي جميع الثّقافات"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء السّادس، عنوانه: حوار الحضارات، اجتمعنا من أجل الإنسان، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطذبعة الأولى، 2002م، ص 15.

3 **البابا يوحنا بولس الثّاني** (1920 – 2005): هو بابا الكنيسة الكاثوليكية الرّابع والسّتون بعد المائتين منذ 16 أكتوبر 1978 وحتّى وفاته في 2 أبريل 2005 في حبرية طويلة دامت ستة وعشرين عامًا. ولد في 18 مايو 1920 باسم كارول جوزيف فوتيلا في بولندا. خلف البابا يوحنا بولس الأول

بعبارته الشّهيرة «لبنان أكثر من بلد؛ إنّه رسالة» ثمّ طوّر هذه الهويّة الثّقافيّة للبنان في الإرشاد الرّسولي بشأن لبنان،[1] إذ يؤكّد في صفحته الأولى أنّ «لبنان بلد طالما اتّجهت إليه الأبصار، ولا يمكننا أن ننسى أنّه مهد ثقافة عريقة، وإحدى منارات البحر الأبيض المتوسط».

على صعيد الممارسة العمليّة، لم يكتف الإمام الصّدر منذ وصوله إلى لبنان باعتماد منهج علماء الدّين المألوف في ذلك الوقت، القائم على الوعظ والإرشاد والمشاركة في الواجبات الدّينيّة والاجتماعيّة ومعاملات النّاس الحياتيّة، بل دأب منذ البداية إلى الرّبط بين الوعظ ونشر الوعي الدّينيّ، وبين العمل الاجتماعيّ والسّياسيّ. وكان، بذلك، يضع الحجر الأساس لمشروعه الإصلاحي الشّامل لمختلف الجوانب الاجتماعيّة والسّياسيّة والفكريّة على المستويات المحلّيّة والوطنيّة والقوميّة والإنسانيّة كافة. هكذا، دأب الإمام الصّدر على كسر الأطر التّقليدية في عمل رجال الدّين وعلى كسر احتكار السّياسيين للشّؤون العامة والخاصة للنّاس، فتنقّل في مختلف القرى والمناطق في الجنوب وبعلبك-الهرمل، إضافة إلى المراكز المدنية والجامعات والمعاهد والمؤسسات الدّينيّة الإسلاميّة والمسيحيّة والمنتديات الثّقافيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة.

وعلى الرّغم من التّرابط في أوجه النّشاط الدّينيّ والسّياسيّ والاجتماعيّ والوطنيّ الّذي قام به الإمام الصّدر في لبنان منذ قدومه إليه إلى حين تغييبه، وعلى مدى نحو عقدين من الزّمن، إلّا أنّه يمكننا أن نميّز بين مرحلتين أساسّيتين في عمله هذا:

المرحلة الأولى الّتي بدأت مع وصوله نهاية العام 1959، واستمرت حتّى اندلاع الحرب الأهلية في نيسان 1975، إذ تركّز اهتمامه على القضايا الاجتماعيّة والتّوعويّة من خلال تركيزه على دراسة واقع الحرمان والإهمال الّذي تعانيه المناطق النّائية والفقيرة، في الجنوب وبعلبك - الهرمل، وأحزمة البؤس حول بيروت والمدن الكبيرة. وعمل من خلال حركته وخطابه التّعبوي على رفع الحرمان والبؤس الّذي يعيشه النّاس في القرى والمناطق الّتي زارها، وعاش مع أهلها معاناتهم وإهمالهم. وجعل من إزالة الحرمان، ونبذ التّفرقة، والمطالبة بالعدالة والمساواة هدفًا أساسيًّا من أهداف رسالته الدّينيّة. وقد نجح في صور

---

1 **"الارشاد الرسولي رجاء جديد للبنان"**: هي وثيقة وجّهها قداسة البابا يوحنا بولس الثّاني إلى البطاركة والأساقفة والإكليروس والرّهبان والرّاهبات والمؤمنين جميعهم في لبنان خلال زيارته التّاريخية في 11-10 أيار 1997.

-حيث كانت إقامته الأولى- في القضاء على التّسوّل والتّشرّد، بعد أن ردّ أسبابها بقراءة علمية واقعية إلى أربعة: كثرة العيال، والعاهة المعطِّلة، وقلة الخبرة بوسائل كسب العيش، والكسل.

وهكذا، صار بناء المؤسسات الاجتماعيّة والمهنيّة والثّقافيّة والتّربويّة الحجر الأساس الّذي سيبدأ الإمام الصّدر به مشروعه الإصلاحي الشّامل. فشارك في تأسيس عشرات المشاريع الاجتماعيّة، وعدة جمعيات خيرية، وأنشأ مؤسسات لإيواء الأيتام وتعليمهم، ومهنية جبل عامل في البرج الشّمالي قرب صور، ومدرسة فنّية للتّمريض، ومدرسة داخلية خاصّة للفتيات، ومعهدًا للدّراسات الإسلاميّة، وصولًا إلى حصوله في العام 1967 على ترخيص لتأسيس المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى، بقانون أقرّه مجلس النّواب اللّبناني بالإجماع بتاريخ 16/12/1967، لتنظيم شؤون الطّائفة الشّيعية، أسوة بالطّوائف الأخرى في لبنان. وبتاريخ 23/5/1969 انتخب الإمام الصّدر أوّل رئيس له، ويكشف لنا برنامج العمل الّذي طرحه الإمام في البيان الأوّل الّذي أصدره بتاريخ 11/6/1969 البعد الشمولي لمشروعه الإصلاحي، بجوانبه الاجتماعيّة والاقتصاديّة والوطنيّة والقوميّة. فقد ركَّز هذا البيان على العناوين الأساسية الآتية:

- تنظيم شؤون الطّائفة الشّيعية وتحسين أوضاعها الاجتماعيّة والاقتصاديّة.
- القيام بدور إسلاميٍّ كامل، فكرًا وعملًا وجهادًا.
- عدم التّفرقة بين المسلمين، والسّعي إلى التّوحيد الكامل.
- التّعاون مع الطّوائف اللّبنانية كافة، وحفظ وحدة لبنان.
- ممارسة المسؤوليات الوطنيّة والقوميّة، والحفاظ على استقلال لبنان وحريّته وسلامة أراضيه.
- محاربة الجهل والفقر والتّخلّف والظّلم الاجتماعيّ والفساد الخلقيّ.
- دعم القضية الفلسطينية، والمشاركة الفعلية مع الدّول العربيّة الشّقيقة لتحرير الأراضي المغتصبة.

إذًا، تميّز خطاب الإمام الصّدر في بداية المرحلة الأولى من عمله في لبنان على رفع الحرمان عن المناطق الّتي يسكنها الشّيعة في لبنان، وعلى رفع الغبن عنهم في التّوزيع الطّائفي داخل دوائر الدّولة وإداراتها الرّسميّة مقارنة بالطّوائف الأخرى، واستنادًا إلى نظام توزيع الحصص الطّائفية. كما ربط بالتّوازي بين رفع هذا الحرمان عن الشّيعة وبين إزالة الحرمان عن اللّبنانيين كافة الّذين يعانونه في غير منطقة: «إنّني أعلم أنّ مستوى فئة من المواطنين لا يرتفع من دون

رفع مستوى الوطن، وأنَّ حقوق قسم من أبناء المجتمع الواحد لا تصان إذا لم تحفظ حقوق أبنائه جميعهم».[1] وبتاريخ 10/12/1969 كان تذكيره بـ«أنّ الوطن يعيش في ضمائر أبنائه قبل أن يعيش في الجغرافيا والتّاريخ. ولا حياة للوطن من دون الإحساس بالمواطنيّة والمشاركة».[2] ونبّه إلى أنّه «يجب أن نحفظ لبنان، وطن الأديان والإنسانيّة، يجب أن نحفظه بتعميم العدالة الحقيقية»،[3] و «العدل أساس شموخ الأوطان فضلًا عن بقائها، ولا سيما لبنان الذي أكبر رأسماله إنسانه»،[4] وسؤاله: «أيّها الحكّام... أين العدالة؟ أين حفظ حياة النّاس؟.. أين الأمانة الّتي حمّلكم إياها الشعب؟». [5]

وقد ميّز الإمام الصّدر في نشاطه هذا بين خطابين: الأول موجَّه إلى الجمهور الشّيعي الواسع لكي يستعيد ثقته من نفسه وينهض للمطالبة بحقوقه، وخصوصًا في المهرجانات الضّخمة والحاشدة الّتي دعا إليها بين عامي 1970 و1974 في بعلبك وصور وفي مناسبات وطنية أخرى، وخطاب آخر موجّه إلى الدّولة ومسؤوليها وأركان الحكم فيها، مطالبًا إيّاهم بتحسّس مشكلات المناطق المحرومة، وخصوصًا الجنوب الّذي كان يتعرّض إلى الاعتداءات الإسرائيلية، إضافة إلى التّهميش التّاريخي له على مستوى التّنمية بوجوهها كافة: التّعليمية والصّحيّة والاقتصاديّة... مبيِّنًا بالدّراسات العلمية والأرقام والتّفاصيل حجم الإهمال من جهة، وحجم الهدر الّذي تمّ تحت شعارات المشاريع المخادعة والمختلفة في الجنوب على مدى عشرات السّنين.

وعلى الرّغم من أولوية الجانب الاجتماعيّ والسّياسيّ في هذه المرحلة من مشروع الإمام الصّدر؛ أي رفع الحرمان عن الشّيعة، وباقي المحرومين في الوطن وتنمية مناطقهم، إلّا أنّه كان يربط على الدّوام بين هذا المشروع وبين حقّ الجنوبيين في الدّفاع عن أنفسهم وفي مقاومة الاعتداءات الإسرائيلية.

---

1 موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان "حركة المحرومين، الإقطاع واسرائيل" جريدة الأنوار بتاريخ 22 كانون الثّاني 1975، ضمن كتاب: حوارات صحفيه(1)، م.م.، ص 475.

2 موسى الصّدر، خطبة بعنوان "معنى العيد ومفهوم الوطن"، ضمن كتاب : أخلاق الصّوم، منشورات مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الثّالثة، 2011، ص 81.

3 موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان "وجود لبنان مناقض لوجود اسرائيل" "La Raveue du Liban" بتاريخ 25 حزيران 1973، ضمن كتاب: حوارات صحفية(1)، م.م.، ص 331.

4 موسى الصّدر، وثيقة المطالب، جريدة الحياة بتاريخ 12 شباط 1974، من محفوظات مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات.

5 موسى الصّدر، كلنا في المحنة سواء، 11 حزيران 1969 من محفوظات مركز الإمام الصدر للأبحاث والدّراسات.

وكان يسأل دائمًا: لماذا لا يعطون السّلاح للجنوبي للدّفاع عن بلده؟ وإنّ لبنان مهدّد من قبل إسرائيل، وإنّ إهمال الجنوب يخدم مصلحة العدو الإسرائيلي، كما كان يعلن أنّ الجنوب في خطر ويحتاج إلى دعمٍ ومساندةٍ، وأن لا كرامة للبنان ولا سلامة له من دون الجنوب. يقول الإمام أواخر العام 1974: «الاهتمام بالوطن تجاوز أن يكون أغنية، بل هو يستدعي العمل الجدّي».[1] وفي مناسبة أخرى في العام 1975 يصرّح: «إنّ اقتناء السّلاح في حالات الدّفاع مشروع بل واجب. فهل يمكن بعد ذلك التّردّد في وجوب التّسلّح للدّفاع عن الوطن وعن المواطن أمام إسرائيل بحجج واهيةٍ طالما أنّ الصّلاة والتّواجد في المسجد لا يمنعان حمل السّلاح؟».

[2]ويتابع في موضع آخر: «الدّفاع عن الوطن، عن الإنسان، وعن كرامته وحريّته، دفاع عن اللّه، والموت فيه موت في سبيل اللّه». [3]

كان الإمام الصّدر يرفض أن يفصل بين الدّفاع عن الطّائفة وبين الدّفاع عن الوطن، أو بين الدّفاع عن الجنوب والدّفاع عن لبنان. ففي خطابٍ له في مدينة صيدا لمناسبة ذكرى المولد النّبوي الشّريف نشرته الصّحف في 5/4/1974، يقول: «نريد جنوبًا متمسّكًا بلبنان، مرتبطًا بهذه الأمّة، موحّدًا مع العرب، رأس حربة لهم، لا جنوبًا هزيلًا مفصولًا، بل نريده جنوبًا مانعًا... وصخرة تتحطّم عليها أحلام إسرائيل..».[4] لقد كان يعدّ نفسه ضميرًا منبّهًا لمواطنيه ولأمّته من خطر إسرائيل على لبنان، والجنوب تحديدًا: «على الرّغم من ضعف إمكاناتي فإنّني سأبقى ضميرًا يؤنّب، وكلمةً ترتفع وتتفاعل حتّى لا تتمكّن إسرائيل من ابتلاع هذه المنطقة المقدّسة».[5]

كانت أولوية الجانب الاجتماعيّ والسّياسيّ قد طغت على المرحلة الأولى من مشروع الإمام الصّدر.. وأمكن أن نطلق عليها مرحلة استنهاض وبناء الذّات

---

1 **موسى الصّدر**، بيان بعنوان "بناء لبنان الاجتماعي" ضمن كتاب: التّغيير ضرورة حياتية، منشورات مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، 2011، ص81.

2 حوار صحفي بعنوان: "الثّورة وسيلة لا غاية"، جريدة الأسبوع العربي بتاريخ 29 آب1975 ضمن كتاب: حوارات صحفية (2): الوحدة والتّحرير، م.م.، ص 42.

3 **موسى الصّدر**، الدّفاع عن الوطن دفاع عن اللّه، ضمن كتاب: حوارات صحفية (2) الوحدة والتّحرير، م.م.، ص 13.

4 **طلال عتريسي**، مشاركة بعنوان: "مشروع المقاومة في فكر الإمام موسى الصّدر وتجربته 1960 – 1978"، ضمن أعمال كلمة سواء الرّابع، عنوانه:الهوية الثّقافية. قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر،م.م.، ص 265.

5 **موسى الصّدر**، حوار صحفي بعنوان "مشاريع إقامة دول طائفية حول إسرائيل تضاءلت بعد حرب رمضان"، جريدة السّياسة الكويتية بتاريخ 14 آذار 1974، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، م. م.، ص 426.

ومقاومة الحرمان والغبن الطّوائفي والمنطقي، مع عدم إغفال الخطر الإسرائيلي وتحذيره الدّائم من المشروع الصّهيوني الّذي يستهدف الجنوب ولبنان والعرب عمومًا. أمّاالمرحلة الثّانية من مسيرة الإمام الصّدر فقد تركّز فيها الاهتمام على مقاومة الاعتداءات الإسرائيلية. بدأت مع التّحولات السّياسيّة الإقليميّة الّتي جعلت ساحة الجنوب اللّبناني أكثر توترًا وتعرّضًا للمخاطر، بعدما نزحت المقاومة الفلسطينية من الأردن إلى لبنان منذ العام 1970، وتمركزت في جنوبه. واستمرت تبعًا للانعكاسات الدّاخلية الّتي رافقت العمل الفلسطيني من لبنان، والانقسامات السّيّاسيّة والطّائفيّة، والحرب الأهلية الّتي بدأت في العام 1975، والاجتياحات الإسرائيلية المتكرّرة للأراضي اللّبنانية، والتّصدّعات الّتي أصابت البُنى الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة للمجتمع اللّبناني. ويمكن للباحث في هذه المرحلة من تاريخ لبنان الحديث أن يستكشف القراءة الواعية والعميقة للإمام موسى الصّدر لطبيعة أحداث تلك المرحلة، وتشابك عواملها الدّاخلية والإقليميّة والدّوليّة، والجهود الكبيرة والمؤثّرة الّتي بذلها في سبيل الحفاظ على وحدة لبنان، وسلامة أراضيه، والعيش المشترك بين أبنائه. ويمكننا أن نلخّص أكثر العناوين أهمّية الّتي أرساها وعمل لها الإمام الصّدر على المستوى الوطني اللّبناني بما يلي:

أولًا: لبنان وطن العيش المشترك والتّنوّع ضمن الوحدة

ينطلق الإمام الصّدر من مبدأ أنَّ التّنوع بين الأفراد والجماعات هو أمرٌ طبيعيٌ متناسقٌ مع النّظام الكونيّ الّذي رتَّب اللّه وجوده وحركته على النّظام التّعددي. وفي ذلك جدلية إيجابية في تكامل الوظائف الوجودية، وفي إغناء المضامين الوجودية من خلال التّفاعل الحي والتّواصل الموزون: «في الأساس، التّنوّع لا يؤدّي إلى التّفرقة بين البشر، بل العكس هو الصّحيح، التّنوّع هو الّذي يفرض الحاجة بين أبناء المجتمع بعضهم لبعض».[1] وكذلك الأمر بين الشّعوب: «التّفاوت بين الشّعوب يفرض الوحدة والتّعاون، لأنّه لو كانت الشّعوب المختلفة متساوية

---

1 **موسى الصّدر**، الطّائفية والشّباب في لبنان، م.م.، ص 12.

الكفاءات لما احتاجت فئة أو شعب إلى أن تأخذ من الفئة الأخرى أو تعطيها»[1].
وفي الشّأن اللّبناني، لم يتردّد الإمام الصّدر في حسبان تعددية المجتمع اللّبناني نعمة من اللّه بقوله: «إنّ عناية اللّه جعلت تعدّدية المجتمع اللّبناني تعدّدية متكاملة لا متناقضة، والعائلات الرّوحية، المكوّنة للمجتمع تؤمن جميعًا باللّه... اللّبنانيون جميعًا يؤمنون بالقيم الإنسانيّة المطلقة الّتي تنبع من الإيمان باللّه، وخصوصًا بالمحبّة، بالوحدة، وبالعطاء المطلق. ولذلك، فإنّ المجتمع اللّبناني على الرّغم من تعدّديته هو أكثر المجتمعات قدرًة على بناء حضارةٍ واحدةٍ متكاملةٍ... إنّ الطوائف في لبنان هي نوافذ حضاريّة وثقافيّة، ولأنّها متكاملة فإنّ تعدّديتها تشكّل تماسكًا وتلاحمًا، كما الشّأن في تعدّد أعضاء جسد الإنسان».[2]
وفي مواجهته للانقسامات الطّائفيّة والسّياسيّة أثناء الأحداث اللّبنانية الأليمة في العام 1975، كان يؤكّد دائمًا ضرورة الحفاظ على صيغة العيش المشترك بين اللّبنانيين، وواجه على المستويات كلِّها دعواتِ التّقسيم والتّباعد بين اللّبنانيين، بحسبانه قضية التّعايش ثروةً وغِنًى للبنان، وبأنّها أمانةٌ في يدهم ومسؤوليةٌ وواجبٌ: «قضية التّعايش في لبنان يجب أن تبقى، لأنّها ثروة لبنان وغناه.. التّعايش هو الميزة الحيّة على الرّغم من ميزات لبنان في تاريخه وقوّة أهله ومناخه، لكن هذه المزايا سابقة وليست عطايا مستقبلية. إنّ الرّسالة اللّبنانية هي في التّعايش... الّذي هو ليس ملكًا للبنانيين، لكنّه أمانة في يدهم ومسؤوليتهم وواجبهم وليس حقّهم فحسب.. التّعايش أمانةٌ حضاريّةٌ تاريخيّةٌ أَمَّنَ اللّه عليها هذا الشّعب. إنّه إرادة الدّيانتين الكبيرتين، بل إرادة الأديان كلّها». [3]
ويمكننا أن نستلهم من الذّهنية الّتي أطلَّ منها الإمام على وقائعنا اللّبنانية: التّبصّر المبكر لتبدّلات نوعية بدأ عالمنا المعاصر يشهدها مؤخرًا على صعيد بنية الدّول ونسيج مجتمعاتها وشعوبها، مع بدايات القرن الواحد والعشرين. فالأحادية الاثنية أو الدّينيّة، والتّجانس الثّقافي الأحادي، يتعرضان اليوم للاهتزاز، بصفتهما الرّكيزة الوحيدة وعنصر التّماسك الأساسي اللّذين كانت الدّولة تُبنى

---

1 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "أسباب تأخر المسلمين وكيفية معالجته2--"، ضمن كتاب: الإسلام والمجتمع، م.م.، ص68.

2 موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان "خلوة الجبهة اللبنانية في سيدة البير"، الأسبوع العربي بتاريخ 3 شباط 1977، ضمن كتاب: حوارات صحفية (2): الوحدة والتحرير، م. م.، ص 331.

3 موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان: "التّعايش أمانة حضارية"، ضمن كتاب: حوارات صحفية (2): الوحدة والتّحرير، م.م.، ص 137.

عليهما وتستمّر. لقد انتهى عهد الدّولة المسيّجة، والمجتمعات المتباعدة عن بعضها بعضًا بأسوار متعدّدة سياسيّة وثقافيّة ودينيّة واقتصاديّة، لتخلي المكان لصالح تركيب آخر على صعيد الدّولة والمجتمع والشّعب الواحد.

سمة هذا التّركيب الآخر هو التّمازج والاختلاط ضمن الدّولة الواحدة، في ما بين شرائحها الاجتماعيّة ومكوّناتها الاثنية والثّقافيّة والدّينيّة، وكذلك، بين الدّول التي أسقطت الحواجز الماضية والحدود الفاصلة في عصر العولمة وتكنولوجيا الاتصال والتّواصل، لتنشأ وتتعزّز بينها علاقات الاعتماد المتبادل وضرورات التّشارك والحوار والاعتراف بالآخر، لحلّ المعضلات الكونّيةِ الطّابع الّتي تُقلق الجميع. ونحن نعيش حاليًا هذه التّحولات الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، وما تسبّبه من نزاعاتٍ وصداماتٍ دمويةٍ مدمّرةٍ، ضمن البلد الواحد بين المجموعات المكوّنة له والمتنوّعة إثنيًّا وثقافيًّا ودينيًّا.

لذا، كانت صيغة العيش المشترك الّذي يعترف بالتّنوّع، وباختلاف الرّأي، وبتقبّل الآخر واحترامه هي الحل، وهي الأمانة الحضاريّة والتّاريخيّة الّتي قال عنها الإمام الصّدر: إنَّ اللّبنانيين مؤتمنون عليها، وأساس وحدتهم الوطنية. وفي تصريح له قبل فترةٍ بسيطةٍ من تغييبه مع بدايات العام 1978 يقول دالًا على كونه في مقدّمة العاملين على التّعايش الإسلامي المسيحي والملتزمين بالمسؤولية الوطنيّة: «أقول بصراحة... وأعلن أنّي كنت أحد أبرز رموز التّعايش الإسلامي المسيحي، وأحد أوتاد الوحدة الوطنية».[1] وفي السّياق نفسه، يقول غبطة بطريرك الرّوم الكاثوليك غريغوريوس الثّالث لحام: «الإمام موسى الصّدر، رائدُ التّعايش المسيحي الإسلامي، وأوّل إمام مسلم يخطب في الكنائس، وفي معاهد اللّاهوت المسيحية. وما كان ذلك إلّا رغبةً منه في تأكيد ضرورة العيش معًا، بل التّعاون بين المسلمين والمسيحيين في وطن أراده موحَّدًا، ينعم فيه مواطنوه جميعهم ، على تنوّع طوائفهم، بالحريّة والكرامة، على أساس العدالة والمساواة والإنماء المتوازن بين المناطق اللّبنانية جميعها ورفع الحرمان عن المحتاجين جميعهم». [2]

وفي شهادة عن الدّور الوطني اللّبناني للإمام موسى الصّدر يمكننا أن نذكر

---

1 **موسى الصّدر**، حوار صحفي بعنوان" الوفاق والتّعايش" جريدة البيرق بتاريخ 17 كانون الثّاني 1978، ضمن كتاب حوارات صحفية(2): الوحدة والتّحرير، م.م.،ص 553.

2 **غريغوريوس الثّالث لحام**، كلمة الافتتاح بعنوان "المجتمع المؤمن"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الثّاني عشر، عنوانه: التّغيير الاجتماعي والسّياسي عند الإمام الصّدر: الرؤية - النهج – الرسالة، ص 39 40-.

عبـارة مـن كلام الكاردينـال "فرانـز كونيـغ" [1] كبيـر أسـاقفة النّمسـا حيـن التقـى الإمـام الصّـدر سـنة 1970، إذ قـال لـه: «قـد سـمعت كثيـرًا عنـك، وأنـا أؤمـن بـأنّ تاريـخ لبنـان ينقسـم إلى فترتيـن، فتـرة مـا قبـل الإمـام الصّـدر وفتـرة مـا بعـده». [2]

ثانيًا: جسر حضاري

كان الإمـام الصّـدر يـرى أنَّ لبنـان يمثّـل جسـرًا حضاريًّـا بيـن الشّـرق والغـرب، بيـن الإسـلام والمسـيحية. لهـذا قـال: «الحـوار العربـي - الأوروبـي، بمـا لأوروبـا مـن خبـرةٍ وتجربـةٍ وموقـعٍ، وبمـا للعالـم العربـي مـن تـراثٍ حضـاريٍّ وثـرواتٍ وموقـعٍ جغرافـيٍّ، يضـع أمـام العالـم اليـوم أمـلًا كبيـرًا ببـروز قـوًى سياسـيّة لولبهـا الحـوار المسـيحي – الإسـلامي. فـإذا سـقطت تجربـة لبنـان سـوف تُظلِـم الحضـارة الإنسـانية لمـدة خمسـين عامًـا علـى الأقـل. لذلـك نقـول: إنّ لبنـان فـي هـذه الفتـرة ضـرورة حضاريـة أكثـر مـن ذي قبـل».[3] مـا الرّابـط بيـن الحـوار العربـي - الأوروبـي والّـذي سـيكون لبنـان لولبـه، وبيـن انتعـاش حضـارة مـا فـي مـكان مـا مـن العالـم؟ وبالعـودة إلى العنـوان، وإلى تصـوّر تأثيـر لبنـان الّـذي هـو مـن أكثـر بلـدان العالـم صغـرًا، فـي حركـة حضاريـة عالميـة فـي مـكانٍ مـا، لا بـدّ مـن بعـض التّمعّـن والبحـث.
لطالمـا ردّد الإمـام الصّـدر وشـدّد علـى وحـدة لبنـان أرضًـا وشـعبًا! هـذا اللبنـان يبلـغُ حاليًـا عـدد سـكّانه أربعـة ملاييـن نسـمة، موزّعـة علـى ثمانـي عشـرة طائفـة، منهـا ثـلاث طوائـف تتعّـدى بمجموعهـا مليونيـن ونصـف، ويبقـى مليـون ونصـف موزّعـة علـى خمـس عشـرة طائفـة، بمعـدل مائـة ألـف لـكلّ طائفـة. والملاييـن الأربعـة منقسـمة إلى يميـن ويسـار، وكلّ قسـم لـه جماعتـه ومنطقـة نفـوذه فـي مسـاحة لبنـان الّتـي بالـكاد تتجـاوز عشـرة آلاف كيلـو متـر مربـع! بالمقابـل، هنـاك صـورة إنسـان لبنـان، الإنسـان الذّكـي المغامـر، المجـرّب، المنتشـر فـي بقـاع المعمـورة

---

1 **الكاردينـال فرانزكونيـغ** (1905 - 2004) هـو رئيـس أسـاقفة فيينـا مـن 1956 الى 1985، اكتسـب شـهرة دوليـة مـن خـلال مشـاركته فـي مجلـس الفاتيـكان الثّانـي، وقيـادة أمانـة الفاتيـكان لغيـر المؤمنيـن، والتزامـه بالعمـل المسـكوني، لا سـيما فيمـا يتعلّـق بالتّعـاون مـع الكنائـس الشّـرقية.

2 **محمـد تقـي فاضـل ميبـدي**، مشـاركة بعنـوان: "منطـق الحـوار فـي سـيرة الإمـام موسـى الصّـدر"ضمـن أعمـال مؤتمـر كلمـة سـواء السّـادس، عنوانـه: حـوار الحضـارات، اجتمعنـا مـن أجـل الإنسـان، م. م.، ص 306.

3 **موسـى الصّـدر**، حـوار صحفـي بعنـوان "لبنـان والحضـارة الإنسـانية"، مـع وفـد نقابـة المحرريـن فـي المجلـس الإسـلامي الشّـيعي الأعلـى بتاريـخ 17 كانـون الثّانـي 1977، ضمـن كتـاب: حـوارات صحفيـة (2): الوحـدة والتّحريـر، م. م.، ص 313.

كلّها، والعلاقات الّتي شكّلها الانتشار في السّياسة والاقتصاد والعلم والفن، وما يمكن أن يستثمره لبنان المقيم والمهاجر من موقع محرّك ومتحرك، كما وصف الإمام الصّدر لبنانَ بأنّه لولب فيما لو وحَّد طاقاته وعلاقاته بين الدّاخل والخارج، لأنتج حالة حضارية مميّزة في مجموعها الثّقافي المتعدّد، والتّجارب التّاريخيّة الغنية.

وحتّى يكون لبنان الرّسالة، فعلى اللّبنانيين أن يتحسّسوا المعالم ابتداءً من تحسّس شروط المواطنية، أمّا إذا تمَّ الوفاق الوطني ودخلت الإرادة والرّؤية اللّبنانيتين إلى السّاحة، فإنّ المستقبل يصير حتّى في أبهى صوره رهن أيديهم. لا يمكن أن نكون قدريين، فالتّاريخ لا يقبل لنا ذلك، ولا الإيمان مصدر العقل المبدع، ولا القلب الدّافئ يسمح به.[1] نريد لبنانًا عربيًّا، لا جسمًا غريبًا في المنطقة يأخذ ولا يعطي، أو يعطي ولا يأخذ. نريد بلدًا متفاعلًا مع أشقائه، يتحمّل معهم مسؤولياته العربيّة، ويشارك في المصير العربي، ويتمتع بكامل مزاياه. نريد الخروج من النّفاق السّياسيّ والتّقزُّم الوطني بحجّة عدم التّمحور، نريد التّخلص من السّلوك وراء شعارات ذات معانٍ متعددةٍ. نريد لبنان العربي الحر المستقل.[2]

ثالثًا: إدانة الحرب الأهلية ورفض الطّائفيّة

فِكرُ الإمام موسى الصّدر متجذّر في الاختيار اللّبناني الغني بطابعه المركّب. وهو كان يردّد بأنّه بقدر ما تترسخ قيم الحقّ والعدل والمساواة وكرامة الإنسان البشري والنّمو المتوازن، يأمن الوطن شرّ الخلل والتّصدع، ويصمد في وجه مشاريع التّفتيت والتّفكّك. لذا، كان الإمام الصّدر يعدّ أكثر الأسباب أهمّية ما مرّ به لبنان من أزمات، وخصوصًا مرحلة الحرب الأهلية[3] الّتي اندلعت شرارتها في نيسان 1975، ويمكن إيجازها بالعناوين الآتية:

---

1 **موسى الصّدر،** حوار صحفي بعنوان "أسس الحوار الوطني"، النّهار بتاريخ 31 كانون الثّاني 1978، ضمن كتاب: حوارات صحفية (2): الوحدة والتحرير، م. م.، ص 564.

2 **موسى الصّدر،** بيان بمناسبة مرور سنة على الحرب الأهلية، جريدة النّهار 17 نيسان 1976، من محفوظات مركز الإمام الصّدر للابحاث والدّراسات.

3 **الحرب الأهلية اللّبنانية:** هي حرب أهلية متعدّدة الأوجه في لبنان. واستمرّت من العام 1975 إلى عام 1990، وأسفرت عن مقتل ما يقدّر بـ 120 ألف شخص. شكّل اتفاق الطائف العام 1989 بداية النّهاية للقتال.

1 - غياب العدالة وانتشار الحرمان «الّذي يخلق في النّفس شعورًا غاضبًا، ويجرح كرامة الإنسان ويؤثّر في الولاء للوطن وفي احترام القوانين المتَّبعة». [1]

2 - عدم الاتفاق على المبادئ الوطنيّة الأساسيّة وتجنّب البحث فيها، خوفًا من الانقسام.

3 - الممارسة السّياسيّة القاسية واستغلال بعض السّياسيين للجوّ الدّيمقراطي، فيجنّدون لنجاحهم ما يجوز وما لا يجوز.

4 - ابتلاء لبنان بعدو خبير في الحرب وأنواعها، ولا سيما في الحرب النّفسيّة والإعلاميّة والدّبلوماسيّة.

5 - نكبة فلسطين، وسكن أهلها في المخيمات وعيشهم في ظروف حياتية قاسية، وإدراكهم العجز العربي عن تحرير أرضهم، وحملهم السّلاح وانطلاقهم من لبنان، واعتراض بعض اللّبنانيين وتصادمهم معهم. [2]

وقد سارع الإمام الصّدر إلى بذل الجهود كلّها لإطفاء الحرب الدّاخليّة ومواجهة الفتن الطّائفيّة بالكلمة والموقف، إذ اعتصم في "مسجد الصّفا" في منطقة "رأس النّبع" في بيروت، واندفع ليوقف الاقتتال في منطقة البقاع (شليفا - دير الأحمر - القاع) بعباءته وعمامته وجهده المتواصل، لوضع حدّ للحرب الدّاخليّة: «قلت، ولا أزال أقول، للنّاس في البقاع والجنوب وفي لبنان كلّه: إنّ الفتنة الطّائفية ليست معرككتم، ولا هي تنسجم مع تاريخكم ومناقبكم، بل إنّ معرككتم هي معركة منع التّقسيم، أو دفع الخطر عن الجنوب المهدّد، أو عن المقاومة الفلسطينية». [3]

يقول الإمام الصّدر في خطبته في كنيسة الكبوشية (شباط 1975) في باب إدريس وسط بيروت : «... وأنا جالس تحت الصّليب قلت كلامًا ينفع المسلمين والمسيحيين، ويخدم وطنًا هو للجميع. فقد شاء اللّه وقدّر على اللّبنانيين أن يعيشوا معًا في كيانٍ واحدٍ، إذا دُمّر دمّرت الطّوائف جميعًا، ولا عاصم للبنان اليوم وإلى الأبد غير وحدته، من يطلب انفصالًا وعيشًا مستقلًا، فهو يطلب المستحيل ويسعى إلى إنهاء وطن، فلبنان أصغر من أن يتجزأ وأكبر من أن يُبتلع

---

1 موسى الصّدر، تقرير إلى المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى، في 13/9/1975، نقلًا عن أعمال مؤتمر كلمة سواء الخامس، عنوانه: المقاومة والمجتمع المقاوم، مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 2001 م، ص 90.

2 م. ن.، ص 91.

3 موسى الصّدر، بيان صحفي بمناسبة أعياد الأضحى والميلاد، وقوع مجازر السّبت الأسود، جريدة النّهار بتاريخ 18 كانون الاول 1975، في محفوظات مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات.

بوحدته وتضامنه، وقدره في كينونته كما شاءها اللّه. بقاؤه في أيدينا وزواله في أيدينا..». [1]

وفي ممارسته العملية من أجل العدالة الاجتماعية أسّس "حركة المحرومين"، ومن أجل التّوازن أسّس "المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى"، ومن أجل التّفاعل بين العائلات الرّوحية المكوّنة للّمجتمع اللّبناني أسّس "لجنة الحوار الإسلامي – المسيحي". وعليه، إنّ مرتكزات الوحدة الوطنية عنده هي: العدالة بين المواطنين، التّوازن السّياسي بين الطّوائف، التّفاعل بين الأديان والقيم الثّقافية. وبالتّالي، فهو يرى أنّ الوحدة الوطنية القائمة على تفاعل المسيحية والإسلام بما يمثّلان من قيمٍ إنسانيّةٍ وأخلاقيّةٍ هي غير الوحدة الشّكلية المتمثّلة بطائفية النظام والسّلطة. فالطّائفية الّتي تشكّل قاعدة الحكم في لبنان عدّها بلاءً للوطن ولنظام الحكم، ويُنكر أن تكون من الدّين «وُضعت كتصنيف بين المواطنين»، ويضيف: «إنّ أكثر النّاس تعصّبًا للطّائفية في لبنان هم أبعدهم من التّدين». وفي تقريعه للنّظام الطّائفي في لبنان، له العديد من الأقوال والمواقف الّتي يعدّ فيها أنّ أحد أمراض لبنان الأساسية هي الطّائفية، وأنّه كان: «بانتظار تلك الأيّام وذلك الوقت الّذي نرى فيه نواة لبناء لبنان المستقبل، لبنان الّذي تحوّل كلّه إلى طائفةٍ واحدةٍ، إلى طائفة اللّه، إلى طائفة الإنسان!». [2]

رابعًا: دعوة للحوار بين اللّبنانيين، وبين الدّيانات السّماوية والحضارات الإنسانية

اعتراض الإمام الصّدر العميق على الحرب الّتي أُوقدت في لبنان وحثّه على إيقافها، واهتمامه بالمحافظة على الكيان اللّبناني مع فهمه لمشكلاته الدّاخليّة والإقليميّة، جعلته يؤكّد باستمرار الحاجة إلى الحوار الدّائم على المستوى الوطني، بين مختلف الشّرائح الاجتماعيّة والعائلات الروحية والفئات الحزبية، من أجل صون الوحدة الوطنيّة وإعادة صياغتها باستمرار.

لقد أطلّ الإمام الصّدر على الوقائع اللّبنانية المركّبة والتّبدّلات النّوعية

---

1 **ساسين عساف**، مشاركة بعنوان: "الوحدة الوطنية، الانتماء والمواطنة: المثلث الأفهومي في رؤية الإمام الصّدر السّياسيّة"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الخامس، وعنوانه: المقاومة والمجتمع المقاوم، م. م.، ص 243.

2 **موسى الصّدر**، الطائفية والشباب في لبنان، م.م.، ص 38.

والمتسارعة الّتي بدأ يشهدها العالم المعاصر منذ منتصف القرن العشرين، واستقرأ بذهنيته المنفتحة أنّ مواجهة مختلف التّحديات المحلّيّة الوطنيّة والإقليميّة والدّوليّة لا تبنى على التّقوقع والانعزال والرّيبة، بل على الاعتراف بالآخر والحوار معه، والتّشارك سوية في حل المعضلات الّتي بدأت تأخذ طابعها الكوني. وأنّ مواجهة النّزاعات والصّدامات الدّموية المدمّرة ضمن البلد الواحد بين المجموعات المكوّنة له، والمتنوّعة إثنيًّا وثقافيًّا ودينيًّا، أو بين الدّول والشّعوب المتنوعّة، تكون بالاعتراف بالتّنوّع، وباختلاف الرّأي واحترامه وتقبّله.. وهذا كلّه، يستدعي ثقافة تطلق الحوار وتعزّزه وتواصله بلا انقطاع بين هذه الفئات والشّعوب جميعها، إذ تنتهي إلى إدراك حقيقة التّكامل فيما بينها.

الحلّ إذًا، بحسب فلسفة الإمام موسى الصّدر العملية، يبدأ من الحوار، ومن ثقافة الحوار الّذي جوهره وعيُ غِنى التّنوع، ووعيُ عُقمِ الأحادية، ونبذ التّعصب والعنصرية. وعلى هذا الأساس، يستثني من هذا الحوار الدّول والقوى والتّيارات الّتي تتمسّك بالعنصرية والعرقية والأحادية الدّينيّة أساسًا لبناء دولها ومجتمعاتها كالحركة الصّهيونية والكيان الإسرائيلي.

يقول الإمام محمّد مهدي شمس الدّين، رحمَّه اللّه، عن الإمام الصّدر بشأن موقعه ودوره في إرساء ثقافة الحوار: «... فهو محاورٌ كبيرٌ، وكبير من كبراء مشروع الحوار، لم يكن في هذا الموقع أو ذاك، بل كان جسرًا كما عبّر عنه تراثه وفكره ومؤسساته. كان جسرًا في هذا الحوار، كان الكلمة المتبادلة على الشّفتين هنا وهناك، لم يكن في مقابل الآخر، بل في موقعه، وفي موقع آخر يجسّد الكلمة السّواء...». [1]

كان هَمُّ الإمام الصّدر التّحاور على أساس المنطق والعقيدة الإسلامية، ولم يبتعد أبدًا من مبادئه وأفكاره، إنّما ابتعد من الجمود والتّعصّب، وهدّم الأطر المغلقة الّتي نُسبت إلى الدّين. وكان يؤمن بأنّ حل المشاكلات البشرية لا يتحقّق إلّا من طريق الحوار الّذي يؤمن بالتّعدّد وبالتالي، الاعتراف بالآخر والتّسامح، ومن ثمّ احترام إنسانيّة الإنسان. يقول الإمام حول التّعاون والاتّحاد بين الفئات السّياسية اللّبنانية جميعها: «الشّرط الأساسي لكي نتمكّن من أن نجمع هذه الأفكار والألوان والتّجارب ومنطلقات التّعاون، هو وجود الاحترام المتبادل بين

---

1 محمّد مهدي شمس الدّين، مشاركة بعنوان: "الكلمة السّواء لمواجهة المشروع الصهيوني"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الأول، عنوانه: الإمام موسى الصّدر والحوار، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الأولى، 1997م، ص 84.

أبناء هذا البلد. لا خوف من وجود الألوان من الأفكار والآراء في هذا البلد. لكن الأكثر أهمّية أنّ يكون هناك ثقة متبادلة الّتي لا تحصل إلّا بالاحترام المتبادل. يجب أن تحترمني وأنا أحترمك، لا أحتقر غيري وغيري يحترمني وإلّا بطبيعة الحال لا يكون هناك ثقة متبادلة». [1]

والإمام الصّدر من خلال تتبعّه ومعرفته بالثّقافات والمدارس الفكرية المختلفة على المستوى العالمي ماضيًا وحاضرًا، لم ينكر ما هو مغاير للإسلام، ولم ينعته بالباطل. لذلك، كان منطق الحوار والتّسامح أحد أسس إنقاذ الشّعب اللّبناني من حروبه الدّاخلية المتكررة الّذي تبنّاه الإمام الصّدر. كان يقول: «كنت كثير الاهتمام بمطالعة الثّقافات والتّطورات الاجتماعيّة والمذاهب الفكرية الحديثة». وحسب رؤيته فإنَّ الدّين في حال تجدّد وتطوير، وبإمكان الدّين المنفتح أن يحافظ على الصّلة بين الأديان، وهو يؤكّد في هذا الخصوص: «علينا أن نكوّن الارتباط العاطفي بين الشّباب وبين أهله، ولكن أفضل من هذا كلّه هو الارتباط الدّيني المتطوّر والمنفتح الواعي». [2]

مصطلح الدّين المنفتح والواعي أفضل ما يمكن أن يوصف به الدّين المتكامل والعالمي، مع وجود هكذا دين. وهذه الرؤية الّتي نادى بها الإمام الصّدر، يمكن أن نتكلّم فيها على حوار الأديان، وأن نطرح ثقافة جديدة للعالم.

يقول الإمام الصّدر في أحد حواراته الصّحفية: «أمّا سلوكي العلماني والاجتماعي حيال الطّوائف الأخرى، فأنا لا أسمّيه سلوكًا علمانيًّا، بل هو سلوك ديني محض.. فهناك تديّن والتزام بالتّعاليم الدّينيّة الصّحيحة يختلف تمام الاختلاف عن الطّائفية السّلبية، وعن الانعزال عن المجتمع.. أمّا ما تجده من اتصالاتي مع أبناء الطّوائف الأخرى، وتعاوني معهم حول الأهداف المشتركة، فهذا من صميم الدّين، وليس تنكّرًا لمبادئه». [3]

إنّ عظة الإمام الصّدر في كنيسة الكبوشية لم تكن كلامًا جميلًا أعدّه لمناسبة محدّدة، بل كانت نظرية فلسفية متكاملة تختصر واقع لبنان الوطن، وتحدّد حاجاته، وتقدّم تصوّرًا لمواجهة مذاهب الدّاعين والمنظّرين لطبيعة أزمات هذا

---

1 **محمّد تقي فاضل ميبدي**، مشاركة بعنوان: "منطق الحوار في سيرة الإمام موسى الصّدر"ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء السّادس، عنوانه: حوار الحضارات، اجتمعنا من أجل الإنسان، م. م.، ص 307.

2 م. ن.، ص 308.

3 **موسى الصّدر**، حوار صحفي "الدين والسياسة"، الصياد 5 حزيران 1969، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، م. م.، ص 70 71-.

العصر، وزعمهم بموعد البشرية مع صراع الأديان وصدام الحضارات.
ومن رسالة للسّيّد محمّد خاتمي، حين كان رئيسًا للجمهورية الإسلامية الإيرانية، إلى مؤتمر كلمة سواء السّادس الّذي أقامه مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات في بيروت، بتاريخ 8/11/2001، تحت عنوان "حوار الحضارات"، يقول: «... فحوار الثّقافات يمتدّ على امتداد التاريخ ليغطّي الزّمن كلّه، إذ لم يعرف التّاريخ الإنساني لحظات غاب عنها الحوار بين المجموعات الفكريّة والثّقافيّة. فإذا كان حوار الحضارات قد استغرق هذه المسافة الزّمنية الطّويلة كلّها، فإنّ "رقعته" كانت محدودة بعض الشّيء. فلا يمكن العثور في الجغرافيا الطّبيعية إلّا على رقع معدودة، هي الّتي شكّلت مهدًا للحوار اهتمّت به واحتضنته.
يمكننا ملاحظة "تاريخ" الحوار من خلال النّظر إلى "جغرافيته"، كما يمكننا مناقشة "جغرافية" الحوار عبر ملاحظة "التّاريخ". فلو توسّعنا في هذا البحث، لوجدنا أنّ رقعة لبنان الجغرافية تزخر بأحد أكثر صفحات التّاريخ روعة الخاص بالحوار في أحدث صورة، وأنّ هذه الصّورة قد تركت آثارها الواضحة والملموسة في نفوس اللّبنانيين.. فما يتميّز به لبنان في مجال حوار الثّقافات والحضارات على اختلاف أشكاله هو الحوار بين الأديان والمذاهب...
فكما اختار الحوار مكانًا له في "التّاريخ"، وفي"الجغرافيا"، فإنّه اختار مكانًا له داخل عقول أناس كبار، وفي أفئدتهم وعلى ألسنتهم. وهكذا، فإنّ الحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة والرّوحيّة لهؤلاء النّاس تشكّل تجسيدًا رائعًا "للحوار"، إذ يمكننا ملاحظة تجسيداته داخل سلوكهم وحياتهم اليومية، ولا شكّ بأنّ حياة الإمام الصّدر تشكّل أسوة حسنة للمؤمنين كلّهم بالحوار بين الأديان والثّقافات، ويعملون من أجله، ويلتزمون بمقوماته السّياسّية والاجتماعيّة.. لا بدَّ من حسبان الإمام الصّدر رمزَ الحكمة والحوار والارتفاع فوق الحساسيات والحزازات، ورمزَ التّلاحم والتّضامن، وكذلك، رمزَ التعزيز الثّقة من النّفس وبلبنان الحبيب». [1]
وفي شهادة أخرى سابقة لأمين سر الكرسي الرّسولي، ممّثلًا السّفير البابوي في افتتاح مؤتمر كلمة سواء الرّابع بتاريخ 11/11/1999 في بيروت، يقول: «كانت حياته وأعماله تعكس تمامًا قناعاته الاجتماعيّة والثّقافيّة. وكلنّا يعرف فعل إيمانه بلبنان الوطن الحر الدّائم، وتتماشى نظرته إلى هوّية لبنان الثّقافيّة

---

1 محمّد خاتمي، مشاركة بعنوان: "حوار الحضارات"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء السّادس، عنوانه: حوار الحضارات، اجتمعنا من أجل الإنسان، م.م.، ص 19 – 21.

تمامًا، مع ما يسمّيه الحبر الأعظم قداسة البابا يوحنا بولس الثّاني"الدّعوة التّاريخيّة للبنان"، وهي دعوة للحوار بين الدّيانات والثّقافات والحضارات كافة».[1]

نختم المبحث الأول بعبارات للإمام موسى الصّدر يدافع فيها عن الوحدة الوطنية والعيش معًا، ويحذّر من الطّائفية وتجّار السّياسة، يقول:

«إنّ الوحدة الوطنية نعيشها اليوم في أعمالنا، وفي اجتماعاتنا، وفي لقاءاتنا، وفي تعاوننا، في مجال الوظيفة الرّسمية وغير الرّسمية. ولكن هذه الوحدة يجب ألا تعني، كما يعتقد البعض، ذوبان الجناح المسلم في الجناح المسيحي، أو ذوبان الجناح المسيحي في الجناح المسلم، ولكن أن يظلّ المسيحي على مسيحيته مئة بالمئة، ويمدّ يدًا مخلصة إلى أخيه المسلم؛ وأنّ يظلّ المسلم مسلمًا مئة بالمئة، ويمدّ يدًا مخلصة إلى أخيه المسيحي، فإنّ ذلك يكون أكثر جدوى ونفعًا، ونكون بذلك نعيش الوحدة الوطنية فعلًا لا قولًا.
إنّ المتاجرين بالوطنية باسم الديّن، أولئك الّذين يعتقدون أنّ هناك تعارضًا بين الدّين والوطنية، مساكين إذ إن كلًّا منهما يكمل الآخر.إنّ تّجار السّياسة هم الّذين يغذّون النّعرات الطّائفية للمحافظة على وجودهم بحجة المحافظة على الدّين، في الوقت الّذي يكون الدّين فيه بحاجة إلى من يحميه منهم.
هناك ضرورة لتعايش المسيحي والمسلم لما فيه خير المجموعة. إنّ هذا التعايش ليس بجديد، وإنّما هو حقيقة راسخة على مرّ العصور. إنّ الإمام علي بن أبي طالب حين أصيب بالضّربة الأخيرة، كان الطّبيب الّذي استدعي لمعالجته مسيحيًّا، وكان الإمام وولدا الإمام الحسن والحسين يثقون ثقة مطلقة من هذا الطّبيب، فهل هناك من هو أشدّ غيرة على إسلاميته ودينه من الإمام علي، ومن ولديه الحسن والحسين حتّى لا يؤمن بضرورة تعايش المسيحي والمسلم؟!».[2]

---

1 **بول نياغا**، مشاركة بعنوان "الهويّة الثّقافية واقع متحرك"، ضمن أعمال كلمة سواء الرّابع، عنوانه: الهويّة الثّقافية . قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السيد موسى الصّدر،م. م.، ص 38.

2 **موسى الصّدر**، الوحدة الوطنية والتّعايش المسيحي الإسلامي، جريدة الديّار، بتاريخ 29 آب 1967.

المبحث الثاني
البعد العربي في مسيرة الإمام الصّدر

إنّ خصوصيـة الوضـع اللّبنانـي وموقعـه الجيوسياسـي مـن العالـم العربـي، ومـن الكيـان الصّهيونـي الّـذي زُرع فـي قلـب الوطـن العربـي وإطـاره الشّـرق أوسـطي، والفتـرة الزّمنيـة العصيبـة مـن تاريـخ المنطقـة الّتـي عايشـها الإمـام الصّـدر، منـذ قدومـه إلى لبنـان مـع بدايـة سـتينيات القـرن العشـرين حتّـى تاريـخ إخفائـه فـي نهاية آب 1978، وهـي الفتـرة الّتـي شـهدت هزيمـة حزيـران 1967 ونشـوء المقاومـة الفلسـطينية المسـلحة وأزمتهـا مـع الدّولـة الأردنيـة، ثـمّ انتقـال سـاحة عملهـا إلى الجنـوب اللّبنانـي، وانـدلاع أحـداث 1975 اللّبنانيـة، ودخـول مختلـف الـدّول العربيّـة الإقليميـة والدّوليـة عـلى سـاحة الحـرب الدّاخليـة اللّبنانيـة التـي اختصـرت صراعـات هذه الـدّول، وتضـارب مصالحهـا ومآربهـا، هـذا كلّـه، جعـل حركـة الإمـام الصّـدر عـلى المسـتوى العربـي يطغـى عليهـا الهـمُّ اللّبنانـي ومحـاولاتـه الـدّؤوب لإيقـاف المأسـاة المشـتركة للّبنانييـن وللفلسـطينيين، وبالتّالـي للعـرب أجمعيـن.

وفـي متابعـة لتحـرّك الإمـام الصّـدر فـي العالـم العربـي نجـد أنّ هـذا التّحـرّك تمحـوّر حـول المحـاور الآتيـة:

1 - التّعـرّف إلى مجتمعـات المسـلمين الشّـيعة فـي الـدّول العربيّـة وتبـادل الخبـرات والمسـاعدات فـي المجـالات المختلفـة.

2 - التّقريـب بيـن المذاهـب الإسلامية عـلى مسـتوى الأحـكام الفقهيـة، وكذلـك، فـي المجـالات السّياسـيّة والتّحدّيات المشـتركة.

3 - تحديـث أسـاليب عمـل علمـاء الدّيـن المسـلمين فـي العالـم العربـي، بمـا يتناسـب مـع مقاصـد الشّـريعة ومتطلبـات العصـر الحديـث.

4 - تبيـان الخطـر الإسـرائيلي عـلى العالـم العربـي بأسـره، وضـرورة التّضامـن العربـي لمواجهـة المشـروع الصهيونـي ودعـم القضيـة الفلسـطينية، وإنهـاء الأزمـة اللّبنانيـة.

وفـي رؤيتـه لمنظومـة العمـل العربـي فـي مواجهـة إسـرائيل، كان يؤكّـد مركزيـة الـدّور السّـوري وتأثيـره المباشـر فـي مجريـات الأحـداث اللّبنانيـة، وفـي مصيـر القضية الفلسـطينية، لذلـك، بـذل جهـودًا جبّـارة لـرأب الصّـدع بيـن المقاومـة الفلسـطينية فـي لبنـان وسـوريا فـي مرحلـة معيّنـة مـن الأحـداث اللّبنانيـة.

كمـا كان للإمـام الصّـدر علاقـات قويـة مـع القـادة العرب، وتحديـدًا فـي كلٍّ مـن الأردن

ومصر والسّعودية والجزائر والكويت، إضافة إلى العلاقة المميّزة مع القيادة السّورية. فكان يزور هذه الدّول للمشاركة في المؤتمرات وإلقاء محاضرات والتّباحث مع المسؤولين السّياسيين فيها. ولعل أكثر نجاحات الإمام الصّدر أهمّية في السّاحة السّياسيّة العربيّة كان نجاحه الباهر في مؤتمري الرّياض والقاهرة في العام 1976، في حمل الدّول العربيّة على العمل المشترك لإنهاء الأزمة النّازفة حينها في لبنان. فقد التقى الإمام الصّدر مرّتين بالرّئيس السّادات[1] في القاهرة، وثلاث مرّات بالرّئيس الأسد[2] في دمشق، ومرّتين بالملك خالد بن عبد العزيز،[3] والمسؤولين السّعوديين، خصوصًا الأمير فهد[4] وعبداللّه[5] (آنذاك) في الرّياض، ومرة بأمير الكويت وكبار مستشاريه. وخلال هذه اللّقاءات، سعى إلى أنّ يثبت لهم جميعًا: «بأنّ بقاء المحنة مجمّدة يعرّض لبنان والعرب للأخطار الكبرى الّتي لا تقارن بما حدث في لبنان، وأنّ الانتظار لا يحلّ الأزمة، وأنّ الحسم بالوضع الّذي كان ضمن خلافات عربية، وبوجه خاص ضمن الصّراع المصري - السّوري مستحيل، ذلك لأنّ الخلاف بين القاهرة ودمشق يمنع تكوين إرادة عربية موحدة والّتي هي وحدها كفيلة بوقف النّزيف الدّموي، ويمنع تدويل الأزمة اللّبنانية». [6]

وقد تميّز الإمام الصّدر بقوة التّأثير والإقناع في لقاءاته مع الملوك والرّؤساء العرب، فقد نقل عن الملك السّعودي خالد بن عبد العزيز قوله: «إنّ ما سمعته

---

1 **الرّئيس، السّادات** (1918 - 1981): محمّد أنور محمّد السّادات، هو ثالث رئيس لجمهورية مصر العربية، حَكَم مصر في الفترة الممتدة ما بين 28 سبتمبر 1970 (بالإنابة) إلى 17 أكتوبر 1970، (وفعليًا) إلى 6 أكتوبر 1981 تاريخ اغتياله.

2 **الرّئيس الأسد** (1930 - 2000): حافظ الأسد، هو رئيس الجمهورية العربية السّورية، والأمين العام وعضو القيادة القطرية في حزب البعث العربي الاشتراكي، والقائد الأعلى للجيش والقوات المسلّحة ما بين العامين 2000-1971.

3 **الملك خالد بن عبد العزيز** (1913 - 1982): خالد بن عبد العزيز بن عبد الرّحمن آل سعود، هو ملك المملكة العربية السّعودية الرّابع من 25 مارس 1975 إلى 13 يونيو 1982. خلف شقيقه الملك فيصل.

4 **الأمير فهد** (1920 - 2005): فهد بن عبد العزيز بن عبد الرّحمن آل سعود، هو خامس ملوك المملكة العربية السّعودية (1982 – 1997) وأولهم اتّخاذًا للقب خادم الحرمين الشّريفين. في 25 مارس 1975، وبعد تولّي الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود للحكم، خلفًا للملك فيصل، عُيّن وليًا للعهد، وأُسند إليه منصب النّائب الأول لرئيس مجلس الوزراء، لغاية مبايعته بالملك بع د وفاة أخيه الملك خالد.

5 **الأمير عبد اللّه** (1924- 2015): عبد اللّه بن عبد العزيز بن عبد الرّحمن آل سعود، هو الملك السّادس للمملكة العربية السّعودية، ويلقّب بخادم الحرمين الشّريفين، وهو اللقب ذاته الذي اتّخذه الملك فهد قبله. في العام 1995 استلم إدارة شؤون الدّولة، وصار الحاكم الفعلي بعد إصابة الملك فهد بجلطات ومتاعب صحّية عديدة، وبعد وفاة الملك فهد في 1 أغسطس 2005 صار الملك رسميًا، وبالإضافة إلى كونه ملكًا للدّولة، فقد كان يشغل منصب رئيس مجلس الوزراء، تبعًا لأحكام نظام الحكم في المملكة القاضية بأن يكون الملك رئيسًا للوزراء.

6 انظر نشرة صوت المحرومين بتاريخ 1 كانون الأول 1976 نقلًا عن محمّد علي مهتدي، مشاركة بعنوان "البعد العربي ـ الإسلامي في مسيرة الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال كلمة سواء الرّابع، عنوانه: الهويّة الثّقافية ـ قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر م. م.، ص 66 67-.

من السّيّد موسى الصّدر كان أصدق تحليل وأدقّ عرض لأبعاد الأزمة اللّبنانية، وعلينا أن نستمع إليه ونتجاوب معه».[1] كما أنّ الرّئيس المصري أنور السّادات قال لمندوب الملك المغربي إلى لبنان في تلك الفترة: «عليك أن تلتقي بالسّيّد موسى الصّدر في رحلتك وتنسّق معه، فقد وجدته موضوعيًّا وهادئًا».[2] وكان الرّئيس السّادات قد تأثّر جدًّا بشخصية الإمام الصّدر، وقد طلب منه في إحد لقاءاته معه أن يلقي خطابًا للضّباط والجنود المصريين المرابطين في قناة السّويس، فلبّى الإمام الصّدر الطّلب وألقى محاضرة مؤثّرة جدًّا للجيش المصري لرفع معنوياتهم تجاه إسرائيل.[3] وقبل ذلك في نيسان 1969 ، عندما كان الإمام الصّدر في القاهرة للمشاركة في المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية، التقى بالرّئيس جمال عبد الناصر،[4] وكانت مدّة اللّقاء محدّدة بنصف ساعة، ولكنّ الرّئيس عبد الناصر بعدما استمع إلى الإمام الصّدر، ألغى مواعيده كلّها واستمّر بالاجتماع معه لأكثر من ساعتين، ثمّ نقل عنه قوله: «يا ليت كان للأزهر رئيس مثل السّيّد موسى الصّدر».[5]

نختم الفصل الثّاني بعبارات للإمام موسى الصّدر يؤكّد فيها أنّ قوة الدّول العربيّة ليست في السّلاح العسكري ولكن في التّضامن ووحدة الصّفّ، يقول:

«إنّ السّلاح الوحيد المؤثّر بيد العرب في هذه الفترة الزّمنية من التاريخ، هو سلاح التّضامن والتّنسيق بين الدّول العربيّة وبين شعوبها. كما أنّ السّلاح الفعّال الوحيد بيد العدو الإسرائيلي ليس طائرات ميراج ولا الصّواريخ التّلفزيونية، ولا حتّى القنابل الارتجاجية، ولكنّه الخلاف في صفوف العرب.

---

1 م. ن.، ص 67.

2 انظر نشرة صوت المحرومين بتاريخ 1 كانون الأول 1976 نقلًا عن محمّد علي مهتدي، مشاركة بعنوان "البعد العربي ـ الإسلامي في مسيرة الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال كلمة سواء الرّابع، عنوانه: الهويّة الثّقافية ـ قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر م. م.، ص 67

3 م. ن.، ص 67

4 **جمال عبد النّاصر** (1918 - 1970): هو ثاني رؤساء مصر. تولّى السّلطة من سنة 1956 إلى وفاته، وهو أحد قادة ثورة 23 يوليو 1952 الّتي أطاحت بالملك فاروق - آخر حاكم من أسرة محمد علي.

5 انظر نشرة صوت المحرومين بتاريخ 1 كانون الأول 1976 نقلًا عن محمّد علي مهتدي، مشاركة بعنوان "البعد العربي ـ الإسلامي في مسيرة الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال كلمة سواء الرّابع، عنوانه: الهويّة الثّقافية ـ قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر م. م.، ص 68.

هكـذا، راهـن مؤسسـو إسـرائيل، وهكـذا دلّـت التّجـارب، وهكـذا، يحكـم المنطـق البسـيط فـي الحيـاة. فالعالـم العربـي واسـع، وهـو إذا كان واحـدًا فإنّ العـدو ينهـار لمجـرد وجـوده فـي هـذا الخضـم مـن البشـر، وبيـن أنفاسـهم. وهنـا نصـل الى العـلاج السّـهل الممتنـع الّـذي نرجـو أن يكـون فـي بدايتـه. وهنـا أتذكّـر حديًثـا لرسـول اللّـه (عليـه الصّلاة والسّـلام) إذ يقـول: إن أخشـى مـا أخافـه علـى أمّتـي أن تتداعـى عليهـا الأمـم كمـا يتداعـى الأكلـة علـى قصعتهـا. قيـل: أَمِنْ قّلـة يـا رسـول اللّـه؟ قـال: لا... إنّهـم كثـر ولكنّهـم غثـاء كغثـاء السّـيل». [1]

---

1 موسـى الصّـدر، حـوار صحفـي بعنـوان "المؤامـرة وأطـراف النّـزاع فـي لبنـان"، ضمـن كتـاب: حـوارات صحفيـة (1): تأسيسًـا لمجتمـع مقـاوم، منشـورات مركـز الإمـام موسـى الصّـدر للأبحـاث والدّراسـات، بيـروت، الطّبعـة الثّانيـة، 2007،

المبحث الثالث
البعد العالمي لمسيرة الإمام الصدر

كانت رؤية الإمام الصّدر لمظلومية المحرومين ومعاناتهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة غير محصورة في إطارها المحلي، بل هي جزء من قضايا الفئات والشّعوب المحرومة والمستضعفة من قبل الاستعمار الخارجي، وظلم الحكّام وفسادهم، وجشع الرّأسماليين المحلّيين والدّوليين في مختلف البلدان، وخصوصًا في أفريقيا وآسيا. يضاف إلى ذلك مخاطر المشروع الصّهيوني الّذي يستهدف العالمين العربي والإسلامي بالتّفتيت والهيمنة الأمنيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة. فكان الإمام الصّدر، منذ نشأته، مطّلعًا على مخاطر المشروع العالمي للصّهيونية الّذي يتعدّى حدود الدّول العربيّة ليطال الدّول المجاورة لها، ومنها إيران في مراحل زمنية لاحقة لمرحلة تأسيس الكيان المغتصب في فلسطين. لذا، كان على قناعة بضرورة العمل المشترك بين شعوب المنطقة، ومنها الشّعب الإيراني الّذي كان على معرفةٍ دقيقةٍ بمشاعره وحقيقة مواقفه من القضايا العربيّة، وخصوصًا القضية الفلسطينية، على الرّغم من موقف حكم الشّاه في ذلك الوقت وعلاقته بالكيان الإسرائيلي والقوى العالمية الدّاعمة له.
يقول الإمام الصّدر في حديث له لمجلة المصوّر المصرية، وذلك في العام 1970؛ أي تسع سنين قبل انتصار الثّورة الإيرانية: «إنّني أؤكّد تأكيدًا لا شكّ فيه أنّ شعور الشّعب الإيراني تجاه قضية فلسطين، وأيّ قضية عربيّة أخرى لا يقلّ إطلاقًا عن إحساس العرب أنفسهم، وحتّى أنّ الشّعب الإيراني ينسى أمام القضايا العربية قوميته، وعندي على ذلك شواهد عديدة وكثيرة... وليس غريبًا أنّ أكثر المظاهرات ضخامة الّتي شهدتها إيران في تاريخها الحديث كانت التّظاهرات الّتي أقيمت من أجل فلسطين».[1] وفي حديث آخر لاحقًا في العام 1974 لجريدة المحرّر اللّبنانية يقول: «إيران بلد مسلم، وإنّها معرّضة للاعتداءات والمطامع الإسرائيلية في المستقبل، كما تؤكّد ذلك الوثائق، وأنّها بشعبها كافة تهتمّ بقداسة فلسطين وبمقام القدس، وشعب إيران مهيّأ للعمل على

---

1 انظر نشرة صوت المحرومين بتاريخ 1 كانون الأول 1976 نقلًا عن محمّد علي مهتدي، مشاركة بعنوان "البعد العربي ـ الإسلامي في مسيرة الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال كلمة سواء الرّابع، عنوانه: الهويّة الثّقافية ـ قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر م. م.، ص 69.

نصـرة العـرب بطاقاتـه وإمكاناتـه كافـة». [1]

يضـاف إلى ذلـك جانـب مهـمّ فـي مسـيرة الإمـام الصّـدر، وهـو دوره الأساسـي فـي التّخطيـط للثّـورة الإسـلامية فـي إيـران، منـذ بدايـة خمسـينيات القـرن العشـرين، إذ تشـكّل حينهـا فريـق مـن المفكّريـن الدّينييـن فـي إيـران، لـدرس اسـتراتيجية قيـام حركـة تحـرّر للشّـعب الإيرانـي، فـي ضـوء التّجـارب الفاشـلة للثّـورات السّـابقة، وقـد تكـوّن هـذا الفريـق مـن مجموعـة مـن الشّـخصيات الّتـي كان لهـا دور بـارز لاحقًـا بعـد انتصـار الثّـورة، وكان فـي مقدمـة هـذا الفريـق الإمـام موسـى الصّـدر.

وقـد خـرج هـذا الفريـق بمجموعـة مبـادئ وتوصيـات عمليـة، والتـفَّ حـول الإمـام الخمينـي [2] بحسـبانه المرجـع الوحيـد الّـذي كان يدعـو إلى قيـام حكـم إسـلامي فـي إيـران. وبقـي هـذا الفريـق علـى تواصـل فيمـا بينهـم، بعـد نفـي الإمـام الخمينـي خـارج إيـران، ومجـيء الإمـام الصّـدر إلى لبنـان حتّـى تاريـخ تغييبـه. هـذا، عـدا أنّ سـماحته كان ركيـزة لحركـة الثّـورة الإسـلامية، وهـو واحـدٌ مـن أبنائهـا، [3] علـى مـا أخبرنـا السـيد عبـد الكريـم الأردبيلـي: نـواة الثّـورة الأولى شـكَّلها الإمـام الخمينـي، ولـم يكـن مَـنْ حولـه يتجـاوز عددهـم العشـرين، هـم أصـل الأسـاس وحجـره، وهـم نمـط الثّـورة وطبيعتهـا. وعـلى يـد هـؤلاء تأسّسـت، وكان الإمـام الصّـدر فـي الصّـفّ الأول مـن بيـن هـؤلاء، إنّهـم نـواة الثّـورة الأولى.

ويوقفنـا الدّكتـور إبراهيـم يـزدي علـى بعـضٍ مـن مسـاهمات الإمـام الصّـدر لخدمـة الثّـورة والحـركات الإسـلامية الإيرانيـة جميعهـا. نوجزهـا بنقـاطٍ:

- مـن لبنـان، وفّـر مناخـات مناسـبة بيـن كبـار علمـاء النّجـف، وبيـن الشّـهيد السـيّد محمـد باقـر الصّـدر بالـذّات، وبيـن الإمـام الخمينـي.
- بحكـم حريـة التّحـرّك فـي لبنـان وعلاقـة الإمـام الصّـدر مـع شـيعة البـلاد العربيـة، اسـتطاع أن يهيّـئ أرضيـة خصبـة للتّعـرّف إلى الإمـام الخمينـي وحركـة الثّـورة

---

1 انظر نشرة صوت المحرومين بتاريخ 1 كانون الأول 1976 نقلًا عن محمّد علي مهتدي، مشاركة بعنوان "البعد العربي ـ الإسلامي في مسيرة الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال كلمة سواء الرّابع، عنوانه: الهويّة الثّقافية ـ قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر م. م.، ص 69.

2 الإمام الخميني (1902 – 1989): السّيّد روح اللّه الموسوي الخميني. وقد اشتُهر بلقب الإمام الخميني. يُعَدُّ واحدًا من كبار مراجع التّقليد في القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجريين. انتصرت الثّورة الإسلامية في إيران تحت قيادته سنة 1979، فانهار الحكم البهلوي، وتمّ تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية في إيران. وبانتصار الثّورة الإسلامية تصدّى لقيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية حتّى نهاية عمره. ومن أكثر آرائه أهمّية نظرية ولاية الفقيه، وهي نظرية فقهيّة وسياسيّة، وبناءً عليها تمّ تأسيس نظام الجمهورية الإسلامية، وكتابة الدّستور الإيراني. وله أيضًا تأليفات متعدّدة في الفقه والأصول والفلسفة والعرفان، كما كان من علماء الأخلاق في عصره، وكان يعيش عيشة زاهدة.

3 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 16.

الإسـلاميّة، لأنّ هـذا كان مجهـولًا فـي الوسـط العربـي. [1]
- كان للصّحافـة اللّبنانيـة تعليقـات وتحليـلات غيـر مناسـبة عنـد انتقـال الإمـام الخميني مـن تركيـا إلى العـراق، فعمـل الإمـام الصّدر على تعديـل النّظـرة أو تخفيـف اللّهجـة.
كانـت أول إطلالـة للإمـام الخميني عـلى الإعـلام الغربي مـن ترتيـب الإمـام الصّـدر، بمقابلـة جـرت مـع الإمـام الخمينـي فـي النّجـف والّـذي أجـرى المقابلـة (لوسـيان جـورج)، لصالـح جريـدة لومونـد الفرنسـية.
ثـمّ يعـدّد أمـورًا في دعـم الحـركات الإسـلامية في إيران، مـن توفير غطـاء، وتعريف بالحـركات الإسـلاميّة، وفصائـل المقاومـة الفلسـطينية، والتّواصـل المسـتمر مع قادة هـذه الحـركات، وينهـي: «أعضـاء نهضـة آزادي، فـي داخـل إيـران وخارجهـا، ومـن فـي أوروبـا وأميـركا، والثّـوار الإيرانييـن جميعهـم مدينـون لسـماحته الّـذي كان يضمـن لهـم التّواصـل مـع الإمـام الخمينـي». [2]
ولتأكيـد المؤكّـد نشـير إلى مـا كتبـه الشّـيخ هاشـمي رفسـنجاني،[3] صاحـب الموقـع المشـهور فـي دولـة الثّـورة الإسـلاميّة، وقـد جـال فـي لبنـان وسـوريا متخفّيًـا. فقـال: فـي لبنـان وسـوريا كان الحضـور الأقـوى للطلّبـة وللسـيّد موسـى الصّـدر. مكثـت فـي سـوريا عـدّة أيام، ومثلهـا فـي لبنـان الّـذي كان بالنّسـبة إلينـا مثيـرًا أكثـر مـن أيّ مـكان آخـر وشـديد الجاذبيـة، فقـد شـكَّل فيـه رجـل ديـن إيرانـي - لبنانـي "هـو السـيّد موسـى الصّـدر" مؤسسـة رسـمية باسـم المجلـس الإسـلامي الشّـيعي الأعـلى، كان حكومـة قائمـة بذاتهـا، ولـم يكـن لهـذا الأمـر مثيـل فـي أيّ مـكان آخـر فـي العالـم.[4]
«هـذه العلاقـة الحسـنة يسّـرت لـي فـي هـذه المرحلـة، سـبل اللّقـاء بياسـر عرفـات[5] الّـذي كان لـه فـي تلـك المرحلـة مكانـة مهمّـة، وكان يعيـش قائـدًا للفدائييـن ومتخفّيًـا. وقـد رتّـب السـيّد موسـى هـذا اللّقـاء بسـهولةٍ. وشـارك شـخصيًّا فـي

---

1 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السيد موسى الصّدر، م. م.، ص 17.

2 م. ن.، ص 18.

3 راجع: حياتي. ميم. سين صاد، من ص 169 إلى ص 172.. الشّيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني (1934 - 2017): سياسي، ورجل دين إيراني. حُكم عليه بالسّجن عدّة مرات في فترة حكم شاه إيران. بعد انتصار الثّورة الإسلاميّة شغل مختلف المناصب، بما في ذلك رئاسة البرلمان، ورئاسة الجمهورية لدورتين متتاليتين (1989 - 1997) ورئاسة مجلس الخبراء. وكان منصب رئاسة مجمع تشخيص مصلحة النّظام (1989 - 2017) آخر منصبٍ شغله.

4 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السّيّد موسى الصدر، م. م.، ص 19.

5 ياسر عرفات (1929 – 2014): هو سياسي، وعسكري فلسطيني، وأحد مؤسّسي حركة فتح وجناحها المسلح - العاصفة. رئيس منظمة التّحرير الفلسطينية منذ 1969 وحتّى 2014، كما ترأس السّلطة الوطنية الفلسطينية في العام 1996 لغاية وفاته في العام 2014.

المحادثات التي دارت فيه». وقد أظهر القادة الفلسطينيون احتفاءً به واحترامًا كبيرًا للسّيّد موسى. [1]

وعن موقع الإمام الصّدر من الثّورة الإيرانية، يقول الرّئيس الإيراني الأسبق السّيّد هاشمي رفسنجاني: «كان أملنا معقودًا على الإمام الصّدر في لبنان بعد انتصار الثّورة». [2] وفي شهادة للسّيّد محمّد علي موحد الأبطحي، أحد العلماء والمدرسين في الحوزة العلمية بمدينة قم، يقول: «في الوقت نفسه الّذي كان الإمام الصّدر يشكّل المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى في لبنان، كان الإمام الخميني يلقي محاضراته في النّجف الأشرف حول الحكومة الإسلامية، وذات يوم، قلنا له: لنفترض سيّدنا أنّكم استطعتم إسقاط نظام الشّاه وإقامة الحكومة الإسلامية في إيران، فهل لديكم الشّخص المناسب لتسلّم الحكم وإدارة شؤونه؟ فرد الإمام الخميني: نعم، لديّ السّيّد موسى الصّدر». [3]

ولسفارة الشّاه نصيب. لم تكن المخابرات الإيرانية (السافاك) ترضى إهمال سماحته علاقته بإيران، مع رغبتها بأن تجد طريقًا إليه فكان أنّ أعلن عن مناقصة دولية لبناء مستشفى وتجهيزها، فسارعت لتقديم عرض له، وإلى جانبه عرض 30 مليون ليرة لصالح المجلس الإسلامي الشّيعي. وكانت غضبة كبرى أن يرسو الالتزام على عرض الاتّحاد السّوفياتي، وكان أنّ سُئِلَ في مقابلة لصحيفة خليجية عن ارتباط الشّيعة بأوطانهم الخليجية؛ فكان في إجابته يذكر عبارة الخليج العربي، وهو بالنّسبة إلى إيران الّتي تصرّ على فارسية الخليج يقتضي حكمًا قاسيًا ونزعًا للجنسية، وحدث أن تعرّض السّفير قَدَر لاغتيال اتّهم فيها الإمام الصّدر بتوجيه المجاهدين الإيرانيين المقيمين في لبنان، وهكذا، انهالت الألقاب الصّحفية لسماحته، ومنها: مصدقي - شيوعي - يأخذ الشّيعة إلى سيبيريا، بينما هو عند آخرين: أميركي سافاكيا، لكلّ قال أمّا هو فقد قال: أنا بعد، ما أكلت كفًّا.. ولكني أنتظر.. ما ضُربت بالرّصاص.. ولكنّي أنتظر.. ما جُرحت جبيني.. ولكنّي أنتظر.. [4]

وإذا تتبعنا حدود المسؤولية الّتي يراها الإمام الصّدر للإنسان "خليفة اللّه على

---

1 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 20.

2 م. ن.، ص 72.

3 م. ن.، ص 72.

4 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السّيّد موسى الصدر، م. م.، ص 334.

الأرض" نجدها تتعدّى حدود ذاته لتشمل غيره من البشر، ولتصل إلى مسؤوليته عن الأرض وكائناتها. من واقع هذه الرّؤية الكونية الشّاملة لمسؤولية الإنسان، فإنّ مسيرة الإمام الصّدر اتّسعت في أبعادها لتتعدّى حدود الهداية الفردية وشؤون المجتمع المحلي والوطني، وحتّى الإسلامي إلى بعدها الدّولي؛ أي الإنساني العام، بغضّ النّظر عن اللّون والجنس والعرق، بل والدّين، عملًا بقول الإمام علي(ع) عن الآخر فهو «إمّا أخٌ لك في الدّين أو نظيرٌ لك في الخلق». فالإنسانية حسب رأي الإمام الصّدر تعيش بوجود واحد يتفاعل بمختلف أجزائه بعضه مع بعض، وكلّما ارتقت ثقافة الإنسان وازدادت معرفته تجلّت هذه الحقيقة وازدادت وضوحًا. هذا ما قاله الإمام الصّدر في محاضرة له في "النّدوة اللّبنانية" في العام 1964. ويضيف: «وتجزئة هذا الوجود: خلاف للنّاموس الإلهي إذ خلقه موحّدًا، وهي خلاف لطبيعة الإنسان وفطرته الّتي تتبع هذه الوحدة، كما أنّها خلاف لمصلحته العليا القائمة على التّعاون والتّفاعل بين أبناء الأسرة البشرية». [1]

في مداخلة للمطران جورج خضر[2] عن البعد العالمي في ثقافة الإمام الصّدر، يقول: «أول ما لفتني في الإمام على الصّعيد الخطابي، وكان يحاضر في جماعة مسيحية بأكثرها: أنّه كان يخاطب الإنسان، ولا أذكر أنّه استشهد بآية قرآنية آنذاك، ولم أكن قد سمعت أو قرأت شيئًا من هذا عند علماء المسلمين. قلت لنفسي: أنا في حضرة إمام قادر أن يجلس على أرائك الإنسانية، ولا ينحصر في مسجد. ثمّ سمعته مرة يقول: ما أقوله في المسجد أستطيع ترداده في كلّ مكان؛ أيّ أنّه كان واعيًا لوحدة الكلام البشري بسبب وحدة النّاطق وصدقه، وقادرًا أيضًا أن يدير لعبة البلاغة الّتي تدخل أيّ حيّز بلا خيانة. هو إنسان واثق من نفسه لإيمانه باللّه الذي يعرف أنّه حامل رسالته، يواجه بلا تشنّج ولا استعلاء. يحمل هذه الرسالة بدقّة كاملة، بإخلاص شديد، ألّا تَخشى على الرّسالة لإيمانك بقوّتها، وأنّها ليست بحاجة إلى من يحميها، هذا لعمري نادر

1 **خالد زيادة**، مشاركة بعنوان: "الإنسانية وجود واحد"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الرّابع، عنوانه: قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 93.

2 **المطران جورج خضر** (1924 - أطال اللّه عمره): مطران أبرشية جبيل والبترون وما يليهما الرّوم الأرثوذكس من 15 شباط 1970 حتّى تاريخ استقالته في 3 آذار2018. أحد أعلام الحوار الإسلامي المسيحي في لبنان والخارج. له عشرات الكتب ومئات المحاضرات والمقالات اللّاهوتية والفكرية والوجدانية والوطنية باللّغات العربيّة والفرنسيّة والانكليزيّة والرّوسية.

في الأوساط الدّينية».[1]
ويتّضح البعد الإنساني في ثقافة الإمام الصّدر ومسيرته العملية، عندما تحدّث في المؤتمر الصّحفي في مدينة بون الألمانية سنة 1970 عن الشعب الألماني ومزاياه، ووصفه بأنّه «بلغ قمّة الحضارة الحديثة كَمًّا وكيفًا»، ودعا إلى التّكامل بينه وبين الشّرق العربي، وقال: «إنّنا نؤمن أنّ في هذا التّفاعل تحقيقًا للغاية من الخلق». فهو من موقعه كعالم دين مسلم لا يعقّده الغرب، بل يرى ضرورة الانفتاح المتبادل معه، وهو القائل في المناسبة نفسها عن لبنان بأنّه: «ضرورة ثقافيّة يسهّل عليه أنّ يكون لسانًا وسمعًا للاستماع والمخاطبة بين الشرق والغرب وبين القارات». وهذا بعد أن رأى لبنان «ضرورة حضارية لخلق الحوار بين أعضاء الجسد الإنساني الكبير»، إذ إنّ العلاقات الدّينيّة بين الطّوائف المختلفة وبين أبناء مذاهبهم في الخارج، تجعل الطّوائف نوافذ حضارية على العالم جميعه. هذا يعني دعم انفتاح المسيحيين كاملًا على العالم المسيحي والإفادة من هذه العلاقات، مع استمرار الانفتاح على دنيا العرب لجعل لبنان «مكانًا للتّلاقي وصلة للتّفاهم».
إنّ مجمل مواقف الإمام الصّدر وآرائه على مختلف الأصعدة والمستويات، تبيّن لنا أنّه لم يكن عنده تناقض بين العام والخاص، وهذا ما يضعه في الأفق العالمي وفي بلده في الوقت نفسه. فقد تجنّد للشّيعة والجنوب ولبنان والقدس والقضايا العربيّة والإسلاميّة، مع بقائه إنسانًا شموليًّا تتّسع رؤيته واهتماماته إلى المدى العالمي، ولم يحشر نفسه في زاوية محدّدة، ولم تتضارب فيه هذه الاهتمامات.
وبالعودة إلى رأي المطران جورج خضر عمّا هو عالمي في ثقافة الإمام الصّدر، يقول: «.. وفي حسي بالرّجل أنّه كان أكبر مما كتب، وأنّ عالميته فيما شعر به أوسع مما نجده في ما خطّه قلمه، ذلك أنّه خطّ في النّضال وليس في هدأة الأكاديمية. وشعور الإنسان لون ثقافته. الإمام في صفحة من صفحاته يجمع بين ذكر العقل النّيّر والقلب الودود... ديانة موسى الصّدر تنبع من قلبه الودود. لذلك، ليس لي معها مشكلة. خاطبت قلبي بقدر ما استطاع أن يحبّ. كان موسى الصّدر قلبًا، لم يرقَ فقط إلى العالمية. أدرك ما كان فوقها. إنّه بلغ

---

1 **جورج خضر**، مشاركة بعنوان: "البعد العالمي في ثقافة الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الرّابع، عنوانه: قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصدر،م. م.، ص 95.

في الطاعة والصفاء لاهوتية العرش». [1]

نختم المبحث الثالث بعبارات للإمام موسى الصّدر يتكلّم فيها على وحدة الجماعة البشرية وضرورة التّعارف وتعريف الخصوصيات، لغرس روح المحبّة والتّآلف بين شعوب العالم، يقول:

«الإنسانية تعيش بوجود واحد يتفاعل بمختلف أجزائه بعضه مع بعض. وكلّما ارتقت ثقافة الإنسان وازدادت معرفته، تجلّت هذه الحقيقة وازدادت وضوحًا.
وتجزئة هذا الوجود خلاف للنّاموس الإلهي، إذ خلقه موحّدًا. وهي خلاف لطبيعة الإنسان وفطرته الّتي تنزع إلى هذه الوحدة، كما أنها خلاف لمصلحته العليا القائمة على التّعارف والتّعاون والتّفاعل بين أبناء الأسرة البشرية.
فمحاولة التّجزئة تحمل خطورتها بين طيّاتها كيفما انتسبت وبأية صورة ظهرت.ولو أُلصقت بأقدس مقدّساتنا كالدّين والوطن، فكيف بها إذا انحرفت مع الأهواء فبرز باسم العنصرية والطّائفية واختلاف المستوى الحضاري بين الشعوب؟! نحن نعترف بحقيقة الفرق بين أفراد البشر، ولكنّنا نقرّ ونؤكّد أنّ هذا التّفاوت يجب أن يكون سببًا للحركة والتّعارف، وموجبًا للتّعاون والتبادل والتّكامل: **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوًبا وقبائل لتعارفوا)** الحجرات: 13
نعم! إنّ هناك ميزات وتراثا خاصًّا، وتجارب لكلّ شعب، لكلّ عصر، لكلّ طائفة، ولكلّ منطقة. فوجب أن تبرز وتتضّح لبقية الأفراد حتّى يأخذوا من صالحها: النّصيحة، ويفهموا من معناها: الفكرة، ويستفيدوا من نجاحها: الطّريقة. وبهذا تتمكّن الإنسانية أنّ تستمّر في سيرها الطّبيعي نحو الكمال والرّفاه والسّعادة. والطّريق الطّبيعي للوصول الى هذه الغاية النّبيلة إنّما هو التّعريف بحقيقة تجربة فئة، لها دورهاالفكري، ولها أسسها في توضيح العقيدة، ولها خصائصها العلمية. وإخفاء هذه الحقائق والميزات يوجِد شيئًا من التّخوّف والحذر، تشوبهما غالبًا عناصر أخرى، فتمنع التّفاعل وتتحوّل الى روح العداوة وعدم الثّقة». [2]

---

1 جورج خضر، مشاركة بعنوان: "البعد العالمي في ثقافة الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء الرّابع، عنوانه: قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر،م. م.، ص 102 – 103.

2 موسى الصّدر، محاضرة بعنوان "أضواء وتأملات"، النّدوة اللّبنانية بتاريخ 6 نيسان 1964، ضمن كتاب: أبجدية الحوار، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2007.



الفصل الثامن

محطّات من الإصلاح العملي للإمام الصّدر

المبحث الأول
خصائص الممارسة العملية عند الإمام موسى الصّدر

المبحث الثّاني
العمل على ترسيخ الوحدة الوطنية اللبنانية والديّنية على أساس القواسم المشتركة

المبحث الثّالث
آليات الممارسة

المبحث الرابع
أنموذجات من المشاريع والمؤسسات



الإمام الصدر يدلي بصوته خلال انتخابات المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى
(30 آذار 1975)



مدخل

لم يكن منهج الإمام الصّدر خطابيّا وحسب، بل كان العمل والحركيّة من سماته الغالبة. فكلّ ما نظّر له، وتكلم فيه حاول أن يطبّقه ويحوّله إلى مشروع حيٍّ على الأرض.

هذه الممارسة وهذا التّطبيق كانا يتّصفان بصفات عامة ترسم ملامح الفلسفة العملية للإمام الصّدر. نبدأ حديثنا في هذا الفصل الختامي بإشارة لأكثر هذه الميزات أهمّية، ثم نذكر أنموذجات من هذه المشاريع.

الإمام موسى الصّدر، فرادة الأسلوب والمنهج:

تمايز الصّدر عن غيره من المهتمّين في الشّأن الإسلامي العام، ومن المصلحين الإسلاميين، بتبنّيه منهجًا يدمج فيه البعد الثّقافي بأطره العملانية. وميزة هذا المنهج أنّه لا يقبل العيش في الفضاء النّظري المثالي، بل يستعجل الانخراط في الواقع. والحقيقة أنّ هذا التّوجه ينطوي على منزع يعكس الرّغبة والإرادة لدى الصّدر في استنقاذ الذّات الثّقافية الإسلامية من طوايا النّسيان، والتزمّت والعقلية البدائية، ومن تحت أستار التّعتيم الثّقافي الغربي المهيمن على أنظمة القيم والمعايير.[1] لهذا، نرى علاقة جذرية وجوهرية بين حركة الصّدر الفكريّة وحركته السّياسيّة والاجتماعيّة. [2]

أضف إلى ذلك، أنّ الفيلسوف أو المفكّر يسعى إلى فهم المشكلات الاجتماعيّة والعلميّة والتّاريخيّة بصورةٍ فلسفيةٍ، ويرى أنّ هذه المشكلات لا يمكن أن تحلّ إلّا في إطار تصوّر فلسفي محكّم. فالنّظام الفلسفي هو بمنزلة الخريطة الّتي تحدّد موقع الإنسان من الوجود، ومساره وحضوره في هذه الحياة، ومدى تأثير الفلسفة في تطوّر المجتمع.[3] وللإضاءة أكثر على هذه النّقطة يتساءل الصّدر في محاضرة له: «لماذا نحن بحاجة إلى هذه المبادئ العميقة؟ لأنّه إذا

---

1 صادق النّابلسي، موسى الصّدر: مسار التّحدّيات والتّحولات، م. م.، ص 166.

2 م. ن.، ص 170.

3 م. ن.، ص 175.

لم ننطلق في نظمنا الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة، من مبدأ عقدي تصير نظمنا غير منسجمة مع نفسها. حينما يكون ثمّة مبدأ عقدي... تصير التّحرُّكات جميعها منبثقة من مبدأ واحد، ومنسجمة في ما بينها، وبالتّالي تساعد الإنسان على التّطور. أمّا إذا كان حزبٌ، أو تنظيم اجتماعيّ، أو نظام رسمي حكومي في العالم، لم يتمتّع بمبدأ فهو يتخبّط، يتناقض، ويتعارض في تحرُّكاته، فيتولّد في داخله تناقضات، وبالتّالي ينهار. إذًا، الفلسفة انعكاس نحو المجتمع، ولكنّها سببٌ أساسيٌّ لتطوير المجتمع أيضًا». [1]

لم ينطلق الإمام الصّدر من أحكامٍ مسبقةٍ، بل تبنَّى أسلوبًا حواريًّا متميّزًا، فقارن المنطق بالمنطق، والحجة بالحجة. اعتمد الفكر الاجتماعيّ في تحديد العلاقة بين النّصّ وحركة الواقع. وكان نقده للواقع المعيش متماشيًا مع أدبيات النّصّ الفلسفيّ المدروس، آخذًا بنهج التّفكير الإسلامي، ومنطلقًا به نحو آفاق جديدة. وهو أثبت بالحجة المقنعة، وبمقولاته العملانية ونظرياته الفلسفية الفذَّة، أنّ الإسلام قادر على استيعاب مشاكلات الإنسان المعاصر، مهما كانت معقّدة، وأنّ الإسلام بفكره المتجدّد يرتقي إلى تغطية متطلبات المجتمع الحديث وحاجاته.

لم يعتمد الإمام الصّدر العاطفة في خطابه، ولا هو استغلّ موقعه الدّيني لأجل إقناع الناس، بل عرض حلولًا عملانية لمشاكلات حياتية يعيشها النّاس، وركَّز على خصوصيات إنسانية، حاسبًا أنّ الإنسان هو الثّروة الوطنية الأساسية، ودعا إلى بناء الدّولة وإرساء العدالة الاجتماعيّة.

إنّ إحدى الخصوصيات الثّقافية في مجتمعات منطقة الشّرق الأوسط والّتي تشكّل عائقًا مهمًّا في طريق التّقدّم والتّطوّر، هي عدم الاعتراف باختلاف خصوصيات الأفراد والجماعات أو تفاوت الآراء والمعتقدات. إذ، مع حلول "ليل العقل"، نظرًا إلى الاستبداد والطّغيان التّاريخي الّذي حكم شعوب المنطقة ولفترات طويلة، بدت " الأبقار جميعها سوداء"، على ما يقول هيغل[2]. كان يجري تقليص الاختلافات بين الأفراد والجماعات بعدّهم أشياء متماثلة تؤخذ بسلّة واحدة. القليل جدًّا، في هذه المنطقة، حاول أو استطاع أن يسلك سلوك الإمام الصّدر، وأنّ يتصرّف تصرفه إزاء مشاكلات لبنان والمنطقة، من خلال احترامه لواقع الاختلاف ونشاطه الدّؤوب وعمله المتواصل على تكريس حقّ الاختلاف.

---

1 م.ن.، ص 176.

2 جورج فيلهلم فريدريش هيغل (1770 - 1831)، يعتبر من أهم الفلاسفة الألمان حيث يعتبر أهم مؤسّس المثّالية الألمانية في الفلسفة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.

فقد انتهج الإمام الصّدر الدّراسة المعمّقة والتّحليل العلمي الدّقيق للظّواهر والأحداث. ونادى بوجوب دراسة كلّ ظاهرة على حدة، وتحليلها في إطارها الخاص، وعدم تعميمها، لأنّ لكلّ موضوع خصوصياته الفريدة وتعقيداته الخاصة. وهو يقول بهذا الخصوص: «إنّ تأثيري يكمن في حركتي وعملي، فمن الطّبيعي أن يكون للعمل والنّشاط أشكال وحالات مختلفة. تحاول النّظرية السّلوكية أن تدرس كلّ ظاهرة كما هي، إذ يتمّ تقييمها وتحديد طرائق حلّها».

استطاع الإمام الصّدر أن يتبع هذه النّظرية، وأن يدرس كلّ ظاهرة خارج نطاق فكره وعواطفه واعتقاده، ومن ثمّ وضع الحلول المناسبة لها. وهذه القدرة الرّائعة تنبع من الجمع بين العلم والإيمان.

جمع الإمام الصّدر في شخصه العديد من المقوّمات الّتي وظّفها خير توظيف في إرساء منهج يزاوج بين العلم والإيمان والعمل. فبالنّسبة إلى العلاقات الاجتماعيّة والسّلوك الحسن، فقد تمتّع بدرجة علمية عالية وأخلاق، وإيمان راسخ.

وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنّ الحركة الإصلاحية التي تبنَّاها الإمام الصّدر كانت ترجمة فعلية وممارسة واقعية لإصلاح دينيّ اجتماعيّ شامل. ولعلّ أكثر اجتهادات الإمام جرأة هي تلك المتصلة بالتّقريب بين المذاهب الإسلامية، والحوار بين الأديان. ليس فقط لأنّها تلامس شغاف الحساسيات المزمنة، بل لأنّها تقع في صميم ما نحن بمواجهته اليوم؛ إذ كانت المحاولات حثيثة لطمس صراع المصالح الدّولية ومطامع السّلطة والنّفوذ مقابل تغليب الخلافات المذهبية والخصوصيات الإثنية، وكأنّها جوهر الأزمات.

يذكّر الأستاذ محمّد السمّاك، الباحث والنّاشط في الحوار الإسلامي- المسيحي، بوجود رسالة رسمية من الإمام الصّدر مسجّلة ومحفوظة في دار الفتوى اللّبنانية تطلب «توحيد الفقه وتوحيد العادات العبادية حتّى توحيد الأذان والأعياد الدّينيّة، واقتراح تشكيل لجان اختصاصية من المسلمين السُّنة والشّيعة بالبحث في هذه التّفاصيل، ونحن نلتزم بما يتّم الاتفاق عليه بإطار هذه اللّجان». [1]

---

1 **محمّد السمّاك**، "الإمام موسى الصّدر بين القومية والوطنية"، جريدةالمستقبل بتاريخ 5 أيلول 2005، كما يمكن مراجعة (المستقبل) عدد 1 أيلول 2008، ونصّ مقابلة أجرتها محطة NBN مع الباحث بتاريخ 28 آب 2003.

هكذا، بين الدّين والإنسان، اجتهد الإمام الصّدر. وعبّرت اجتهاداته تلك عن رؤية متكاملة لماهيّة الإنسان، رحلته في الحياة، وغائية وجوده في المجتمع، وفي الكون.

نجمل هذه الرّؤية بالنقاط الآتية:

- الدّين لخدمة الإنسان، وإنّ الإنسان هدف الدّين وغايته.
- لا معنى لإيمان الإنسان إذا لم يقرنه بالعمل.
- جدلية الواقع والإنسان والنّصّ بعلاقة تطورية تصاعدية.
- الاجتهاد المستنير المنفتح المواكب للتّطوّر، والأمين على قدسيّة النّصّ.
- الإنسان كلٌّ متكامل في الجوانب الإنسانيّة المختلفة؛ أي الفرديّة والاجتماعيّة والطّبيعيّة والإلهيّة.

هذه هي أركان الفكر الصّدري والّتي حملها منهج حياة وعمل. فإلى جانب الفكر، امتاز الإمام الصّدر بالتزامه بالتّطبيق وبضرورة إشهار النّتائج وتعميمها. «هو شيّد الرّؤية، وراح يمشي بها بين النّاس فيوقظ النّائمين، ويستنهض القاعدين، ويستمشي الواقفين، ويستركض الماشين. وهو معهم، بل هو منهم، وقد استطاع أن يحفّزهم نحو حاجاتهم وأغراضهم، وأن يطوّر الرّؤية ويكيفها على ضوء هذا التّفاعل مع النّاس». [1]

هذا الإنسان المتّجه دومًا نحو الكمال به حاجة إلى ميدان حركة، إذ تتجلّى خلافته لله. ولبنان خير مجال لتلمّس هذه الحركة. فما الآثار الماديّة والمُمَأسَسَة الّتي تركها لنا على أرض الواقع؟ وكيف وظّف الإمام الصدر منهجيته القائمة على التّنظيم والتّخطيط والمشاركة واستيعاب الخصوم وبناء الشّراكات والإصلاح، لنقل الرّؤية إلى أرض الواقع؟

من الواضح أنّ لكلّ غرض أسلوبه، وأسلوب الصّدر في تواصله كان متّسمًا بأمرين:

1 - ما كان ينتظر مناسبة دينية ليقول ما يشاء، فحيث يكون احتياج إنسان أو جماعة من النّاس لأمر، فهو إذًا مناسبة، ومناسبة عبادية في أكثر أشكالها رقيًا.[2]

2 - لحظات احتياج النّاس للأساسيات من الحياة تطوي ساعات العمر، ولكلّ

---

1 **حسين شرف الدّين،** تحقيق كتاب "موسى الصّدر، منبر ومحراب، دار الأرقم، بيروت، الطّبعة الأولى،1981، ص 5.

2 **حسين شرف الدّين،** صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثاني): رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 291.

لحظة حاجة، فعليه أن يسابق خطو السّاعة لتلبية ما يمكن، ولا ينتظر أن يأتي إليه المحتاجون، بل يذهب هو إليهم.[1]

التّعايش رسالة

التّعايش في فكر الإمام رسالة وليس تكتيكًا. لهذا، كان يؤكّد سماحته من خلال الملتقيات تدارك أوضاع لبنان، مصرًّا على ما كان يقوله منذ أن حلّ في لبنان، وعليه أخذ يشكّل للشّيعة شخصية سويَّةً تسهم في حركة النّهوض بلبنان. يقول: «إنّ الطّائفية لها غير معنى، فقد تكون سياسيّة. وكثيرًا ما يقصد بالطّائفية الاهتمام بشؤون الطّائفة، منهم من يقصد بذلك التّديّن. ولكن الطّائفية الخطرة هي السّلبية، واتّخاذها حاجزًا أمام التّعاون والتّفاعل لا قاعدة لهما. وهذا معنى آخر، وعلاجه يكمن في التّربية الدّينيّة الصّحيحة، وسعي المخلصين سعيًا مطلقًا، بعيدًا من المساومات. وإنّي أعتقد أنّ الشّعب اللّبناني إذا تُرِكَ لطبيعته، فهو ليس طائفيًّا سلبيًّا، بل يرغب في التّعاون مع مواطنيه بكلّ إخلاص».[2]

ويضيف: «إنّ أكثر النّاس تعصّبًا للطّائفية في لبنان هم أبعدهم من التّديّن. الطّائفية ما وضعت كدين قائد للحكم، ولكن كتقسيم للنّاس. وعلى هذا الأساس، فالطّائفية في لبنان بحث سياسيّ، وليست بحثًا دينيًّا، وعليه يناقش الموضوع على الصّعيد السّياسيّ. والإنسان لا يمكن أن يوافق على هذا لأن معناه تحديد الكفاءات وتجميد الكثير من الطّاقات».[3] ذلك أنّه يرى أنّ أمانة اللّه هي الإنسان. والمطلوب حفظ هذه الأمانة مع كلّ ما أنعم اللّه عليها من قدرة وكفاءة وإمكانية ذهنيّة وجسديّة وعاطفية وحركيّة. ولهذا، نجد الإمام الصّدر وهو يعرّي الطّائفية السّلبية، يقدِّم لنا التّعايش صورةَ حياةٍ للإنسان اللّبناني، من دون تمييز في عقيدته أو مهنته أو منطقته. إذ إنّ «التّعايش ليس ملكًا للبنانيين، لكنّه أمانة في يدهم ومسؤوليتهم وواجبهم وليس حقّهم. نتمسّك

---

1 ن.م.، ص 292.

2 موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان "الأهداف والتّنظيم"، الحياة بتاريخ 25 أيار 1969، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، م. م.، ص 59.

3 موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان "الطّائفية في لبنان سياسة وليست دينًا"، مجلّة المصوّر بتاريخ 5 آذار 1970، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، م. م.، ص 142.

بوحدة لبنان، ونحافظ عليها وعلى استقلال لبنان وعلى انسجامه مع المنطقة، وعلى صيانة هذا الكيان الّذي هو أمانة للحضارة العالميّة».

«...التعايش هو الميزة الحيّة على الرغم من ميزات لبنان في تاريخه وقوة أهله ومناخه. الرّسالة اللّبنانية في التعايش».[1] وحتّى تتجاوز هذه الميزة دائرة الشّعار والخطاب، وتتحوّل إلى أسلوب حياة وناموس تواصل، انتهجها الإمام الصّدر في مسيرته ونضاله. كما حرص على بثّ مفردات الحوار وتعميمها حيثما حلّ وكيفما ارتحل. وبقي يردّد: «إنّ الوطن يعيش في ضمائر أبنائه قبل أن يعيش في الجغرافيا والتّاريخ. ولا حياة للوطن من دون الإحساس بالمواطنية والمشاركة، ويجب أن يبرز هذا بصورةٍ واضحةٍ وسريعةٍ ودائمةٍ في ترفّعكم عن العائليات والأقلّيات والطائفيات والحزبيات»[2].

كما في لبنان الرّسالة، يقول: «نتيجة لتوسّع المواصلات نشعر أنّ العالم في أواخر القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، يعيش كأنّه بلد واحد، فأقصى مسافة بين بلد وآخر في العالم لا تتعدّى اليوم مسافة الانتقال بين بيروت وطرابلس. إذًا، هذا العالم المترابط الّذي يضمّ الأديان، والتّعايش بين أبناء العالم من أجل استمرار الإنسان في بناء الدّولة الواحدة الكونية مرتبط ومتأثّر إلى حدٍّ كبير بنجاح صيغة لبنان التّعايشية»[3].

ولو شئنا تكثيف تلك القيم في مدوّنة حوارية، سنحصل على الآتي:

- أهمّية الاستعداد الذّهني والتّأهيل النّفسي لاستنهاض القدرات الكامنة في الإنسان.
- الاحترام المتبادل بين الفرد وأخيه، بين الفرد وجماعته، وبين الجماعات المختلفة.
- الإيمان العميق بالإنسان كقيمة مطلقة وكيان مستقل.
- السّعي الدائم إلى تطوير الذّات بهدف الارتقاء بالقدرة على استيعاب الذّات والآخر.
- العقل المنفتح والقدرة على التّفكير بحرية وبأساليب مختلفة.
- الصّدق في الإصغاء والحوار والمناقشة.

---

1 انظر: موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان "لبنان والحضارة الإنسانية"، مع وفد نقابة المحررين في المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى، بتاريخ 17 كانون ثانٍ 1977، ضمن كتاب: حوارات صحفية (2): الوحدة والتّحرير، م. م.، ص 314.

2 موسى الصّدر، معنى العيد ومفهوم الوطن والمقاومة، ضمن كتاب أخلاق الصوم، م.م. ص 81

3 انظر: موسى الصدر، حوار صحفي بعنوان "لبنان والحضارة الإنسانية"، مع وفد نقابة المحررين في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بتاريخ 17 كانون ثانٍ 1977، ضمن كتاب: حوارات صحفية (2): الوحدة والتحرير، م. م. ص312.

- الارتقاء بعملية الإصغاء لاهتمامات الآخرين والالتزام بمسائل الشّأن العام.
- تعزيز الثّقة ومشاعر المحبّة بين الأفراد متعدّدي الانتماءات.
- تجنّب إصدار التّهم والتّفسير الخاطئ لسلوكيات الآخرين، وتجّنب إصدار الأحكام على أفكارهم ورؤاهم.
- الابتكار والخلق في ابتداع أدوات وطرائق تفكير جديدة حيال الآخرين.
- انتهاج النّظام والتّنظيم.
- مَأسَسَةُ العمل الحواري بهدف ديمومته، وكي يصلح كأنموذج يقتدي به الآخرون.

بعد هذه المقدمة ندرس تجربة الإمام الصّدر من خلال تتبع خصائص ممارسته العملية أولًا واستكشافها، ثمّ إحصاء آليات هذه الممارسة مع ذكر أنموذجات لها، وفي الختام نذكر موجزًا عن أكثر المؤسسات أهمّية الّتي أرساها.

المبحث الأول
خصائص الممارسة العملية عند الإمام الصّدر

أولًا: امتلاك رؤيـة واضحـة ناصعـة

ألقى الإمام الصّدر مئات، بل آلاف الخطابات خلال فترة أقل من عقدين من الزّمن، في ظروف وأماكن ومحافل مختلفة، ولمستويات مختلفة من المتلقّين، لكن لا نجد فيها هفوات لأنّها تتمتع بمنهجٍ ثابتٍ دينيٍّ وعصريٍّ. لهذا، جاء فعله منسجمًا مع عمله، وعمله منسجمًا مع ذاته، وتعقيد الظروف لم يوقعه في تناقضٍ أو ارتباكٍ. وصار منذ اللّحظة الأولى ثابت القدم باتجاه هدفٍ واضحٍ لديه.

ثانيًا: عدم الاكتفاء بالوعظ والإرشاد للتّنبيه على المشاكلات أو السّلبيات، بل تقديم الحلول العلميّة والعمليّة والقدرة على اكتشاف البدائل

ليس بالضّرورة البديل عن الكلام هو بناء مؤسسة مادّية على الأرض، بل قد يكون فكرة أو طريقة أو منهجًا. على سبيل المثال، بعد ما جال مناطق الحرمان بقاعًا وشمالًا وجنوبًا وضواحي بيروت، وعاهد الجميع أن يبقى ضميرَهم وضمير كلّ محروم، ابتدع قَسَمًا ردّده هو والجماهير، كي يبقى هذا القَسَم محفّزًا حيًّا في ضمير الأمة لمواصلة الطّريق:

«نحلف باللّه العظيم، وبالنّبي الكريم، وبشرف الإنسانيّة. نحلف باللّه العظيم أن نستمرَّ في طريق المطالبة بحقوق الطّائفة. نطالب، ونصرّ، ونستمرّ، ونشّدد من دون خوف ولا وجل، ولا تراجع ولا مساومة. وسنقف مع كلّ مظلوم، ومع كلّ ضعيف، ولا نرجع عن ذلك، ولا نضعف، ولا نتوانى، ونكون في خطّ نبيّنا الّذي يقول: (واللّه لو وضعوا الشّمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر ما تركته، أو أموت دونه).

هذا ميثاقنا، هذا شرفنا، وديننا، وعرضنا، ومستقبل أولادنا، وصيانة وطننا، وسنبقى في الخطّ، وسنوحّد جهودنا، وننسّق مواقفنا، شهداء في سبيل

اللّـه، واللّـه عـلى مـا نقـول شـهيد، وملائكتـه شـهداء. وأرواح الشّـهداء والصّدّيقيـن والصّالحيـن وعبـاده الطّيبيـن يشـهدون عـلى ذلـك.
سـنبقى إلى جانـب الحـقّ، وإلى جانـب الوطـن. نخاصـم أعـداءه، نخاصـم إسـرائيل ونخاصـم أصدقـاء إسـرائيل، ونخاصـم مَـنْ وراء إسـرائيل، واللّـه عـلى مـا نقـول شـهيد».[1]

كمثـال آخـر عـلى اكتشـاف البدائـل؛ حينمـا يـرى القـوى الدّاخليـة لا تكفـي لوحدهـا لحمايـة لبنـان قبـال العـدوان الصّهيونـي، كان يتنقّـل بيـن الـدّول العربيّـة واحـدة تلـو الأخـرى، وقـد يكـون الفـارق يومًـا بيـن نقلـة وأخرى، وقـد يتعـدّاه إلى ثلاثـة أيّام، وقبل كلّ نقلـة يكـون قـد قابـل رئيـس الدّولـة، ورئيـس وزرائهـا ورئيـس مجلسـها النّيابـي فـي الغالـب، ووزيرخارجيتهـا، إلى جانـب لقـاءات فـي القاهـرة مـع أميـن عـام مجلـس الجامعـة العربيّـة، وبعـض المهتّميـن فيهـا مـن ممثلّـي الـدّول العربيّـة، وعندمـا أبـدى أحـد الصّحفييـن ملاحظـة حـول هـذه الحركـة، أجـاب بـأنَّ هـذا التّحـرّك أنتـج مؤتمريـن: مؤتمـر قمـة مصغّـر يضـم سـتّ دول عربيـة، بعـد أن اسـتحال أن يكـون موسّـعًا، فليسـت الـدّول العربيّـة كلّهـا تهتـم بحـلّ مشـاكلات لبنـان.2 ولذلـك، كان فـي مؤتمـر الرّيـاض[3] الرّؤسـاء أنـور السّـادات، وحافـظ الأسـد، وإليـاس سـركيس، وياسـر عرفـات، والشّـيخ صبـاح السّـالم الصّبـاح، والملـك خالـد بـن عبدالعزيـز.[4] كان هـذا الاجتمـاع فـي الريـاض لبحـث الأزمـة فـي لبنـان. وبعـد عـرض الحيثيـات، والتّـداول فـي الأمـور، كانـت القـرارات الآتيـة:

1 - وقف إطلاق النّار فورًا، ومن الأطراف جميعها بصورةٍ نهائيّةٍ.
2 - تعزيز قوات الأمن العربيّة لتصير قوات ردع عربية بمهامّ محدّدةٍ.
3 - إعادة الحياة الطّبيعية في لبنان إلى ما كانت عليه قبل الأحداث.
4 - تنفيذ مقررات اتفاق القاهرة...

---

1 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 338.

2 م. ن.، ص 375.

3 مؤتمـر الريّـاض: عقـد هـذا المؤتمـر فـي الرّيـاض فـي 16 أكتوبـر/ تشـرين الأول 1976، بمبـادرة مـن السّـعودية والكويـت، لبحـث الأزمـة فـي لبنـان ودراسـة سـبل حلّهـا. وهـو مؤتمـر طـارئ ضـمّ سـتّ دول عربيـة فقـط، هـي: السّـعودية، ومصـر، وسـوريا، والكويـت، ولبنـان، ومنظمـة التّحريـر الفلسـطينية. ولـم يصـدر عـن المؤتمـر بيـان ختامـي. ومـن قراراتـه:
- وقف إطلاق النّار والاقتتال نهائيًا في الأراضي اللبنانية كافة والتزام الأطراف جميعهم بذلك.
- تعزيز قوات الأمن العربية الحالية لتصير قوات ردع داخل لبنان، وإعادة الحياة الطّبيعية إلى لبنان.
- التعهّد العربي وتأكيد منظمة التّحرير الفلسطينية على احترام سيادة لبنان ووحدته.
- توجيـه الحملات الإعلاميـة بمـا يكـرّس وقـف القتال وتحقيـق السّلام وتنميـة روح التّعاون والإخاء بيـن الأطـراف جميعهـم، والعمل على توحيـد الإعلام الرسـمي.

4 سبق ذكره.

5 - تؤكّد منظمة التّحرير الفلسطينيّة احترامها لسيادة لبنان.[1]
وانعقد بعد أسبوع (1976/10/25) مؤتمر القمّة العربيّة في القاهرة،[2] وعلى أثره أصدر الإمام الصّدر نداءً إلى اللّبنانيين والفلسطينيين.
وكانت حوارات صحفية، ومنها حوار في 1976/12/27، أعلن فيه عن تعرُّضه لمحاولة اغتيال بإطلاق ستّ وثمانين قذيفة على طائرة هيلوكوبتر كانت تقلّه إلى سوريا، في إحد تنقّلاته.[3]
كمثال وشاهد آخر، كان الإمام يرى ضرورة التّجنيد الإجباري من ناحية للدّفاع عن البلد ومن ناحية ثانية كأمر تربويّ لبناء شخصية الشّباب والحَدِّ من ظاهرة الميوعة بينهم ومعالجة مشكلة الكسل. لكن الحكومة كانت ترفض ذلك بحجة تكاليف هذا الأمر ومتطلباته. لم يسكت الإمام عن المطالبة ولم يصرّ عليها من دون أيّ تفكير بالحلول. لهذا، قدَّم دراسة تقلّل كمية النّفقات للتّجنيد الإجباري من ثمانين مليون ليرة إلى أقل من عشرين مليون ليرة. على أن لا يكون التّجنيد الإجباري خلال فترة واحدة، بل يكون خلال فترات: فترة الصّيف ويعتمد على الطّلاب الّذين يبلغ عمرهم 16 سنة وما فوق. أربع سنوات، كلّ سنة ثلاثة أشهر في الصّيف أو ثلاث سنوات، كلّ سنة أربعة أشهر في الصّيف. هكذا؛ لا الشّباب يقعدون عن العمل أو الدّراسة، ولا حاجة إلى معسكرات مبنية، ويمكن الاعتماد على المَخّيمات فقط. وثالثًا: تتجزأ النّفقات.[4]

---

1 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السيد موسى الصّدر، م. م.، ص 376.

2 مؤتمر القاهرة: عُقد في العام نفسه والشّهر نفسه الّذي عقد فيه مؤتمر الريّاض (16أكتوبر 1976) عقد مؤتمر في القاهرة بتاريخ 25 أكتوبر/ تشرين الثّاني 1976، وحضرته أربع عشرة دولة لاستكمال بحث الأزمة اللّبنانية الّتي بدأت في المؤتمر السّداسي في الريّاض. وقد صدر عن المؤتمر بيان ختامي وردت فيه مجموعة من القرارات أهمّها:
- التّرحيب بنتائج أعمال مؤتمر الريّاض السّداسي، والمصادقة على قراراته.
- أن تسهم الدّول العربية كلّ حسب إمكانياتها في إعادة إعمار لبنان.
- تعهّد متبادل في عدم التّدخل في الشؤون الدّاخلية لأيّ بلد عربي.
- إنشاء صندوق لتمويل قوات الأمن العربية في لبنان.
- مناشدة دول العالم إدانة العدوان الإسرائيلي.

3 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 377.

4 يعقوب ضاهر، مسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، المجلد الثّاني، ص 493 – 494.

ثالثًا: العمل بالممكن وعدم الوقوف عند الحلول المثالية غير الواقعية

خير مثال على العمل بالممكن كان "جمعية البر والإحسان" الّتي أسَّسها الإمام عبد الحسين شرف الدّين، وكانت في خدمة المجتمع وتقدّم خدمات للمحتاجين. فما إن تولّى الإمام الصّدر مسؤوليته الشّرعية ناظًرا شرعيًّا لأعمال هذه الجمعية، أخذ على نفسه: «مهمّتي الدّينيّة بالذّات تهدف في لبنان إلى رفع مستوى الحياة الاجتماعيّة بصورة عامة، وإلى رفع مستوى الثّقافة الدّينيّة عند المسلمين بصورة خاصّةٍ. لأنّي أعتقد بأنّه لا يمكن رفع المستوى الدّيني ما دامت الحياة الاجتماعيّة على ما هي عليه، ولهذا، باشرتُ في صور ببناء مؤسسة اجتماعيّة لتشغيل العاطلين ومساعدة المحتاجين وإيواء الأيتام وتعليمهم الصّناعات والحرف بأساليب فنّية حديثة». [1]

طوّر الإمام نظام الجمعية، وأضاف لها بنودًا جديدةً ونظامًا داخليًّا معدّلًا، يسمح بدخول المرأة وبأن تشارك بالخدمات الإنسانية، وتكون فاعلة في هذا المجال. كان اهتمام الجمعية بعلاج الفقر والجهل والمرض. والأعمال الّتي تقوم بها ، هي من مثال إقامة الشّعائر وإدارة الأوقاف الخاصة بالطّائفة الشّيعيّة في صور ومراقبة الجامع ومجالس التّعزية وإحياء المواسم الدّينيّة.

نلاحظ من قول الإمام، بأنّه منذ خطواته الأولى وضع برنامجًا تربويًّا رعائيًّا للعائلات الفقيرة وأولادهم، يقول: «فهل تقوم الجمعية بكلّ اهتمام ونشاط بإيجاد مؤسسة تؤمِّن الحياة السّعيدة لأبنائنا وأيتام الآخرين، وتسدّ عليهم نقص اليتم وتبذل لهم توجيه الأب وعطف الأم؟!».

أراد الإمام أن تكون الجمعية فاعلة منتجة، وفي خدمة المجتمع، تهتمّ بشؤون النّاس وتنظّم قضاياهم الحياتيّة واحتياجاتهم اليوميّة وإعالة المحتاجين والمهمّشين. يقول الإمام الصّدر: «إنّ الجمعية بحاجة إلى الخدمات والطّاقات أكثر مما هي تحتاج إلى المال، فإدارة المكتب وتنظيم الحسابات والميزانيات وإعالة الفقراء وحملة الشّتاء وإدارة الحفلات ومراجعة الدّوائر الرّسميّة وغيرها، تطلب من الوقت أكثر ممّا يتصور». من الواضح أنّ الإمام الصّدر كان يطمح بعمل متطوّر ومتقدّم، يناسب عصره وزمانه، لذلك، وضع برنامجًا مميّزًا وفاعلًا وانطلق به.

---

1 **حسين شرف الدّين**، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص40.

شَغَلَ الصّغار والشّباب ومسألةُ فراغهم بالَ إمام الصّدر، إذ كان قلقًا عليهم، وعدّ هذا أمرًا مهمًّا. لذلك، فكّر بجمع طلاب المدارس الثّانوية والمتوسطة الّذين يحرصون على حضور الصّلاة في المسجد وسماع المحاضرات ليكونوا نواة النّشاط الشّبابي الثّقافي والدّينيّ والريّاضي.وفكّر في توفير مقعد لهم، وهيّأ مكانًا خاصًّا في ساحل مدينة صور جنوب لبنان، فبنى على هذه الأرض بضع وحدات، وقد توفّرت المستلزمات كلّها له، إلى جانب قاعات للرّياضة مجهَّزة لكرة الطّاولة وألعاب القوى، ومن ثمّ ملعب لكرة السّلة ورياضة السّباحة، إلى جانب حمّامات لما بعد السّباحة في البحر، وفرز مجالات الأنشطة كلّها للفتيان باسم "شباب البرّ والاحسان"، وكان الشّباب يتردّدون إلى هذا المقر وأصدقاءَ لهم، ثمّ أُلحق بهم المنتسبون إلى جمعية كشافة "الرسالة الإسلامية" التي نُظِّمَت لتضُمَّ أعمارًا مختلفة في أنشطة متعدّدة، وبذلك، فقد صار ناديًا للشّباب.
إذًا، فَرَزَ مجالات الأنشطة كلّها للفتيان باسم "شباب البرّ والإحسان"، ثمّ أُلحق بهم المنتسبون إلى جمعية "كشافة الرّسالة الإسلامية" الّتي نُظّمَت لتضُمَّ أعمارًا مختلفة في أنشطة البراءة والنّظافة وقد صار ناديًا للشّبّان، وأوعز إلى إدارة المقرّ أن تتقبّل طلبات ولائم تُقام في فسحة كبيرة خُصّصت لهذا. فلم تكن من حدود جغرافية للمستفيدين، أو فئات عمرية محددة، بل الجميع يجد له موقعًا فيها. [1]

رابعًا: تجزئة العمل إلى مراحل ومحطّات لحين الوصول إلى الهدف المنشود

لم يجلس الإمام الصّدر ينتظر الظّروف المؤاتية لتأسيس حركة المقاومة ضد الاعتداءات الصّهيونية، بل من الواضح أنّ المقاومة العسكرية تتطلّب أن يكون الشّباب متدربين على السّلاح. لذا، لم يكن بالإمكان في حينها تأسيس حركة المقاومة، كان من الممكن تدريب الشّباب على حمل السّلاح. لهذا، بدأ السّيّد بتدريبهم إلى أن جاءت الفرصة المناسبة لتأسيس حركة المقاومة.

1 **حسين شرف الدّين،** صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 43.

خامسًا: استثمار السّلبيات للإيجابيات

في أثناء تدريب الشّبان على السّلاح في مخيم (عين البنية) في البقاع- شرق لبنان- حدث انفجار قذيفة مضادة للدّروع، سقط فيها 28 شهيدًا و47 جريحًا، ما فتح نار الإعلام على سماحته، وبالخصوص من جريدة العمل الكتائبية. حادث مروع مثل هذا قد ينهي المستقبل السّياسي لأيٍّ شخص ما. لكن الإمام استفاد من هذا الحادث السّلبي ليحوّله إلى انطلاقة نحو مشروع أكبر. فَقَدِمَ على هجوم دفاعيٍّ، من خلال عقد مؤتمر صحفي أعلن فيه قيام أفواج المقاومة اللّبنانية "أمل"، و«أنّ الشباب الّذين سقطوا نتيجة الانفجار، كانوا يتدرّبون لينتقلوا إلى الجنوب، والقيام بواجبهم على الحدود بوجه إسرائيل». [1]

وفي خطوة تالية، وكي لا يُستغلّ وجود هذا التّنظيم لضرب المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى، أعلنت منظّمة "أمل" أنّ لا علاقة لها، ولا لإدارة مخيم التّدريب مع المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى إداريًّا أو ماليًّا أو سياسيًّا. وأنّ المنظّمة تعدّ الإمام الصّدر مرشدًا روحيًّا وموجّهًا اجتماعيًّا لها فقط. وأنّ هدفها هو الدّفاع عن الجنوب وقراره ضمن الأراضي اللّبنانية. وهكذا، فرضت المنظّمة نفسها بشرعية حقّ الدّفاع، عند قعود من يقتضي قيامه. وهو المبدأ نفسه بإعلان دعم العمل الفدائي الفلسطيني للحقّ في الأرض الّتي أخرج منها بالقوة.[2]

في حادث منفصل وجّهت بعض الجهات اتهامات للإمام، ما أثار حفيظة أنصاره ومؤيّديه ومحبّيه، وصارت الوفود تنهال على الإمام لإعلان دعمها وثقتها منه. و كتبت الأقلام الشّريفة عن نزاهته وخصاله الحميدة. وقد سمح الإمام لهذه الموجة الدّاعمة أن تتصاعد أولًا، ثمّ شكرهم وطلب التّوقّف، واستغلّ هذا الدّعم والزّخم والجو الّذي تولّد إثرها لإطلاق حملة تأسيس المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى..

 يحلّل البعض بأنّ الإمام «شعر بأنّ النّقمة الشّعبية صارت خطيرة في الجنوب، فبادر إلى التّحرّك محاوِلًا الاستفادة من النّقمة. بخاصة كون معارضة السّيّد، أفضل للدّولة على المدى البعيد، لأنّها مهما بلغت، لن تمسّ جذور النّظام اللّبناني، بحسبان السّيّد الصّدر لا يخرج عن كونه أحد الأقطاب الدّينيين في

---

1 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 366.

2 م.ن.، ص 367.

النّظـام». [1]

لـم يكتـرث الإمـام بالتّهـم ومحـاولات التّسـقيط الّتـي كان يواجههـا. ولـم تُثنِـهِ عـن مشـروعه واسـتمراره فـي طريقـه. فقـد كان منطقـه: مَنْ فـي العالـم لـم تُوجّـه إليـه التّهـم؟! النّبـي الكريـم، سيّـد الخلـق وصاحـب الرّسـالة، كان توجّـه إليـه تهمـة السّـحر والجنـون والشّـعوذة إضافـة إلى تهـم كثيـرة أخـرى. ونحـن مهمـا عملنـا لا نكـون أحسـن منـه. [2]

سادسًـا: التّفقّـد المباشـر للنّـاس والوصـول إليهـم بشـكل مسـتمر ومعاينـة معاناتهـم ومشـكلاتهم عـن قـرب

فـي أقـل مـن عشـرين عامًـا (1959 - 1978)، جـال الإمـام الصّـدر لبنـان طـولًا وعرضًـا، وحمَـلَ همـوم الوطـن والمنطقـة إلى معظـم العواصـم. فحالـة الاسـتنهاض الاجتماعي الّتـي حمـل لواءهـا والمراكـز والهيئـات والتّنظيمـات الّتـي أطلقهـا، أحدثـت انعطافًـا اجتماعيًّـا وتاريخيًّـا مـا تـزال تداعياتـه وتجلّياتـه تتـردّد وتتفاعـل يومًـا بعـد يـوم. لقـد كانـت أحزمـة البـؤس آخـذة فـي محاصـرة المـدن فـي سـتينيات البحبوحـة والرّخـاء عندمـا عـاد الإمـام الصّـدر إلى لبنـان، وكانـت بـذور الحـرب الأهليـة قـد وجـدَت الأرض الخصبـة للنّمـو، وأخـذت تترعـرع بفعـل عوامـل وتناقضـات إقليميـة وعالميـة متنوّعـة. وتلـك الأحزمـة بالتّحديـد، كانـت سـاحة العمـل السّياسـي والاجتماعـي والتّنمـوي للإمـام الصّـدر، إذ إنّـه أدرك وحـذّر مبكـرًا مـن مخاطـر مـا يختمـر بداخلهـا مـن كوامـن التّفجّـر. وهـذا مـا أثبتتـه السّـنوات اللّاحقـة بمـا حملتـه مـن مآسٍ ونكبـاتٍ. وقـد كان سـبّاقًا إلى التّحذيـر مـن عواقـب ذلـك علـى النّـاس والوطـن والحضـارة. ولعلّـه لـم يكـن "قـدرًا" أن يكـون فـي طليعـة مـن اصطفاهـم الإعصـار، وقـد تبعـه كثيـرون. فـي حيـن، أنّـه - أي الإعصـار- اجتـاح عشـوائيًّا الأخضـر واليابـس.

لـم يكتـفِ بجـولات ميدانيـة فـي كلّ أرض لبنـان، بـل صـار يقصـد اللّبنانـي أينمـا كان. فسـافر إلى مختلـف بقـاع الأرض الّتـي فيهـا جاليـات لبنانيـة لتفقّدهـم أو تقديـم العـون أو المصالحـات فـي النّزاعـات الاجتماعيّـة. انطلـق فـي جولـة شـاملة لإفريقيـا مـن 1976/1/26، ومـا عـاد إلّا فـي 1976/7/9، فدعـا المهاجريـن إلى تفعيـل علاقاتهـم

---

1 م. ن.، ص333.

2 يعقوب ضاهر، مسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، المجلد الثّاني، ص 532.

العاطفيّة مع الوطن بالتّوجّه إلى الاستثمار في لبنان، ووضع أسس علاقاتٍ متينةٍ مع الدّول الصّديقة في القارة الإفريقية.

سابعًا: الاستعانة بالمعطيات العلمية والإحصاءات عند دراسة المشاكلات، لتقديم حلول علميّة ذات نتائج عمليّة

نتيجة تفكير الإمام المتواصل بمشاكلات لبنان وبحثه عن حلول لها، ولصداقته مع الرّئيس فؤاد شهاب، اطّلع على أبحاث بعثة "إرفد"[1] الّتي يرأسها الأب "لوبريه"[2] والّتي استقدمتها الحكومة لدراسة أوضاع لبنان وحاجياته إلى النّهوض، وأنهت دراستها في العام 1963. فركّز الإمام الصّدر في اطّلاعه على ما ينهض به الجنوب، واختار ما تتوفّر له الإمكانات البشرية والمادية. وكانت مهنية جبل عامل على مستويين: متوسطة مهنية وثانوية فنية. [3] وبعد تأسيس "مجلس الجنوب" الّذي كان استجابة للإضراب الّذي دعا له الإمام، دعاهم إلى القيام بدراسةٍ كاملةٍ عن الجنوب.[4]

ثامنًا: انتهاج أسلوب العمل المؤسسي المنظّم والمترابط لتقديم الخدمات والحلول

إنّ السمة العامة في عمله كانت المؤسسية، كلّ حاجة لها مشروع لسدّها، ولكلّ مشروع مؤسسة لإنجازه. لم يبقَ مجال من الحياة لم يخطّط له، من توفير النّماء والحياة الكريمة بإرواء النّاس والأرض، والزّراعة وتربية الماشية، وإنتاج الطّاقة (وهي موفّرة باللّيطاني والعاصي والسّهول الخصبة)، والتّربة وما يناسبها من بذار (الشّاي من الزّراعات البديلة مثلًا)، إلى الاستفادة من البيوت،

---

1 عرف لبنان خطّة إنمائية وضعتها بعثة "إرفد" IRFED الشّهيرة برعاية الأب لوبريه في العام 1961. بقيت المحاولة يتيمة ولم تستكمل بسبب مقاومة الطّبقة السّياسيّة والنّظام الطّائفي والتّحوّلات السّياسيّة والعسكريّة الّتي اجتاحت لبنان منذ العام 1975 وإلى يومنا هذا.

2 **الأب "لوبريه"** (1897 - 1966): لويس جوزيف لوبريه، هو كاهن دومينيكاني، ومفكّر واقتصادي فرنسي، أطلق مؤسسة "إرفد- المعهد الدولي للبحث والتدريب والتعليم". زار لبنان وبعثته في العام 1961 ، بناء على طلب الرئيس اللبناني فؤاد شهاب للقيام بعمليّة مسح للأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة، ولوضع خطّة تنمية وطنية في لبنان.

3 **حسين شرف الدّين،** صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 35.

4 **يعقوب ضاهر،** مسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، المجلد الثّاني، ص 533.

وما فيها من يد عاطلة عن العمل، بأنّ تتوفّر على مهن ومنتجات مؤونة وحرفيات ومهارات أو أي عمل يشغل مَنْ في البيت، ويوفر الدّخل الإضافي (السّجاد والتّريكو مثلًا)، فالفراغ بذاته فقر... إلى الإعداد النّفسي والجسدي والذّهني للدفاع الوطني (أفواج المقاومة اللّبنانية مثلًا).[1]
لو أردنا أن نعدّ المؤسسات جميعها والمشاريع الّتي وضع لَبِنَاتها لطال الحديث. لكن سوف نذكر في خاتمة المبحث الرّابع من هذا الفصل أنموذجًا للأكثر أهمِّية في حقولٍ مختلفة.

ونختم المبحث الأول بعبارات للإمام موسى الصّدر ينبّه فيها الإنسان بأنّ حياة الواحد من البشر تقاس بحجم عطائه ومقدار عمله، يقول:

«إن من أسس التعاليم الإسلامية الناظمة لحياة الإنسان، ما نراه في الآيات المباركة في سورة النّجم من القرآن الكريم: **(وأنّ ليسَ للإنسَانِ إلّا ما سَعَى* وأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَ يجزاهُ الجَزاءَ الأوْفَى * وأنَّ إلى ربِّك المُنْتَّهى)** [النّجم، 39]. تؤكّد آياته سبحانه أنّ حياة الإنسان، هي في مستوى سعيه وعطائه كمًّا وكيفًا. فمناطها ليس إذًا تنفُّسٌ وأكلٌ وتحرّك، حتّى ولا إدراك. وانقطاع هذا كلّه، ليس معناه الموت. ظاهرة الموت، إذًا، انقطاع سعي وعمل، لا انقطاع تنفُّس وأمل. وظاهرة الحياة تبدو إذًا في العطاء، فهو ما دام باقيًا، فالإنسان به حيّ. وهو إن لم يكن، فالإنسان كأنّه ما كان. وسبحانه، وهو يعادل العمل بالحياة، كتب له ضمان البقاء، هنا وهناك: عندما أكّد عدم ضياعه، ونصَّ على جزائه الأوفى الّذي ينتظر العاملين عند العود إلى ربّ العالمين، ذلك الجزاء الّذي يفوق جزاء الدّنيا، كما يفوق فضلُ اللّه وكرمه، فضل عباده وكرمهم.
معادلة الحياة بالعطاء، لم ترسمها يده الرّحيمة سبحانه بسورة النّجم وحسب، وإنّما نقرأ المعادلة في كثير من الآيات والتّعاليم الديّنية. وقويم العقل يؤكّدها، لا مراء».[2]

---

1 **حسين شرف الدّين،** صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 257.

2 **موسى الصّدر،** محاضرة بعنوان: "معادلة الحياة والعطاء"، جريدة لسان الحال بتاريخ 17 أيلول 1968.

المبحث الثاني
العمل على ترسيخ الوحدة الوطنية اللّبنانية والدّينيّة

اهتمَّ الإمام الصدر بالوحدة الوطنية اللّبنانية والدّينيّة على حدٍّ سواء وتحرّك لهما في آنٍ واحدٍ. وحاضر وكتب وخطّط ونفّذ المشاريع في كلا الاتجاهين.

أولًا: العمل على توحيد المسلمين الشّيعة والسّنّة

في هذا الإطار، حاول الإمام الصّدر جاهدًا على توحيد المسلمين الشّيعة والسُّنة، وبذل قصارى جهده لهذه الغاية، والتقى علماء المسلمين السُّنّة في داخل لبنان وخارجه، وتباحث وتحدّث طويلًا بهذا الشّأن. حاضر في مؤتمرات إسلامية عديدة، كما حضر المؤتمرات واللّقاءات لتقريب المذاهب بين السُّنّة والشّيعة في الجزائر والمغرب ومصر، والعديد من الدّول العربيّة التي اهتمّت بهذه المسألة، ولكن للأسف لم يصل إلى النّتيجة الّتي يريدها.
من ضمن الجهود الّتي بذلها الإمام الصّدر لرصّ صفوف أبناء الأمة الإسلاميّة في لبنان وتقريبهم من بعضهم بعضًا، الرّسالة الّتي بعثها إلى مفتي الجمهورية والّتي ننقل مقتطفات منها.

رسالة الصّدر إلى مفتي الجمهورية الشّيخ حسن خالد[1]

في الأول من الشّهر العاشر من العام 1969، وجّه الإمام رسالة لسماحة مفتي الجمهورية الشّيخ حسن خالد في لبنان، واقترح عليه خطوات عملية للتّوحيد بين المسلمين بطريقةٍ عمليّة. فيما يلي بعض المقتطفات من هذه الرّسالة:
«في هذه الأيّام العصيبة الّتي تلفّ الأمّة بالقلق، وبين يديّ هذه الأخطار المحدقة الّتي تجعل المنطقة كلّها، حاضرها ومستقبلها في مضرب الطّوفان،

1 **الشّيخ حسن خالد** (1921 - 1989): الشّيخ حسن بن سعد الدّين خالد، هو مفتي الجمهورية اللّبنانية منذ العام 1966 وحتّى استشهاده العام 1989 نتيجة تفجير سيّارته أثناء مغادرته دار الفتوى.

تبـدو لنـا بوضـوح أكثـر فأكثـر حاجـة المسـلمين الملحّـة إلى وحـدةٍ شـاملةٍ».
ويسـتمرّ بالقـول: «وحـدة الكلمـة هـذه لا ينبغـي أن تظـلَّ شـعارًا مرفوعًـا أو كلمـةً مكتوبـةً، بـل يجـب أن تكـون ومضـة الفكـر وخفقـة القلـب ودرب السّـلوك، إنّهـا البعـد الإنسـاني للمسـتقبل.... توحيـد هـذه التّفاصيـل المختلفـة أو تقريبهـا أمـرٌ لـم تفـتْ رؤيـاه الكبيـرة سـلفنا الصّالـح مـن علمائنـا الأبـرار قـدس اللّـه أسـرارهم.... وهـذا الطّريـق يبـدو فـي الظّـروف الاسـتثنائيّة، مثـل ظروفنـا فـي لبنـان، أكثـر ملاءمـةً وأسـرع إنتاجًـا»(...)
وفـي الختـام، يقـول الإمـام الصّـدر: «ولذلـك، نرجـو الإسـراع بتكليـف المسـؤولين فـي هـذا الشّـأن بـدار الإفتـاء الإسـلامية، للاجتمـاع بأعضـاء لجنـة النّشـر والإعـلام فـي المجلـس الإسـلامي الشّـيعي الأعـلى، بحضـور الرّسـميين وتعاونهـم لوضـع برامـج متكاملـة تسـاعد علـى خلـق الأجـواء المناسـبة لهـذا الشّـهر العظيـم؛ (أي شـهر رمضـان) وتذكـي فـي نفـوس المسـلمين جـذوة الخيـر والحـقّ والبطـولات».
انتهـت الرّسـالة، ومـع الأسـف لـم يلـقَ الإمـام جوابًـا أو تجاوبًـا لهـذه الرّسـالة. ولكـن، إذا لـم يلـقَ تجاوبًـا، هـذا لا يعنـي أنّـه يـكلّ أو يمـلّ أو يسـكت أو يجلـس، فيبقـى يحـاول حتّـى التّقريـب بيـن أتبـاع الدّيانـات السّـماوية فـي لبنـان.
كان الإمـام يـدرك جيّـدًا صعوبـة الأمـر وتعقيداتـه، (ولا يكـون ذلـك إلّا ببـذل عنايـة فكريـة خارقـة، وإيلائهـا اهتمامًـا وجدانيًّـا خاصًّـا، والسّـعي والسّـهر مـن أجـل تكريسـها). ويـورد سـماحته طريقيـن لتعميـق وحـدة المسـلمين، وجعلهـا علـى ركائـز فكريـة متينـة:
1 - توحيد الفقه
(الطّـرح الإسـلامي الواحـد فـي الأسـاس، والأمّـة الواحـدة فـي العقيـدة، والكتـاب والمبـدأ والمنتهـى، بحاجـة إلى وحـدة التّفاصيـل).. ويعـرض سـماحته أسـماء وكتبًـا وموضوعـات وضعـت منـذ أكثـر مـن ألـف عـام تبحـث التّفاصيـل، ولا تـزال هـذه توضـع الآن بشـكل موسـوعات وتحـت إشـراف مسـؤول. [1]
2 - طريق المساعي الحميدة
تصيـر هـذه الطّريقـة أكثـر ملاءمـة، وأسـرع إنتاجًـا، فـي بلـدٍ لـه ظـروف اسـتثنائية مثـل لبنـان، مـع حشـد الجهـود المشـتركة لتحقيـق الأهـداف المتنوعـة. ضمـن أهـداف أوليـة توفّـر ابتـداءً تلاقيًـا أكثـر اطمئنانًـا، وشـعورًا أفضـل ثقـة تتجـلّى فيـه وحـدة

1 **حسين شرف الدّين،** صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 265.

المشـاعر، منهـا:

- الأهـداف الشّـرعية المحضـة، مثـل توحيـد الأعيـاد والشّـعائر الدّينيّـة وصيـغ بعـض العبـادات.

- الأهـداف الاجتماعيّـة، وصورتهـا الجهـود المشـتركة فـي المسـاعي الرّاميـة إلى مكافحـة الأميـة والتّشـرّد، ورعايـة الأيتـام، ورفـع مسـتوى حيـاة الكادحيـن. ويمكـن أن تتمثّـل بمؤسسـات برعايـة أوسـع، وتأييـد أمنـع.

- الأهـداف الوطنيـة فـي اسـتثارة المشـاعر الوطنيـة والمشـاركة الفعليـة لتحريـر فلسـطين، وواجـب حماية لبنـان مـن مطامـع العـدو الغـادر، وواجـب دعـم المقاومـة الفلسـطينية. [1]

ثانيًا: العمل على وحدة اللّبنانيين؛ مسلميـن ومسيحييـن

إلى جانـب الطّـرح الإسـلامي والوطنـي والقومـي الّـذي قدَّمه لوحدة المسـلمين، أجرى علـى الجانـب الآخـر عـدّة لقـاءات بشـكل دوري مـع رؤسـاء الطّوائـف المسـيحية، ثـمّ أجـرى لقـاءً عامًـا لرؤسـاء طوائـف لبنـان، مسـلمين ومسـيحيين، صـدر عنـه:

1 - الموافقة على العمل الفدائي منسّقًا مع السّلطات اللّبنانية دعمًا له.

2 - تحصين القرى الأمامية وإعدادها عسكريًّا ومعنويًّا وماديًّا.

3 - المحافظة على الوحدة الوطنية.

4 - العمل في القضايا جميعها ضمن أحكام الدّستور اللّبناني.[2]

محاضرة كنيسة الكبوشيـــة

هـذا حـدثٌ يحصـل للمـرة الأولى فـي تاريـخ الكثلكـة، يجتمـع فـي الكنيسـة مؤمنـون لسـماع كلمـة اللّـه مـن مرجـع دينـيٍّ غيـر كاثوليكـي، ويُقابـل ذلـك ليـس بالإعجـاب فحسـب، بـل بالتّأمـل الطّويـل، ومـن الطّبيعـي أنّ يكـون الحـدث هـو لبنـان بلـد اللّقـاء والأخـوة.

العنـوان الأساسـي هـو (اجتمعنـا لأجـلّ الإنسـان)، بـدأ الإمـام بالقـول: «نحمـدك

---

1 **حسين شرف الدّين**، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص265 – 266.

2 م. ن.، ص267.

اللّهـم ونشـكرك ربّنـا إلـه إبراهيـم وإسـماعيل، إلـه موسـى وعيسـى ومحمّـد، ربّ المسـتضعفين وإلـه الخلـق أجمعيـن»، ويسـتمّر بالقـول: «هـا نحـن نجتمـع بيـن يديـك فـي بيـت مـن بيوتـك، وفـي أوقـات الصّيـام مـن أجلـك»، ويؤكّـد الإمـام المحافظـة علـى لبنـان لحفـظ إنسـانه، كلّ إنسـانه، ويـرى إن لـم يكـن تعاونًـا بيـن النّـاس لا يمكـن أن تسـتمّر العلاقـات الإنسـانية مـع بعضهـا بعضًـا، ولا يمكـن أنّ تُبنـى الأوطـان ولا يتـمّ التّعـاون بيـن الأفـراد(...)

كانت الأديان واحدة، ولأجل الإنسان وتأهيله وهدايته وصيانته(...)

وقـد خـرج الإنسـان علـى دوره الإنسـاني واشـتكى محنتـه وآلامـه، وقـد غيّـر اتجـاه فكـره وغايتـه وأعمالـه والتهـى بمكاسـب ليسـت لـه ولا لشـأنه، واسـتعمل الأبريـاء والمسـاكين ووعـد وعـودًا كاذبـة، وتحـدّث باسـم الدّيـن، فتعاظمـت المحنـة علـى الجميع، وازدادت الخلافـات واهتمّ بمصالحـه الخاصة ونسي اللّه والأهـداف والقيم الإنسـانية والدّيـن ثـمّ ابتعـد مـن الدّيـن والإنسـان والإنسـانية، وتشـتّت شـمله وانسـحق وتمـزّق.

مـن ضمـن ردود الفعـل علـى محاضـرة الكبوشيـة، مـا قالـه الرّئيـس شـارل حلـو[1] بعـد سـماعه محاضـرة الإمـام موسـى الصّـدر بعنـوان: (القـوى الّتـي تسـتحقّ والقـوى الّتـي تفـرق).

كان الإمـام يسـعى فـي المجـالات كلّهـا، فـي النّـدوات والمحاضـرات واللّقـاءات، ويتحّـدث عـن جمـع شـمل اللّبنانييـن المسـلمين والمسـيحيين، ويذكّـر الجميـع بمسـؤولياتهم تجـاه الوطـن والإنسـان. ويـرى أنّ السّـعي والمحـاولات مـن أجـل تنظيـم العلاقـات والتّعـاون هـو عمليًّـا بمنزلـة صـلاة، وهـو واجـب علـى كلّ فـرد.

ثالثًا: العمل على الوحدة الوطنية

1 - النّدوة اللّبنانية

الوحـدة الوطنيـة، بغـضِّ النظـر عـن ديـن المواطـن اللّبنانـي ومذهبـه، هـي أيضًـا هـدف مـن أكثـر أهـداف سـماحته سـموًّا.

النّـدوة اللّبنانيـة هـي مجموعـة مـن المثقفّيـن اللّبنانييـن، برئاسـة الأسـتاذ ميشـيل

---

1 **الرّئيس شارل حلو** (1913 - 2001): هو محامٍ وصحافي وسفير ونائب ثمّ كان رئيسًا للجمهورية اللّبنانية بين 1964 و 1970.

أسمر الّذي كان قد تعاون مع مجموعة من الشّخصيات المثقّفة في لبنان والّذين يهتمّون بالشّأن العام، وكان الأستاذ ميشيل أسمر قد دعا الإمام الصّدر إلى المشاركة والانضمام إلى هذه المجموعة، ولبّى الإمام هذه الدّعوة وتفاعل معها، وكان يطرح المشاكلات اليومية للبنان في جلسات النّدوة، ويسعى الحاضرون إلى تخفيف مشاكلات الناس ومحاولة إيجاد الحلول لهم.

تناولت هذه اللّقاءات مشاكلات الطّلاب والعمّال والأساتذة بإضراباتهم والمطالبة بحقوقهم، وكان أعضاء النّدوة اللّبنانية جميعهم يتابعون مطالب هذه المجموعة، ويسعون إلى الوصول إلى حلّ مع المسؤولين. وكان الإمام الصّدر في طليعة هؤلاء، يبذل قصارى جهده ويعمل لتجنّب المشاكلات من جهة، ولحلّ القائم منها من جهة أخرى، ويقول: إذا أهملنا مطالب النّاس ولم تُحلَّ مشاكلاتهم سوف يحصل عصيان وفوضى في المجتمع. كان قلقًا على لبنان، ويحذّر مسؤولي الدّولة من تقصيرها في تأمين احتياجات الشّعب. هذه المجموعة؛ أي النّدوة اللّبنانية، فتحت مجالَ علاقاتٍ واسعةٍ بين الإمام والعديد من الفاعلين، كما مكّنت الإمام من أن يعرِّف فلسفة التّشيّع وهويّة هذه الطائفة والأسس والقيم والمفاهيم الّتي ترتبط بها.

في مكان آخر وزمان آخر، تناهى إليه أنّ أهالي صور المسلمين يقاطعون بائعًا للمثلجات بسبب انتمائه المذهبي، فما كان من الإمام الصّدر إلّا أن توّج صلاة الجمعة بمسيرة جماهيرية تبعه النّاس فيها، وهم غافلون عمّا هو عازم. أنهى بهم المطاف عند البائع وتناول مما عنده، وقلّده الباقون.

2 - الحرص على المساواة بين الطّوائف

لا شكَّ أنّ إحدى ركائز الإمام الصّدر الفكرية الأكثر أهمّية، وكذلك العملية هي المساواة بين الطّوائف والّتي لم يأل جهدًا لتحقيقها.

سعى الإمام الصّدر إلى أنّ تكون طائفته شريكًا سويًّا مع بقية الطّوائف، في ظلّ دولة عادلة للبنانيين جميعهم، وعمل على استعادة الارتباط بالأمّة من خلال أقوى العلائق الّتي تجمع أبناءها في وحدتهم وتاريخهم وهويّتهم الحضارية، وعلى تأسيس موقع لشيعة لبنان يتصل ويتفاعل مع المدى العراقي والإيراني، لما لهذين المجالين من رمزية وخصوصية في وجدان الشّيعة عمومًا. وراح يضع مفاهيم جديدة في سياق مشروع يستند إلى الفكر الإسلامي في تطوير مناهج الإصلاح السّياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ وآلياته، وفي حلّ النّزاعات الطّائفية

الّتي شكّلت عاملًا من عوامل تفجّر الحرب الأهلية اللّبنانية.

لم تكن هذه المساواة من منظور الإمام في الحقوق والواجبات قبال الوطن فحسب، بل حتّى في دعوته الدّينيّة لأنّه كان يعتقد بأنّ النّاس جميعهم مستعدون لقبول الدّعوة الدّينيّة الصّحيحة. ولذا، كان يردّد: لن أقصِر دعوتي على المؤمنين العاكفين في المساجد، بل سأتجاوزها إلى إلقاء الخطب والمحاضرات في النّوادي والمدارس، وسأسعى إلى كسب ثقة الشّباب وجعلهم يثقون بصلاح دينهم وقدرتهم على مسايرة حياتهم الجديدة، بالغًا ما بلغ تطوّرها ورقيها، وفي ذلك ما فيه من تهيئة مباشرة وغير مباشرة لصلاح الأسرة وتدعيم ذاتيتها الخلقية والدّينيّة.

أعلن واثقًا من ثبات الخطى: سأسير على هذا الطّريق بإذن اللّه، وسأدعو الطّوائف جميعها لتركيز طاقاتهم على البناء والإيجاب، ولن تتقدّم إلّا الطّائفة الّتي في مذهبها أكثر الحلول لمشاكلات العصر الحاضر على سواها، ومن القدرة على مجاراتها والاجتهاد بها. [1]

من هذه الرّوح راح سماحته فيما تلا من الأيّام يعقد اللّقاءات، وكان منها عقد قمّة روحية، ثمّ مؤتمرات إسلامية، روحية وسياسية. على الرّغم من كون بعضها يتّسم بشيء من التّصلّب، ولكن سماحته كان يلفت إلى ضرورة التّنبّه لدعوات التّجزئة الّتي كانت تتردّد بين فترة وأخرى. وتوجّه ببيان إلى العقل اللّبناني، يستنهضه، يستحثّه، يلومه، ويوقفه أمام محنته؛ فالمطلوب أن تصنع مستقبلًا لا ينتمي إلى ما انتهى إليه الماضي، ويسير به في شعاب الوطن، إذ يتساوى المواطنون، يقف في وجه التّحديّات العالمية، والاعتداءات الصّهيونية عسكريًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا وحضاريًّا. [2]

ونختم المبحث الثّاني بعبارات للإمام موسى الصّدر يدلّ فيها على أنّ الظّلم والطّائفية هما من أكثر الأمراض خطرًا الّتي تصيب الوحدة الوطنية، يقول:

«كثرة الطّوائف تزيد في غنى المجتمع وفي تفاعله، لأنّ كلّ طائفةٍ لها تراثٌ

---

1 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني): رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 41.

2 م. ن.، ص 371.

حضاريٌ وثقافي تقدّم وتأخذ من طائفةٍ أخرى تراثها الثّقافي والحضاري؛ وهكذا، يزداد التّفاعل فتزداد الحاجة، وبالتّالي تزداد الوحدة. وهكذا، نجد أنّ الطّوائف المختلفة غنًى وثروة جديدة لمجتمع، وإذا كان هناك من تفاوتٍ في الثّقافات النّاتجة من المدارس المختلفة، والتّفاوت في الحضارات -الّذي ينبع من الهجرة والتّفاعل- فهذا منتهى الثّروة في مجتمعٍ واحد.

ولبناننا مدعوٌّ لأن يقوم بهذا الدّور المثالي الرّائع، لأنّ فيه من تفاوت الأقاليم والطّوائف والحضارات والثّقافات ما ليس في مجتمعٍ آخر نظيره وشبيهه. ولذلك، بإمكان المجتمع اللّبناني أن يكون أكثر غنًى نتيجة لمزيد من التّجارب الطّائفية والثّقافية والحضارية والإقليمية، وأن تكون وحدته الوطنية أكثر قوة لأجل التّفاعل المتبادل بين أبنائه المختلفين. وعلى هذا الأساس الّذي يشكّل خطرًا على وحدة هذا البلد أو وحدة أي مجتمع... كما أنّ المرض الّذي كان يحول من دون التّفاعل بين الفرد والفرد الآخر، كان الغرور والكبرياء والتّعصّب والكذب وأمثال ذلك، فإذا ابتلت فئة من النّاس في هذ البلد بالغرور، أو احتقار الآخرين، أو الشّكّ فيهم، أو الكذب في التّعبير عن كفاءاتهم أو أمثال ذلك، فهذه أمراض اجتماعيّة تحول من دون تفاعل أبناء وطنٍ واحد بعضهم مع بعض.

الحواجز الّتي تحول من دون أبناء المجتمع، مهما كان نوعها، علينا أن نعترف [بها] بكلّ إخلاص وأن نتحدّث بكلّ صدق عن الحقيقة. الظّلم مرضٌ اجتماعيٌّ، لأنّه أداءٌ لدور الآخرين واعتداء على أدوار الآخرين. الظّالم يؤدّي دوره، ثمّ يأخذ دور الآخرين المادي، أو يأخذ حقّهم في ممارسة أعمالهم، أو يأخذ مكانهم في نشاطهم الاجتماعي. فالظّالم في الحقيقة يعتدي على أدوار الآخرين، وهذا يعني أنّه يمنعهم من ممارسة أدوارهم ومن تقديم خدماتهم، وبالتّالي من إثراء مجتمعهم؛ وهو لا يتمكّن من أداء الدّور لأنّه ليس اختصاصيًّا إلّا في دوره الخاص. وهكذا، نجد أنّ الظّلم أيضًا يحول ويمنع ويحجز التّفاعل بين أبناء المجتمع بعضهم مع بعض.

فإذًا، نحن نعتقد أنّ اللّقاء هو أساس تفاعل المجتمع أو تكوينه، والمرض هو ضعف اللّقاء بأيّ وسيلةٍ شخصيّةٍ أو اجتماعيّة تحول من دون هذا التّلاقي، ووصلنا إلى أنّ كلّ ما يكرس الحواجز فهو مرضٌ اجتماعيّ، حتّى إذا كان النّظام الطّائفي قائمًا.

والطّائفية تكرّس في الوقت نفسه الإقطاع، وتعطيه قداسة، وهذه هي مشكلة بلدنا. والإقطاع أيضًا مرضٌ اجتماعي لأنّه ظلمٌ ولأنّه اعتداءٌ على أدوار

الآخريـن. فـإذا لاحظنـا هـذه المشـاكلات والصّعوبـات بصـورةٍ عامـة، نجـد أنّ اللّقـاء هـو أسـاس حـل هـذه المشـاكلات والتّفاعـل، وتخطّـي الحواجـز، وعـرض الفكـرة، وتوضيـح الحقائـق، وعـدم التّحجـب والابتعـاد يعالـج مشـكلتنا، يدعـم وحدتنـا ويزيـد فـي غنـى مجتمعنـا». [1]

1 موسى الصّدر، فلسفة اللّقاء، تسجيل صوتي من محفوظات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، 7 كانون الثاني 1971.

المبحث الثالث
آليات الممارسـة

بعد الحديث عن خصائص الممارسة العملية عند الإمام الصّدر، نتناول أكثر الآليات أهمّية الّتي استخدمها ووظّفها لبلوغ أهدافه:

أولًا: المؤتمرات والقمم الرّوحية

شارك الإمام الصّدر بداية من العام 1967 وطوال عشر سنوات بأكثر من عشرة مؤتمرات محلّية ودولية.. وكان أثناءها يعمل على بناء الجسور الإنسانية بين الثّقافات والأمم، ويوضّح معالم مشروعه الإصلاحي.. ومن هذه المؤتمرات: مؤتمر في الجامعة الأميركية في بيروت، حول: "اللّه والإنسان في الفكر الإسلامي المعاصر"، بتاريخ 8 شباط 1967. ومؤتمر في فرنسا، القصر الجامعي في ستراسبورغ، حول "الشّيعة الإمامية"، بتاريخ 6 أيّار 1968. ومؤتمر في القاهرة، المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية، بتاريخ 19 آذار 1970. ومؤتمر أيضًا في القاهرة، المؤتمر السّادس لمجمع البحوث الإسلامية، بتاريخ 28 آذار 1971. ومؤتمر في المغرب – الرّباط، حول "الإسلام وتنظيم الأسرة"، من 24 إلى 29 كانون الأول 1971. ومؤتمر في الجزائر، بعنوان "الملتقى السّابع للتّعرُّف إلى الفكر الإسلامي"، من 10 إلى 22 تموز 1973. ومؤتمر في طشقند، مؤتمر مسلمي الاتّحاد السّوفياتي، بتاريخ 13 تشرين الأول 1973. ومؤتمر في فرنسا، أقامته منظمة اليونسكو، حول "السّلام والمعتقدات الدّينيّة"، بتاريخ 12 أيّار 1974. ومؤتمر في لبنان، أقامته دار الفتوى، المؤتمر الإسلامي اللّبناني الأوّل، بتاريخ 4 حزيران 1974. ومؤتمر في موسكو، مؤتمر رجال الدّين المناضلين في سبيل سلم وطيد ونزع السّلاح وعلاقات دولية عادلة، بتاريخ 17 حزيران 1977. ومؤتمر في القاهرة، المؤتمر الثّامن لمجمع البحوث العلمية، بتاريخ 22 تشرين الأول 1977.

إضافة إلى المشاركة في المؤتمرات، بذل الإمام الصّدر جهدًا جليًا وفاعلًا في مجال التّقريب بين أهل الطّوائف والأديان في لبنان.. قناعةً منه بدور القيادات

الدّينيّة في ترسيخ العيش المشترك وفي الحفاظ على التّعدّدية والتّنوّع الّلذين صارا سمة المجتمع المعاصر. ومن تتبع القمم الرّوحية اللّبنانية الّتي شارك فيها وسعى إليها، نرصد أنّه خلال أربع سنوات فقط مارس حضورًا أَلِقًا في خمسة لقاءات تجمع القيادات الرّوحية في لبنان: واحدًا في عرمون في منزل المفتي الشّيخ حسن خالد، بتاريخ 3 كانون الثّاني 1973. وثانيًا في بكركي، مقر البطيركية المارونية، بتاريخ 5 تشرين الأول 1975 صباحًا. وثالثًا، في دار الفتوى في بيروت، بتاريخ 5 تشرين الأول 1975 بعد الظّهر. ورابعًا، في منزل المفتي الشّيخ حسن خالد – عرمون، بتاريخ 16 كانون الثاني 1976. وخامساً، في مقر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في الحازمية، بتاريخ 13 كانون الثّاني 1977.. وقد ضمّت هذه اللّقاءات بشكل دائم: سماحة مفتي الجمهورية اللّبنانية الشّيخ حسن خالد، وسماحة شيخ عقل الطّائفة الدّرزية الشّيخ محمد أبو شقرا، والإمام موسى الصّدر، بل كانت أحياناً تقتصر على حضور هؤلاء الأقطاب الثلاثة.. وشارك هؤلاء الأقطاب الثلاثة في القمّة الأولى، والرّؤساء هم: رشيد كرامي، صائب سلام، عبد اللّه اليافي. وشاركهم في القمة الثّانية البطريرك الماروني مار انطونيوس خريش، وعدد من رجال الدّين المسيحيين والمسلمين. وشاركهم في القمّة الثّالثة البطريرك مار انطونيوس خريش. أما في القمة الخامسة فقد شاركهم الشّيخ محمّد مهدي شمس الدّين.

ثانيًا: خطابات وبيانات

أبدع الإمام الصّدر في الخطابة لعلّ صوته يعلو على صوت القنابل والقذائف والمتفجرات. كان يلقي دروسًا للكوادر والمثّقفين (يوم الثّلاثاء من كلّ أسبوع)، ما زالت تسجيلاتها الصّوتية محفوظة عند حركة أمل والمجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى.[1] قال الإمام في إحدى المرات: «أنا في لبنان منذ عشر سنوات إلى الآن ألقيت أكثر من ألف وستمائة محاضرة زيادة على المحاضرات الّتي ألقيتها على الصعيد العام».[2] وكذلك كتب العديد من أوراق العمل بما فيها

1 يعقوب ضاهر، مسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، المجلد الثّاني، ص 480.

2 م. ن.، ص 481.

أوراق عمل مجلس الجنوب.
كان الإمام الصّدر في هذه اللّقاءات يحثّ مستمعيه على أن يناقشوه رجالًا ونساءً، بلا رحمة ولا حياء، لأنّه لا يريد أن يربّي أتباعًا ومقلِّدين، بل أناسًا يفكّرون «بأيّ نقاش، وبأي عنف، قولوا واطمئنوا بأنّه لا يزعل أحد لأنّ السّؤال والنّقاش سبيل الكمال».[1]

ثالثًا: مظاهرات واعتصامات وإضرابات

كان الإمام الصّدر يعتقد بأنّ الثّورة ليست حالة فوضوية، بل تحتاج لكي تصل إلى مقصودها إلى نظام وتأطير؛ إلى أجهزة ومؤسسات، قيادات وكوادر، ونشاطات منظّمة. وإلّا فالثّورة لا تخدم إلّا العدو في حالات الفوضى.[2] لهذا، اختار أنّ يتحرّك في إطارٍ سياسيٍّ ومدنيٍّ.
عدّ الإمام الصّدر نفسه وأتباعه قوةً مواطنية ضاغطة، تضغط على السّلطة كي تمارس دورها. ولم يكن يريد أن يكون بديلًا من السّلطات ويستلم الحكم، بل توخّى أنّ يحقّق مطالب النّاس من خلال الدّولة وأجهزتها.[3]
لهذا، بدل الثّورة، اتّخذت المظاهرات والاعتصامات والإضرابات كآليات فاعلة في مشروعه، نذكر من بينها إضرابًا في العام 1970، ومهرجان بعلبك في 1974/3/17، ومهرجان صور في 1974/5/5.
كانت مطالب الإضراب، محدّدة وواضحة: تحصين الجنوب وتسليحه؛ أيّ مزيد من القوى الدّفاعية، وكذلك، تحسين الأوضاع الاجتماعيّة.[4]
حضر 75 ألفًا في بعلبك، بينهم عشرة آلاف قطعة سلاح من مختلف الأعيرة، وكانت الرّسالة موجّهة للدّولة، علّها تستفيق أمام تململ المارد المحتجز في كهف النّسيان.
وبعد شهر ونصف منه، كان مهرجان صور في 1974/5/5، إذ وجّه الرّسائل

---

1 يعقوب ضاهر، مسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، المجلد الثّاني، ص 482.

2 م.ن.، ص 493.

3 م. ن.، ص 495.

4 م. ن.، ص 492.

لمختلف الجهات. لهذا، كان أشد وقعًا من مهرجان بعلبك. [1]
كان التّجمُّع الثّقافي ينعقد في النّدوة اللّبنانية، وربّما لأوّل مرة في الحياة السّياسيّة في لبنان، يتنادى نخبويون مثقّفون لأمر مطلبي، وتتوجّه لديهم صيغة وطنية عامة لمجموع البنود المطلبية في أكثر التّحشدات أهمّية وكبرًا وهي دلالات على صيحة شعبية موحّدة في ثلاثة وجوه: (إضراب ومهرجانا بعلبك وصور). لا شكَّ أنّ تعديل المنهج من حشدٍ شعبي إلى حشد رجال الفكر والأدب والفن نمّ عن قدرة ذهنية مهمّة من التّحرّك الشّكلي إلى النّوعي، وبسرعة، منتزعًا الإحساس بأمر، محافظًا على موضوعه بدقة ليخرج فيها بالمعنى المميّز. جرت مداولات في لقاءات ضمَّت أسماء كبيرة. اختصر الإمام غرض الاجتماع في بضع عبارات، وطرح ورقة المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى[2] الصّادرة في 12/2/1974 للبحث. وكان اللّقاء الأول لهذه المداولات في 23/9/1974، وصدر بيان المثقفين. [3]
ثمّ حان دور الاعتصام، حينما هدر القصف على الشّياح من عين الرّمانة[4] فشكا إلى ربّه تجاوز المتجاوزين، واللّهُ يتولى أمر الّذين «دنّسوا أرض الوطن، فجئت إلى بيت اللّه مستمدًّا منه القوة والعون، وسأبقى في حالة الاعتكاف إلى أن تتجاوز البلاد الأزمة، وإلى أن تخرس أصوات المدافع». لهذا، «قررت أن أعتصم وأصوم، وزادي كتاب اللّه وقطرات ماء، وسأظلّ هنا حتّى الشّهادة، أو حتّى تعود البلاد إلى حالتها الطّبيعية، وقد ودّعت والدتي وزوجتي وأطفالي، وجئت أصلّي إلى اللّه أن ينقذ هذا الوطن». [5]
توافدت الشّخصيات عليه تطلب منه إنهاء الاعتصام، وقد ظهر مسلّحون في بعلبك - الهرمل ينذرون أهالي القاع ورأس بعلبك بتسليم أسلحتهم، فما كان من سماحته إلّا أن يستجيب لطلب فكِّ الاعتصام، وأصدر بيانًا إلى إخوانه في منطقة بعلبك - الهرمل، وبعدها توجّه إلى المنطقة ليقيم أيامًا ينشغل فيها على حلِّ كلّ ما هنالك من إشكالات، وعاد بعد أن وفّر مناخًا علائقيًّا مناسبًا بين

---

1 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 342.

2 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 343.

3 م. ن.، ص 344.

4 م. ن.، ص 361.

5 م. ن.، ص 362.

أبناء المنطقة عشائرَ وطوائفَ.[1]
وتقرّر أن تعقد ندوة على مدى يومين في نهاية تمّوز، من أجل وضع الخطوط العريضة للمصالحة الوطنية.
والمبدأ: نفكّر معًا.. نلتقي معًا.. نعمل معًا.. ننفذ معًا...[2]

رابعًا: الاجتهاد الفقهي

حاول الإمام الصّدر أنّ يوظّف الاجتهاد الفقهي أيضًا كآلة من آلات تغيير الواقع اللّبناني والنّهوض به. فمثلًا، عدّ المال الّذي لم يُنَصّ على وجهة صرفه من المال العام الّذي يصرف على كلّ إنسان محتاج من دون النّظر إلى دينه أو طائفته،[3] أو كذلك حسبان صندوق الزّكاة كضمان اجتماعي، وفي قضية توحيد الهلال بين المذاهب الإسلامية.

خامسًا: مبادرات لإنشاء مؤسسات لسدِّ النّقص أو رفع الحرمان أو حل المشكلات

في الحقيقة، إنّ مؤسسات الإمام الصّدر ترجمة عملية لفكره في سبيل تكافؤ الفرص في مجتمع عادل، وترجمة عملية لمشاريعه، إذ من خلال هذه المؤسسات حوّل الجامع إلى جامعة، واجتاز الحواجز بين التّيارات والطّوائف، وأنشأ المجالس والأطر المؤسسية، وأسّس المدارس والمعاهد وأطلق المبادرات التّنموية المحلية.[4]
كان الإمام الصّدر يتبع أسلوبًا خاصًّا في عمله لتحقيق أمرٍ ما. وهو أن يفكّر

---

1 م. ن.، ص 363.

2 **حسين شرف الديّن**، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 365.

3 م. ن.، ص 30.

4 **رائد شرف الدّين**، مشاركة بعنوان "نموذج التّنمية الشّاملة في تجربة الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء العاشر، عنوانه: التّنمية الإنسانية: أبعادها الدّينيّة والاجتماعيّة والمعرفيّة، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، 2005 م، ص 225. ويمكن الاطّلاع على الكلمة على الرّابط:
http://www.imamsadr.net/News/news.php?NewsID=964

ويدرس ويمنهج ويشاور لتوفير إمكانات السّير والتّنفيذ. أمّا حكاية الكلفة والتّمويل فهذا ما لا يجهد نفسه بالبحث عنه.[1] إذ بعد أن يصمّم ويتهيّأ نفسيًّا ليرى العمل قائمًا يبدأ عندها بالسّعي بعد أن تكون تفاصيل المشروع كلّها قائمة في الذّهن.[2] ولا تقرّ عنده فكرة إلّا ويبسط لها أرضها. [3]

لا ضرورة لإحصاء الأعمال والمشاريع والهيئات كلّها الّتي أنشأها الإمام الصّدر أو نفّذها أو سعى إليها ليحقّق رؤاه الفكرية والفلسفيّة. بعض تلك المشاريع تطوّر بعد تغييب الإمام، واستطاع أن يشكّل بنية مؤسسية متينة تتجاوز الأشخاص والرّموز. وبعضها الآخر تلاشى بمرور الأيّام، أو هو تجمّد عند الحالة الّتي تركها سماحته في العام 1978. وبين حدّي التّطوّر والتّلاشي، نعثر على مئات، بل آلاف المنشآت والمباني والجادات والمراكز الّتي تحمل اسم الإمام الصّدر، تيمّنًا برمزية الاسم، أو استدراجًا أو إيهامًا بمشروعية ما، وبمقبولية عند الجماهير المحبّة.

إنّه أمر لافت فعلًا أن تكون صورة الإمام الصّدر تشغل صدر البيت في مساكن الجنوب والبقاع وبعض بيروت. وهي الصّورة الأكثر مثولًا في الأماكن العامة، إلى حدّ يدفع الزّائر الغربي إلى تقصّي سرّ هذه "الأيقونة". هي "شعبية" لم تأتِ من فراغ، ولم تُبنَ على رمال، بل إنّ لبِناتها من معدن آخر غير الكلمات.

خلال تسعة عشر عامًا، جال الإمام الصّدر لبنان، منطقة منطقة، وعمل دراسة ميدانية لحاجات المجتمع والنّاس، وحمل هموم الوطن والمواطنين، بذل قصارى جهده لتنمية المجتمع وتأمين حاجاته المطلوبة؛ فحمل لواء النّهضة الاجتماعيّة والإنسانيّة.

كانت أحزمة البؤس منتشرة حول بيروت المتلألئة في السّتينيات، وكانت أيضًا التّناقضات الإقليمية السّياسيّة المتعدّدة في أوج أحوالها، صراعات، وخلافات في قضايا الوطن، وكان الإمام الصّدر يدرك المخاطر الموجودة، وأنّ الحرمان الشّديد حتمًا سيوصل إلى الانفجار.

سافر إلى بلاد المهجر يستعين بالمهاجرين لتأسيس مؤسسات اجتماعيّة وتربويّة ورعائيّة تعين النّاس، لأنّ الجنوب آنذاك كان أكثر المناطق اللّبنانية فقرًا وأقل

---

1 **حسين شرف الدّين،** صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 36.

2 م. ن.، ص 37.

3 **حسين شرف الديّن،** صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 39

حظًا بالإعمار وإصلاح أمور النّاس، لا يوجد مدارس ولا مستشفيات ولا مراكز رسمية للدّولة، وبعد دراسة دقيقة لحاجات المنطقة، بدأ بتنفيذ مشاريع تعليمية وتربوية، وكانت الواحدة تلو الأخرى.
سنكتفي بعناوين سريعة في المبحث التالي كأمثلة على اللَّبِنات المؤسسية، وكلّها مستقاةٌ من الحاجات الاجتماعيّة، وهي تجسيدٌ لرؤيته ونظريته للبناء الاجتماعيّ.

ونختم المبحث الثّالث بخطبة للإمام موسى الصّدر ألقاها في الكليّة العامليّة في بيروت، وذلك عندما اعتصم في العام 1975 استنكارًا لما يجري من اقتتال بين الأخوة، ويؤكّد في خطبته هذه أنّ الوطن في جوهره هو علاقات، وأنّ لحمة العلاقات هي: الصّدق، يقول:

«في بيت اللّه وبعد الصّلاة، الّتي تنهى عن الفحشاء والمنكر، والّتي تذيب الإنسان وتطهره عن الذّنوب عند التّقرب إلى اللّه، وعند الجلوس بين يديه، وعند الجلوس إلى جوار إخوان لنا في اللّه، في هذه اللّحظات قلوبنا وعقولنا أكثر انتباهًا وصفاءً لقبول كلمة الحق والاستماع إلى الحقيقة، الحقيقة الّتي لا حياة من دونها، ولا وطن من دونها، ولا بيت ولا عائلة من دونها.
الحقيقة والصّدق أساس العلاقات، وإذا فُقد الصّدق تشوّهت العلاقات الكونيّة جميعًا. إذا الحقيقة ذهبت، كيف يمكن للإنسان أن يكون مع زوجته سعيدًا؟ إذا لم يكن الصّدق موجودًا كيف يمكن أن يسعد الإنسان مع الّذي يشتري منه؟ مع الّذي يبيع اليه؟ مع الطّبيب الّذي يتعالَج عنده؟ مع المهندس الّذي يستشيره في بناء بيته؟ مع المحاسب؟ مع الخادم؟ مع الجار؟
الصّدق سبيل صيانة العلاقات الكونيّة، والكذب تشويه للعلاقات جميعها. عندما لا أعرف الصّديق، الجار، المعلم، والطبيب، عندما لا أعرفهم، فكيف أتعامل معهم؟ كيف يمكنني أن أعرفهم إذا لم يكونوا صادقين في ما يقولون؟ فالصّدق تعبير عن الكفاءات وعن الحاجات. وأنت إذا عرفت بحقّ كفاءاتي وحاجاتي، تعطيني ما أريد وتأخذ مني ما تريد، لكن إذا كنتُ كاذبًا لا سمح اللّه أغطّي وأشوّه كفاءاتي وطاقاتي. فأنت تريد أن تأخذ مني شيئًا ليس عندي، وقد ادعيتُ أنّي أملكه؛ وأنت تريد أن تعطيني شيئًا لا أفقده، وقد اعتقدت أني أفقده.

لذلك، الكذب تشويه العلاقات جميعها، الكذب تحويل الشّؤون الصّادقة الحّقة جميعها في الوجود، ولذلك، الكذب مفتاح الذنوب كلّها، فالحديث الشّريف يقول: « إنّ المعاصي وضعت في بيتٍ مفتاحه الكذب»، العلاقات البشرية تقوم على أساس الصّدق، أمّا إذا كان الإنسان غير واضح، غير صريح، غير صادق في ما يريد وفي ما يريدون، هنا يختلّ النّظام وتتصدّع الأمور والمؤسسات والأشياء والعلاقات وكلّ شيء.

الصّدق مقياس كمال الإنسان، والكذب نابع عن ضعفه وعجزه. لماذا يكذب الإنسان؟ لأنّه يخاف أو لأنّه يطمع، لماذا يكذب الإنسان؟ لأنه يخاف من قول الحقيقة أو لأنّه يستفيد وينتفع من قولٍ غير الحقيقة. إذًا، الكذب ضعف الإنسان، الكذب عجز الإنسان، الكذب نابع عن حاجة الإنسان وتدهوره، الكذب في أي شيء كان... جدّه وهزله.

نحن في علاقاتنا الاجتماعيّة نستعمل كثيرًا من الكلمات الّتي في الحقيقة هي تعبير عمّا ليس في قلوبنا. مشتاقون إليك، متى كنت مشتاقًا؟ والآخر يقول بالأكثر، مع أنّ كلا الشّخصين لا يشتاق أحدهما إلى الآخر. في شؤوننا العامة وفي علاقاتنا. هذا داؤنا. وإذا قلنا بحقّ وبصدق حاجاتنا ما غطينا، هناك أناس يظنون إذا عبّروا عن حاجاتهم يصغرون أمام عين الآخرين فيشوهون الحقيقة، فيقولوا ما ليسوا محتاجين إليه، أو بالعكس يبرزون الاستغناء، وهم في أشد الحاجة إليه.

الوطن ما هو؟ أرض؟ جبال؟ الوطن أفراد؟ لا. الوطن هو العلاقات الّتي تجعل من مليوني شخص أمة واحدة، وشخصًا واحدًا. هذه العلاقات إذا نريد أن نصحّحها، وأنّ نبني وطنًا من خلالها يجب أن نكون صادقين في ما نقول. يجب أن نعبَّر عن حاجاتنا من دون مزايدات، يجب أن نصارح بما نريد، وما لا نريده، ومن خلال المصارحة الصّادقة الحقّة البعيدة من الكذب والنّفاق والمجاملات بإمكاننا أن نعيد بناء الوطن من جديد». [1]

---

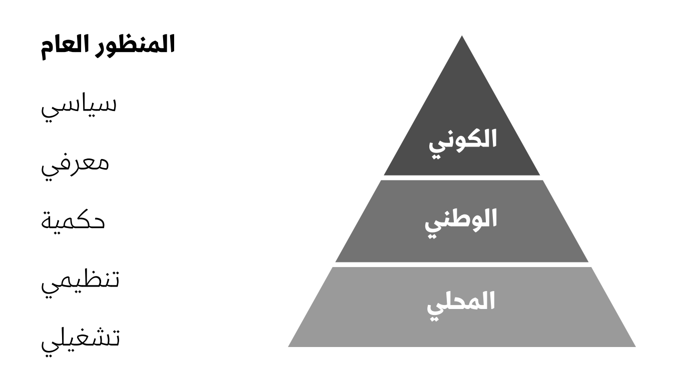
[1] **موسى الصّدر**، خطبة الاعتصام الأولى في الكليّة العامليّة، بتاريخ 28 حزيران 1975، تسجيل صوتي من محفوظات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات.

المبحث الرابع
نماذج من المشاريع والمؤسسات

يمكـن تمثيـل الإسـهام الّـذي أتـى بـه الإمـام الصّـدر عـلى هيئـة هـرم متعـدّد الطّبقـات، وهـذا الأنمـوذج يتـمّ الاسترشـاد بـه- إلى الآن- فـي المشـاريع التّنموية فـي مؤسسـات الإمـام الصّـدر- لبنـان:

أمثلة

- المرأة
- جمعية التخصص العلمي
- المجلس الإسلامي
- مجلس الجنوب
- مبرات/مستوصفات/معاهد



منافذ خدماتية ميدانية (مستوصف/معهد)

- فـي الأسـس القاعديـة للإنجـاز، نجـد بالمنظـور التّشـغيلي المنافـذ الخدماتيـة والميدانيـة كلّهـا بيـن مسـتوصف ومعهـد ومبـرّة ومدرسـة.
- في المنظـور التّنظيمي، تجلّـت الإسـهامات المحلّيّة للإمام الصّدر في العديد من البنـى المؤسسـية الّتي أدارت تلـك المرافـق، أو أنّها تولّـت إدارة حاجـات مناطقيـة وظرفية.
- في طبقـة أعلى، يجـد الباحـث آليـات الضبـط والمحاسـبة والمشـاركة، ومـا تـلازم معهـا مـن مواثيـق وعرائـض وبرامـج عمـل، وكلّ مـا ينـدرج فـي مسـتوى الحكـم الصالـح حسـب مفـردات اليـوم.
- بالمنظور المعرفي، وفـي مسـتوًى يجمـع بيـن الوطنـي والعالمـي، يعدّ إرث الإمام الصّـدر معينًـا معرفيًّـا مهمًّـا. وعـلاوة عـلى منهجيتـه العلميـة المتمثّلـة فـي تفحّـص الإحصاءات والدّراسـات وتقييـم الحاجـات وقيـاس أثـر المشـاريع؛ فقـد امتـاز بحضـور واسـع وكاريزمـا تواصـل قـلّ نظيرهـا. وقـد أمكنـه توظيـف موهبتـه ومهارتـه وعلمـه

في تعميم خبرته ونتائجها على شتَّى المستويات الفكريّة والعمليّة، النّخبوية والشّعبية على السّواء.

• ختامًا، نصل إلى الجوهر العالمي في قمّة الهرم. وذلك بمجرّد أن نستخدم المنظور السّياسي لتقييم القيمة الّتي أضافها الإمام الصّدر إلى التّجربة الإنسانيّة. إذ بإمكان الباحث أن يستخلص، من المستويات السابق ذكرها كلّها، ما يصلح لأن يأخذ بعدًا عالميًّا، أو يستحقّ تجربته في مكان آخر. نقول بإيجاز شديد: إنَّ منهجيّته في أنّ يتولى النّاس تحديد حاجاتهم الحياتية، ويتمكّنوا من حلّها بأنفسهم هي بيت القصيد.

نعرض فيما يلي بعض المشاريع والمؤسسات الّتي أطلقها الإمام الصّدر، مصنّفة بحسب النّموذج الوارد أعلاه.

بدءًا من المرافق القاعديّة، وعلى المستوى التّشغيلي، نعرض مجموعة البرامج والمشاريع والهيئات الّتي تدرجّت من مبادرات الحماية والإغاثة، وصولاً إلى معاهد التّمكين والتّنمية، مرورًا بالمعاهد والمدارس.

أولاً: مشاريع إغاثية عاجلة

1 - برنامج القضاء على ظاهرة التّسوّل في صور

التّسوّل مذلة لنفسٍ كرّمها اللّه. لهذا ما كان للإمام أن يرى هذه الظّاهرة تنتشر وينام قرير العين. وليس من ديدنه أن يصدر الأحكام أو يمنعها من دون أن يضع أي حلّ أو بديلًا عنها. فكلّف لجنةً لإحصاء من يحقّ مساعدتهم في صور، والتّأكّد من حال المتسوّلين، ووضع معايير لمن يستوجب المساعدة، وأعلن خطوات لخدمة المحتاجين:

- تشكيل ما سمّي "عائلة الجمعية" من الأرامل وكبار السّن من عائلات تحسبهم أغنياء من التّعفف. وقد بلغ عدد الجمعية مئتي عائلة.
- توفير مساعدة نقدية وحصّة تموينية شهريًّا لكلّ أسرة.
- تكفّلت الجمعية بمعالجة العائلة وتأمين الدواء للعائلة بالتّعاون مع أطباء وصيادلة.
- تعميم صناديق الصّدقة في محال التّجارة.
- تحديد اشتراك اختياري في صور بقيمة ليرة لبنانية شهريًّا.

وبعد هذه التّرتيبات منع التّسوّل، وأعلن تحريمًا على أهل السّوق والنّاس. وبهذا التّرتيب، كرّم وجه صور بحفظ كرامة انسانها وزائرها.
منعُ التّسوّل كان الخطوة الأولى في طريق تربية الإنسان ورفع مستواه في حقول التكامل جميعها، والّتي هي في جعله يشعر بكرامته ويهتمّ بشؤون نفسه.
وقد شرح سماحته إيجابيات هذه الخطوات وآثارها على المحتاجين وفوائدها على المجتمع وحفظ الكرامة وانعكاسها على الإنسان والأوطان والمسارات الطّموحة، ونجحت هذه الخطوة، واستمرّت حتّى انتهت حالة الفقر والحرمان.

2 - توفير المســـاكن الطّارئة

لم يفت الإمام الاهتمام بأمور الإغاثة السّريعة من توفير السّكن والأغذية وكامل الحاجات الضّرورية، وتدخّله لدى الدّولة لتخصيص قطعة أرض كبيرة في منطقة الحدث ببيروت لبناء 260 مسكنًا للمهجّرين في حينه، أو التّباحث مع شركة تملك أرضًا واسعة في الغبيري لشرائها وبناء بيوت سكنية، لاستيعاب أعداد أكبر عند الحاجة. كما نورد مثالين آخرين:

أ - سكن فلسطينيّ الشّبريحا

في أوائل السّتينيات وبدايات إقامة الإمام الصّدر في صور، واجه الإمام مشكلة مع مجموعة من الفلسطينيين الّذين احتلت إسرائيل قراهم وبيوتهم في العام 1948، فاضطروا للهجرة إلى لبنان، واستقروا في أحد البساتين بجوار مدينة صور يسمّى الشّبريحا. استغلّ مالك البستان وجود هذه المجموعة، وسخّرهم للعمل مجانًا في بستانه، وكانت معيشتهم مُذلّة يواجهون بها صعوبات كثيرة. فجاؤوا إلى الإمام الصّدر وشكوا أمرهم وتهجيرهم القسري وتشتّت عائلاتهم وصعوبة معيشتهم والحرمان الكبير من حقوقهم من صاحب الأرض الّتي سكنوها.
قام الإمام الصدر بالمساعي مع الخيّرين وتداول معهم بهذه المشكلة، وبعد السّعي والجهد والمحاولات وجد حلًّا لهم. اشترى البستان من صاحبه ودفع القسط الأول منه، بعد فترة سدَّد بقية الثّمن من الخيرّين، وصارت هذه المجموعة أصحاب بيوت، واستقروا في منازلهم آمنين ومكرّمين.

ب - سكن أهالي العمروسية

العمروسية منطقة موجودة في "صحراء" الشّويفات، في الضّاحية الجنوبية، في بيروت، وجاء الأهالي الّذين اضطروا إلى إخلاء منازلهم ومساكنهم إلى هذه

المنطقـة، لأنّ الدّولـة اللّبنانيّـة اسـتملكت هـذه المنطقـة وهجّـرت السّـاكنين مـن بيوتهـم مـن دون تعويـض.
علـم الإمام الصّدر بهذه المشـكلة وبدأ بالسّـعي إلى علاجها، وبعـد محاولات عديدة واتصـالات مـع أهـل الخيـر، قـرّر بنـاء بيـوت لهـم فـي هـذه المنطقـة، بمسـاعدة المجلس الإسـلامي الشّـيعي الأعلى والرّئيـس شـارل حلـو، (وهـو لـم يكـن رئيسًـا في وقتها)، بل كان أحـد كبار المساهمين. لذلك، اجتمع هؤلاء في هذه المناطق ووجـدوا حـلًّا لمشـكلتهم، وعاشـوا سـعداء بكرامتهـم.

3 - مبرّات للأيتام، ومستشفى ميداني

عند تسارع الأحداث السّياسيّة بعد زيارة الرّئيس أنور السّادات للقدس، وصدام المقاومة الفلسطينية، ومن يحيط بها مع قوات الرّدع العربيّة، واجتياح اسرائيل للبنـان فـي 13/3/1978 الّـذي اسـتمرّ حتّـى 22 منـه، راح الإمـام الصّـدر يجمـع أيتـام الشّـهداء الجنوبييـن مـن على الـدّروب، متّصلًا بالمراجع في العراق وإيـران، وكان أن تأسّسـت مبرة الإمام الخوئي[1] في منطقة صفير، وتخصّصت للذّكور من الأيتام، ومبـرّة الزهـراء فـى منطقـة خلـدة بتوجيـه الإمـام كلبايكانـي[2]، وخصّصـت للبنـات اليتيمات. هذا إلى جانب، حكايات التّهجير وإشكالاته والضّغوط الّتي تستتبعها[3].
وكان لها نائبا رئيس: المغفور لهما الشّيخ محمّد مهدي شمس الدّين والسّيّد محمّد حسين فضل اللّه، وقد انتهت إليه تولية مبرة الإمام الخوئي بعد تغييب الإمام الصّدر. وكُلّفت راقمة هذه السّطور بإدارة "مبرّة الزهراء" في بيروت إلى

1 **السّيّد أبو القاسم الخوئي** (1899 - 1992): من أكثر مراجع تقليد الشّيعة بروزًا في القرن الرّابع عشر الهجري، وتعدّ نظرياته الأصولية والفقهية والرّجالية والتّفسيرية من النّتاجات الفكرية الّتي يشار إليها بالبَنان. تأسّست تحت إشرافه الكثير من المكتبات، والمدارس، والمساجد، والحسينيات، والمستوصفات، والمستشفيات، والمبرّات ودور الأيتام، في مختلف الدّول الإسلاميّة، منها إيران، والعراق، وماليزيا، وانجلترا، وأمريكا، والهند.. ومبرّة الإمام الخوئي: أسّسها الإمام موسى الصّدر وترأسها بمعاونة العّلامتين الرّاحلين الشّيخ محمّد مهدي شمس الدّين والسّيّد محمّد حسين فضل اللّه، اللّذين كانا نائبين الرّئيس. بعد تغييبه عهدها السّيّد فضل اللّه، وشكّلت باكورة المؤسّسات في جمعية المبرات الخيرية.

2 **الإمام كلبايكاني** (1899 - 1993): السّيّد محمد رضا الكلبايكاني، هو من مراجع تقليد الشّيعة بعد وفاة المرجع آية اللّه السّيّد حسين البروجردي. وكان من تلامذة الشّيخ عبد الكريم الحائري. تتلمذ على يده الشّيخ مرتضى الحائري اليزدي، والشّيخ مرتضى المطهري، والسّيّد محمّد الحسيني البهشتي، والسّيّد لطف اللّه الصافي الكلبايكاني، والشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي. له مواقف مناهضة لإجراءات الحكم البهلوي، كما في سقوط الضّحايا في انتفاضة 15 خرداد، في إيران في العام 1963، وكذلك حادثة الفيضية، واعتقال الإمام الخميني ونفيه. خلف بعده ما يقارب 40 كتابًا، ومن نشاطاته وخدماته الاجتماعيّة بناء مستشفى، ومدارس علمية، ودار القرآن الكريم، ومجمّع لندن الإسلامي.

3 **حسين شرف الدّين،** صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 383.

جانب "بيت الفتاة"[1] في صور.
بعدها بسنوات، اشتّدت الظّروف الصّحية والأوضاع الاجتماعية في بيروت والمناطق، في أثناء الحرب الأهلية والقصف المتواصل يوميًّا والقنص في كلّ حيّ، والحرب القذرة من زقاق إلى زقاق. ويومًا بعد يوم، ازدادت المشاكلات وازداد الجرحى والمصابون، ولم تتمكّن المستشفيات من استقبال المصابين جميعهم وكان عدد الجرحى معظمهم من الطّائفة الشّيعيّة، لم يملك الإمام القعود حيال هذه الكارثة الإنسانيّة، ولا يمكن أنّ يترك الأمر من دون محاولات والسّعي إلى إيجاد الحلول.
اتصل بالهيئات الإنسانيّة الدّولية والجمعيات الأهلية اللّبنانيّة وطلب مساعدتهم، وبالتّعاون معهم، أنشأوا مستشفًى ميدانيًّا ونصبوا خيمًا وشوادرَ، وانضمّت منظمة "أطبّاء بلا حدود" إضافة إلى أطبّاء لبنانيين لهذه المجموعة، وبدأوا بمعالجة المرضى والمصابين والجرحى، وصار مكانًا آمنًا للجرحى جميعهم من الطوائف كلّها، فنشأت "مستشفى الزهراء" الّتي هي اليوم من أفضل المستشفيات في بيروت.

ثانيًا: مؤسسات تعليمية وتربوية

أراد الإمام الصّدر أن يوفّر الحماية والكرامة للفتيات المهمّشات، تحت رعاية خاصّة، في جوّ مليئ بالمحبّة والاهتمام والسّهر على راحتهن ونفسياتهن، ونزع اليتم من نفوسهن، ومحو الذّكريات الأليمة الّتي قضينها خلال الحرب.

1 - بيت الفتاة

يستدعي التّغيير الاجتماعيّ والتّطوّر جملة خطوات يجب علينا أن نتّخذها لأجل التّغيير والتّقدّم والتّحسُن، مثل حقوق الإنسان بشكل عام، بمجالاته كلّها، وتأهيل الإنسان وتعليمه وتحريره من القيود الفارقة والعادات القديمة.
وطالما الشّعب بعيد من العلم والثّقافة والتّربية، لايمكن أن يحصل أيّ تغيير في حياته وتقدّمه. لأنّ العلم هو أساس التّقدُّم، والتّعليم هو حل للمشاكلات الاجتماعيّة كلّها، ولا يمكن أن يحصل أيٌّ تغيير بالعنف، وبما لا يلائم الأصول

---

1 م. ن.، ص 32.

والأخلاق والآداب وإنسانية الإنسان، علينا أن نتّخذها، ونعمل بها، ونُعلِّم ونثقّف، حتّى نوصل بناتنا إلى شاطىء الأمان. بينما في سنوات السّتينيات كان المجتمع الجنوبي محدودًا، ولم يكن هناك أيّ محاولة لتغيير هذه المعضلة الكبيرة.

كانت الحياة الاجتماعيّة غير مهيئة للتّعلُّم وكسب المعرفة. كذلك، منع الفتيات من الخروج من البيت من قبل أهلها، كان من أسباب التّأخر عندهن. وبالتّالي، فإن مئات الفتيات انحرمنَ من العلم وأُلزمنَ البيوت وفاتهنَّ قطار العلم والمعرفة. يقول الإمام الصّدر، وبكلّ وضوح: «نشعر في صور بانعدام التّربية المدنية، الأمر الّذي يزيد مشاكلات المسؤولين، ويقلّل من مظاهر التّقدُّم الاجتماعيّ. ويجب أنذ نعترف أنّ الثّقافة المنزلية عند النّساء ضعيفة جدًّا، بل معدومة، وتتجلّى مشكلة كثرة الأمّية في النّساء بصور بشكل واضح، ولكن من الممكن من علاج هذه الآفات والقضاء عليها تدريجيًّا».

لهذا السّبب، قام الإمام الصّدر بتأسيس مدرسة "بيت الفتاة" في العام 1963 في صور، لتحسين وضع الفتيات وتأهيلهنَّ والأخذ بيدهنَّ من أجل تربية أمّهات مثقّفات، ومواطنات صالحات. وأكَّد الإمام تأهيل الفتاة وتعليمها لحياة أفضل ومعيشة واعية منوّرة بالعلم والمعرفة.

وكانت هذه الخطوة علاجًا لتلك المشاكلات الاجتماعيّة القائمة في المجتمع، ولتصير الفتاة إنسانًا مفيدًا في مجالها. يقول الإمام الصّدر: «علينا أن نسهم في إعطاء المناخ الملائم لنمو كفاءات المرأة، وذلك لخدمة المجتمع».[1] [وتوليتُ مهام إدارتها حينما كنت بنت السّابعة عشر، والوحيدة من بين مجموعة الهيئة الإدارية، كنت صغيرة في العمر].

2 - دار الحضانة

مؤسّسة تربوية متخصّصة بتنشئة الأطفال من الجنسَين، ومن مختلف الفئات الاجتماعيّة للأعمار ما بين الثّالثة والخامسة. غايتها أن تهيّئ الأطفال للعملية التّعليمية عبر إطلاق طاقاتهم وتنمية مهاراتهم وقدراتهم، وذلك، بهدف إعدادهم أطفالًا وأجيالًا مميزين، ولتمثّل ثقافة المجتمع والمساهمة في تنميته وتطويره. تمتاز الدّار بمواكبتها المستمرة للمستحدثات العلميّة والتّربوية والتّقنية في عالم تربية الطفل، وبأنّها تقدّم خدماتها لمختلف الشّرائح

1 **حسين شرف الدّين**، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 31.

الاجتماعيّة، مقابل مساهمات مرنة تراعي أوضاع الأهالي، وفي بيئة مثالية صحيًّا واجتماعيًّا ودينيًّا.

3 - مدرسة رحاب الزهراء

تستهدف تلميذات مبرة رحاب الزّهراء عليها السّلام وغيرهن من تلميذات الفئات الشّعبية في المجتمع المحلّي ورسالة المدرسة تنمية شخصيات التّلميذات بأبعادها الجسديّة، الانفعاليّة، العقليّة، الروحيّة والاجتماعيّة جميعها، من خلال اعتماد مناهج تربوية متجدّدة ومتّسقة مع المناهج الرّسمية اللّبنانية. بخاصّة أنّ هذه الفئة من البنات هنّ يتيمات الحرب اللّبنانيةوالاعتداءات والإسرائيلية.

تسعى المدرسة إلى رفع ضغوط الأوضاع الاجتماعيّة المركّبة، وتساعد طالباتها على التّمتع بحقوقّهن في التّعلّم والتّرقّي الاجتماعيّ، في بيئة إسلامية سمحة متطوّرة، تهيئهن لمتابعة أدوارهن المستقبلية.

ثالثًا: مؤسسات ومعاهد مهنيّة

من دوافع الإمام الصّدر تشجيع التّدريب المهني:

- منطقة جبل عامل بكاملها تفتقر لمدارس مهنية وفنية، وكانت الحاجة إليها قائمة. [1]
- اقتناع سماحته بأن المهارات التقنية هي التي تؤسس لمجتمع تتوفر فيه إمكانات التطور.
- اقتناعه بأنّ التّطوّر التّقني هو الوسيلة الأساسية للتّحرّر.

ولكن التّدريس المهني والتّقني كان حديثًا في لبنان. لهذا، يحتاج إلى دراسات وأبحاث لاختيار المناسب للمنطقة[2]. من هذا المنطلق، صارت المؤسسات المهنية للذّكور والإناث في صور وبيروت وبعلبك تظهر الواحدة تلو الأخرى، واختار لكلّ منطقة المهن الّتي تلبّي حاجات سوق العمل فيها. ونشير لأهمّها فيما يلي:

---

1 **حسين شرف الدّين**، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 33.

2 م. ن.، ص 34.

1 - مهنية جبل عامل

وهـي خاصـة بالشّـباب، وتشـمل اختصاصـات عديـدة. يتّصـف البرنامـج بالمرونـة لحاجـات سـوق العمـل ولتوقّعـات المسـتفيدين وقدراتهـم، وذلـك عبـر المروحـة الواسـعة مـن الاختصاصـات الّتـي يوفّرهـا.

كمـا أنّـه يتعـدّى بنـاء المهـارات العمليـة المرتبطـة بالتّخصّـص الحرفـي. أراد الإمـام الصّـدر أنّ يخـرّج شـبابًا مميّزيـن يتمتّعـون بالعلـم والإيمـان بحِرفيّـة عاليـة، وكان أحـد أسـباب اهتمامـه بالدّراسـات المهنيـة الخاصـة بالصّبيـان، لعلّهـم يجـدون سـبيلًا معيشـيًا سـريعًا لتحسـين معيشـة كريمـة لحيـاة أفضـل.

تعـدّ مهنيـة جبـل عامـل أولى مؤسسـاته الكبيـرة والتـي أرادهـا أن تكـون مَعْلمًـا للعلـم وصرحًـا ثقافيًّـا مميّـزًا لتعزيـز التّواصـل بينهـا وبيـن المجتمـع المدنـي.

2 - مدرسة التمريض

معهـد فنـي تربـوي عريـق، يتيـح لخريّجاتـه بعد ثلاث سـنوات مـن الدّراسـة والتّدريب أن يتقدّمن إلى شـهادة البكالوريا الفنيّة الرسـمية بالتمريض بمسـتوى .B.T.

تـمّ تطويـر بيـت الفتـاة الّـذي كان فـي العـام 1969 فـرع مسـاعدة ممرضـة، ليكـون سـنة 1973 مدرسـةً فنيّـة عاليـة تـدرس الفتـاة ثـلاث سـنوات فيـه بعـد المرحلـة المتوسـطة؛ فتنـال شـهادة ثانويـة رسـمية اختصـاص العنايـة التّمريضيـة.

ويسـتهدف المعنيـات بالمهنـة مـن فتيـات المبـرة وغيرهـن مـن فتيـات المناطـق اللّبنانيـة كافـة. يمتـاز المعهـد بنجـاح دائـمٍ، وتتمتـع الفتيـات باقتـدار مهنـيّ، وبُعـدٍ إنسـاني رسـالي مـن وحـي التّعاليـم الإسـلاميّة ونهـج الإمـام الصّـدر. كمـا يسـعى المعهـد إلى تعزيـز علاقتـه بالمجتمـع، وهـو يشـكّل حلقـة وصـل بيـن المعهـد والمجتمـع.

استمرارًا للتّطـور، وفـي سـنة 2004 - 2005 الدّراسـيّة ارتقـت مدرسـة التّمريـض إلى مسـتوى الامتيـاز الفنّـي وهـو دراسـة جامعيـة. كمـا أدخـل برنامـج الصّحـة النّفسـيّة علـى أثـر الاعتـداء الصّهيونـي الغاشـم فـي صيـف العـام 2006

رابعًا: مبادرات تنمويــة وزراعيّــة

طـرح الإمـام الصّـدر إشـكالات الزّراعـة والـرّي فـي لبنـان، اسـتنادًا إلى الدّراسـات

المعدّة من قبل بعثات دولية مختصّة، ومنها بعثة (إرفد) الفرنسية ومنظمة التّغذية العالمية. وتابع المشاريع المقترحة للاستفادة من أحواض الأنهار، وخصوصًا نهر العاصي في الهرمل شرق لبنان، ونهر اللّيطاني الّذي ينبع من بعلبك شرقًا، ويصبّ في صور جنوبًا. وتابع مشاريع السّدود والبحيرات الصّناعية واستثمار كامل المياه السّطحية.

في المستوى الأوّل، تنوّعت اهتماماته التّنموية على صعد شتّى منها:

- الاهتمام بالدّراسات الّتي كانت متوافرة حول النّفط والغاز في السّواحل اللّبنانية، ومتابعة كلّ ما يحيط بالموضوع، مع إثارته على الصّعيد الرّسمي.
- دراسة الاحصاءات المتوافرة حول الواقع الاجتماعيّ- الاقتصاديّ في المناطق المتخلّفة في لبنان.
- التّركيز على تنظيم الزّراعات الّتي تعتاش منها المناطق المتخلّفة لتحسين الوضع المعيشي، مثل زراعة التّبغ في الجنوب، وتقديم مشروع شركة تسهم فيها الدّولة مع المزارعين لضمان حقوق العاملين.
- البحث عن زراعات بديلة للتّبغ على أنّ توفّر مردودًا يحدُّ من الهجرة.
- خَلْقُ الظّروف والمجالات الّتي تمكّن المرأة من المساهمة في النّهوض الاجتماعيّ والثّقافيّ.
- رصد الاعتمادات اللّازمة لإنهاء التّنقيب عن الآثار في مدينتي بعلبك وصور خلال مدّة عشر سنوات.
- إنشاء فندق سياحي في بعلبك مع مشاريع سياحية في المناطق الأثرية كافة.
- دراسة شاملة للمناجم في مختلف المناطق اللّبنانيّة وبصورة خاصّة النفط.
- تصحيح قانون توزيع أموال البلديات إذ يؤمِّن العدالة والازدهار لمختلف المناطق اللّبنانيّة. [1]

في المستوى الثّاني، نجد عددًا من المبادرات المطلبيّة والأطر التّحشيديّة، ومنها:

1 - كشافة الرسالة الإسلامية

أنشِئت الجمعية لتستقبل مختلف الأعمار في أنشطة النّظافة والنّظام،

---

1 **حسين شرف الدّين**، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 328.

وتوسّعت وتطوّرت وصارت مؤسّسة بحدّ ذاتها، وفيها مئات الشّباب والفتيات الّذين يمارسون نشاطات تربويّة وكشفيّة وثقافيّة واجتماعيّة ويقدّمون خدمات للمجتمع.

يقول سماحته: «دستورنا الإسلامي هو طبقًا للآية الكريمة: **(فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ)**، أراد الإمام أنّ يعلّم الأجيال التّسابق للخير والبناء، وإصلاح وضع المجتمع والمستوى الخلقي والتّربوي، مع سائر الطّوائف الّذين هم منفتحون على الآخرين، ويتعاونون سويًا بعيدًا من التّعصب والسّلبية». يقول القرآن الكريم: **(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ)** وهذا يدعو إلى الاعتقاد بأنّ على المسلم أنّ يهتم بمصالح المسلمين وبأهل الكتاب.

وأراد الإمام أن يرى أجيالًا صالحة ومؤهّلة للحياة ومتمكّنة من السّير على الطّريق السّليم. لهذا كان يقول: «لقد قسّمنا هذه الأمور الاجتماعيّة ومصالح الأمة إلى الأمور المباشرة وغير المباشرة. وأعني بالأمور المباشرة الإصلاح الّذي نتمكّن من المطالبة به والعمل على تحقيقه، والأمور غير المباشرة هي السّعي إلى تجديد النّظام حتّى يقوم بصالح النّاس وهديهم».

2 - حركة المحرومين

كانت الأوضاع الاجتماعيّة والمعيشّية في لبنان في أشّد أوقاتها صعوبة، تعاني الفقر والحاجة والحرمان من حقوق المواطنين وتأمين الخدمات لاحتياجاتهم اليومية، خاصّة في المناطق المحرومة، مثل الجنوب وعكّار وبعلبك. يقول الإمام الصّدر: «فإنّ الجهد في سبيل قضايا المحرومين مسؤوليتي المواطنية»، ويقول أيضًا: «عندما نجد معذَّبين ومحرومين ومحتقرين وخائفين في وطننا، نشعر أنّ إيماننا باللّه قد تعرّض لخلل ما».

لقد قرّر الإمام الصّدر مع مجموعة من الفاعلين والوطنيين تأسيس حركة المحرومين لحماية حقوق المستضعفين وحفظها وتأمين حياة كريمة لمعيشة أفضل. وقال: إنّ حركة المحرومين هي حركة المطالبة بحقوق المحرومين، وأبعادها ليست أمرًا غامضًا، ومحتوى الحركة هو السّعي لكي لا يبقى في لبنان محروم أو منطقة محرومة من الطّوائف جميعها. وكانت هذه الحركة تشمل الطّوائف اللّبنانية المحرومة جميعها، وقد قال: «وهل هناك من غموض في أن يطلب النّاس خبزًا وأمنًا وهويَة؟!».

وهكذا، بدأت حركة المحرومين، وسرعان ما التحقت بها فئات كبيرة محرومة

من مختلف الطّوائف، ووجدت في الصّرخة تعبيرًا عن آلامها. وبعد ذلك، أعلنت شخصيات وفئات أنّ الإمام الصّدر لن يبقى وحده مع طائفته، بل ستكون إلى جانبه الفئات العماليّة والطّلابيّة والجماهيرية إضافة إلى المثقّفين جميعهم. كتب المطالب ووقّع عليها مائة وواحد وتسعون مثقفًا. وكان أهمّها:

أ. الوظائف العامة وعلى أساس من العدالة [1].

ب. بالنّسبة إلى نوعية المراكز: يرفض المجلس تصنيف المواطنين طائفيًّا، ويؤكّد مطالب القائلين برفض طائفية الوظيفة وضرورة تبادلها بين أبناء مختلف الطوائف حسب كفاءاتهم.

ج. إنّ مسألة الدّفاع عن حدود الوطن، وعن سلامة المواطنين في أرجاء البلاد هي المسؤولية الأولى للسّلطات.

د. إنّ الألوف من المواطنين في مناطق بعلبك – الهرمل، وفي الشّمال، وفي مناطق أخرى لا يملكون بطاقة هويّة لبنانية. وبالتّالي، يُحرمون من الحقوق المواطنية كافة. إنّ هؤلاء لا يمكن التّشكيك في لبنانيّتهم [2].

3 - أمل (الجناح العسكري لحركة المحرومين)

يقدّم الإمام الصّدر لمناسبة تأسيس منظمة التّحرير الفلسطينية كلمة للنّاس في جريدة فلسطين بتاريخ 1/ 1 / 1976، فيتعرّض أولًا إلى إسرائيل بما أنّها «هي الثّمرة الطّبيعية للحضارة المادّية المعاصرة، وحصيلة تفاعلاتها وتناقضاتها وأسسها وتوازناتها، حتّى أنّنا يمكن أن نحسب وجود إسرائيل نتيجة المنطق المسيطر على العالم المعاصر، والمصالح الّتي تحكم فيه، والقناعات والمشاعر الّتي تسود العقول والقلوب» [3].

كانت إسرائيل تقصف يوميًّا جنوب لبنان وتعتدي بشكل متكرّر على الجميع، وتضرب بالصّواريخ والغارات على الأهل والسّكّان الآمنين، فلا أحد يردّ ولا دفاعٌ من الجيش اللّبناني، ما شجّع اسرائيل على الاستمرار في الحملات الوحشية، يقول الإمام الصّدر: «إسرائيل تضرب ضربة، ثمّ تضرب أخرى فلا ترى من يردعها، الأمر الّذي شجّعها وجعلها تشعر أنّها تشمّ الهواء على أرضنا».

---

1 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 324.

2 م. ن.، ص 325.

3 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 370 - 371 .

لم يكن للدّولة اللّبنانية أيّ دور للدّفاع عن الأراضي اللّبنانية، كان التّهجير وترك البيوت من قبل الأهالي مستمرًا، كمّا ترك المزارعون مزارعهم ولم يتمكّنوا من العمل. يقول الإمام الصّدر: «من صميم واجبات المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى السعي لرفع مستوى أبناء الطائفة وصيانة حقوقهم».
لهذا، قرّر الإمام إنشاء أفواج المقاومة اللّبنانية (أمل) للدّفاع عن الجنوب وسكّانه وأرزاقهم ومزارعهم، وبيوتهم بجانب الجيش اللّبناني. وعلى شباب أمل أن يكونوا جنبًا إلى جنب مع الجيش اللّبناني لمساندته والدّفاع عن لبنان. قال: «سوف نؤسّس جيشًا لكي يدافع عن حياة اللّبنانيين، والوضع في الجنوب ينذر بكارثة وطنية، وبناءً عليه يجب بناء جيش شعبي بتحويل كلّ لبناني إلى جندي، خصوصًا الجنوبيين». فانبثقت حركة أمل.

في المستوى الثّالث، سعى الإمام الصّدر إلى إنشاء هيئات رسمية وأطر رقابيّة تساعد في إرساء التّوازن السّياسي والعدالة الاجتماعيّة في لبنان:

1 - المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

في 1966/8/15، وتحت ضغط أحوالٍ ظالمة انعكست تعبيرًا هادرًا في صور، حمل الإمام الصّدر إلى الرّأي العام من خلال الصّحافة اللّبنانية، ومن على منبرها قضية الشّيعة في لبنان ليحدّد مظاهر التّخلّف المعنوي، معدِّدًا مجموعة من الإشكالات النّفسيّة أفقدت الشّيعة الثّقة من النّفس ومن الدّولة ومن رجال الدّين، وكلّ مَنْ هو متصدٍّ للشّأن العام، إذ صار الإنسان الشّيعي بحالة ضياع. ثمّ أولاً وأخيرًا: ماذا يريد الشّيعة؟

كان الّذي يريده الشّيعة، مما ذكره، هو آليات الاطمئنان الدّاخلي، والقوة المعنوية الّتي تُخرج الشّيعي من مشاعر الاستضعاف، بإيجاد تشكيل يضمّ طاقات الشّيعة وقدراتها ووضعها ضمن السّياق الاجتماعي العام.[1] كان لإطلاق حملة إنشاء المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى، عدّة محطّات، استعرض فيها الوضع الاجتماعي لمنطقتين أساسيتين في لبنان.[2]
كان لا بدَّ من تأسيس مجلس للطّائفة الشّيعية، لأنّ الطّوائف اللّبنانية جميعها

---

1 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 241.

2 م. ن.، ص 243.

لها مجالس تمثّلها. ومنها يعود عهده إلى ما قبل استقلال الدّولة اللّبنانية، ولم يكن للشّيعة أيُّ مؤسسة أو مجلس ينظم شؤونهم الإداريّة والأوقاف وغير ذلك. يقول الإمام الصّدر: «إنّ هذا المشروع هو الحل الأمثل لحفظ حقوق الشّيعة. وقد لاقى مشروع إنشائه التّأثير لدى سائر الطّوائف، وسيكون متّمّمًا لمهمّة المجلس الإسلامي الشّرعي الأعلى الّذي هو ملتقى كريم للمجالس جميعها الّتي تمثّل الطّوائف المحمدية في لبنان».

نشر قانون تنظيم المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى في الجريدة الرّسمية بتاريخ 25/ 12/ 1967. وكان اعترافًا لجماعة بحقوقها، وإقرارًا لهذه الجماعة بأن تسير لتتمَّ هذه الكينونة، وما عليها إلا أن تخطّ مساراتها، لذا، كان التّحضير رأسًا لوضع القانون موضع التّنفيذ، وذلك بوضع التّرتيبات اللّازمة لإجراء الانتخابات للرّئاسة وللهيئات الملحوظة قانونًا [1].

وقد قام سماحته بإنشاء المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى وتأسيسه في سنة 1969، ليرعى شؤون الطّائفة وإدارة أمورهم. وعدّ الإمام هذا المجلس هو صلة الوصل مع بقية الطّوائف في داخل لبنان وخارجه؛ أيّ مع العالم.

حتّى 21/ 5/ 1969 كان الإمام الصّدر يتحرّك مع قاعدته الشّعبية بحدود ما يحقّ لكلّ مواطن أن يتحرّك، ضمن ما يخوّل النّظام العام. ولكنّه الآن، وفي 22/ 5/ 1969، وقد انتُخب رئيسًا لمؤسسة أقيمت بقانون من داخل النّظام العام، فلا يجوز له أن يخالف ما منحه من صلاحيات وتخويل وحرية[2].

ولفت إلى أنّه استفاد من المعارضات بأشكالها، لأنّها «كانت السّبب الرّئيس في قوّة المشروع. أدخلت فكرة المجلس في كلّ قلب، وكلّ إنسان... وكلّ فرد من أفراد هذه الطّائفة». ودعا إلى تجاوز ما كان من المعوّقات مع انعطافة مهمّة تجاه أهل صور، بإقامة مؤسسات تستجيب لحاجات الجماعات والأفراد، ضمن منهجٍ تفاعليٍّ وتعادليٍّ يعود على المجتمع رقيًا وتطويرًا[3].

وأكّد أنّ المجلس ليس مفرِّقًا بين المسلمين على الإطلاق، ولكن «التّوحيد بين المسلمين شرطه التّقارب، والتّقارب شرطه التّفاهم حتّى التّقارب، والتّفاهم شرطه الحوار، ولا يمكن الحوار إلّا بتنظيم للطّوائف الإسلامية»، أنّ المجلس

---

1 م. ن.، ص 246.

2 **حسين شرف الدّين،** صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 251.

3 م. ن.، ص 256.

الإسـلامي الشّـيعي الأعـلى ليـس طائفيًّـا، بـل يحاربهـا، ويتعـاون مـع الطّوائـف الأخـرى عـلى الصّعيـد الوطنـي والدّينـيّ والمثـل والقيـم[1].
يؤكّـد سماحته: إنّ المشروع المقترح في الحقيقة سَدٌّ للفراغ ورفعِ النّقص الّذي لايـزال موجـودًا، والّـذي يحـول مـن دون تكامـل التّعـاون الإيجابـي بيـن الطّوائـف المحمّدية بشـكل خـاص، وبيـن مختلـف الطّوائـف اللّبنانيـة بشـكل عـام:
"في الحقيقة، يقوم المجلس بإدارة أوقاف الطّائفة الشّيعية ورعاية مشاكلاتهم ومتابعة الأمور القانونية وحقوق الطّائفة من حيث الوظائف والمراكز وتأسيس مؤسسات وإحياء المناسبات الدّينيّة والوطنيّة، وذكر الإمام الجميع بأنّ شعار المجلس الشّيعي سوف يكون: مستشفى، ماء، كهرباء، فأنا من جهتي أؤمن بأنّ المجلس المقترح يستطيع بكلّ تأكيد رفع هذا الشّعار والعمل له بعيدًا من أيّ انطلاق طائفي.
لقد كان في أساس إقامة المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى أن يعمل لتنظيم طاقات الطّائفة ووضعها في المسار العام للمجتمع، إذ إنّها كانت مشتّتة بين قوى متنازعة من دون رابط يحفظ لها الجهود ويؤطرها نحو الآخرين. "التّنظيم سيؤدّي إلى تنسيق الطّاقات وتجنيدها ومنعها من الهدر والاصطدام." [2] وبعد أن يعدّد أهداف التّنظيم ومهامه، يضعه في المكان الّذي يتيح خدمة لبنان، رأى أنّه "يسهّل مهمّة التّوحيد الكامل من طريق الحوار، والتّفاهم والتّقارب، فلا حوار إلا بين الممثلين الحقيقيين".
يرفض الإمام الصّدر أنّ يكون المجلس خاضعًا لسيطرة الدّولة، أو أنّ يكون هو موظفًا عندها، بل هو تنظيم عائلي للطّائفة الشّيعيّة كتنظيم الطّوائف الأخرى[3]. ومن خلاله، استطاع إدخال المعلّمين إلى المدارس، لتبليغ التّعاليم الدّينيّة لأهل البيت؛ وكذلك الحصول على فرصة ممارسة الشّعائر الدّينيّة في الإذاعة اللّبنانية على الأقل لعشرة أيّام في السّنة. وكذلك، مثّل المجلس حماية لحقوق جماعة من النّاس ورعاية أوضاعهم الدّينيّة. [4]

---

1 م. ن.، ص 258.

2 موسى الصّدر، بيان إثر اجتماع الهيئتين التّنفيذية والتّشريعية وانتخاب الإمام موسى الصّدر رئيسًا للمجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى، بيروت، دار الإفتاء الجعفري، بتاريخ 22 أيار1969، من محفوظات مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات.

3 يعقوب ضاهر، مسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، المجلد الثّاني، ص 534.

4 م. ن.، ص 535.

2 - مجلس الجنوب

كانت الأحداث في جنوب لبنان مشتّدة، وسكّان الجنوب في حالة قلق ورعب دائمين، لا استقرار في معيشتهم، ولا استمرار لأعمالهم بسبب القصف الإسرائيلي المتواصل، وكان التّهجير والهلع بين النّساء والأطفال وكبار السّن بأشدّ حالاته الممكنة.

كان الإمام الصّدر يذكّر وينبّه بشكل دائم، ويطلب العون والحماية من الدّولة اللّبنانية، ومع الأسف لم يجد تجاوبًا ولا نتيجة. لهذا، قرّر الإضراب العام لأجل الجنوب، ولبّ اللّبنانيون جميعهم الدّعوة لهذا النّداء. وصباح يوم 27 أيّار1970، صدرت الصّحف اللّبنانية، وهي تحمل أنباء تجاوب لبنان في محافظاته الخمس، مع نداء الإمام الصّدر في صفحاتها الأولى، وكتبت الصّحف اللّبنانية، إنّه لم يشهد لبنان منذ 19 سنة إضرابًا شاملًا كالإضراب الّذي عمَّ مناطق لبنان كافة. وشارك في الإضراب نقابات الصّيادلة والعمّال والمستخدمين والفنانين والأطباء والمهندسين والقطاع البحري ونقابة موظّفي المصارف، ونقابات أصحاب الحرف وأصحاب صالونات التّجميل للنّساء وإضافة إلى الموظفين والعمّال والفندقية ودور التّغذية واللّهو والاتّحاد العمالي العام.

وقد صدرت بيانات من رجال الدّين في الطّوائف كلّها وأيَّدوا هذه الخطوة؛ أيّ الإضراب، وكما صدرت بيانات مؤيدة من الأحزاب والهيئات الوطنية والصّحافة والمحرّرين والمحامين.

قال سماحة الإمام الصّدر: إنّ الجنوبيين وأصدقاءهم ليسوا بمشاغبين، ولا يرغبون في جرّ المصائب على لبنان، بل يريدون سلامة لبنان وكرامته وأمنه، لأنّه لا كرامة للبنان من دون الجنوب الّذي أعطى لبنان الكثير من العلم والثّقافة. وهدَّد الإمام الصّدر بالخطوات التّصعيدية في حال لم تحلّ أزمة الجنوب، وقال: إنّ هذه الخطوات ستنفّذ، إذا لم تقم الدّولة بمسؤولياتها كاملة، فعليها أن تحمي الجنوب وسلامة أبنائه، وعلى الجميع أن يتعاملوا مع النّازحين معاملة حسنة حتّى يعودوا إلى قراهم.

وبعد هذه التّحرّكات والمواقف الصارمة، اتّخذت الحكومة في تواريخ مختلفة سلسلة من التّدابير لإنقاذ الجنوب وإغاثته، مثل تسليح الجيش وتدابير أخرى لوجيستية. وكان منها إنشاء مجلس الجنوب، إذ رصدت ميزانية لهذا المجلس بمبلغ 30 مليون ليرة لبنانية لتدبير أموره.

تأسّس مجلس الجنوب لاحتياجات الجنوب، ومهمّته مراقبة أمور الجنوب من

خلال مؤسسات الدّولة والوزارات، وما يحتاج إليه من الخدمات والمساعدات وإدارة شؤونه، وكلّ ما يرتبط بالإعمار والإنماء وتصليح البيوت المهدَّمة والمزارع المضروبة ومتابعة المعاملات الّتي تصدر عن الدّولة اللّبنانية للجنوب، ومراقبة القرارات والوعود الّتي قدّمتها الدّولة اللّبنانية من إعمار ملاجىء وإغاثة وغيرها من مساهمات وإنجازات[1] .

ستّون محاضرة، عشرة بيانات، أربع مقابلات صحفية، وستّة آلاف ومئتا مناقشة، تعطي للمسألة حقّها عبر التّكرار في محافل عديدة، محّققًا غرضَين: إبلاغ الشّعب بكلّ ما يجري، وفي الوقت نفسه يلقي الحجة على المسؤولين، وكلّها تتمحوّر حول الجنوب وضرورة الدّفاع عنه، والتّنبيه للمخاطر المحيطة بلبنان من جانب، والتّحذير من نتائج الحرمان وتجميد مشاريع حيوية للبنان وعرض الأحوال المعيشيّة والاجتماعيّة من جانب آخر[2].

3 - هيئة نصرة الجنوب

في سنوات السّبعينيات كان الجنوب يتعرّض لسلسلة من الاعتداءات الإسرائيلية، والقصف اليومي على المنازل والمتاجر والمدارس، وتشريد الأطفال والنّساء والطّلاب، وعدم الاستقرار للمواطنين والسّاكنين، كما كانت محنة جنوب لبنان كبيرة، ففيه تشعر بعدم الأمن، إضافة إلى أنّ المشاكلات تهدّد لبنان ولا أحد يدري ما هو مصير الجنوبيين، ومتى تنتهي هذه الدّوامة.

يقول الإمام الصّدر: «إنّ لبنان وطن الجميع ولا نرضى بالاعتداء عليه وبهدمه ولا بجموده، نصونه ونصون استقلاله ووحدته وسيادته وحريته بدمائنا وأرواحنا. وبهذا كان لا بدَّ من تحرُّك فوري والضّغط على الدّولة لإنقاذ الجنوب والدّفاع عنه».

قام الإمام بمحاولات ومساعٍ عديدة لإنقاذ الجنوب والدّفاع عنه، وبعد المساعي والاتصالات مع المعنيين والمهتمين بهذه المشكلة، قرّر الإمام إنشاء "هيئة نصرة الجنوب" وتأسيسها.

في أواسط الشّهر الأول من سنة 1970، درس المجلس الإسلامي الشّيعي الأعلى مقررات لجنة نوّاب الجنوب في تسليح الجنوبيين، وإقرار مشروع قانون خدمة

---

1 **حسين شرف الدّين،** صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 290.

2 **حسين شرف الدّين،** صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 291.

العلـم، ورفـع المسـتوى المعيشـي والتّعويـض عـلى المتضرريـن مـن الاعتـداءات الإسـرائيلية وغيرهـا، فأيّدها.
وإن كان الادِّعـاء بـأنّ الحـرب الدّائـرة تـدور بيـن صفّيـن دينيّيـن، فمـن الّـذي يمثـل الدّيـن؟ المتقاتلـون أم العائـلات الرّوحيـة الّتـي عقـدت مؤتمـرًا فـي مقـر البطريركيـة المارونيـة فـي بكركـي، بتاريـخ 1975/10/4، وأصـدر المجتمعـون بيانًـا يؤكّـدون فيـه أنّ اللّـه يجمـع عبـاده لأيٍّ ديـن انتمـوا، ويوحِّـد بينهـم عندمـا يتخلقـون بأخلاقـه، ويشـجبون أشـكال العنـف كلّهـا ليعيـش النّـاس بأمـانٍ وتراحـمٍ، تربـط بينهـم القيـم الرّوحيـة، ويحـذّرون مـن العواقـب، منبّهيـن إلى ضـرورة تغليـب العقـل، وغيـر هـذا ممـا يصـدر مـن رجـال اللّـه والمنقطعيـن إليـه، ليكـون بعـد ذلـك مؤتمـرٌ يُعلَـن فيـه تشـكيل "هيئـة نصـرة الجنـوب"، تمثّـل رؤسـاء الطّوائـف جميعهـم لحمايـة الجنـوب، ورعايـة كرامـة الإنسـان فـي سـبيل لبنـان المتمايـز بحمـل أمانـة اللّـه.[1]
ولـم ينتظـر سـماحته، فسـارع إلى تشـكيل "هيئـة نصـرة الجنـوب" مـن العائـلات الرّوحيـة، وإقامـة مؤتمـر إسـلامي - مسـيحي. وشـكّل مـن أعضـاء المؤتمـر هيئـات وجماعـات لجـولات فـي الجنـوب، وزيـارة آخـر الأمكنـة الّتـي تعرّضـت للعـدوان الإسـرائيلي، أو القـرى الأكثـر تعرّضًـا للعـدوان وإنـزال الكومنـدوس، كمـا دعـا إعلامييـن لينشـروا عـلى النّـاس ظلامـة مـا يعيشـونه فـي الجنـوب، وعـرض آراء شـهود آخريـن.[2]
تألّفـت الهيئـة مـن كبـار رجـال الدّيـن وكبـار السّياسـيين مـن الطّوائـف اللّبنانيـة جميعهـا والشّـخصيات البـارزة، تقـوم بالاتصـالات بالدّولـة والمعنييـن لأجـل الجنـوب، والتّخفيـف مـن آلام أهلـه، لأنّـه جـزء أساسـي مـن لبنـان، ولا يمكـن أن يكـون لبنـان بـلا جنوبـه. لقـد قامـت الهيئـة بمسـاعٍ عديـدة، وعقـدت مؤتمـرات ونـدوات ولقـاءات مـع ذوي الشّـأن. وذلـك للضّغـط عـلى الدّولـة لحمايـة الجنـوب ومعالجـة المشـاكلات القائمـة فيـه.
فـي المسـتوى الرّابـع والأخيـر، توخّـى الإمـام الصّـدر إنشـاء صـروح معرفيّـة، والغايـة منـه الإسـهام فـي انتـاج المعرفـة وتعميقهـا ونشـرها.
كانـت اللّبنـة الأولى الّتـي أرسـاها الإمـام الصّـدر لمأسسـة الجهـد المعرفـي معهـد الدّراسـات الإسـلاميّة، نـواة الجامعـة الإسـلاميّة فـي لبنـان. وتضيـف الباحثـة معهـدًا

---

1 حسين شرف الدّين، صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، ص 289.

2 م. ن.، ص 289 – 290.

آخـر هـو مركـز الإمـام موسـى الصّـدر للأبحـاث والدّراسـات والّـذي تأسّـس فـي الذّكـرى الـ 17 لتغييـب الإمـام ورفيقيـه. ولمّـا كانـت غايـة المركـز أنّ يجمـع أعمـال الإمـام الصّـدر ويوثّقهـا ويضعهـا فـي تصـرّف الباحثيـن، ولأنّـه كان معينًـا خصبًـا لنـا فـي إنجـاز هـذا البحـث، نـرى ضـرورة إضافتـه إلى النّشـاط المعرفـي للإمـام الصّـدر لأنّ محتـواه وأرشـيفه يتطابقـان مـع مـا نحـن بصـدده.

1 - معهد الدّراسات الإسلاميّة

لـم يـرَ الإمـام الصّـدر أنّ تأهيـل الإنسـان هـو مجـرد تعليمـه مـوادًا علميّـة أو دروسًـا دينيّـة، بـل هـي تشـمل العلـم والعمـل والمهـارات والأنشـطة وإعـداد الإنسـان وتمكينـه ليكـون مـن بنـي عصـره. فالنّمـط الفكـري ووسـائل التّعبيـر مـن خـلال المفهـوم أو المفاهيـم الإسـلاميّة سـتكون لغـة الإنسـان الّـذي يريـده الإمـام الصّـدر. فهـو يريـد لغـة أصيلـة مميّـزة ثقافيًّـا وفكريًّـا، ليوجـد بيـن النّـاس والتّجمعات البشـريّة مثقفّيـن دينيًّـا، يحافظـون علـى سـلامة التّربيـة ونظافـة الحيّـاة الاجتماعيّـة.
لهـذا، افتُتـح فـي العـام 1964 معهـد الدّراسـات الإسـلاميّة ليخـرّج منـه عالـم الديـن الّـذي هُيِّئَ ليكـون فـي خدمـة المجتمـع، منفتحًـا، مـدركًا الـدّور المطلـوب منـه. وفـي العـام 1968، أعلـن الإمـام برنامجًـا كامـلًا للمعهـد، مقسّـمًا، إلى مراحـل: المتوسـطة والثّانويـة، والدّراسـة فيـه لسـتّ سـنوات. والمسـتوى الجامعـي يصـل لدرجـة ليسـانس (أربـع سـنوات). بينمـا مرحلـة الماجسـتير، فمدّتهـا سـنتان. وألحـق هـذا المعهـد بقانـون المجلـس الإسـلامي الشّـيعي الأعلـى الصّـادر عـن مجلـس النّـواب، وفيـه يحـقّ للمجلـس أنّ يؤسّـس جامعـة كاملـة الاختصاصـات. وكمّـا هيّـأ عقـارًا فـي (الوردانيـة) قضـاء الشّـوف، لتقـوم الجامعـة، ويقـوم عليـه الآن فـرع الجامعـة الإسـلاميّة.. وهكـذا يفكّـر ويؤسّـس الإمـام الصّـدر.

2 - مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات

هو مؤسّسة معرفيّة، ثقافيّة، بحثيّة مستقلّة لا تتوخّى النّفع المادّي.
"المهمّة الّتي خُلق الإنسان لتحقيقها هي مهمّة المعرفة"، انطلاقًا من هذا القول للإمـام موسـى الصّـدر الّـذي يجسّـد رغبتـه فـي الارتقـاء الإنسـاني، كانـت ولادة مركـز الإمـام موسـى الصّـدر للأبحـاث والدّراسـات، كمسـاهمة لتحقّـق الإنسـانية غايتهـا الكبـرى، ألّا وهـي نشـر العلـم والمعرفـة وتفعيـل دورهمـا فـي حيـاة الإنسـان، وتعزيـز التّقـارب والحـوار بيـن الأديـان والثّقافـات، بنـاءً علـى أنّ لبنـان هـو "هـذا الوطـن الّـذي

في مستقبله واحة أنموذجية، للعلاقات الإنسانيّة في العالم".
تأسّس المركز في آب 1995 في بيروت، من قبل مجموعة من الأصدقاء والباحثين والمهتّمين بالقضايا الفكرية المعاصرة، برعاية "مؤسسات الإمام الصّدر"، وذلك لمناسبة مرور سبعة عشر عامًا على تغييب الإمام الصّدر وأخويه، وتأكّيد استمرارية نهج الإمام وتوجّهاته وتعميم أفكاره وطروحاته، وإيمانًا منّا بعدالة قضيتهم، حرصًا على إحيائها، واستنهاضًا لاهتمام النّاس بها وسعيًا إلى متابعتها بفعالية ومسؤولية، وصولًا إلى تحريرهم وعودتهم إلى الوطن.
يولي المركز اهتمامًا خاصًّا بجمع النّتاج الفكري للإمام الصّدر وتوثيقه ونشره ووضعه في متناول الباحثين والمهتّمين من أكاديميين وطلاب وأساتذة، للإفادة منه في مشاريعهم العلميّة والعمليّة. ويرعى نشاطات فكريّة وإبداعيّة، تجسيدًا لإيمانه بأهمّية العملية الثّقافية في تنمية العلاقات الحضارية بين الشّعوب. ويتعاون المركز لتحقيق أهدافه مع باحثين ومراكز مشابهة، وذلك عبر إصدار كتب وأبحاث ووثائقيات، وعبر تنظيم مؤتمرات وندوات في لبنان وخارجه، بالإضافة إلى المشاركة في أنشطة مثيلة، وبناء مواقع وصفحات على الانترنت.
يموّل المركز أنشطته من خلال التّبرعات غير المشروطة (أو المرتبطة بواحد أو أكثر من مشاريعه)، والّتي ترد من الأصدقاء والمؤسسات الصّديقة في لبنان والعالم، ومن عائدات إصداراته ونشاطاته.
إضافة إلى المشاركة في الكثير من نشاطات مؤسسات الإمام الصّدر، فإن أكثر نشاطات المركز أهميّة هي:

أ - متابعة قضية التّغييب

يرصد المركز بانتظام عددًا كبيرًا من وسائل الإعلام من صحف ومجلات ووكالات أنباء ومواقع إخبارية وقنوات إذاعية وتلفزيونية، وبلغات متعدّدة ليواكب تطورات قضية تغييب الإمام الصّدر وأخويه، وذلك لتصحيح وتصويب ما يرد من مغالطات في الوسائل الإعلامية، وتزويدها والمجتمع بالمعلومات الدّقيقة والموثّقة عن القضية، ولتفعيل القضية إعلاميًّا وإنسانيًّا حتّى الوصول إلى تحرير الإمام الصّدر ورفيقيه من أسرهم.

ب - التّوثيق

إدراكًا منه لأهميّة توثيق نتاج الإمام الفكري ونشره، يتابع المركز جمع الكتب

والمقالات والأخبار والمطبوعات والوثائق والمخطوطات والصّور والتّسجيلات السّمعية والبصرية، وتوثيقها وفاقًا لأحدث برامج المعلوماتية والنّشر. كما أنشأ "موقع سماحة الإمام السّيّد موسى الصّدر" (www.imamsadr.net) على شبكة الإنترنت يحوي كلّ ما جُمع من نصوص ومقالات ووثائق وإصدارات من الإمام الصّدر، وعن فكره ونشاطه ونهجه وقضية تغييبه، ويتمّ العمل على تحديث الموقع بشكلٍ دائمٍ.

ج - تنظيم مؤتمرات " كلمة سواء"

تستقطب مؤتمرات كلمة سواء طيفًا واسعًا من المهتمّين، يضمّ الرّؤساء والوزراء والنّواب ورؤساء الطّوائف ورجال الدّين والأدباء والمثقّفين والمفكّرين والباحثين والإعلاميين والطّلاب وغيرهم. وهو يشكّل مساحة التقاء وحوار حول القضايا المعاصرة، إذ أمكن مناقشة الموضوعات الآتية خلال العقدين الأخيرين في إطار إثني عشر مؤتمرًا:

الحوار الإسلامي المسيحي، الإمام الصّدر والحوار (1996)، الأسرة واقع ومرتجى (1997)، بحثًا عن حقّ الإنسان، في الذّكرى الخمسين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعشرين لتغييب الإمام السّيّد موسى الصّدر وأخويه (1998)، الهوّية الثّقافيّة، قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام الصّدر (1999)، المقاومة والمجتمع المقاوم، قراءات في مسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر (2000)، حوار الحضارات "... اجتمعنا من أجل الإنسان" (2001)، الذّات والآخر في الإعلام المعاصر (2002)، قضية الإمام الصّدر وأخويه، الأبعاد الانسانيّة والوطنيّة والقانونيّة (2003)، موقع الحرية في الإصلاح والتّجديد (2004)، التّنمية الإنسانيّة، أبعادها الدّينيّة والاجتماعيّة والمعرفيّة (2005)، اجتمعنا من أجل الإنسان: الإنسان في رؤية الإمام الصّدر (2009)، التّغيير الاجتماعي والسّياسي عند الإمام الصّدر (2011).

كما يشارك المركز في العديد من النّشاطات الثّقافيّة والاجتماعيّة من مؤتمرات وندوات واحتفالات ومناسبات محلّية ودولية في لبنان، فرنسا، أميركا، أستراليا، إيران ودول إفريقية عدّة وعالم الاغتراب، ما يغني تجربته في العملية الثّقافيّة والاجتماعيّة من جهة، وفي العمل التّوثيقي والأرشفة من جهة ثانية.

د - الإصدارات

يصدر المركز وقائع مؤتمرات "كلمة سواء" في كتب تحمل العناوين نفسها. كما تتمّ بوتيرةٍ منتظمةٍ نشر مؤلفات للإمام الصّدر، وما أتى به من محاضرات ومقالات في الفقه والتّفسير والفلسفة والاقتصاد والسّياسة والدّين، علمًا بأنّ المركز حريصٌ في منشوراته عن الإمام الصّدر على اختيار الجديد منها غير المنشور سابقًا، وخصوصًا المحاضرات الصّوتية؛ بالإضافة إلى نشر إصدارات خاصّة تتعلّق بقضية التّغييب والّتي تضمّ آخر التّطورات، وإصدارات أخرى عن الإمام.

هـ - البحث العلمي

في مجال خدمة البحث العلمي، يقدّم المركز المساعدة للعديد من الباحثين والأساتذة والطّلاب والأكاديميين والإعلاميين في إطار بحوثهم وأطروحاتهم ووثائقياتهم، كما يسهم في تقديم الاستشارات ذات العلاقة بأهدافه وتوجّهاته.

و - معارض الكتب والأفلام الوثائقية

يشارك المركز ومتطوعوه بإصداراته ولوحاته ووثائقه في معارض ثقافية ومعارض دور النّشر المحلّية والدّولية داخل لبنان وخارجه. كما يسهم المركز في إنتاج عشرات الأفلام الوثائقية النّاجحة بعدّة لغات. [1]

تجدر الإشارة، أخيرًا، إلى أنّ أبواب المركز مفتوحة دومًا لاستقبال المزيد من الوثائق والصّور والكتب والمجلّات والمقالات والأخبار والأشرطة السّمعية والبصرية، ذات الصّلة بسماحة الإمام. وذلك، تعميمًا للفائدة، وتطويرًا للمخزون المعرفي المتعلّق بالإمام الصّدر ونهجه.

نختم المبحث الرّابع بعبارات للإمام موسى الصّدر يعرّف فيها في أثناء لقاء صحفي بالغاية من إنشاء "مهنية جبل عامل"، وبالفروع المتعدّدة الّتي تتشعّب منها الاختصاصات العلمية. وهذا المقتطف يعكس رؤية الإمام الصّدر، ويعرض لملامح مشروعه، بدءًا من مكافحة التّسوّل في صور، وصولًا إلى معهد الدّراسات الإسلامية. يقول:

---

1 لمزيد من المعلومات وللاطلاع على النّصوص والأخبار والإصدارات، يمكن مراجعة موقع الإمام الصّدر الإلكتروني: www.imamsadr.net.

"إنّ هذه المؤسسة هي مرحلة من محاولاتنا الّتي كانت تنطلق من جمعية البر والإحسان في صور، لأجل خدمة المتعبين والمعذبين والمحرومين. في الخطوة الأولى، كافحنا التّسّول، يعني منعنا النّاس من دفع الصّدقات الفردية، وبالتّالي، انقطع التّسّول. ونحن حاولنا أنّ نعوّض على المتسولين ما كانوا يأخذونه خلال الشّهر بمبلغ من المال في بيوتهم، وفي الوقت نفسه، نأخذ أولادهم إلى المدارس ونؤمّن لهم بعض إمكانات الحياة، وسرعان ما انتهى التّسّول في صور. ولكن مكافحة التّسوّل وحدها لا تكفي، لأنّ هناك أسبابًا للفقر وللتّسوّل، كنا نقول أسباب التّسوّل والفقر: إمّا كثرة الأولاد، وإمّا قلّة الخبرة، وإمّا العجز الجسدي، وإمّا الكسل.أمّا الكسول فيجب أن يُحارب ويتأدب، أمّا من له أولاد كثيرون، فنحن بحاجة إلى تأسيس ميتم، ومن عنده نقص في الجسد يجب أن نؤمّن له مؤسسة للعجزة، ومن عنده قلّة خبرة يجب أن يتعرّف إلى المهن ويتعلّمها في المدارس المهنية. على هذا الأساس، أُسّست هذه المؤسسة الّتي نرجو أن تكون خطوة كبيرة في سبيل خدمة الفقراء في المنطقة [...].

الحقيقة أنّ مؤسسة جبل عامل منقسمة إلى عدّة فروع: هناك ميتم؛ يعني مدرسة خاصة بتعليم الطّلاب الفقراء والأيتام. وهناك مدرسة مهنية يدخل فيه الطّالب وهو يحمل شهادة "السرتفيكا"، ويتخرّج وهو عامل فني يحمل شهادة بريفيه مهنية، في هذا الفرع يتعلّم الطّالب في أحد الفروع السّتة: الكهرباء، التّجارة الخفيفة يعني ما يساعده على صناعة الدّيكور، الميكانيك الزّراعي، الصّناعات اليدوية المتنوّعة وصناعة السّجاد العجمي وصناعة الفرش بصورة عامة، ويوجد أيضًا بعض فروع أخرى من الصّناعة، وأقصد بها صناعة الأغذية، يعني تجفيف الأغذية وتطويرها واستخراج العصير وأمثال ذلك، ما يفيد المنطقة - هذا فرع ثاني. وهناك فرع ثالث: معهد الدّراسات الإسلاميّة. إضافة إلى فرع رابع وهو ما نسمّيه ببيت الفتاة، خاص بتعليم البنات والفتيات الصّناعات المنزلية كالخياطة والتّطريز والطّبخ وأمثال ذلك، وهو بالفعل قسم ناجح من أقسام المؤسسة. وقسم آخر مدرسة لمساعدات ممرّضات، ومجموعة هذه المواد موجودة في المؤسسة". [1]

---

1 **موسى الصّدر،** حوار صحفي بعنوان "مؤسسة جبل عامل"، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، 2007، ص



مهرجان بعلبك
(17 آذار 1974)



الخاتمة

رؤية الإمام الصّدر للأنموذج اللّبناني وحاجتنا إليه اليوم:

"لبنان وطن نهائي لجميع أبنائه" هو مستهل ورقة عمل، قدّمها الإمام الصدر في العام 1977 إلى رئيس الجمهورية اللّبنانية إلياس سركيس، بعد سنتين من اندلاع الحرب الأهلية في لبنان، لتكون مساهمة منه في استدراج مشاريع إصلاح للوضع في لبنان. ثمّ اعتمدت هذه العبارة استهلالًا لاتفاق الطّائف في العام 1989. كما وردت في مقدمة الدّستور اللّبناني المعدّل استنادًا إلى الاتفاق المذكور. عساها شهادة اللّبنانيين جميعًا شعبًا ومجلسًا نيابيًّا وحكومة ورئاسة، وإجماعهم على أنّها الكلمة الحقّة الصّادرة عن إيمان حقّ بلبنان، وأن تكون حجر الأساس في استنهاض لبنان من كبواته.

وأردف في موقع آخر: «أن تدوي في لبنان أصوات من الشّمال تدافع عن حقوق المواطنين في البقاع، وأن ترتفع صرخات في الجبل تعيد الحياة العمرانية والمساعي الدّفاعية إلى الجنوب، وأن تسعى العائلات والأفراد المكتفية بصورة خاصّة إلى رفع مستوى حياة الكادحين والمحرومين، وأن تنادي وتطالب طائفة وتشجب التّمييز الطّائفي الّذي يمارس بالنّسبة إلى غيرها. هذه هي المواطنية الحقّ، وهذه وسيلة بقاء أي وطن». [1]

دأب الإمام الصّدر على الإفصاح عمّا اختاره لنفسه من سبيل. بالتّوازي، صادق شعب لبنان بمعظمه على تطابق أقوال سماحته بعمله: «المسؤولية الدّينيّة لا تخرجني عن المواطنية وعن مسؤولياتها. إنّ الإيمان باللّه، والسّعي إلى صيانة الوطن، والاهتمام بكرامة الإنسان، هي من صميم التزامات المواطن العادي».[2] ويضيف توضيحًا: «عملي والتزاماتي وطاقاتي الّتي توفّرت لدي، هي أمانة اللّه»...[3] «نفسي، وقد شاء قدري، ألّا تكون ملكًا لي، وإنّما أضحت ذرّة

---

1 موسى الصّدر، خطبة بعنوان : معنى العيد ومفهوم الوطن، ضمن كتاب: أخلاق الصّوم، م.م.، ص 81 - 82.

2 موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان "حركة المحرومين، الإقطاع وإسرائيل"، جريدة الأنوار بتاريخ 22 كانون الثّاني 1975، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، م.م.، ص 474.

3 موسى الصّدر، حوار صحفي بعنوان "الحركة والثّورة"، صحيفة اليقظة بتاريخ 13 كانون الثّاني 1975، ضمن كتاب: حوارات صحفية (1): تأسيسًا لمجتمع مقاوم، م.م.، ص467.

متواضعة من رصيد هذا الوطن الغالي، ولهثة رجاء، أو خفقة أمل على شفاه المتعبين وفي قلوب المعذبين والمحرومين». [1]
لعلّ حجم البلد الّذي اتّخذه الإمام الصّدر أنموذجًا؛ أي لبنان، لا يتناسب مع صفة العالمية. لكن الفكر الّذي حمله وفهم عمقه هو العالمي. ومن عمق فهمه، كانت عالميّة الأثر المتوخّى وكونيّة الشّغف المبذول. فرؤيته شاملة للإنسان، ووجود الإنسان مرتبط بخيوط أو جوانب فردية وطبيعيّة واجتماعيّة وإلهيّة.[2]
القضية المحورية عنده هو الاستبداد و(ادّعاء الوصاية على النّاس، واتّهامهم بأنّهم لا يفهمون؛ سياسة الإهمال لإبعاد الفرص من الناس، وحتّى منع الصّحّة عنهم). لهذا، صيغة المجتمع عنده تتقدّم على صيغة النّظام، والكرامة الشّخصية متلاحمة مع الكرامة الوطنية. ولا وحدة وطنية بغياب العدالة الاجتماعيّة، ولا تناقض بين اللّبنانية والعروبة والإسلام في الأفق الإنساني الرّحب.

أُسُس التّنمية الشّاملة الّتي أرساها هي كالآتي:
- حقوق سياسية ومدنية: المساءلة وتساوي الجميع أمام القانون (التّمكين، المشاركة، وتوسيع الخيارات).
- حقوق اجتماعيّة وثقافيّة: الرفّاه الاجتماعي والاقتصادي (المشاركة، التّملّك).
- ثقافة الانفتاح والحوار: على لبنان أن يعترف بنفسه كبلد للتعددية والاختلاف والاعتماد المتبادل (أنموذج كوني بالفطرة). [3]
المطالب عند الإمام (تتلخّص بكلمة واحدة هي: العدالة للمواطنين جميعهم، ومن الطّبيعي أنّ العدالة مفهومها شامل لأوضاع المواطنين الحالية والمستقبلية)[4].

نرى أنّ منهجيّة الإمام الصّدر في الحثّ على التّغيير المجتمعي الإيجابي هي بيت القصيد. وقد أسسّ منهجيته على قاعدة أنّ يتولى النّاس تحديد حاجاتهم الحياتية، ويتمكّنوا من حلّها بأنفسهم. النّاس بالنّسبة إليه كانوا المرأة والرّجل،

---

1 **موسى الصّدر،** تقرير إلى المحرومين (بيان ألقاه بتاريخ 11/9/1975م)، منشورات مركز الإمام موسى الصّدر للأبحاث والدّراسات، بيروت، الطّبعة الثّانية، 2009 م، ص 16.

2 **رائد شرف الدّين،** عالمية الإمام الصّدر: طريق اليقين في زمن الريبة، جامعة يال، الولايات المتحدة الأميريكية، آذار 2013، ص 20.

3 **رائد شرف الدّين،** مشاركة بعنوان "نموذج التّنمية الشّاملة في تجربة الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء العاشر، عنوانه: التّنمية الإنسانيّة: أبعادها الدّينيّة والاجتماعيّة والمعرفيّة، م. م.، ص 225.

4 **حسين شرف الدّين،** صور المعاصرة تاريخنا (الجزء الثّاني)، رؤية الإمام السّيّد موسى الصّدر، م. م.، ص 340.

وهذه إضافة جوهرية في الأرياف والحواضر الشّرقية. ينجم عن هذه المشاركة حالة من الإحساس بالرّضى والثّقة من النّفس، وهي الشّرط الضّروري للثّقة من الآخرين، تمهيدًا للعمل معهم، والتّلذّذ بإنجاز التّقدّم نحو الأفضل. يتيح هذا التّقدّم، بل يعزّز قيم المشاركة والحوار والاعتراف بالآخر، بما يفضي إلى تعزيز فرص السلم والتعاون. ويصح هذا على مستوى العائلة والمشروع المحلي، كما على مستوى العلاقات بين الطّوائف والدّول والشّعوب. وخيار الإمام الصّدر أنّ يكون لبنان هو المصداق على صحّة أطروحته في تحقيق العدالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة، لكنّ الحلم كبيرٌ والتّحقّق صعبٌ.[1]

أهميّة النّهج الصّدري في المعضلة المعاصرة:

يستطيع المتتبّع لتطورات الأحوال في الدّول العربيّة والإسلاميّة استطرادًا، أن يلحظ تنامي الهواجس على غير مستوى:

- كيف ستتمكّن هذه المجتمعات من تجاوز حقبة العنف، والانتقال إلى أوضاع تحفظ حقوق النّاس في الحياة والكرامة والحرية؟
- تنامي القلق على أوضاع الأطراف الضّعيفة، كالنّساء والأقليات الدّينيّة والعرقيّة.
- تمزّق المجتمعات والشّعوب في لجّة المصالح الدّولية الّتي تتجاذب هذا الطّرف أو ذاك.

وفي نظر الكثيرين، يتشعّب السّيناريو الأسوأ إلى خطرين كبيرين:

الأول: الهجرات الجماعية لمسيحيي الشّرق، وإفراغه من مكوّن حضاري هو دليل البشرية أو خشبة خلاصها تجاه شؤم "صراع الحضارات".

والثاني: الفتنة الطّائفية بين السُّنّة والشّيعة، وما تثيره من كوابيس، لها جذورها العميقة في الثّقافة والذاكرة، ولها مضاعفاتها المدمّرة على المجتمعات والشّعوب الإسلاميّة.

لم تكن هذه الهواجس بعيدة من ذهن الإمام الصّدر. ولعلّه زرع ذاته في لبنان لأنّ في هذا الأخير معظم المسوّغات والشّروط والفرص الّتي تنفي تلك المخاطر أو تتيح دحضها على أقل تقدير، بل كأنّ لبنان بتاريخه وتركيبته وتجربته

---

1 رائد شرف الدّين، مشاركة بعنوان "نموذج التّنمية الشّاملة في تجربة الإمام موسى الصّدر"، ضمن أعمال مؤتمر كلمة سواء العاشر، عنوانه: التّنمية الإنسانيّة: أبعادها الدّينيّة والاجتماعيّة والمعرفيّة، م. م.، ص 225.

هو نقيض الأحداث المريرة الّتي تعصف بالمنطقة. إنّه التّرياق. وهو لم يكن يشاغف ترفًا فكريًّا أو يمارس رياضة ذهنية في حقل تجارب اسمه لبنان، بل كافح لإثبات أطروحته بلا هوادة، وبكلّ ما أوتي من طاقة.

- المتصفّح لواقع الطّائفة الشّيعيّة في لبنان منتصف القرن الماضي، يجدها تحت وطأة التّهميش والانكفاء واليأس، ثمّ جاءها الإمام الصّدر ليعبر بها نحو استشعار الثّقة من النفس وبناء الذّات، وبما يمكّنها لاحقًا من الثّقة من الآخرين ليبنوا معًا الوطن الأنموذجي، يحملونه هَدْيّة إلى عالم ما فتئ يتصدّع. وهو تفادي تشكُّلِ ذاتٍ عصبوية متوترة، بل ذات متواصلة ومتشاركة في بناء وطن أسسه الكرامة والعدالة والمشاركة.

- لا شكّ أنّ توسّل الحق والعدالة والكرامة في بناء المجتمع والوطن والدّولة، لا يعني الانغلاق دون الآخرين، ولا إمامة الدّولة، ولا تشييع المجتمع. لقد قام الإمام الصّدر باستدعاء ما يختزنه المحرومون من محتويات اللّاوعي والوجدان من غبن تاريخي وإهمال مزمن ورفض للإقصاء وغيرها من المظالم السّلبية، ونجح في تحويلها إلى طاقة إيجابية تمثّلت في الحماس الثّوري المؤطر ضمن إرادة التّغيير نحو المجتمع الفاضل والفاعل في الحضارة الإنسانية.

- حرص الإمام الصّدر ليس فقط على مشاركة النّاس في مشروع التّغيير، بل على اقتناعهم بهذا المشروع وإشهار موافقتهم عليه، كمهرجان بعلبك ومهرجان صور في العام 1974؛ وهذه الممارسة هي ما تفيد الجماهير المتحركة في المدن العربيّة اليوم. هي بحاجة إلى قيادة معروفة، واضحة الأهداف، وحريصة على نيل شرعية النّاس ودعمهم.

- على تعدّدية المرجعيات الشّيعيّة عبر العالم، معطوفة على مفهوم الاجتهاد وما يتيحه من آفاق التّكيّف والتّجديد، فبالإمكان فتح كوّة في معضلة السّلطة والزّعامة وآليات الحكم. وتجربة الإمام الصّدر لم تكن يومًا عصيّة على الإلهام والتّجريب. فهو-على تصدّيه الواضح للعمل السّياسي- لم يطرح نفسه محترفًا يمارس السّلطة بمعناها التّقني؛ بل مارس حقّه كمواطن في القيادة والتّحشيد والضّغط لوضع الإصبع على مكامن النّزف والهدر والتّمييز، وعمل على تعزيز المواطنية بركنَيْها الحقوق والواجبات. [1]

---

1 رائد شرف الدّين، عالمية الإمام الصّدر: طريق اليقين في زمن الريبة، جامعة يال، الولايات المتحدة الأميريكية، آذار 2013، ص 23 – 24.

ونختـم مع الإمـام الصّـدر وهـو يتوجّـه الى العقـل اللّبنانـي، ويناشـد كلّ قلـب يحـبّ لبنـان، للعمـل علـى حفـظ الوطـن وإخراجـه مـن أزمتـه لاسـتمرار رسـالته، يقـول:

«إلى ذلك العقل النيّر الّذي لاينقطع عن القلب الودود،
إلى الفكر الملتزم بالضّمير،
إلى ضمير لبنان الواعي، إلى الإبداع الّذي أنعم اللّه به على الإنسان في لبنان،
إلى الجـذوة الّتـي أوقدهـا العليـم الخبيـر فـي نفـوس المثقّفيـن والخبـراء والمتفكّريـن والّتـي رعتهـا يـدّ الرحمـن،
إلى أساتذة الجامعات، إلى التّجارب والمجرّبين،
إلى كلّ دماغ يرى متألمًا غسق اللّيل الّذي غشينا،
وإلى كلّ قلب يحبّ لبنان أو الإنسان أو هما معًا،
إليكم جميعًا،
أيـن أنتـم يـا سـفراء اللّـه فـي الوطـن؟ هـل نسـيتم مسـؤولياتكم؟ هـل تنكّرتـم لفطرتكـم الّتـي فطركـم اللّـه عليهـا؟ هـل منعكـم أحـد مـن التّفكيـر فـي الحـل؟ هـل مُنِعْتُـم مـن عـرض آرائكـم؟ هـل عرضتـم فرفـض الوطـن مقترحاتكـم؟ هـل تجاهلكـم المسـؤولون وأهملكـم المواطنـون فاعتبرتـم التّجاهـل والإهمـال عـذرًا للاعتـزال؟
علـى مـن تركتـم الوطـن الّعزيـز الّـذي لا نملـك غيـره؟! هـذا الوطـن الفريـد فـي نوعـه، هـذه الأرض الّتـي تعكـس السّـماء، هـذه الجغرافيـة الّتـي تمثّـل التّاريـخ، هـذه التّربـة الشـفّافة المبدعـة كالـرّوح، بـل الـرّوح نفسـها، هـذه البقعـة الّتـي امتـدّت إلى العالـم كلّـه؛ فتبلـور العالـم فيهـا.
علـى مـن تركتـم الوطـن هـذا والمواطـن، يـا أيّتهـا العقـول المسـؤولة حتّـى صـار يُحـارَب فـي إنسـانه وفـي أرضـه وفـي رسـالته وفـي قوتـه وحتّـى فـي كرامتـه؟
هـل اعترفتـم بعقمكـم -لا سـمح اللّـه- وتنازلتـم لأولئـك الّذيـن حوّلـوا وطـن المبـادرات الدّائمـة إلى العقيـم خـلال ثلاثيـن عامًـا أو أكثـر؟
أيـن أنـت أيّهـا العقـل اللّبنانـي ذو الضّميـر، ويـا أيّهـا الأخ فـي المصيـر ويـا أيّهـا الصّديـق العاقـل؟
فكِّر، ادرسْ، تعمقْ، اقترحْ، اطلبْ، ألحّ، توسلْ، استنجدْ، انتقدْ، شدِّدْ، طالبْ ثانيًا وثالثًا ورابعًا...
انشـرْ فـي أوسـاط المواطنيـن اقتراحاتـك، فـي أوسـاط الطّـلاب الّذيـن غابـوا أيضًـا بدورهـم عـن السّـاحة،

اشْهَدْ وأَشهِد العالم والتّاريخ، وَقِفْ مع الوطن في محنته.
إنّ الحلول المطروحة على السّاحة مع الاحترام لطارحيها -عدا البعض منها- إمّا طائفية، والطّائفية بلاء الوطن، وإما فئوية، وفي تنفيذها أو القبول بها انتصار لفئة، -والانتصار الفئوي مرفوض- وإمّا حلول نابعة من التّشنج أو التّحدّي وهذه تُرفض مرتين!
والحلول العادلة المحقّة بحاجة إلى الإخراج الصّحيح أو إلى توحيد المواقف أو تدور بما يشبه حوار الطّرشان، يملأ حديثها الآفاق والأنفس، والآخرون يقولون إنّهم لم يسمعوا مطالب محدّدة أو مقترحات مدروسة. وتستمرّ المحاولات والهيئات والاجتماعات والاتصالات الخاصّة والجانبية المليئة بالإيجابيات ثمّ الجمود... واستمرار المحنة.
أيها العقل اللّبناني الملتزم بالضّمير... أناشدك، بل يناشدك الوطن، راجيًا أن لا يكون الوقت قد فات. أناشدك التّحرك لكي تضع خطّة لخروج الوطن من محنته.
فالمطلوب أن تصنع مستقبلًا لا ينتهي إلى ما إنتهى إليه الماضي، مستقبلًا يضمّ المواطنون لا الفئات، مستقبلًا يتساوى المواطنون فيه في الحقوق والواجبات، مستقبلًا يتمكّن الوطن فيه من الوقوف في وجه التّحديّات العالمية، مستقبلًا يحفظ وينمي رسالة الوطن العالمية، ويجعل من الطّوائف اللّبنانية نوافذ حضارية على العالم، لا دويلات متصارعة، ويمكّن كل فئة من أن تعطي الوطن لا أن تأخذ منه وتنمو على حسابه، مستقبلًا يكتفي كلّ مواطن من دون استثناء بالوطن، حاسبًا أنّه خاسر لو خسر الوطن، حتّى لوقُدم له العالم أجمع.
المطلوب،أيّها العقل، أن نبني وطنًا جديدًا لا يبقى فيه محروم، وأن نجنّد الكفايات الضّائعة والعبقريات المهملة لرفع شأن وطن العمالقة.
والمطلوب أيضًا، أيّها العقل المحبّ، أنّ تضع خطّة عمل لتنفيذ الحلول حتّى يكون لبنان هو المنتصر، لا المسلمون ولا المسيحيون، لا الأفراد ولا الأحزاب، لا اليمين ولا اليسار بل الشّعب وحده»[1].

---

1 **موسى الصّدر**، مقال "إلى العقل اللّبناني"، النّهار، 7 كانون الثاني 1976.

المصادر والمراجع

1. المصادر

كتب الإمام الصدر

- الصّدر، موسى، أبجدية الحوار، محاضرات وأبحاث للإمام السيد موسى الصّدر، إعداد: حسين شرف الدّين، صور: دار الأرقم، ط1، 1997م.
- الصّدر، موسى، أحاديث السّحر، تحقيق: حسين شرف الدّين، ط1، بيروت: مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، 1999م.
- الصّدر، موسى، الإسلام والتّفاوت الطبقي ومحاضرات في الاقتصاد، ط 2، بيروت: مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، أيلول 2000م.
- الصّدر، موسى، الإسلام وكرامة الإنسان، ط2، بيروت: مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، 2009م.
- الصّدر، موسى، الإسلام: الأصالة، الروحية، التطور، بيروت: مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، ط2، 2009م.
- الصّدر، موسى، الجانب الاجتماعيّ في الإسلام، ط2، بيروت: مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، 2009م.
- الصّدر، موسى، الكلمات القصار، بيروت: جمعية المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، 2007م.
- الصّدر، موسى، تقرير إلى المحرومين (بيان ألقاه بتاريخ 11/9/1975م)، ط2، بيروت: مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، 2009م.
- الصّدر، موسى، حوارات صحفية(1.) تأسيسًا لمجتمع مقاوم، ط2، بيروت: مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدراسات، 2007م.
- الصّدر، موسى، حوارات صحفية.(2) الوحدة والتحرير، ط2، بيروت: مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، 2007م.
- الصّدر، موسى، رعايّة الإسلام للقيّم والمعاني الإنسانيّة، ط2، بيروت: مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، 2009م.
- الصّدر، موسى، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، محاضرات وأبحاث للإمام السّيّد موسى الصّدر، بيروت.

مقالات الإمام الصدر

- "الإسلام والأسرة في مجتمع متطوّر"، ضمن كتاب: موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، ط1، 2009م.

- الصّدر، موسى، "المرأة وتحدّيات المجتمع" في موسى الصّدر، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "الإنسان في حاجاته وكفاءاته، حفاظًا على الإنسان" في موسى الصّدر، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "الدّين اليوم" في موسى الصّدر، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "الدّين والعلم" مقدّمة لكتاب «العلوم الطّبيعية في القرآن الكريم»، في موسى الصّدر، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "العدالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في الإسلام" في موسى الصّدر، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "المجتمع الصالح – الأخلاق" في موسى الصّدر، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "المرأة في الإسلام" في موسى الصّدر، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "بيان بمناسبة مرور سنة على الحرب الأهليّة" جريدة النّهار 17/4/1976.
- الصّدر، موسى، "تقرير إلى المجلس الإسلامي الشّيعيّ الأعلى" في 13/9/1975، في مجموعة مؤلفين، المقاومة والمجتمع المقاوم، مؤتمر كلمة سواء الخّامس، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "جانب الإنسان الروحي والجسمي في العالم الآخر" في موسى الصّدر، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "صور من حضارتنا" في موسى الصّدر، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "كرامة الإنسان" في موسى الصّدر، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "مأساة رجل الدّين"، في موسى الصّدر، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "معرفة الإسلام" في موسى الصّدر، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "معنى العيد ومفهوم الوطن والمقاومة" رسالة عيد الفطر للإمام الصّدر بتاريخ 9/12/1969 كما نُشرت في جريدة "الجريدة" عدد 10/12/1969.
- الصّدر، موسى، مع المستشرق هنري كوربان" تصدير لترجمة كتاب (تاريخ الفلسفة الإسلامية) لهنري كوربان بتاريخ حزيران 1966، في موسى الصّدر، أبجدية الحوار،

حوارات الإمام الصدر

- الصّدر، موسى، "الأديان، والمذاهب وشؤون المرأة"، حوار حنان معلوف، ملحق النهار، 27/4/1969م.
- الصّدر، موسى، "الأسرة والشباب"، حوار الإنسان الجديد، المصرية، العدد الأول، 1972م.
- الصّدر، موسى، "المسلمون والمرأة"، حوار مع مجلة الحسناء البيروتية 3/1969، في حوارات صحفية (1.) تأسيسًا لمجتمع مقاوم، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "المؤسسة الدّينيّة والنهضة وقضايا المرأة والأسرة"، حوار خيرات البيضاوي، كل شيء، 16/4/1973، في حوارات صحفية .(1.) تأسيسًا لمجتمع مقاوم، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "عن الحرمان والمرأة"، حوار فاطمة ناعورة السردوك، الأسبوع العربي، 5/5/1975، في حوارات صحفية (1.) تأسيسًا لمجتمع مقاوم، مصدر سابق.
- الصّدر، موسى، "كلمة بمناسبة انتخابه رئيسًا للمجلس الإسلامي الشّيعيّ الأعلى"، بيروت، دار الإفتاء الجعفري، بتاريخ 22/5/1969.
- الصّدر، موسى، "أسّس الحوار الوطني"، حوار صحفي مع جريدة النهار، بتاريخ 31/1/1978.
- الصّدر، موسى، "الأهداف والتنظيم"، حوار جريدة الحياة مع الإمام الصّدر، بتاريخ 25/5/1969.
- الصّدر، موسى، "الحركة والثورة"، حوار صحيفة اليقظة الكويتية مع الإمام الصّدر بتاريخ 13/1/1975.
- الصّدر، موسى، "الطائفية في لبنان سياسة وليست دينًا"، حوار مجلّة المصوّر مع الإمام الصّدر بتاريخ 5/3/1970 أثناء مؤتمر البحوث الإسلاميّة في القاهرة.
- الصّدر، موسى، "حركة المحرومين، الإقطاع وإسرائيل"، حوار جريدة الأنوار مع الإمام الصّدر بتاريخ 22/1/1975.
- الصّدر، موسى، "لبنان والحضارة الإنسانيّة"، حديث مع وفد نقابة المحررين في المجلس الإسلامي الشّيعيّ الأعلى، بتاريخ 17/1/1977.
- الصّدر، موسى، "مقابلة مع جريدة السفير" بتاريخ 23/2/1977م.
- الصّدر، موسى، حوار مع جريدة النهار اللبنانية بتاريخ 18/1/1977.

2. المراجع

الكتب

- ابن سينا، الحسين، الشفاء (المنطق)، تحقيق: الأب قنواتي، سعيد زايد، قم: مكتبة آية اللّه المرعشي النجفي، 1404هـ.

- ابـن عربـي الحاتمـي الطائـي، محيـي الديـن محمـد، مجموعـة رسـائل ابـن عربـي، ط1، دار المحجـة البيضـاء ودار الرسـول الأكـرم، 1421هـ، 2000م، بيـروت.
- آل ياسين، جعفر، الفارابي في حدوده ورسومه، ط1، عالم الكتب، 1405ه، بيروت.
- الجرجاني، علي بن محمّد، كتاب التعريفات، ط4، طهران، ناصر خسرو، 1370ش.
- جهامـي، جيـرار، موسـوعة مصطلحـات الفلسـفة عنـد العـرب، ط1، مكتبـة لبنـان ناشـرون، 1998م، بيـروت.
- حسـن زاده آملي، حسـن، عيـون مسـائل النفس وسـرح العيـون في شـرح العيـون، انتشـارات أميـر كبيـر،1992م، طهران.
- خواجوي، محمد، صدر المتألهين فيلسوفًا وعارفًا، دار الهادي، 1424ه، بيروت.
- دغيـم، سـميح، موسـوعة مصطلحـات صـدر الدّيـن الشـيرازي،(المجلد 9 مـن سلسـلة موسـوعات مصطلحـات أعـلام الفكـر العربـي والإسـلامي)، مكتبـة لبنـان ناشـرون 2004م، بيـروت.
- الرفاعي، عبدالجبار، مبادئ الفلسفة الإسلامية، 2005م- مدينة قم.
- سـرور، إبراهيـم حسـين، المعجـم الشـامل للمصطلحـات العلميـة والديّنيـة، مجلـد٢، ط1، دار الهـادي، 1429هـ، بيـروت.
- شـرف الديّـن، حسـين، الإمـام السـيد موسـى الصّـدر: محطـات تاريخيـة، ط2، مركـز الصّـدر للأبحـاث والدّراسـات، 2002م، بيـروت.
- شـرف الدّيـن، حسـين، صـور المعاصـرة تاريخنـا (الجـزء الثّانـي) رؤيـة الإمـام السّـيّد موسـى الصّدر،الناشـر:مركز الإمـام شـرف الدّيـن، صـور. مركـز الإمـام الصّـدر للأبحـاث والدّراسـات، ط1، 9 ذي الحجـة 1438هـ، 31 آب 2017م، طهـران.
- شرف الديّن، حسين، منبر ومحراب، ط1، دار الأرقم، 1981، بيروت.
- صليبـا، جميـل، المعجـم الفلسـفي (بالألفـاظ العربيـة والفرنسـية والإنكليزيـة واللاتينيـة)، الشـركة العالميـة للكتـاب، 1414 هـ ، 1994م، بيـروت.
- ضاهـر، يعقـوب (إعـداد وتوثيـق)، مسـيرة الإمـام السـيد موسـى الصـدر، يوميـات ووثائـق- المجلـد الثانـي - 1969 - 1970، حركـة أمـل، هيئـة الرئاسـة، دار بـلال، ط 1، 2000م، بيـروت.
- الطّباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، 1973م، بيروت.
- الطّباطبائـي، محمّـد حسـين، نهايـة الحكمـة، ط12، قـم: جماعـة المدرسـين فـي الحـوزة العلميـة، مؤسسـة النشـر الإسـلامي، 1416هـ، قـم.
- المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ط 2، بيروت، مؤسسة الوفاء، 1983.
- مجموعـة مؤلفيـن، إجتمعنـا مـن أجـل الإنسـان - الإنسـان فـي رؤيـة الإمـام الصّـدر، مؤتمـر كلمـة سـواء الحـادي عشـر، ط1، مركـز الإمـام الصّـدر للأبحـاث والدّراسـات، 2009م، بيـروت.

- مجموعة مؤلفين، الأسرة واقع ومرتجى، مؤتمر كلمة سواء الثّاني، مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، 1998م، بيروت.
- مجموعة مؤلفين، الإمام الصّدر والحوار، مؤتمر كلمة سواء الأول، ط1، مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، 1997م، بيروت.
- مجموعة مؤلفين، التنمية الإنسانية - أبعادها الدّينيّة والاجتماعيّة والمعرفيّة، مؤتمر كلمة سواء العاشر، بيروت، مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، 2005م.
- مجموعة مؤلفين، المقاومة والمجتمع المقاوم، مؤتمر كلمة سواء الخّامس، ط1، مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، 2001م، بيروت.
- مجموعة مؤلفين، الهوية الثقافية - قراءات في البعد الثقافي لمسيرة الإمام السيد موسى الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الرّابع، ط1، مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، 2000م، بيروت.
- مجموعة مؤلفين، بحثًا عن حقّ الإنسان، مؤتمر كلمة سواء الثّالث، مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، تشرين الثاني 1998م، بيروت.
- مجموعة مؤلفين، حوار الحضارات - اجتمعنا من أجل الإنسان، مؤتمر كلمة سواء السّادس، ط1، مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، 2002م، بيروت.
- مجموعة مؤلفين، موقع الحرية في الإصلاح والتجديد، مؤتمر كلمة سواء التاسع، ط1، مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، 2005م، بيروت.
- مجموعة مؤلفين، موسوعة مصّطلحات علم المنطق عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م، بيروت.
- صدر الدّين القوامي الشيرازي، محمد بن إبراهيم، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ط3، دار إحياء التراث العربي، 1981م، بيروت.
- ملا صدرا، محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي، المشاعر، ط2، طهران، مكتبة طهوري.
- النابلسي، صادق، موسى الصّدر: مسار التّحديات والتحولات، مراجعة وتقويم: فريق مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي بالتعاون مع جامعة المصطفى العالمية، 2013م، بيروت.

المقالات:

- أبو المنى، سامي، "كلمة" في مجموعة مؤلفين، اجتمعنا من أجل الإنسان، الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، مصدر سابق.
- أبو المنى، سامي، كلمة في اجتمعنا من أجل الإنسان، الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، مصدر سابق.

• جريدة استوار، قم، سنة 1320ش، 1941م.
• حمادة، حسين صالح، "الإنسان في فكر الإمام الصّدر"، في مجموعة مؤلفين، بحثًا عن حقّ الإنسان، مؤتمر كلمة سواء الثّالث، مصدر سابق.
• خاتمي، محمّد، "حوار الحضارات"، في مجموعة مؤلفين، حوار الحضارات، اجتمعنا من أجل الإنسان، مؤتمر كلمة سواء السادس، مصدر سابق.
• خاتمي، محمد، كلمة في المؤتمر الأول لتكريم الإمام الصدر في مدينة قم بتاريخ 29/5/1999، نص غير منشور، من أرشيف مؤسسات الإمام الصّدر.
• خضر، جورج، "البعد العالمي في ثقافة الإمام الصّدر"، في مجموعة مؤلفين، الهوية الثقافية، قراءات في البعد الثقافي لمسيرة الإمام السيد موسى الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الرابع، مصدر سابق.
• رحّال، حسين، "ملامح التجديد عند السيد موسى الصّدر: إمام التواصل"، في مجموعة مؤلفين، موقع الحرية في الإصلاح والتجديد، مؤتمر كلمة سواء التاسع، مصدر سابق.
• زيادة، خالد، "الإنسانية وجود واحد"، في مجموعة مؤلفين، الهوية الثقافية ـ قراءات في البعد الثقافي لمسيرة الإمام السيد موسى الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الرابع، مصدر سابق.
• سعد الديّن، محمد منير، "إنسانية الطفولة والشباب في الفكر التربوي للإمام السيد موسى الصّدر"، في مجموعة مؤلفين، اجتمعنا من أجل الإنسان، الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، مصدر سابق.
• سلامة، رشاد، "لبنان والإنسان في رؤية سماحة الإمام الصّدر"، في مجموعة مؤلفين، اجتمعنا من أجل الإنسان، الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، مصدر سابق.
• السمّاك، محمّد، "الإمام الصّدر بين القومية والوطنية"، جريدة المستقبل، 5 أيلول 2005، كذلك المستقبل، عدد 1، أيلول 2008، ونص مقابلة أجرتها محطة NBN مع الباحث بتاريخ 28 آب 2003.
• شرف الدّين، حسين، "الإمام الصّدر في نظرة مختلفة للأسرة"، في مجموعة مؤلفين، الأسرة واقع ومرتجى، مؤتمر كلمة سواء الثّاني، مصدر سابق.
• شرف الدّين، حسين، "الإمام الصّدر وحق الحياة على الإنسان"، في مجموعة مؤلفين، بحثًا عن حق الإنسان، مؤتمر كلمة سواء الثّالث، مصدر سابق.
• شرف الدّين، رائد، "نموذج التنمية الشاملة في تجربة مؤسسات الإمام الصّدر" في مجموعة مؤلفين، التنمية الإنسانية، أبعادها الدّينيّة والاجتماعيّة والمعرفيّة، مؤتمر كلمة سواء العاشر، مصدر سابق.

• شرف الدّين، لؤي، "تعقيب"، في مجموعة مؤلفين، اجتمعنا من أجل الإنسان، الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، مصدر سابق.
• شمس الدّين، محمّد مهدي، "خطاب الإمام الصّدر الثقافي" في مجموعة مؤلفين، قراءات في البعد الثقافي لمسيرة الإمام السيد موسى الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الرابع، مصدر سابق.
• شمس الدّين، محمّد مهدي، "في الأسرة تكتمل رسالة اللّه"، في مجموعة مؤلفين، الأسرة واقع ومرتجى، مؤتمر كلمة سواء الثّاني، مصدر سابق.
• شمس الدّين، محمد مهدي، "أعطى المحرومين صوتًا" في مجموعة مؤلفين، بحثًا عن حق الإنسان، مؤتمر كلمة سواء الثّالث، مصدر سابق.
• شمس الدّين، محمّد مهدي، "الكلمة السواء لمواجهة المشروع الصهيوني" في مجموعة مؤلفين، الإمام الصّدر والحوار، مؤتمر كلمة سواء الأول، مصدر سابق.
• الصدر الطّباطبائي، فاطمة، "قراءة لمفهوم الأسرة من وجهة نظر القرآن"، في مجموعة مؤلفين، الأسرة واقع ومرتجى، مؤتمر كلمة سواء الثّاني، مصدر سابق.
• الصّدر، رباب، "كلمة" في مجموعة مؤلفين، اجتمعنا من أجل الإنسان، الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، مصدر سابق.
• الصّدر، رباب، "في البحث عن الذّات، تلتقي جميع الثقافات" في مجموعة مؤلفين، حوار الحضارات اجتمعنا من أجل الإنسان، مؤتمر كلمة سواء السادس، مصدر سابق.
• عتريسي، طلال، "الإنسان في رؤية الإمام الصّدر"، في مجموعة مؤلفين، اجتمعنا من أجل الإنسان، الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر،
• عتريسي، طلال، "مسؤولية الإنسان الاجتماعيّة في فكر الإمام الصّدر"، في مجموعة مؤلفين، اجتمعنا من أجل الإنسان، الإنسان في رؤية الإمام الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الحادي عشر، مصدر سابق.
• عتريسي، طلال، "مشروع المقاومة في فكر الإمام الصدر وتجربته 1960- 1978"، في مجموعة مؤلفين، الهوية الثقافية ـ قراءات في البعد الثقافي لمسيرة الإمام السّيّد موسى الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الرابع، مصدر سابق.
• فاضل ميبدي، محمّد تقي، "منطق الحوار في سيرة الإمام الصّدر" في مجموعة مؤلفين، حوار الحضارات ـ اجتمعنا من أجل الإنسان، مؤتمر كلمة سواء السّادس، مصدر سابق.
• مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، "محطات تاريخيّة في سيرة سماحة الإمام السّيّد موسى الصّدر"، في موسى الصّدر، موسى الصّدر والخطاب الإنسانيّ، مصدر سابق.
• مركز الإمام الصّدر للأبحاث والدّراسات، "الحقيقة لن تغيب"، إعداد سنة 2000، جريدة النّهار بتاريخ 12/2/2001، وجريدة الديّار بتاريخ 12/2/2001.

• مهتدي، محمّد علي، "البعد العربي - الإسلاميّ في مسيرة الإمام الصّدر"، في مجموعة مؤلفين، الهوية الثّقافية - قراءات في البعد الثّقافي لمسيرة الإمام السيد موسى الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الرّابع، مصدر سابق.
• الميلاد، زكي، "السّيّد موسى الصّدر والمشروع الإصلاحيّ"، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدّراسات والأبحاث، العدد 48، السنة الثانية عشرة، 2005م.
• نياغا، بول، "الهوية الثّقافية واقع متحرّك" في مجموعة مؤلفين، الهوية الثقافية، قراءات في البعد الثقافي لمسيرة الإمام السيد موسى الصّدر، مؤتمر كلمة سواء الرّابع، مصدر سابق.

الحوارات

أحاديث مع:
• الدّكتور إبراهيم اليزدي.
• الدّكتور صادق الطّباطبائي.
• الدّكتور علي أكبر صادقي.
• الدّكتور كاظم الصّدر.
• السّيّد جمال الدّين رؤوف الملايري.
• السّيّد عبد الكريم الأردبيلي.
• السّيّد علي صدر الدّين الصّدر.
• السّيّد محمد باقر الحكيم.
• السّيّد محمد باقر السلطاني الطّباطبائي.
• السّيّد محمد حسين فضل اللّه.
• الشّيخ علي حجتي كرماني.
• الشّيخ محمد مهدي شمس الدّين.
• الشّيخ ناصر مكارم الشيرازي.

مواقع الكترونية

https://imamsadr.net

https://wikipedia.net

https://ar.wikishia.net

هذا الكـتاب

نشر الإمام الصدر في التربة اللبنانية بذورًا كثيرة. وكان نصيبي أن أوكلَ إلّي البذرة الأكثر هشاشة والأجدى وعدًا، وعنيت بها الفتاة الضعيفة. ولو طُلِب منّي أن أختصر حياتي بكلمات لقُلت: مكابَدة قضية تغييب أخي، وحفظ وصّيته في رفع الغبن عن المحرومين. وهذا الكـتاب هو تـجوال بيـن الضفتيـن. المناضلون في مسيرة الحماية والتمكين والتنمية في لبنان يدركون خفايا وتحدّيات قضيتهم لا سيّما في حقبة الحرب الأهلية والآحتلال وما تلاهما. ما يميّز مسيرتي الشخصية أنني افتقدت البوصلة وأنا بعدُ في مستهلّ الطريق. فقد وقعّ التغييب القسري للإمام موسى الصدر في أواخر عام 1978، أي أنني كنتّ ما أزال يافعة في مجال الحماية الاجتماعية والعمل الإنساني. كان علّي أن أعيد اختراع البوصلة، أي أن أعيد تجميـع ما أراده الإمام الصدر، وتحليله وصياغتـه. وهذا ما كان، ونتاجي هو الفلسـفة الإصلاحيـة في رؤية الإمام موسـى الصـدر وممارساته.

ربـاب الصّــدر



- منشؤها عائلةٌ تحمل قضيّة تحفيز التغيير وصولاً إلى العدالـة بين النـاس؛
- حائزة على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من الجامعة اللبنانية (2016)؛
- رئيسة الهيئة الإدارية في مؤسسات الإمام الصدر؛
- مواظبة على حفظ نتاج الإمام الصدر عبر رعايتها لمركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات؛
- حائزة على العديد من الأوسمة والميداليات تقديرًا لما حققته من نتائج في المجالين الاجتماعي والإنساني؛
- غايتها تمكين المعرضين، بالدفاع عن حقوقهم وتزويدهم بالمهـارات والمعرفة، مع التركيز على المجتمعات الريفية والمرأة بمساعدة فريق عمل واسع ومتعدّد التخصصات؛
- تؤمن بلبنان الرسالة الغني بتنوعه وانتشاره، وحريصة على التواصل مع الجهات الفاعلة والمؤثرة في القضايا الإنسانية.